

BOBST LIBRARY



3 1142 01500 8330



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University



New York University
 Bobst Library
 70 Washington Square South
 New York, NY 10012-1091

DUE DATE

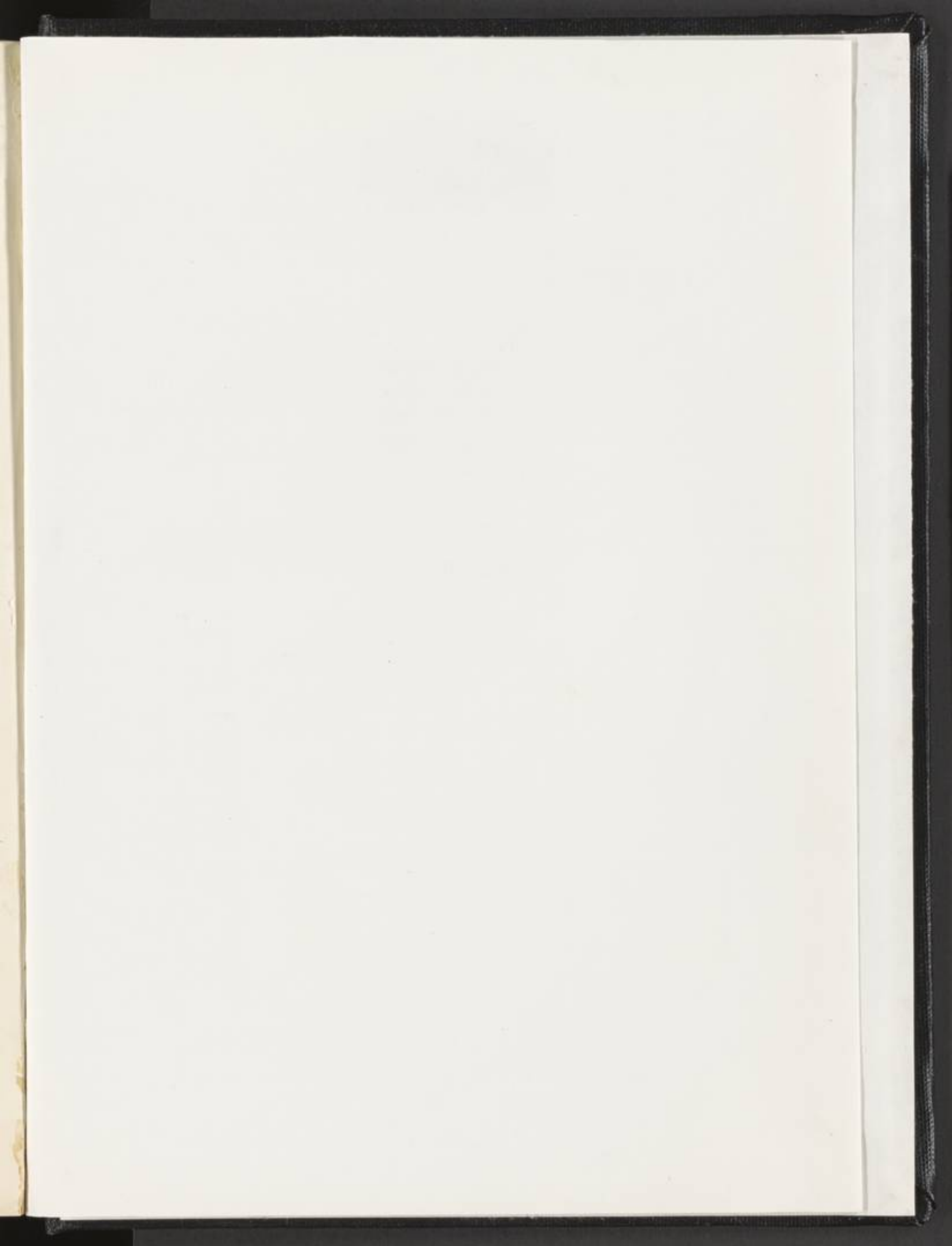
DUE DATE

DUE DATE

* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *

Bobst Library
 APR 14 1999
 APR 12 1999
 CIRCULATION
 CIRCULATION

Bobst Library
 DEC 27 1998
 JAN 1 1999
 CIRCULATION



al-Tabarī, 838-923.

Jāmi' al-bayān /

جَامِعُ الْبَيَانِ

عن

نَاوِيلِ أَبِي الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء الثاني عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير

OCT 02 1997

BP

130

.4

.T3

1954

v.12-14

c.1

D1500 8330

فهارس الجزء الثاني عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦	وما من دابة فى الأرض . . .	١	٢٩	ويا قوم لا أسألكم عليه مالا . . .	٢٩
٧	وهو الذى خلق السموات . . .	٣	٣٠	ويا قوم من ينصرنى من الله . . .	٣٠
٨	ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة . . .	٦	٣١	ولا أقول لكم عندى خزائن الله . . .	٣٠
٩	ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة . . .	٧	٣٢	قالوا يانوح قد جادلنا . . .	٣١
١٠	ولئن أذقناه نعماء بعد ضرء مسته . . .	٨	٣٣	قال إنما يأتىكم به الله . . .	٣١
١١	إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات . . .	٨	٣٤	ولا ينفعكم نصحى . . .	٣١
١٢	فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك . . .	٨	٣٥	أم يقولون افتراه . . .	٣٢
١٣	أم يقولون افتراه . . .	٩	٣٦	وأوحى إلى نوح أنه . . .	٣٢
١٤	فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا . . .	١٠	٣٧	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . . .	٣٣
١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . . .	١١	٣٨	ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ . . .	٣٤
١٦	أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة . . .	١٤	٣٩	فسوف تعلمون من يأتيه عذاب . . .	٣٤
١٧	أفمن كان على بينة من ربه . . .	١٤	٤٠	حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور . . .	٣٤
١٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	٢٠	٤١	وقال اركبوا فيها بسم الله مجرىها . . .	٤٣
١٩	الذين يصدون عن سبيل الله . . .	٢١	٤٢	وهى تجرى بهم فى موج كالجبال . . .	٤٥
٢٠	أولئك لم يكونوا معجزين . . .	٢٢	٤٣	قال سأوى إلى جبل يعصمنى . . .	٤٥
٢١	أولئك الذين خسروا أنفسهم . . .	٢٣	٤٤	وقيل يا أرض ابلعى ماءك . . .	٤٦
٢٢	لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون . . .	٢٣	٤٥	ونادى نوح ربه فقال . . .	٤٩
٢٣	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٤	٤٦	قال يا نوح إنه ليس من أهلك . . .	٤٩
٢٤	مثل الفريقين كالأعمى والأصم . . .	٢٥	٤٧	قال رب إني أعوذ بك . . .	٥٤
٢٥	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	٢٦	٤٨	قيل يا نوح اهبط بسلام منا . . .	٥٤
٢٦	أن لا تعبدوا إلا الله . . .	٢٦	٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك . . .	٥٦
٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	٢٦	٥٠	وإلى عاد أخاهم هودا . . .	٥٧
٢٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	٢٨	٥١	يا قوم لا أسألكم عليه أجرا . . .	٥٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا . . .	٥٧	٨٠	قال لو أن لى بكم قوة . . .	٨٦
٥٣	قالوا يا هود ما جئتنا ببينة . . .	٥٨	٨١	قالوا يا لوط إنا نرسل ربك . . .	٨٨
٥٤	إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا . . .	٥٩	٨٢	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها . . .	٩٣
٥٥	فكيدونى جميعا . . .	٥٩	٨٣	مسرومة عند ربك . . .	٩٣
٥٦	إنى توكلت على الله ربى وربكم . . .	٦٠	٨٤	وإلى مدين أخاهم شعيبا . . .	٩٨
٥٧	فلن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به . . .	٦١	٨٥	ويا قوم أوفوا المكيال والميزان . . .	٩٩
٥٨	ولما جاء أمرنا نجينا هودا . . .	٦١	٨٦	بَقِيَّتُ اللهُ خَيْرَ لَكُمْ . . .	١٠٠
٥٩	وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم . . .	٦١	٨٧	قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك . . .	١٠١
٦٠	وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة . . .	٦٢	٨٨	قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة . . .	١٠٣
٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحا . . .	٦٢	٨٩	ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى . . .	١٠٤
٦٢	قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا . . .	٦٣	٩٠	واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . . .	١٠٥
٦٣	قال يا قوم أرأيتم إن كنت . . .	٦٣	٩١	قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا . . .	١٠٥
٦٤	ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية . . .	٦٤	٩٢	قال يا قوم أرهطى أعزّ عليكم . . .	١٠٦
٦٥	فمقرروها فقال تمتعوا فى داركم . . .	٦٤	٩٣	ويا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	١٠٨
٦٦	فلما جاء أمرنا نجينا صالحا . . .	٦٥	٩٤	ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا . . .	١٠٨
٦٧	وأخذ الذين ظلموا الصيحة . . .	٦٨	٩٥	كان لم يَغْنُوا فيها ، ألا بعدا . . .	١٠٩
٦٨	كان لم يَغْنُوا فيها . . .	٦٨	٩٦	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٠٩
٦٩	ولقد جاءت رسلنا إبراهيم . . .	٦٨	٩٧	إلى فرعون وملئه فاتبعوا . . .	١٠٩
٧٠	فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكبرهم . . .	٧٠	٩٨	يَتَقَدُّمُ قومه يوم القيامة . . .	١٠٩
٧١	وامراته قائمة فضحكك فبشرناها . . .	٧١	٩٩	وأتبعوا فى هذه لعنة . . .	١١٠
٧٢	قالت يا ويلتى وأنا عجوز . . .	٧٦	١٠٠	ذلك من أنباء القرى نقصه عليك . . .	١١١
٧٣	قالوا أتعجبين من أمر الله . . .	٧٦	١٠١	وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم . . .	١١٢
٧٤	فلما ذهب عن إبراهيم الروع . . .	٧٧	١٠٢	وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى . . .	١١٤
٧٥	إن إبراهيم لحليم أواه منيب . . .	٧٧	١٠٣	إن فى ذلك لآية لمن خاف . . .	١١٤
٧٦	يا إبراهيم أعرض عن هذا . . .	٨٠	١٠٤	وما نؤخره إلا لأجل معدود . . .	١١٥
٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم . . .	٨١	١٠٥	يوم يأتى لاتكلمن نفس إلا بإذنه . . .	١١٥
٧٨	وجاءه قومه يهْرعون إليه . . .	٨٣	١٠٦	فأما الذين شقوا فى النار . . .	١١٥
٧٩	قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك . . .	٨٦	١٠٧	خالدين فيها مادامت السموات . . .	١١٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٨	وأما الذين ساعدوا في الجثة . . .	١١٥	١٢	أرسله معنا غدا يرتع ويلعب . . .	١٥٨
١٠٩	فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء . . .	١٢٢	١٣	قال إني ليحزني أن تذهبوا به . . .	١٦٠
١١٠	ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف . . .	١٢٣	١٤	قالوا لئن أكله الذئب . . .	١٦٠
١١١	وإن كلا كلاً ليو فيهم ربك . . .	١٢٣	١٥	فلما ذهبوا به وأجمعوا . . .	١٦٠
١١٢	فاستقم كما أمرت ومن تاب . . .	١٢٦	١٦	وجاءوا أباهم عشاء يبكون . . .	١٦٢
١١٣	ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . . .	٩٢٦	١٧	قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق . . .	١٦٢
١١٤	وأقم الصلاة طرّاً في النهار . . .	١٢٧	١٨	وجاءوا على قميصه بدم كذب . . .	١٦٣
١١٥	واصبر فإن الله لا يضيع أجر . . .	١٣٨	١٩	وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم . . .	١٦٦
١١٦	فلو كان من القرون من قبلكم . . .	١٣٨	٢٠	وشروه بثمن بخس دراهم معدودة . . .	١٧٠
١١٧	وما كان ربك ليهلك القري . . .	١٤٠	٢١	وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته . . .	١٧٤
١١٨	ولو شاء ربك ليجعل الناس . . .	١٤٠	٢٢	ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً . . .	١٧٦
١١٩	إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . . .	١٤٠	٢٣	وراودته التي هو في بيتها عن نفسه . . .	١٧٨
١٢٠	وكلا نقص عليك من أنباء الرسل . . .	١٤٥	٢٤	ولقد همت به وهمّ بها . . .	١٨٣
١٢١	وقل للذين لا يؤمنون اعملوا . . .	١٤٧	٢٥	واستبقا الباب وقدت قميصه . . .	١٩١
١٢٢	وانظروا إنا منتظرون . . .	١٤٧	٢٦	قال هي راودتني عن نفسي . . .	١٩٣
١٢٣	ولله عيب السموات والأرض . . .	١٤٨	٢٧	وإن كان قميصه قدّ من دبر . . .	١٩٣
<u>سررة يوسف عليه السلام</u>					
١	البرّ تلك آيات الكتاب المبين . . .	١٤٩	٢٨	فلما رأى قميصه قدّ من دبر . . .	١٩٣
٢	إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . . .	١٤٩	٢٩	يوسف أعرض عن هذا . . .	١٩٧
٣	نحن نقص عليك أحسن القصص . . .	١٥٠	٣٠	وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز . . .	١٩٧
٤	إذ قال يوسف لأبيه يا أبت . . .	١٥١	٣١	فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن . . .	٢٠١
٥	قال يا بني لا تقصص رؤياك . . .	١٥٢	٣٢	قالت فذلكن الذي لمثني فيه . . .	٢٠٩
٦	وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك . . .	١٥٣	٣٣	قال رب السجن أحبّ إليّ . . .	٢١٠
٧	لقد كان في يوسف وإخوته . . .	١٥٤	٣٤	فاستجاب له ربه فصرف عنه . . .	٢١١
٨	إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ . . .	١٥٤	٣٥	ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات . . .	٢١٢
٩	اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً . . .	١٥٥	٣٦	ودخل معه السجن فتيان . . .	٢١٣
١٠	قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف . . .	١٥٥	٣٧	قال لا يأتيكما طعام ترزقانه . . .	٢١٧
١١	قالوا يا أبانا مالك لأتأمنا . . .	١٥٧	٣٨	واتبعت ملة آباءي إبراهيم . . .	٢١٨
			٣٩	يا صاحبي السجن أرباب . . .	٢١٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٠	ما تعبدون من دونه إلا أسماء . . .	٢١٩	٤٧	قال تزرعون سبع سنين ذآبا . . .	٢٣٠
٤١	يا صاحبي السجن أما أحدكما . . .	٢٢٠	٤٨	ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد . . .	٢٣٠
٤٢	وقال للذي ظن أنه ناج منهما . . .	٢٢١	٤٩	ثم يأتي من بعد ذلك عام . . .	٢٣١
٤٣	وقال الملك إني أرى سبع بقرات . .	٢٢٥	٥٠	وقال الملك اثنتوني به فلما جاءه . . .	٢٣٤
٤٤	قالوا أضغاث أحلام . . .	٢٢٦	٥١	قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف . . .	٢٣٦
٤٥	وقال الذي نجا منهما . . .	٢٢٧	٥٢	ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب . . .	٢٣٧
٤٦	يوسف أيها الصديق أفتنا . . .	٢٢٧			

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٤٧	١
الموضع واليوم اللذين رست فيهما السفينة ، وما فعله نوح ومن معه في ذلك اليوم .	تأويل قوله تعالى « وما من دابة » . . . الآية : والصواب في معنى الدابة والمستقرّ والمستودع .
٤٩	٣
ابن نوح الذي غرق ، أهو ابنه ، أم ابن امرأته ؟	تأويل قوله « وهو الذي خلق السموات » . . . الآية . وبيان بدء هذا العالم ، وخلق السموات في أيام الأسبوع .
٥٧	١١
تأويل قوله « وإلى عاد » ، وسياق خبر هود معهم :	إذا عمل الإنسان الطيبات لأجل الدنيا يستوفى أجر ذلك فيها ، وليس له في الآخرة إلا ما عمل لها .
٦٢	١٤
تأويل قوله « وإلى ثمود » ، وخبر صالح معهم :	تأويل قوله « أفمن كان على بينة » . . . الآية . والخلاف في المراد من البينة .
٦٨	١٧
تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا إبراهيم » ، وخبره مع الملائكة .	بيان الصواب فيها .
٨١	١٨
تأويل قوله « ولما جاءت رسلنا لوطا » ، وتمايم قصته مع الملائكة وقومه .	نهى الله رسوله عن الشكّ في أن النار موعده من كفر :
٩٨	٢٠
تأويل قوله « وإلى مدين أخاهم شعيبا » ، ونصائح لأهل مدين ، وما تمّ له معهم .	تأويل قوله « ومن أظلم » . . . الآية ، ومعنى الأشهاد .
١١٥	٢١
تأويل قوله « يوم يأت » . . . الآية .	ما يُشعل بالمرء يوم القيامة :
١٢١	٢٦
المراد بالاستثناء المذكور في شأن أهل النار وأهل الجنة :	تأويل قوله « ولقد أرسلنا نوحا » وما تمّ لنوح مع قومه .
١٢٧	٣٢
تأويل قوله « وأقم الصلاة » . . . الآية ، وما أشير بالآية إليه من الصلوات .	تأويل قوله « أم يقولون افتراه » وبيان أنه من كلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم :
١٤٠	٣٥
تأويل قوله « ولو شاء ربك لجعل الناس » . . . الآية ، وأن الاختلاف بالشقاء والسعادة من مقتضيات علمه :	مقدار الزمن الذي مكثه نوح في قومه يدعوهم إلى التوحيد ، وما صنع قومه به .
	٣٩
	من أى موضع كان انفجار الماء أولا .

الصفحة	الصفحة
١٧٤	١٤٩
بيان من اشترى يوسف من مصر .	تفسير سورة يوسف
١٧٦	١٥١
السن الذي بلغ فيه يوسف أشده .	أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام في منامه .
١٧٨	١٥٥
ما فعلته امرأة العزيز حين راودت يوسف .	ما فعل إخوة يوسف به حين أرادوا إلقاءه في الحب .
١٨٥	١٦٢
البرهان الذي رآه يوسف .	ما فعله نبي الله يعقوب حين أتى بنوه بالقميص ملطخا بالدم .
١٩٣	١٦٨
الخلاف في الشاهد الذي شهد ليوسف .	ما فعله الذين أخرجوا يوسف من الحب ، وإخفاؤهم أمره عن معهم من التجار .
٢٠١	١٧٠
المكر الذي سمعته امرأة العزيز ، والمتكأ الذي أعدته .	بيان أن إخوة يوسف باعوه للذي أخرجه بشمن زهيد .
٢١٣	
خبر الغلامين اللذين دخلا معه السجن .	
٢٢٤	
الخلاف في قدر المدة التي لبثها يوسف في السجن .	
٢٢٥	
المنام الذي رآه الملك وطلب تعبيره .	
٢٣٥	
ما ورد في صبره عليه السلام .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٧١	والصَّلَعَا	١٠٩	وتودُّدِ		
١٨	مَدْفَعَا	٢٣٣	المنجودِ	٩٤	ب
١٢٥	مَصْرَعَا	٦٢	العُنْدَا	٤١	الكَرْبُ
١٥٨	الرَّتَاعَا	٢١٠	فاعْبُدَا	٨٢	وتُصِيبُ
	ف		ر	٤١	عَصِيبِ
٨٣	الأُنُوفِ	١٢٣	مَصَادِرُهُ	١٢١	مُشْرَبِ
١٢٩	فَرَلَمْنَا	٧٥	سيارِ	٨٢	الحُبَابِ
	ق	٧٥	يا حارِ	٦٣	عَصِيبِ
١١٦	تَهَقُّ	١٠٦	الظَّهْرِ	٢١١	ثَوْبِي
٧٣	اللَّقْنَا	٢٣٤	مُعَصَّرِ	١١٣	يُصِيبِي
	ل	٢٠٥	إِكْبَارَا		تَبَابَا
١٩٨	طَلَّ		س	١٨١	ت
١٩٧	مَالُ	٤٥	العَيْسُ	١٧٩	هَيْبَتُ
١٧٧	كُوَامِلُ	٤٦	الكَامِي	١٧٩	أَيْبَتَا
٧٣	النَحْلِ	١٥٧	والكُنَائِسِ		هَيْبَتَا
١١١	أَقْتَالِ		ع	٦٩	ج
٢٢٦	شَمَالِ	٤٤	تَطَلَّعُ		يَهْرَجَا
٢٠٠	الطَّالِي	٧١	جُرُشُعُ	٦٩	ح
١٥٧	الْحَلَالِ	١٦٨	مَصْرَعُ		اللَّوَاتِحُ
١٧٧	الْأَمْوَالِ	١٩٨	الأَصَابِعُ	١٤٠	د
٢٣٠	بِمَأْسَلِ	٨٣	مَهَارِعِ	٢٧	المُتَنَادُ
١٦١	عَقَنْتَقَلِ	٤١	مَعَا	٢٧	بِدِي
					وَبِدِي

الجزء الثاني عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٨٨	بان	٧٨	الْحَمْخِيمِ	٨٢	الطَّوَالَا
١٢٥	حُمَّانِ	١٢٤	الْمَخَارِمِ	١٦٥	مَعْمُولَا
٢٠٩	مُسْتَوِيَانِ	١١٦	الدِّمَا	٣	
٢٠٩	تَلْتَقِيَانِ	١٧٠	هَامَةً	١٩٧	وَالْحَتُومُ
١٢٤ ، ٣٣	لَقِينَا		ن	٢٣١	لَا زَمُ
٧٤	وُدِينَا			٦٠	وَمَا تَمُّ
٣٢	لِسَانِي	٢٢٦	مُكْتَمِينَ	٢٠٨	وَالشَّمَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، كُلُّ

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)

﴿ يعني تعالى ذكره بقوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) وما تدب دابة في الأرض ، والدابة : الفاعلة من دب فهو يدب ، وهو داب ، وهي دابة (إلا على الله رزقها) يقول : إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها ، هو به متكفل ، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) قال : ما جاءها من رزق فمن الله ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ، ولكن ما كان من رزق فمن الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) قال : كل دابة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) يعني : كل دابة والناس منهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة ، وأن معنى الكلام : وما دابة في الأرض ، وإن « من » زائدة .

وقوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) حيث تستقر فيه ، وذلك مأواها الذي تأوى إليه ليلا أو نهارا ، (وَمُسْتَوْدَعَهَا) : الموضع الذي يؤدعها ، إما بموتها فيه ، أو دفنها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال (مُسْتَقَرَّهَا) : حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعَهَا) حيث تموت .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) يقول : حيث تأوى (وَمُسْتَوْدَعَهَا) يقول : إذا ماتت :
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) قال : المستقر : حيث تأوى ، والمستودع : حيث تموت .
 وقال آخرون : (مُسْتَقَرَّهَا) في الرحم (وَمُسْتَوْدَعَهَا) : في الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) : في الرحم (وَمُسْتَوْدَعَهَا) : في الصلب ، مثل التي في الأنعام .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) فالمستقر : ما كان في الرحم ، والمستودع : ما كان في الصلب .
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) يقول : في الرحم . (وَمُسْتَوْدَعَهَا) : في الصلب .
 وقال آخرون : المستقر : في الرحم ، والمستودع : حيث تموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ويعلى وابن فضيل ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) قال : مستقرها : الأرحام ، ومستودعها : الأرض التي تموت فيها .
 قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) المستقر : الرحم ، والمستودع : المكان الذي تموت فيه .
 وقال آخرون (مُسْتَقَرَّهَا) : أيام حياتها (وَمُسْتَوْدَعَهَا) : حيث تموت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، قوله (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) قال : مستقرها : أيام حياتها ، ومستودعها : حيث تموت ، ومن حيث تبعث .
﴿﴾ وإنما اخترنا القول الذي اخترناه فيه ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فنه ، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام .
 ويعني بقوله (كَلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) عدد كل دابة ، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها في مستقرها ،

ومدة لبثها في مستودعها ، كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب معين ، بين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدتها ، وهذا إخبار من الله جل ثناؤه الذين كانوا يشنون صدورهم ليستخفوا منه ، أنه قد علم الأشياء كلها ، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدتها ؛ يقول لهم تعالى ذكره : فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم ، فكيف يخفى عليه ما تنطوى عليه نفوسهم إذا شنوا به صدورهم ، واستغشوا عليه ثيابهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعا ، هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، يقول أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء ، أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم؟ وقيل : إن الله تعالى ذكره خلق السماوات والأرض وما فيهن في الأيام الستة ، فاجتزى في هذا الموضع بذكر خلق السماوات والأرض ، من ذكر خلق ما فيهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فقال « خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ يَوْمَ الْخَميسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ ، فِي آخِرِ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال : بدأ خلق الأرض في يومين ، وقدر فيها أوقاتها في يومين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السماوات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كل يوم ألف سنة .

وحدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء في الخلق يوم الأحد ، وختم الخلق يوم الجمعة ، فسميت الجمعة ، وسببت يوم السبت ، فلم يخلق شيئا .

وقوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قبل أن يخلق شيئاً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبي رزين العقيلي ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : في سماء ، ما فوقه هواءٌ ، وما تحته هواءٌ ، ثمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ على المَاءِ » .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان الرازي قالا : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عمه أبي رزين ، قال : « قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في سماء ما فوقه هواءٌ ، وما تحته هواءٌ ، ثمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ على المَاءِ » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، قال : أخبرنا جامع بن شدّاد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فجعل يبشرهم ويقولون : أعطنا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده ، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه ، فقالوا : جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفق في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقبَلُوا البُشْرَى إذ لم يَقْبَلْهَا أولئك الَّذِينَ خَرَجُوا ، قالوا : قبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الله ولا شيءَ غيره ، وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ ، وكتب في الذِّكْرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، ثمَّ أتاني آت ، فقال : تِلْكَ نَاقَتُكَ قَدْ ذَهَبَتْ ، فَخَرَجْتَ يَنْقَطِعُ دُونَهَا السَّرَابُ ، وَلَوْ دِدْتُ أَتَى تَرَكَتْهَا » .

حدثنا محمد بن منصور ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ) قال : كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، قال : ومن دونهما جنتان ، قال : وهي التي لاتعلم نفس ، أو قال : وهما التي لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ،

جزاء بما كانوا يعملون ، قال : وهى التى لاتعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفیان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبیر ، قال
سئل ابن عباس ، عن قول الله (وكانَ عَرشُهُ على الماءِ) قال : على أى شىء كان الماء ؟ قال : على
متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبیر
قال : سئل ابن عباس ، عن قوله تعالى (وكانَ عَرشُهُ على الماءِ) على أى شىء كان الماء ؟ قال : على
متن الريح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،
مثله .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضمرة يقول : إن
الله كان عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق ، وخلق القلم ، فكتب به ما هو خالق ، وما هو
كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام ، قبل أن يخلق شيئاً من الخلق .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ،
قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، ثم قبض قبضة
من صفاء الماء ، ثم فتح القبضة ، فارتفع دخان ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ثم أخذ طينة من
الماء ، فوضعها مكان البيت ، ثم دحا الأرض منها ، ثم خلق الأقوات في يومين ، والسموات في يومين ،
وخلق الأرض في يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع .

وقوله (لِيَسْبُلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يقول تعالى ذكره : وهو الذى خلق السموات والأرض أيها
الناس ، وخلقكم في ستة أيام . (لِيَسْبُلُوَكُمْ) يقول : ليختبركم . (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يقول : أيكم أحسن له طاعة .
كما حدثنا عن داود بن المخبر ، قال : ثنا عبد الواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن
عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه تلا هذه الآية (لِيَسْبُلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) قال : أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَأَوْرَعُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِيَسْبُلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا) يعنى الثقلين .

وقوله (وَلَئِن قُلْتُمْ لَأَنكُمْ مَبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك
إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم ، فتلوت عليهم بذلك تنزيلى ووحي ، ليقولن إن هذا إلا سحر مبين : أى
ما هذا الذى تتلوه علينا مما تقول ، إلا سحر لسامعه ، مبين حقيقته أنه سحر . وهذا على تأويل من قرأ ذلك
(إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) . وأما من قرأ (إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُّبِينٌ) فإنه يوجه الخبر بذلك عنهم

إلى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحر مبین : وقد بيننا الصواب من القراءة في ذلك في نظائره فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْسَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولَنَّ مَا يَجِبُ لَهُ ؟ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : ولئن أخرجنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب ، فلم نعجله لهم ، وأنسانا في آجالهم إلى أمة معدودة ، ووقت محدود ، وسنين معلومة ، وأصل الأمة ، ما قد بيننا فيما مضى من كتابنا هذا ، أنها الجماعة من الناس ، تجتمع على مذهب ودين ، ثم تستعمل في معان كثيرة ، ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت ، وإنما قيل للسنين المعدودة والحين في هذا الموضع ونحوه أمة ، لأن فيها تكون الأمة . وإنما معنى الكلام : ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة ، وانقراض أخرى قبلها .

وبنحو الذي قلنا من أن معنى الأمة في هذا الموضع الأجل والحين ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (وَلَيْسَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) قال : إلى أجل محدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، بمثله : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) قال : أجل معدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : إلى أجل معدود . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) قال : إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَيْسَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) يقول : أمسكنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : إلى حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ) يقول : إلى أجل معلوم . وقوله (لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ) يقول : ليقولنَّ هؤلاء المشركون ما يحبسه ؟ أى شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذى يتوعدنا به ، تكديبا منهم به ، وظنا منهم أن ذلك إنما آخر عنهم لكذب المتوعد . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ) قال : للتكذيب به ، أو أنه ليس بشيء .

وقوله (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ) يقول تعالى ذكره تحقيقا لوعيده ، وتصحيحا لخبره ، ألا يوم يأتيهم العذاب الذى يكذبون به ليس مصروفا عنهم ، يقول : ليس بصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه عنهم دافع ، ولكنه يحل بهم فيهلكهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : ونزل بهم وأصابهم الذى كانوا به يسخرون من عذاب الله ، وكان استهزاؤهم به الذى ذكره الله قيلهم قبل نزوله ما يحبسه نقلا بأنيائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان بعض أهل التأويل يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) قال : ما جاءت به أنبياءهم من الحق .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ، ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَؤُسُ كَفُورٌ (٩)

يقول تعالى ذكره : ولئن أذقنا الإنسان منا رَحْمَةً ، ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَؤُسُ كَفُورٌ ، فبسطنا عليه من الدنيا ، وهى الرحمة التى ذكرها تعالى ذكره فى هذا الموضع (ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ) يقول : ثم سلبناه ذلك ، فأصابته مصائب أجاحتها ، فذهبت به (إِنَّهُ لَيَؤُسُ كَفُورٌ) يقول : يظل قنطا من رحمة الله آيسا من الخير . وقوله : يئوس : فعول ، من قول القائل : يئس فلان من كذا فهو يئوس ، إذا كان ذلك صفة له . وقوله كفور ، يقول : هو كفور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) ثم نزعناها منه (إِنَّهُ لَيَؤُسُ كَفُورٌ) قال : يابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية ، فكفور لما بك منها ، وإذا نزع منك يبتغ لك فراغك ، فيئوس من روح الله ، قنوط من رحمته ، كذلك المرء المنافق والكافر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَنْ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمَةٍ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠)

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه ، ورزقناه رخاءاً في عيشه ، ووسعنا عليه في رزقه ، وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه (وَلَيُنْزِلُنَّ أَذْقِنَاهُ نِعْمَاءً) ، وقوله (بَعْدَ ضَرَاءٍ) يقول : بعد ضيق من العيش كان فيه ، وعسرة كان يعالجها (لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) يقول تعالى ذكره : ليقولنَّ عند ذلك : ذهب الضيق والعسرة عني ، وزالت الشدائد والمكاره (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لفرح بالنعم التي يُعطاها ، مسرور بها فخور ، يقول : ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا ، وما بسط له فيها من العيش ، وينسى صروفها ، ونكد العوارض فيها ، ويدع طلب النعيم الذي يبتغي ، والسرور الذي يدوم ، فلا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) غرة بالله وجرأة عليه (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) والله لا يحب الفرحين (فَخُورٌ) بعدما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات ، وإنما جاز استثناءهم منه ، لأن الإنسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَفِيحُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فقال تعالى ذكره : إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، فإنهم إن تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها ، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله ، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه ، فإن نالوا فيها رخاء وسعة شكروه ، وأدوا حقوقه بما آتاهم منها ، يقول الله (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يغفرها لهم ، ولا يفضحهم بها في معادهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا جزيل ، وجزاء عظيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : إلا الذين صبروا عند البلاء ، وعملوا الصالحات عند النعمة ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير ، قال : الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا كَثُرَ تَارَكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاحِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ،

أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ، إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك

أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك ، وضائق بما يوحى إليك صدرك ، فلا تبلغه إياهم مخافة (أن يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَسْرٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) له مصدق بأنه لله رسول ؛ يقول تعالى ذكره : فبلغهم ما أوحيت إليك ، فإنك (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) تنذرهم عقابي ، وتحذّرهم بأسى على كفرهم بي ، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي ، وفي سلطاني أنزلها إذا شئت ، وليس عليك إلا البلاغ والإنذار (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول : والله القيم بكلّ شيء ، وببيده تدبيره ، فأنفذ لما أمرك به ، ولا يمنعك مسألتهم إياك الآيات ، من تبليغهم وحيي ، والنفوذ لأمرى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال الله لنبية : (فَلَمَّعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ لِيَلَيْكَ) أن تفعل فيه ما أمرت وتدعو إليه كما أرسلت ، قالوا (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَسْرٌ) لانرى معه مالا ، أين المال ؟ (أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) ينذر معه (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) ، فبلغ ما أمرت .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : كفالك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالة على صحة نبوتك ، هذا القرآن من سائر الآيات غيره ، إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها ، وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا بمثله ، فإن هم قالوا : افتريته : أى اختلقته وتكذبتّه ، ودلّ على أن معنى الكلام ما ذكرنا قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) . . . إلى آخر الآية . ويعنى تعالى ذكره بقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى يقولون افتراه . وقد دللنا على سبب إدخال العرب أم في مثل هذا الموضع ، فقل لهم : يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، يعنى مفتعلات مختلفات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى ، وليس بآية معجزة كسائر ما سألته من الآيات ، كالكنز الذى قلتم : هلا أنزل عليه ، أو الملك الذى قلتم : هلا جاء معه نذيرا له مصدقا ، فإنكم قومي ، وأنتم من أهل لساني ، وأنا رجل منكم ، ومحال أن أقدر أخلق وحدى مئة سورة وأربع عشرة سورة ، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلفوا عشر سور مثلها ، ولا سيما إذا استعتم في ذلك بمن شئتم من الخلق . يقول جل ثناؤه : قل لهم : وادعوا من استعتم أن تدعوهم من دون الله ، يعنى سوى الله ، لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة ، فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله ، فقد تبين لكم أنكم كذبة في قولكم

افتراه ، وصحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به ، أنه من عند الله ، ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم ، وقد جاءكم من الحججة على حقيقة ما تكذبون به ، أنه من عند الله ، مثل الذي تسألون من الحججة ، وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها .

وقوله (إن كنتم صادقين) لقوله (فأتوا بعشر سورٍ مثله) وإنما هو : قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات ، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد ، وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك ، من الآلهة والأنداد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أم يقولون افتراه) قد قالوه (قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات وادعوا شهداءكم) قال : يشهدون أنها مثله ، هكذا قال القاسم في حديثه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبية : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله ، إلى أن أتوا بعشر سورٍ مثل هذا القرآن مفتريات ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك ، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه ، وأن محمدا لم يفتره ، ولا يقدر أن يفتره ، (وأن لا إله إلا هو) يقول : وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنناد والآلهة ، وأفردوا له العبادة .

وقد قيل : إن قوله (فإن لم يستجيبوا لكم) خطاب من الله لنبية ، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد ، فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله ، وذلك تأويل بعيد من المفهوم .

وقوله (فهل أنتم مسلمون) يقول : فهل أنتم مدعونون لله بالطاعة ، ومخلصون له العبادة ، بعد ثبوت الحججة عليكم . وكان مجاهد يقول : عني بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهل أنتم مسلمون) قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) قال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقيل (فإن لم يستجيبوا لكم) والخطاب في أول الكلام قد جرى لواحد ، وذلك قوله (قل)

فَأَتُوا) ولم يقل : فإن لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بينا قبل في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم ، أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع ، [إذا كان خطابه خطاب الأتباع وجنده ، وأحيانا مخرج خطاب الواحد ، إذا كان في نفسه واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وأثابها (وَزَيَّنَّتْهَا) يطلب به (نُوفٌ إِلَيْهِمْ) أجور (أَعْمَلْتُمْ فِيهَا) وثوابها (وَهُمْ فِيهَا) يقول : وهم في الدنيا (لَا يُبْخَسُونَ) يقول : لا ينقصون أجرها ، ولكنهم يوقونونه فيها .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا) . . . الآية ، وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا ؛ يقول : من عمل صالحا التماس الدنيا : صوما أو صلاة أو تهجد بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا ، يقول الله : أَوْفِيهِ الَّذِي التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبیر (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا) قال : ثواب ما عملوا في الدنيا من خير أعطوه في الدنيا ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبیر ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا) قال : وربما عملوا من خير أعطوه في الدنيا ، (وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) قال : هي مثل الآية التي في الروم (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبیر (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا) قال : من عمل للدنيا وفيه في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا) قال : من عمل عملا ما أمر الله به من صلاة أو صدقة ، لا يريد بها وجه الله ، أعطاه الله في الدنيا ثواب ذلك مثل ما أنفق ، فذلك قوله (نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا) في الدنيا (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أجر ما عملوا فيها ، (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عيسى ، يعني ابن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا) قال : ممن لا يقبل منه ، جووزي به يُعْطَى ثوابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عيسى الجرشى ، عن مجاهد (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا) قال : ممن لا يقبل منه ، يعجل له في الدنيا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) أى لا يظلمون ، يقول : من كانت الدنيا همه وسدمه ، وطلبته ونيته ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يُفْضِي إِلَى الْآخِرَةِ ، وليس له حسنة يُعْطَى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ، يثاب عليها في الآخرة (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) : أى في الآخرة لا يظلمون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن قتادة (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا) . . . الآية ، قال : من كان إنما همته الدنيا ، إياها يطلب ، عطاها الله مالا ، وأعطاه فيها ما يعيش ، وكان ذلك قصاصا له بعمله (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) قال : لا يظلمون .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ليث بن أبي سليم ، عن محمد بن كعب القرظي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، وَأَجَلَ الْآخِرَةِ » .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا) . . . الآية ، يقول : من عمل عملا صالحا في غير تقوى ، يعنى من أهل الشرك ، أعطى على ذلك أجرا في الدنيا ؛ يصل رحما ، يعطى سائلا ، يرحم مضطرا ، في نحو هذا من أعمال البر ، يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا ، يوسع عليه في المعيشة والرزق ، ويقر عينه فيما حوَّله ، ويدفع عنه من مكاره الدنيا في نحو هذا ، وليس له في الآخرة من نصيب .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضريير ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس في قوله (نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) قال : هي في اليهود والنصارى . قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن أبي رجاء الأزدي ، عن الحسن (نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا) قال : طيباتهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن وهيب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول في هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء .

قال أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : ثنى الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان ، أن عقبة بن مسلم حدثه ، أن شفي بن ماعع الأصبحي ، حدثه أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال من هذا ؟ فقالوا أبو هريرة ، فدنوت منه ، حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلى ، قلت : أنشدك بحق وبحق لَمَّا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِمْتَهُ ، قَالَ : فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثاً حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نَشَخَ نَشَخَةً ١ ، ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثاً حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، ما فيه أحد غيري وغيره ، ثم نَشَخَ أبو هريرة نشخة شديدة ، ثم مال خاراً على وجهه ، واشتد به طويلاً ، ثم أفاق ، فقال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى أهل القيامة ليقضى بينهم ، وكل أمة جاثية ؛ فأول من يدعى به ، رجل جمع القرآن ، ورجل قُتِلَ في سبيل الله ، ورجل كثير المال ؛ فيقول الله للقارىء : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان قارىء ، فقد قيل ذلك ؛ ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب ، قال : فإذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدق ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جواد ، فقد قيل ذلك ؛ ويؤتى بالذي قُتِلَ في سبيل الله ، فيقال له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك ، فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول الله له : بل أردت أن يقال : فلان جرىء ، وقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي ، فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة » .

قال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة أن شفيًا هو الذي دخل على معاوية ، فأخبره بهذا .

قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيفاً لمعاوية ، قال : فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة ، فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديداً حتى ظننا أنه هلك ، وقلنا : هذا الرجل شرٌّ ؛ ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه ، فقال : صدق الله ورسوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) وقرأ إلى (وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا) . . . الآية ، قال : ممن لا يتقبل منه ، يصوم ويصلي ، يريد به الدنيا ، ويدفع عنه وهم الآخرة (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) : لا ينقصون .

(١) النسخ : الشبهق ، حتى يكاد يبلغ به الغشى ، إنما يفعل الإنسان ذلك تشوقاً إلى شيء فانت ، وأسفاً عليه . ذكر أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم فنسخ ، أي شبهق وغشى عليه (النهاية) .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا (لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) يصلونها (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) يقول : وذهب ما عملوا في الدنيا (وَبِطُلٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لأنهم كانوا يعملون لغير الله ، فأبطله الله ، وأحبط عامله أجره .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ، أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ، إِنَّهُ أَحَقُّ مِّن رَّبِّكَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره (أفمن كان على بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) قد بين له دينه فتبينه (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يعنى بقوله (أفمن كان على بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا حسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، عن عروة ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبت أنت التالى في (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لا والله يا بني ، وددت أنى كنت أنا هو ، ولكنه لسانه .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا المعاني بن عمران ، عن قررة بن خالد ، عن الحسن ، مثله :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفمن كان على بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ)

وهو محمد كان على بينة من ربه :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : لسانه هو الشاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : يعني بقوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن سليمان العلاف ، عن الحسين بن عليّ في قوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، قال : ثنا سليمان العلاف ، قال : بلغني أن الحسين

ابن عليّ قال (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن سليمان العلاف ، سمع الحسين بن عليّ (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) يقول : محمد هو الشاهد من الله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بيته من ربه ، والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله ، بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ) قال النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نضر بن عربي ، عن عكرمة ، مثله .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا أبو خالد ، سمعت سفيان يقول (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال آخرون : هو عليّ بن أبي طالب :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا رزيق بن مرزوق ، قال : ثنا صباح القرأني ، عن جابر

عن عبد الله بن يحيى ، قال : قال عليّ رضي الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان ، فقال له رجل : فأنت فأى شيء نزل فيك ، فقال عليّ : أما تقرأ الآية التي نزلت في هود (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) .

وقال آخرون : هو جبرئيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) إنه كان يقول جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى بإسناده عن إبراهيم ، فقال : قال يقولون على إنما هو جبرئيل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هو جبرئيل ، تلا التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو الشاهد من الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا محمد بن عبد الله المخرمي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله . قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : جبرئيل .

قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : جبرئيل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت

الضحاك يقول ، في قوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ) يعني محمدا هو على بيته من الله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد ما بعث به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبي ، عن نصر بن عرجي ، عن عكرمة ، قال : هو جبرئيل .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جبرئيل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ) يعني محمدا على بيته من ربه (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) فهو

جبرئيل شاهد من الله بالذي يتلو من كتاب الله الذي أنزل على محمد، قال: ويقال (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) يقول: يحفظه الملك الذي معه.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: كان مجاهد يقول في قوله (أَفَنُ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ) قال: يعني محمداً (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال: جبرئيل. وقال آخرون: هو ملك يحفظه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال: معه حافظ من الله ملك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، وسويد بن عمرو، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال: ملك يحفظه.

قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، عن سمع مجاهداً (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال: الملك. حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) يتبعه حافظ من الله ملك.

حدثني المثني، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أيوب، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال: الملك يحفظه يتلونه حتى تلاوته، قال: يتبعونه حتى اتبعه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) قال: حافظ من الله ملك.

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ): قول من قال: هو جبرئيل، لدلالة قوله (وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) على صحة ذلك، وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يتل قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلاً على صحة قول من قال: عني به لسان محمد صلى الله عليه وسلم، أو محمد نفسه، أو علي، على قول من قال: عني به علي، ولا يعلم أن أحداً كان تلا ذلك قبل القرآن، أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عني بقوله (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) غير جبرئيل عليه السلام.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك دليلك على أن المعنى به جبرئيل، فقد يجب أن تكون القراءة في قوله (مِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) بالنصب، لأن معنى الكلام على ما تأولت، يجب أن يكون: ويتلو القرآن شاهد من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى؟ قيل: إن القراءة في الأمصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع، فلم يكن لأحد خلافها، ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة، ومعنى صحيحاً.

فإن قال: فما وجه رفعهم إذاً الكتاب، على ما ادّعت من التأويل؟ قيل: وجه رفعهم هذا، أنهم ابتدءوا

الخبر عن مجيء كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد، فرفعوه بمن قبله، والقراءة كذلك، والمعنى الذي ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن، وأن المراد من معناه ذلك، وإن كان الخبر مستأنفا على ما وصفت، اكتفاء بدلالة الكلام على معناه.

وأما قوله (إماما) فإنه نصب على القطع من كتاب موسى، وقوله (وَرَحْمَةً) عطف على الإمام، لأنه قيل: ومن قبله كتاب موسى إماما لبني إسرائيل يَأْتَمُّونَ بِهِ، ورحمة من الله تلاه على موسى. كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن منصور، عن إبراهيم، عن أبيه (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) قال: من قبله جاء بالكتاب إلى موسى، وفي الكلام محذوف قد تُرِكَ ذِكْرُهُ اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو (أَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ، وَيَتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ، وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) كمن هو في الضلالة متردد، لا يهتدى لرشده، ولا يعرف حقا من باطل، ولا يطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها، وذلك نظير قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا، يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عَقِيبُ قَوْلِهِ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) . . . الآية، ثم قيل: أهذا خير أمَّنْ كان على بيته من ربه؟ والعرب تفعل ذلك كثيرا إذا كان فيها ذكَّرتُ دلالة على مرادها على ما حدَّثت، وذلك كقول الشاعر:

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِرَاكٍ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

وقوله (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول: هؤلاء الذين ذكرت يصدقون ويقرون به إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون: إن محمدا افتراه.

القول في تأويل قوله تعالى

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) :

يقول تعالى ذكره: ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده، إنه يصير إليها في الآخرة بتكذيبه. يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَا تَكُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر، وهو من شواهد النحويين (خزانة البغدادى ٤ : ٢٢٧) على أن الجواب فيه محذوف، وهو جواب القسم، لا جواب «لو»، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط. قال: وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره: لو أتانا رسول سواك، لدفعناه، بدليل قوله «مدفعا». والصواب أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده، وهو قول امرئ القيس:

إِذَنْ لَرَدَدْنَاهُ وَلَوْ طَالَ مَكْنُثُهُ لَدَيْنَا ، وَلَكِنَّا بِحُبِّكَ وَلَعْنَا

وإنما تبع الطبري الفراء في قوله في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٤١): «وربما تركت العرب جواب الشيء المعروف معناه وإن ترك الجواب. قال الشاعر: «فأقسم... البيت. وقال تعالى، وهو أصدق من قول الشاعر: «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض». فلم يؤت له بجواب. والله أعلم. قال البغدادى: وعلى هذا يكون قوله «ولكن لم نجد لك مدفعا» جملة اعتراضية. وعذرهم في تقدير الجواب: أن البيت الثاني ساقط في أكثر الروايات. وقد ذكره الزجاجي في أماليه الصغرى والكبرى، في جملة أبيات ثمانية، رواها المبرد، من قصيدة لامرئ القيس. اهـ. والرواية فيها: «وجددك لوشى».

فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ) يقول : فلا تك في شك منه ، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك من عند الله . ثم ابتداءً جل ثناؤه الخبر عن القرآن ، فقال : إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد الحق ، من ربك لا شك فيه ، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلك كذلك : فان قال قائل : أو كان النبي صلى الله عليه وسلم في شك من أن القرآن من عند الله ، وأنه حق ، حتى قيل له : فلا تك في مريه منه ؟ قيل : هذا نظير قوله (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) وقد بينا ذلك هنالك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، قال : نبئت أن سعيد بن جبير قال : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى ، حتى قال « لا يَسْمَعُ فِي أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » قال سعيد : فقلت أين هذا في كتاب الله ، حتى أتيت على هذه الآية (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : من أهل الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الله المحمري وابن وكيع ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا سفيان ، عن أيوب عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ) قال : من الملل كلها .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسيرة ، قال : ثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنت لا أسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ، إلا وجدت مصداقه ، أو قال تصديقه في القرآن ، فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَسْمَعُ فِي أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » فجعلت أقول : أين مصداقها ، حتى أتيت على هذا (أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) . . . إلى قوله (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : فالأحزاب : الملل كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ فَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » ؟ فجعلت أقول : أين مصداقها في كتاب الله ، قال : وقلما سمعت حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا في القرآن ، حتى وجدت هذه الآيات (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) : الملل كلها .

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) قال : الكفار أحزاب كلهم على الكفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يَنْكِرُ بَعْضَهُ) أى يكفر ببعضه ، وهم اليهود والنصارى ، قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ بِي ، إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا يوسف بن عدى النضري : قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَمِعَ بِي مِّنْ أُمَّتِي ، أَوْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِي ، لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وأى الناس أشدّ تعذيباً ممن اختلق على الله كذباً ، فكذب عليه ، أولئك يُعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد : هؤلاء الذين يكذبون على ربهم ، يعرضون يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) قال : الكافر والمنافق (أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ) فيسألهم عن أعمالهم ، وقوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) يعنى الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم ، وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون ، وهم جمع شاهد ، مثل الأصحاب الذى هو جمع صاحب (هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ) يقول : شهد هؤلاء الأشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفتريين على الله فى الدنيا ، فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم . يقول الله (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) : يقول : ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم .

وبنحو ما قلنا فى قوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا نمير ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) قال : الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) والأشهاد : الملائكة ، يشهدون على بنى آدم بأعمالهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الأَشْهَادُ) قال : الخلائق ، أو قال : الملائكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة بنحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ) : حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة .

قال ابن جريج : قال مجاهد : الأَشْهَادُ : الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) قال : الملائكة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) يعني الأنبياء والرسل ، وهو قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ) قال : وقوله (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ) يقولون : ياربنا أتيناكم بالحق فكذبوا ، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد وهشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز المازني ، قال : بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا بن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ فقال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَدْعُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيُقَرَّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ كَذَا ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ ، مَرَّتَيْنِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ ، قَالَ : فَلَأَنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، قَالَ : فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَتَهُ بِسَمِيئِهِ ؛ وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ : أَلَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : كننا نحدث أنه لا يخزي يومئذ أحد فيخفي خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس عن الإيمان به ، والإقرار له بالعبودية

وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد من مشركي قريش ، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام مَنْ دخل فيه . (وَيَبْغُوتَهَا عِوَجًا) يقول : ويلتمسون سبيل الله وهو الإسلام الذي دعا الناس إليه محمد ، يقول : زيغا وميلا عن الاستقامة (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) : يقول : وهم بالبعث بعد الممات مع صداهم عن سبيل الله ، وبغيهم إياها عوجا ، كافرون . يقول : هم جاحدون ذلك منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ، مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ، وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠)

يعنى جل ذكره بقوله (أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) : هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله ، يقول جل ثناؤه : لأنهم لم يكونوا بالذين يُعْجِزُونَ رَبَّهُمْ ، بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم ، والانتقام منهم ، ولكنهم في قبضته وميلكه ، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ، ولا يفوتونه هربا إذا طلبهم . (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ) يقول : ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ، ويجولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم ، وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء .

وقوله (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره : يزداد في عذابهم ، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان . وقوله (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) فإنه اختلف في تأويله ؛ فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم ، وأنهم لا يسمعون الحق ، ولا يبصرون حُجَجَ الله سماع متنتع ، ولا إبصار مهتد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) صَمٌّ عن الحق ، فما يسمعون به ، بكم ، فما ينطقون به ، عمى ، فلا يبصرونه ، ولا ينتفعون به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) قال : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ، ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فإنه قال (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) وهي طاعته (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) . وأما في الآخرة فإنه قال (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً) .

وقال آخرون: إنما عَسَى بقوله (وَمَا كَانَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ) آلهة: الذين يصدّون عن سبيل الله، وقالوا: معنى الكلام: أولئك وآهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب، (ما كانوا يستطيعون السمع، وما كانوا يبصرون) يعني الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر، هذا قول رُوي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره، لضعف سنده.

وقال آخرون: معنى ذلك: يضاعف لهم العذاب، بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعون، وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم، فيعتبروا بها. قالوا: والباء كان ينبغي لها أن تدخل، لأنه قد قال (فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) بما كانوا يكذبون) بكذبهم في غير موضع من التنزيل، أدخلت فيه الباء، وسقوطها جائز في الكلام كقولك في الكلام: لاجن ١ بما فيك ما علمت، وبما علمت، وهذا قول قاله بعض أهل العربية.

❦ والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم تعالى ذكره، بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسمع وأبصار.

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)

❦ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وَضَلَّ عَنْهُمْ) ما كانوا يفترون) وبطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله، بإدعائهم له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونها من دون الله غير مسلكهم، وأخذ طريقا غير طريقهم، فضل عنهم، لأنه سلك بهم إلى جهنم، وصارت آلتهم عدما لاشيء، لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشبا أو نحاسا، أو كان لله وليا، فسلك به إلى الجنة، وذلك أيضا غير مسلكهم، وذلك أيضا ضلال عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)

❦ يقول تعالى ذكره: حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا في الآخرة هم الأخسرون، الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار، وذلك هو الخسران المبين، وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: جرمت: كسبت الذنب وأجرمته، وإن العرب كثر استعمالها إياه في مواضع الإيمان، وفي مواضع «لا بد» كقولهم: لا جرم أنك ذاهب، بمعنى: لا بد، حتى استعمالوا ذلك في مواضع التحقيق، فقالوا: لا جرم ليقومن، بمعنى: حقا ليقومن، بمعنى الكلام: لا منع عن أنهم، ولا صد عن أنهم.

(١) كذا وردت الكلمة في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية في هذا الموضع من المجلد الثاني عشر.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) *

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا في الدنيا بطاعة الله ، وأخبتوا إلى ربهم :
واختلف أهل التأويل في معنى الإخبات ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنابوا إلى ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) قال : الإخبات : الإجابة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) يقول :
وأنابوا إلى ربهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : وخافوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله
(وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) يقول : خافوا .
وقال آخرون : معناه : اطمأنوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ،
قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) قال : اطمأنوا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :
وقال آخرون : معنى ذلك : خشعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ)
الإخبات : التخضع والتواضع .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة المعاني ، وإن اختلفت ألفاظها ، لأن الإجابة إلى الله من خوف
الله ؛ ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ؛ والطمأنينة إليه من الخشوع له ، غير أن نفس الإخبات عند
العرب : الخشوع والتواضع ، وقال (إلى ربهم) ومعناه : وأخبتوا لربهم ، وذلك أن العرب تضع اللام

موضع إلى ، وإلى موضع اللام كثيرا ، كما قال تعالى : (بَأْنَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) بمعنى : أوحى إليها ، وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخبارهم إلى الله .
وقوله (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ، ولا يموتون فيها ، ولكنهم فيها لا يثون إلى غير نهاية .

القول في تأويل قوله تعالى

* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : مثل فريق الكفر والإيمان ، كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئا ، والأصم الذي لا يسمع شيئا ، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ، ويعمل به ، لشغله بكفره بالله ، وغلبة خذلان الله عليه ، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى ، فيبتدى به ، فهو مقيم في ضلالته ، يتردد في حيرته ، والسميع والبصير ، فكذلك فريق الإيمان أبصر حجج الله ، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، ونبوة الأنبياء عليهم السلام ، وسمع داعي الله ، فأجابه وعمل بطاعة الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) قال : الأعمى والأصم : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) ، والبصير والسميع : الفريقان الكافران المؤمنان ، فأما الأعمى والأصم فالكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) . . . الآية ، هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصم عن الحق ، فلا يسمعه ، وعمى عنه فلا يبصره . وأما المؤمن فسمع الحق ، فانتفع به وأبصره ، فوعاه وحفظه وعمل به . يقول تعالى : (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) يقول : هل يستوي هذان الفريقان ، على اختلاف حالتهما في أنفسهما عندكم أيها الناس ، فإنهما لا يستويان عندكم ، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله . (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول جل ثناؤه : أفلا تعتبرون أيها الناس وتفكرون ، فتعلموا حقيقة اختلاف أمرهما ، فتزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ، فالأعمى والأصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة ، وفي المعنى اثنان ، ولذلك قيل (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) وقيل : كالأعمى والأصم ، والمعنى : كالأعمى والأصم ، وكذلك قيل : والبصير والسميع ، والمعنى : البصير والسميع ، كقول القائل : قام الظريف والعافل ، وهو ينعت بذلك شخصا واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ (٢٦)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : إِنِّي لَكُمْ) أيها القوم (نَذِيرٌ) من الله ، أنذرکم بأسه على كفرکم به ، فآمنوا به وأطيعوا أمره . ويعنى بقوله (مُّبِينٌ) : يبين لكم عما أرسل به إليکم ، من أمر الله ونهيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إِنِّي) فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين بكسر « إن » على وجه الابتداء ، إذ كان في الإرسال معنى القول ، وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح « أن » ، على إعمال الإرسال فيها ، كأن معنى الكلام عندهم : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأنى لكم نذير مبين . والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب في ذلك .

وقوله (أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) فن كسر الألف في قوله (إِنِّي) جعل قوله (أَرْسَلْنَا) عاملا في « أَنْ » التي في قوله (أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وبصير المعنى حينئذ : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، أن لا تعبدوا إلا الله ، وقل لهم (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ، ومن فتحها ، ردَّ أن في قوله (أَنْ لَا تَعْبُدُوا) عليها ، فيكون المعنى حينئذ : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بأنى لكم نذير مبين ، بأن لا تعبدوا إلا الله . ويعنى بقوله : بأن لا تعبدوا إلا الله أيها الناس عبادة الآلهة والأوثان ، وإشراكها في عبادته ، وأفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، فإنه لا شريك له في خلقه . وقوله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ) يقول : إنى أيها القوم إن لم تخصصوا الله بالعبادة ، وتفردوه بالتوحيد ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان ، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذب فيه ، وجعل الأليم من صفة اليوم ، وهو من صفة العذاب ، إذ كان العذاب فيه كما قيل (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) ، وإنما السکن من صفة ما سكن فيه دون الليل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ، وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبَىٰ الرَّأْيِ ، وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : فقال الكبراء من قوم نوح وأشرفهم ، وهم الملأ الذين كفروا بالله ، وجحدوا نبوة

نبيهم نوح عليه السلام (ما نَرَكَ) يا نوح (إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس ، كأنهم كانوا منكروين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه . وقوله (وَمَا نَرَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ) يقول : وما نراك اتبعك إلا الذين هم سَفَلتنا من الناس ، دون الكبراء والأشراف ، فيما يُرَى ويظهر لنا . وقوله (بَادِي الرَّأْيِ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء المدينة والعراق (بَادِي الرَّأْيِ) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، بمعنى : ظاهر الرأى من قولهم : بدا الشيء يبدو : إذا ظهر ، كما قال الراجز :

أَضْحَى لِحَالِي شَبَّهِي بِادِي بَدِي وَصَارَ لِلْفَحْلِ لِسَانِي وَيَدِي
بادى بدى بغير همز . وقال آخر :

وَقَدْ عَلَّمَنِي ذُرَّةُ بَادِي بَدِي ٢

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة ٣ (بَادِي الرَّأْيِ) مهموز أيضا ، بمعنى : مبتدأ الرأى ، من قولهم : بدأت بهذا الأمر : إذا ابتدأت به قبل غيره .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ (بَادِي) بغير همز البادى ، وبهمز الرأى ، لأن معنى ذلك الكلام : إلا الذين هم أرادنا في ظاهر الرأى ، وفيما يظهر لنا .

وقوله (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) يقول : وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثان إلى عبادة الله ، وإخلاص العبادة له ، فنبتعكم طلب ذلك الفضل ، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا (بَلْ تَنْظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام ، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحا دون أتباعه ، لأن أتباعه لم يكونوا رسلا ، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع ، كما

(١) البيت في (اللسان : بدا) قال : أراد به : ظاهري في الشبه لحالي . ومعناه : خرجت عن شرح الشباب ، إلى حد الكهولة التي معها الرأى والحجا ، فصرت كالفحولة التي بها يقع الاختيار ، ولها بالفضل تكثر الأوصاف . والشاهد في « بادى » أنه غير مهموز ، كما في قوله تعالى : « بادى الرأى » ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو . والبيت من شواهد أبي عبيدة تفسيره : مجاز القرآن .

(٢) هذا بيت من مشطور الرجز ، أنشده صاحب اللسان (بدا) مع بيتين آخرين ، وهما :

وَرَثِيَّةٌ تَنْهَضُ بِالتَّشْدُدِ وَصَارَ لِلْفَحْلِ لِسَانِي وَيَدِي

وقال : قال الجوهري : فعل ذلك بادى بدى ، وبادى بدى (بتشديد الياء) أى أولا . قال : وأصله الهمز ، وإنما ترك بكثرة الاستعمال . قال : وربما جعلوه اسما للدهاية ، كما قال أبو نخيلة السعدى : « وقد علنتى . . . الخ » . قال : وهما إسمان جعلتا إسما واحدا ، مثل معد يكرب ، وقالى قلا . والبيت من شواهد أبي عبيدة في تفسيره : مجاز القرآن .

وأنشد البيهقي أيضا (اللسان : ذرأ) وقال : بادى بدى : أول كل شيء ، من بدأ ، فترك الهمز بكثرة الاستعمال ، وطلب التخفيف . وقد يجوز أن يكون من بدا يبدو إذا ظهر . والذرة من ذرأ من ذرأ فلان يذرا إذا أبيض . وعلته ذرأة أى شيب . والذرة بالضم : الشمط ، قال أبو نخلة السعدى : (وقد علنتى . . . الخ البيهقي) والرثية : انحلال الركب والمفاصل ، وقيل : هو أول بياض الشيب .

(٣) في اللسان : قرأ أبو عمرو وحده بادى الرأى ، بالهمز ، وسائر القراء قرءوا : بادى الرأى بغير همز . وقال الفراء : لا همز : بادى الرأى ، لأن المعنى : فيما يظهر لنا ويبدو ، ولو أراد : ابتداء الرأى ، لحالي فهمز . كان صوابا ، وأنشد : — أضحى لحالي . . . الخ أراد به : ظاهري في الشبه لحالي .

قيل (يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ) وتأويل الكلام: بل نظنك يا نوح في دعواك أن الله ابتعثك لإلنا، رسولا كاذبا .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله (بادي الرأي) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا تَرَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرِّأْيِ) قال : فيما ظهر لنا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ، أَنْزَلْنَا مُكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه ، إذ كذبوه وردوا عليه ماجاءهم به من عند الله من النصيحة : (يا قوم أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) ، على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمي له ، ويجب علي من إخلاص العبادة له ، وترك إشراك الأوثان معه فيها (وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ) يقول : ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة ، فأمنت به ، وأطعته فيما أمرني ونهاني (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة (فَعُمِّيَتْ) بفتح العين وتخفيف الميم ، بمعنى : فعصيت الرحمة ، عليكم فلم تهتدوا لها ، فتقرؤا بها ، وتصدقوا رسولكم عليها . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم ، اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله ، وذلك أنهما فيما ذكر في قراءة عبد الله ، فعمماها عليكم .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم للذي ذكروا من العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ) فأضاف الرحمة إلى الله ، فكذلك تعميته على الآخرين بالإضافة إليه أولى . وهذه الكلمة مما حوِّلت العرب الفعل عن موضعه ، وذلك أن الإنسان هو الذي يعنى عن إبصار الحق ، إذ يعنى عن إبصاره ، والحق لا يوصف بالعمى إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام ، وهو في جوازه لاستعمال العرب إياه ، نظير قولهم : دخل الخاتم في يدي ، والخف في رجلي ، ومعلوم أن الرجل هي التي تدخل في الخف ، والأصعب في الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك ، لما كان معلوما المراد فيه .

وقوله (أَنْزَلْنَا مُكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ؟) يقول : أناخذكم بالدخول في الإسلام وقد عماء الله عليكم ؟ لها كارهون : يقول : وأنتم لإلزامناكموها كارهون . يقول : لانفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله ، حتى يكون هو الذي يقضى في أمركم ما يري ويشاء .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال نوح . (يا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) قال : قد عرفتها وعرفتُ بها أمره ، وأنه لا إله إلا هو ، (وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ) : الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي) . . . الآية ، أما والله لو استطاع نبي الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ، ولكن لم يستطع ذلك ، ولم يملكه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن أبي العالية ، قال في قراءة أبي أنلر مكموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : أخبرنا عمرو ابن دينار قال : قرأ ابن عباس : (أنلر مكموها من شطر أنفسنا) قال عبد الله : من شَطْرِ أَنفُسِنَا : من تلقاء أنفسنا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : أنلر مكموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ، إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّهُمْ مُّثَقَّلُوا بِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ (٢٩)

وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم : (يا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ) على نصيحتي لكم ، ودعايتكم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له (مَالًا) : أجرا على ذلك ، فتهمونني في نصيحتي ، وتظنون أن فعلی ذلك طالب عرض من أعراض الدنيا (إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ) يقول : ما ثواب نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه ، إلا على الله ، فإنه هو الذي يجازيني ويثيبني عليه (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) : وما أنا بمقص من آمن بالله ، وأقرّ بوحدانيتته ، وخلع الأوثان ، وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم (إِنَّهُمْ مُّثَقَّلُوا بِهِمْ) يقول : إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم صائرون إلى الله ، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون ، لاعن شرفهم وحسبهم .

وكان قيل نوح ذلك لقومه ، لأن قومه قالوا له ، كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّثَقَّلُوا بِهِمْ) قال : قالوا له :

يانوح إن أحببت أن تتبعك فاطردهم ، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء ، فقال (ما أنا بيطارد الذين آمنوا ، إنهم ملأ قلوبهم) ، فيسألهم عن أعمالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح جميعا ، عن مجاهد ، قوله (إن أجرى إلا على الله) قال : جزائي :

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (وَلَكَيْتِ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) يقول : ولكني أيتها القوم أراكم قوما تجهلون الواجب عليكم من حق الله ، واللازم لكم من فرائضه ، ولذلك من جهلكم سألتهموني أن أطرد الذين آمنوا بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ مَّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (٣٠)

يقول : رويًا قَوْمٍ مَّنْ يَنْصُرُنِي (فيمنعني) (مِنْ اللَّهِ) إن هو عاقبني على طردى المؤمنين الموحدين الله إن طردتهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتفكرون فيما تقولون ، فتعلمون خطاه ، فتنهوا عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ، وَلَا أَقُولُ
لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ، إِنِّي إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ (٣١)

يقوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) عطف على قوله (وَيَا قَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) ومعنى الكلام : ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يفنيها شيء ، فأدعوكم إلى اتباعي عليها (وَلَا أَعْلَمُ) أيضا (الْغَيْبَ) يعني ما خفي من سرائر العباد ، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله ، فأدعى الربوبية ، وأدعوكم إلى عبادتي ، (وَلَا أَقُولُ) أيضا (إِنِّي مَلَكٌ) من الملائكة أرسلت إليكم ، فأكون كاذبا في دعواي ذلك ، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون ، أمرت بدعائكم إلى الله ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا) يقول : ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحده الذين تستحقهم أعينكم ، وقلتم إنهم أراذلكم : لن يؤتيكم الله خيرا ، وذلك الإيمان بالله (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) يقول : الله أعلم بضائر صدورهم ، واعتقاد قلوبهم ، وهو ولي أمرهم في ذلك ، وإنما لي منهم ما ظهر وبدا ، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني ، فلا

أطردهم ، ولا أستحل ذلك (إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) يقول : إني إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي : لن يؤتيتهم الله خيرا ، وقضيت على سرائرهم ، بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي ، على غير علم مني بما في نفوسهم ، وطردتهم بفعل ذلك ، لَمِنَ الفاعلين ما ليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله به ، وذلك هو الظلم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) التي لا يفنيها شيء ، فأكون إنما أدعوكم لتتبعوني عليها ، لأعطيكم منها (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) نزلت من السماء برسالة ، ما أنا إلا بشر مثلكم (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ولا أقول اتبعوني على علم الغيب .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرَتْ جِدْلُنَا، فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح لنوح عليه السلام : قد خاصمتنا ، فأكثرت خصومتنا ، فاتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في عِدَاتك ودعواك أنك لله رسول ، يعني بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (جادلنا) قال : ماريتنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد قالوا يا نوح قد جادلنا (جادلنا) قال : ماريتنا (فأكثرت جِدْلَنَا ، فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا) قال ابن جريج : تكديبا بالعذاب ، وأنه باطل .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: إِنَّمَا يَا تَيْكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ، إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب : يا قوم ليس الذي تستعجلون من العذاب إلى ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره ، هو الذي يأتيكم به إن شاء (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول : ولستم إذا

أراد تعذيبكم بمعجزيه : أى بفائتيه هربا منه ، لأنكم حيث كنتم فى ملكه وسلطانه وقدرته ، حكمه عليكم جار . (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي) يقول : ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته ، ونزول سطوته بكم على كفركم به . (إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ) فى تحذيرى إياكم ذلك ، لأن نصحى لا ينفعكم لأنكم لا تقبلونه ، (إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) ، يقول : إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردون بعد الهلاك . حكى عن طي أنها تقول : أصبح فلان غاويا : أى مريضا . وحكى عن غيرهم سماعا منهم : أغويت فلانا ، بمعنى : أهلكته ، وغوى الفصيل : إذا فقد اللبن فمات ، وذكر أن قول الله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) : أى هلاكا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ : إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرِمُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك : افترى محمد هذا القرآن ، وهذا الخبر عن نوح ، قل لهم : إن افتريته فتخرصته واختلقته (فَعَلَىٰ إِجْرَامِي) يقول : فعلى إثمى فى افترائى ما افتريت على ربى دونكم ، لا تؤاخذون بذنبى ولا إثمى ، ولا تؤاخذ بذنبكم (وأنا برىء مما تجرمون) يقول : وأنا برىء مما تذبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه ، ويقال منه : أجمرت إجراما وجرمت أجراما ، كما قال الشاعر :

طَيرِدُ عَشِيرَةَ وَرَهَيْنِ ذَنْبٍ بِمَا جَرَمْتُ يَدِي وَجَنِّي لِسَانِي ١

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : (وأوحى) الله (إلى نوح) لما حقّ على قومه القول ، وأظلم أمر الله ، (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ) : يا نوح بالله فيوحده ويتبعك على ماتدعوه إليه (مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ) فصدق بذلك واتبعك . فلا تبتئس . يقول : فلا تستيكن ولا تحزن بما كانوا يفعلون ، فإنى مهلكهم ومنقذك منهم (وَمَنْ اتَّبَعَكَ) وأوحى الله ذلك إليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك ، فقال (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ ذِيَّارًا) وهو تفتعل من البؤس ، يقال : ابتأس فلان بالأمر يبتأس ابتاسا ، كما قال لبيد بن ربيعة :

(١) البيت للهردان السعدي ، أحد لصوص بنى سعد (اللسان : جرم) قال : وجرم يحرم (كضرب) واجترم : كسب ، وأنشد أبو عبيدة للهردان . . . الخ . والرواية فيه : ورهين جرم ، بضم الجيم .

فِي مَأْتَمٍ كَنَعِاجِ صَا رَةَ يَبْتَسِسْنَ بِمَاءٍ لَقِينَا
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَبْتَسِسْ) قال : لا تحزن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَاءٍ كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول : فلا تحزن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَاءٍ كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال : لا تأس ولا تحزن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) وذلك حين دعا عليهم (قَالَ رَبِّ لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) . قوله (فَلَا تَبْتَسِسْ) يقول : فلا تأس ولا تحزن .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا ، وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وأن اصنع الفلک ، وهو السفينة . كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الفلک : السفينة .

وقوله (بِأَعْيُنِنَا) يقول : بعين الله ووحيه ، كما يأمرک .

(١) البيت أورده صاحب (اللسان : بأس) ونسبه لليد ، وفي روايته « رب رب » في مكان « مأتم » . والمأتم : كل مجتمع من رجال أو نساء ، في حزن أو فرح (اللسان) والربرب : القطيع من بقر الوحش . والنعاج : جمع نعجة ، وهي الأنثى من الضأن ، والظباء ، والبقر الوحش ، والشاة الجبل . والعرب تكني بها عن المرأة . وصارة : قال يعقوب : هي ماء بين فيد وضرية . ولعله خص هذه النعاج لحسها ، بما توافر لديها من كلاً وماء . وابتأس الرجل : إذا بلغه شيء يكرهه ، والنون في يبتسن : عائدة إلى المأتم ، وهونها جماعة النساء ، المشبهات في حسنهن ببقر الوحش .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا ، أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا) وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك ، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جُوجُ الطائر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَوَحِّينَا) قال : كما نأمرك .

حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المنفي قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا) : كما نأمرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا) قال : بعين الله ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : (وَوَحِّينَا) قال : كما نأمرك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا) قال : بعين الله ووجهه .

وقوله (وَلَا تَحْطَبِينِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا لِيَنظُرُوا مَا كُنْتُمْ تُصَلِّونَ) يقول تعالى ذكره : ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ، فأكسبوها تعدايا منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق ، لأنهم مغرِقون بالطوفان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَلَا تَحْطَبِينِي) قال : يقول : ولا تراجعني ، قال : تقدّم ألا يشفع لهم عنده .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَنَّ قَوْمَهُ سَخِرُوا مِنْهُ ، قَالَ : إِنَّ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَمَاءٌ مِنْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحوّلت نجارا بعد النبوة ، وتعمل السفينة في البرّ؟ فيقول لهم نوح : (إن تسخروا منا) : إن تهزؤوا منا اليوم ، فلإن نهزأ منكم في الآخرة كما تهزؤون منا في الدنيا ، (فسوف تعلمون) إذا عاينتم عذاب الله ، من الذي كان إلى نفسه مسيئا منا .

وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثني المثنى وصالح بن ميسار، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا موسى بن يعقوب، قال: ثنى فائدا مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع أن إبراهيم: بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ رَحِمَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَرَحِمَ أُمَّ الصَّيْبِيِّ»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان نوحٌ مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، حتى كان آخر زمانه عرس شجرة، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعل يعمل سفينة، ويمرؤون فيسألونه، فيقول أعملها سفينة، فيسخرؤون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر، فكيف تجري؟ فيقول: سوف تعلمون. فلما فرغ منها وقار التنور، وكثر الماء في السكك، خشيت أم صبي عليه، وكانت تحبه حبا شديدا، فخرجت إلى الجبل، حتى بلغت ثلثه، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل، فلما بلغها الماء، خرجت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتنا، رفعت بين يديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن طول السفينة ثلاث مئة ذراع، وعرضها خمسون ذراعا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا، وبابها في عرضها.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا مبارك، عن الحسن، قال: كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن مفضل بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم: لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة، فحدثنا عنها. قال: فانطلق بهم، حتى انتهى بهم إلى كتيب من تراب، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، قال: فضرب الكتيب بعصاه، قال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: هكذا هلكت؟ قال: لا، ولكن ميت وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة، فنم شيت، قال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب، أوحى الله إلى نوح أن اعز ذنب الفيل، فغمره، فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بجبل السفينة يقرضه، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر، فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت، قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة، فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها، وطين برجليها، فعلم أن البلاد قد غرقت، قال: فطوقها

(١) فائد، بالفاء الموحدة، مولى عبادل. وهو عبيد الله بن علي بن أبي رافع؛ وثقه ابن معين.

الخصرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن تألف البيوت ، قال : فقلنا يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا ؟ فيجلس معنا ، ويحدثنا ، قال : كيف يتبعكم من لارزق له ؟ قال : فقال له : عُدْ بإذن الله ، قال : فعاد ترابا :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن لايتهم ، عن عبيد بن عمير الليثي ، أنه كان يحدث ، أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ، يعني قوم نوح ، فيخنقونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ، حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتناول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النجمل بعد النجمل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من القرن الذي قبله ، حتى إن كان الأخير منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنوناً ، لا يقبلون منه شيئاً ، حتى شكوا ذلك من أمرهم نوح إلى الله تعالى ، كما قص الله علينا في كتابه (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) إلى آخر القصة ، حتى (قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) إلى آخر القصة ؛ فلما شكوا ذلك منهم نوح إلى الله ، واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه (أَنْ اصْنَعْ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي بعد اليوم (لَأَتَّهُمْ مَغْرَقُونَ) فأقبل نوح على عمل الفلك ، وكتبى عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ، ويضرب الحديد ، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره ، مما لا يصلحه إلا هو ، وجعل قومه يرمون به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرون منه ، ويستهزئون به ، فيقول (إِنَّ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) قال : ويقولون له فيما بلغني : يا نوح ، قد صرت نجاراً بعد النبوة ، قال : وأعقم الله أرحام النساء ، فلا يولد لهم ولد .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ، وأن يظليه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طرله ثمانين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سفلاً ، ووسطاً ، وعُلواً ، وأن يجعل فيه كبرى ، ففعل نوح كما أمره الله ، حتى إذا فرغ منه ، وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور ، فأحمل فيها من كل زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول ، ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، (ف) قال (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ، فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) واركب ؛ فلما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله ، وكانوا قليلاً كما قال الله ، وحمل فيها من كل زوجين اثنين ، مما فيه الروح والشجر ذكر وأُنثى ، فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر ، نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره به من الدواب ، وتخلّف عنه ابنه يام ، وكان كافراً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب

(١) لم يحن قومه : تشاغل منهم وانصرف .

الدرّة، وآخر ما حمل الحمار ؛ فلما دخل الحمار وأدخل صدره، مَسَّكَ إبليس بذنبه ، فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ادخل ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك ! ادخل وإن كان الشيطان معك ؛ قال : كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدوّ الله ؟ فقال : ألم تقل : ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ قال : اخرج عني يا عدوّ الله ، فقال : مالك بدّ من أن تحملني ، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلّك : فلما اطمأنّ نوح في الفلك ، وأدخل فيه من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ست مئة سنة من عمره ، لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ؛ فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الغرّط الأكبر ، وفتح أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ، فَالْتَمَسَ الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) فدخل نوح ومن معه الفلك ، وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء ، وبين أن احتل الماء الفلك ، أربعون يوماً وأربعون ليلة ، ثم احتل الماء كما تزعم أهل التوراة ، وكثر الماء واشتدّ وارتفع . يقول الله لمحمد (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِىِّ وَدُسِّرَ) والدسر : المسامير ، مسامير الحديد ، فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في موج كالجبال (وَتَأْدَى نُوحٌ أَبْنَهُ) الذى هلك فيمن هلك ، (وَكَانَ فِي مَعْرَظٍ) حين رأى نوح من صدق موعدربه ما رأى ، فقال : (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) وكان شقياً قد أضمر كفراً (قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) وكان عهد الجبال وهى حرز من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يعهد ، قال نوح (لِعَاصِمِ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) ، وحال بيئتهما الموج ، فكان من المُعْرِقِينَ) وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال ، كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، من كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عتق فيما يزعم أهل الكتاب ، فكان بين أن أرسل الله الطوفان ، وبين أن غاض الماء ، ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، قال ابن حميد ، قال سلمة : وحدثني حسن بن عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران ، قال : سمعته يقول : لما آذى نوحاً في الفلك عمدرة الناس ، أمر أن يمسح ذنب الفيل ، فمسحه ، فخرج منه خنزيران ، وكفى ذلك عنه ، وإن الفأر تولدت في الفلك ، فلما آذته ، أمر أن يأمر الأسد يعطس ، فعطس ، فخرج من متخريه هران يأكلان عنه الفأر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال : لما كان نوح في السفينة ، قرض الفأر جبال السفينة ، فشكا نوح ، فأوحى الله إليه ، فسح ذنب الأسد ، فخرج سنوران ، وكان في السفينة عمدرة ، فشكا ذلك إلى ربه ، فأوحى الله إليه ، فسح ذنب الفيل ، فخرج خنزيران .

(١) الغوط الأكبر : يريد الأراضى المطبئة الواسعة .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا الأسود بن عامر ، قال : أخبرنا سفيان بن سعيد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثت عن المسيب بن أبي روق ، عن الضحاك ، قال : قال سليمان القَرَاسِي : عمل نوح السفينة في أربع مئة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله أربع مئة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

القول في تأويل قوله تعالى

(مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) .

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) أيها القوم إذا جاء أمر الله ، من الهالك ؟ (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) يقول : الذي يأتيه عذاب الله منا ومنكم بيته ويذله (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) يقول : وينزل به في الآخرة مع ذلك عذاب دائم لا انقطاع له ، مقيم عليه أبدا . وقوله (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) يقول : ويصنع نوح الفلك حتى إذا جاء أمرنا الذي وعدناه أن يجيء قومه ، من الطوفان الذي يغرقيهم ، وقوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : انبجس الماء من وجه الأرض ، وفار التنور ، وهو وجه الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال في قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : التنور : وجه الأرض ، قال : قيل له : إذا رأيت الماء على وجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك ، قال : والعرب تسمى وجه الأرض : تننور الأرض . حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن الضحاك ، بنحوه . حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : وجه الأرض .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة وسفيان بن وكيع ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، عن عكرمة (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : وجه الأرض .

وقال آخرون : هو تنوير الصبح من قولهم : نور الصبح تنويرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عباس مولى أبي جحيفة ، عن أبي جحيفة ، عن علي رضي الله عنه ، قوله (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : هو تنوير الصبح .

حدثنا ابن وكيع وإسحاق بن إسرائيل ، قالا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن زياد مولى أبي جحيفة ، عن أبي جحيفة ، عن عليّ في قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .
 حدثنا حماد بن يعقوب ، قال : أخبرنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن مولى أبي جحيفة ،
 أراه قد سماه عن أبي جحيفة ، عن عليّ (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : تنوير الصبح .
 حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن إسحاق ، عن رجل من قريش ، عن عليّ بن
 أبي طالب رضی الله عنه (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : طلع الفجر .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل قد
 سماه ، عن عليّ بن أبي طالب ، قوله (وَفَارَ التَّنُّورُ) قال : إذا طلع الفجر .
 وقال آخرون : معنى ذلك : وفار على الأرض وأشرف مكان فيها بالماء ، وقال : التنور :
 أشرف الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) :
 كنا نحدث أنه أعلى الأرض وأشرفها ، وكان عكّما بين نوح وبين ربه .
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت قتادة ، قوله (وَفَارَ
 التَّنُّورُ) قال : أشرف الأرض وأرفعها ، فار الماء منه .
 وقال آخرون : هو التنور الذي يختبئ فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) قال : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء ، فإنه هلاك قومك .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنورا من
 حجارة كان لحواء ، حتى صار إلى نوح ، قال : فقليل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت
 وأصحابك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ التَّنُّورُ)
 قال : حين انبجس الماء ، وأمر نوح أن يركب هو ومن معه في الفلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَارَ
 التَّنُّورُ) قال : انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ، ومن معه في السفينة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه ، إلا أنه
 قال : آية أن يركب أهله ومن معه في السفينة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : آية بأن يركب بأهله ومن معهم في السفينة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَفَارَ التَّنُورُ) قال : فار التنور بالهند .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَفَارَ التَّنُورُ) كان آية لنوح إذا خرج منه الماء ، فقد أتى الناس الهلاك والفرق ، وكان ابن عباس يقول في معنى فار : نبع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَارَ التَّنُورُ) قال : نبع .

قال أبو جعفر : وفوران الماء سَوْرَةٌ دفعته ، يقال منه : فار الماء يفور فوراً وفوراً ، وذلك إذا سارت دفعته .

وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التَّنُورُ) : قول من قال : هو التنور الذي يُخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجهه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجته على شيء منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها . وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به . قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحاً أن نعدّهم به ، وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آية مجيئ عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه : (ائْتِيْنَا فِيهَا) يعني في الفلك (مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كل ذكر وأنثى .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فالواحد زوج ، والزوجين ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : ذكر وأنثى من كل صنف .

قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول : من كلِّ صنف اثنين .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يعني بالزوجين اثنين : ذكرا وأنثى . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين : الزوجان في كلام العرب : الاثنان ، قال : ويقال عليه زوجا نعال : إذا كانت عليه نعلان ، ولا يقال عليه زوج نعال ، وكذلك عنده زوجا خمم ، وعليه زوجا قيود : وقال : ألا تسمع إلى قوله (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) فلانما هما اثنان .

وقال بعض البصريين من أهل العربية في قوله (قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) قال : فجعل الزوجين : الذكور والإناث ، قال : وزعم يونس أن قول الشاعر :
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَعْدُو عَلَى كُلِّ غَيْرَةٍ فَتُخْطِئُ فِيهَا مَرَّةً وَتُصِيبُ ١
يعني به الذئب ، قال : فهذا أشد من ذلك . وقال آخر منهم : الزوج : اللون ، قال : وكل ضرب يدعى لونا ، واستشهد بيت الأعشى في ذلك :

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيَابِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُورًا بِذَلِكَ مَعَا ٢

وبقول لبيد :

وَبَدَى بَهْجَتِهِ كَنَّ الْمُقَانِبَ صَوْبُهُ وَزَيَّنَتْهُ أَزْوَاجُ نَوْرِ مُشْرَبٍ ٣

وذكر أن الحسن قال في قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد ، الذي لا يشبهه شيء .

وقوله (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) يقول : واحمل أهلك أيضا في الفلك . يعني بالأهل : ولده ونسائه وأزواجه ، إلا من سبق عليه القول ، يقول : إلا من قلت فيهم إني مهلكه مع من أهلك من قومك .

(١) هذا البيت من شواهد يونس النحوى على أن العرب قد تطلق لفظ المرء على الذئب ، وأصله للرجل . أورده صاحب اللسان في (مرأ) شاهدا على ذلك . ونقله المؤلف حاكيا لما يقوله بعض البصريين في تفسير قوله تعالى : « من كل زوجين اثنين » أن المراد اثنان من ضربين مختلفين : ذكر وأنثى ، وهذا بخلاف قول الكوفيين إن المراد من الزوجين : الاثنان مطلقا ، قال البصريون : وليس إطلاق الزوجين على الذكر والأنثى من أى صنف ، بأبعد من إطلاق الشاعر العربى كلمة (المرء) على الذئب ، كما في البيت الذى استشهد به يونس على ذلك .

(٢) هذا البيت أورده (اللسان : زوج) منسوباً للأعشى ، شاهدا على أن معنى الزوج : اللون ، كما في التهذيب للأزهري . والبيت في ديوان الأعشى طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، وهو التاسع والأربعون في قصيدة له ، يمدح بها هودة بن على الحنقى . صاحب الإمامة (انظر أخباره ص ١٠٠ وما بعدها من الديوان) . وقوله : « وكل زوج » : معطوف على قوله قبله « له أكاليل بالياقوت زينها » . الخ وهو ما جابه به ملك فارس حين قدم عليه .

(٣) البيت في ديوان لبيد (طبعة فينا ص ٣٨) وفيه « أطراف نبت » ، ويروى « ألوان نور » . يصف غيثا بأنه ذو بهجة ونبات حسن ذى أزهار ملونة ريانة من الماء ، وقد طال حتى ستر مقانب الخيل .

ثم اختلفوا في الذي استثناه الله من أهله ، فقال بعضهم : هو بعض نساء نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (وأهلك إلا من سبق عليه القول) قال : العذاب . هي امرأته كانت من الغابرين في العذاب . وقال آخرون : بل هو ابنه الذي غرق .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله (وأهلك إلا من سبق عليه القول) قال : ابنه غرق فيمن غرق .

وقوله (وما آمن معه إلا قليل) يقول : وما أقرّ بوحداية الله مع نوح من قومه إلا قليل .

واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه ، فحملهم معه في الفلك ، فقال بعضهم في ذلك : كانوا ثمانية أنفس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأهلك إلا من سبق عليه القول) قال : ذكر لنا أنه لم يتم في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم (وما آمن معه إلا قليل) قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كئناته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : حدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم وأسماء بنيه : يافث ، وسام ، وحام ، وأصاب حام زوجته في السفينة ، فدعا نوح أن يغير نطفته ، فجاء بالسودان . وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وما آمن معه إلا قليل) قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كئنات له ، وثلاثة بنين . وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نساؤهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلا كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن ، فكانوا عشرة نفر ، بنوح وبنيه وأزواجهم .

وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : حمل نوح معه في السفينة ثمانين إنسانا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين ، يعنى القليل الذى قال الله (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثني حسين بن واقد الخراساني ، قال : ثني أبو نهميك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جرهم .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال كما قال الله (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) : يصفهم بأنهم كانوا قليلا ، ولم يحدد عددهم بمقدار ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله ، إذ لم يكن مبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَقَالَ أَرُكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١)

يقول تعالى ذكره : وقال نوح : اركبوا في الفلك بسم الله جبرها ومرساها . وفي الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه ، وهو قوله (قُلْنَا احمِل فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) ، فحملهم نوح فيها ، وقال لهم : اركبوا فيها ، فاستغنى بدلالة قوله (وَقَالَ أَرُكَبُوا فِيهَا) عن حمله إياهم فيها ، فترك ذكره . واختلفت القراء في قراءة قوله (بِسْمِ اللَّهِ جَرِّهَا وَمُرْسَاهَا) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (بِسْمِ اللَّهِ جَرِّهَا وَمُرْسَاهَا) بضم الميم في الحرفين كليهما . وإذا قرئ كذلك ، كان من أجرى وأرسي ، وكان فيه وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع بمعنى : « بسم الله » إجراؤها وإرساؤها ، فيكون المُجْرَى والمُرْسَى مرفوعين حينئذ بالباء التي في قوله (بِسْمِ اللَّهِ) والآخر النصب ، بمعنى : بسم الله عند إجرائها وإرسائها ، أو وقت إجرائها وإرسائها ، فيكون قوله بسم الله : كلاما مكتفيا بنفسه ، كقول القائل عند ابتدائه في عمل يعمله : باسم الله ، ثم يكون المُجْرَى والمُرْسَى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم : الحمد لله سرارك وإهلالك ، يعنون الهلال : أوله وآخره ، كأنهم قالوا : الحمد لله أول الهلال وآخره ، ومسموع منهم أيضا : الحمد لله ما إهلالك إلى سرارك . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (بِسْمِ اللَّهِ جَرِّهَا وَمُرْسَاهَا) بفتح الميم من جبرها ، وضمها من مرساها ، فجعلوا مجراها مصدرا ، من جرى يجرى مجرى ،

ومُرْسَاهَا: من أرسى يُرْسِي إرساء. وإذا قرئ ذلك كذلك كان في إعرابها من الوجهين، نحو الذي فيهما إذا قرئا: مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، بضم الميم فيهما على ما بينت.

وروي عن أبي رجاء العطاردي، أنه كان يقرأ ذلك (بسم الله مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا) بضم الميم فيهما، ويصيرهما نعتا لله، وإذا قرئا كذلك، كان فيهما أيضا وجهان من الإعراب، غير أن أحدهما الخفض، وهو الأغلب عليهما من وجهي الإعراب.

لأن معنى الكلام على هذه القراءة: بسم الله مُجْرِي الفلك ومُرْسِيهَا، فالْمُجْرِي: نعت لاسم الله. وقد يحتمل أن يكون نصبا، وهو الوجه الثاني، لأنه يحسن دخول الألف واللام في المُجْرِي والمُرْسِي، كقولك بسم الله المُجْرِيهَا والمُرْسِيهَا، وإذا حذفنا نصبتنا على الحال، إذ كان فيهما معنى النكرة، وإن كانا مضافين إلى المعرفة. وقد ذكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، بفتح الميم فيهما جميعا، من جرى ورسا: كأنه وجهه إلى أنه في حال جريها، وحال رسوها، وجعل كلتا الصفتين للفعل، كما قال عنتره:

فَصَبَّرْتُ نَفْسًا عِنْدَ ذَلِكَ حَرَّةً تَرَسُّو إِذَا نَفَسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعًا

والقراءة التي نختارها في ذلك: قراءة من قرأ (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا) بفتح الميم (ومُرْسَاهَا) بضم الميم، بمعنى: بسم الله حين تجرى وحين تُرْسِي. وإنما اخترت الفتح في ميم مُجْرَاهَا لقرب ذلك من قوله (وَهِيَ تَجْرِي بِسْمِ اللَّهِ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ) ولم يقل: تُجْرِي بهم، ومن قرأ (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا) كان الصواب على قراءته أن يقرأ: وهي تجرى بهم. وفي إجماعهم على قراءة تجرى بفتح التاء، دليل واضح على أن الوجه في مُجْرَاهَا فتح الميم. وإنما اخترنا الضم في مُرْسَاهَا لإجماع الحجة من القراء على ضمها، ومعنى قوله (مُجْرَاهَا): مسيرها. (ومُرْسَاهَا): وقفها، من وقفها الله وأرساها. وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم في الحرفين جميعا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال: حين يركبون ويُجْرُونَ وَيُرْسُونَ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال: بسم الله حين يُجْرُونَ وحين يُرْسُونَ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا أبو روق، عن الضحاك، في قوله (ارْكَبُوا

(١) البيت أورده (اللسان: صبر). قال: ولو حبس رجل نفسه على شيء يريد به قال: صبرت نفسي، قال عنتره يذكر حربا كان فيها: «فصبرت عارفة لذلك حرة». الخ. قال أبو عبيد: يقول: إنه حبس نفسه. وبهذه الرواية جاء البيت في شعر عنتره: (مختار الشعر الجاهلي طبعه مطبعة الحلبي ص ٣٩٢) ومعنى صبرت عارفة: حبست نفسي عارفة، أي صابرة، تصبر للشدائد، ولا تنكرها وترسو: تثبت وتستقر، ولا تتطلع إلى الخلق جبنا وفزعا، كما تتطلع نفس الجبان. ومحل الشاهد فيه: أن بعض الكوفيين قرأ قوله تعالى (باسم الله مجراها ومرساها) بفتح الميم فيهما، من جرى يجرى، ورسا يرسو.

فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال: إذا أراد أن ترسى قال: بسم الله، فأرست، وإذا أراد أن تجرى قال بسم الله، فجرت: وقوله (إِنَّ رَبِّي لَعَلِيمٌ بِذُنُوبِ رَبِّي) يقول: إن ربي لسائر ذنوب من تاب وأتاب إليه، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ: يَدْعُنِي أَرْكَبْ مَعَنَا، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)

يعني تعالى ذكره بقوله (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ) والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها (فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) يام (وكان في معزِلٍ) عنه، لم يركب معه الفلك (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا) الفلك، (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ).

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: سَتَأُوَّىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ، وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره: قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة، خوفا عليه من الغرق: (سَأُوَّىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) يقول: سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء، فيمنعني منه أن يغرقني، ويعني بقوله (يَعْصِمُنِي) يمنعني، مثل عصام القربة الذي يشد به رأسها، فيمنع الماء أن يسيل منها. وقوله (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ): يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق، من الغرق والهلاك، إلا من رحمتنا، فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم، فمن في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله، إلا الله.

وقد اختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في هذا الموضع، فقال بعض نحويي الكوفة: هو في موضع نصب، لأن المعصوم بخلاف العاصم، والمرحوم معصوم، قال: كأن نصبه بمنزلة قوله (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) قال: ومن استجاز اتباع الظن، والرفع في قوله: وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ^١

(١) البيت لحران العود الضميري: وهو من شواهد النحويين (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤: ١٩٧) على أن الاستثناء في البيت منقطع؛ لأن اليعافير والعيس، ليسا من نوع المستثنى منه وهو الأنيس. وللعرب في مثل هذا مذهبان، فالهجازيون ينصبون المنقطع على الاستثناء، وبنو تميم يرفعونه على البدلية مما قبله. والبلدة: القطعة من الأرض. والأنيس: المؤمن من الناس. واليعافير: جمع يعفور: هو ولد الظبية، وولد البقرة الوحشية أيضا. وقيل: هو تيس الفباء. والعيس: إبل بيض، يخالط بياضها شقرة، جمع عيس وعيساء.

لم يجر له الرفع في « مَنْ » ، لأن الذي قال : إلا اليعافير ، جعل أنيس البر اليعافير وما أشبهها ، وكذلك قوله : إلا اتباع الظن ، يقول علمهم ظن . قال : وأنت لا يجرز لك في وجه أن تقول : المعصوم هو عاصم في حال ، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم ، لامعصوم اليوم من أمر الله ، بلجاز رفع « مَنْ » . قال : ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله (مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) معناه ، والله أعلم : مدفوق ، وقوله في عيشة راضية ، معناها مرضية : قال الشاعر .

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي^١

ومعناه : المكسرة . وقال بعض نحوي البصرة : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا مَنْ رَحِمَ) : على لکن مَنْ رَحِمَ ، ويجوز أن يكون على : لا إذا عصمة : أي معصوم ، ويكون إلا من رحم رفعا ، بدلا من العاصم . ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء ، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام مَنْ نزل بلسانه ، ما وجيد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل عاصما في معنى معصوم ، ولا أن نجعل « إلا » بمعنى لکن ، إذ كنا نجد لذلك في معناه ، الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب ، تخرجا صحيحا ، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمتنا ، فأنجنا من عذابه ، كما يقال : لا منسجى اليوم من عذاب الله إلا الله ، ولا مطعم اليوم من طعام زيد إلا زيد ، فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم .

وقوله (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) يقول : وحال بين نوح وابنه موج الماء ، فغرق ، فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح ، صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي ، وَغِيضَ الْمَاءِ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ ، وَأُسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ، وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)

يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض بعد ماتناهي أمره في هلاك قوم نوح ، بما أهلكهم به من الغرق : (يا أرض ابْلَعِي مَاءَكِ) : أي تشتربي ، من قول القائل : بلع فلان كذا يبْلَعُهُ ، أو بَلَعَهُ يبْلَعُهُ ٢ : إذا ازدردده (وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي) يقول : أقلعي عن المطر أمسكي (وَغِيضَ الْمَاءِ) ذهبته به الأرض ونشفتها (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) يقول : قضى أمر الله ، ففضى بهلاك قوم نوح (وَأُسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) : يعني الفلک استوت : أرست على الجودي ، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة . (وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يقول : قال الله : أبعد الله القوم الظالمين ، الذين كفروا بالله من قوم نوح .

(١) البيت للحطية (السان : كسا) . واختلف العلماء في قوله « الطاعم الكاسي » فقال سيبويه هو محمول على النسب ، أي ذو كسوة . وقال ابن سيده : وقد ذكرنا في غير موضع ، أن الشيء إنما يحمل على النسب إذا عدم الفعل . وقول الحطية : « الطاعم الكاسي » أي المكتسى ، لأنه يقال : كسى العريان ، ولا يقال : كسا . وقال الفراء : الكاسي يعني المكسو ، كقولك ماء دافق ، وعيشة راضية .

(٢) الفعل من بابي تعب ونفع ، ومصدر الأول بفتح اللام وإسكانها ، ومصدر الثاني بالإسكان فقط . (انظر المصباح المنير) .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : ثنا الحاربي ، عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في أول يومٍ من رَجَبٍ رَكِيبَ نُوحِ السَّفِينَةِ ، فَصَّامٌ هُوَ وَجَمِيعٌ مِّنْ مَّعَهُ ، وَجَرَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الْمُحَرَّمِ ، فَأَرَسَتْ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَصَّامَ نُوحٌ ، وَأَمَرَ جَمِيعٌ مِّنْ مَّعَهُ مِنْ الْوَحْشِ وَالذَّوَابِّ ، فَصَّامُوا شُكْرًا لِلَّهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « كانت السفينة أعلاها للطير ، ووسطها للناس ، وفي أسفلها السباع ، وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعا ، دفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعا ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، قال : « هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ، ومن كان مفطرا فليصم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان في زمن نوح شبر من الأرض لا إنسان يدعيه ٢ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها ، يعني الفلك استقلت بهم في عشر خلون من رجب ، وكانت في الماء خمسين ومئة يوم ، واستقرت على الجودي شهرا ، وأهبط بهم في عشر من المحرم يوم عاشوراء .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله (وَغِيضَ الْمَاءِ) ، وَقَضِيَ الْأَمْرُ ، وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) قال أهل التأويل : ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَغِيضَ الْمَاءِ) قال : نقص . (وَقَضِيَ الْأَمْرُ) قال : هلاك قوم نوح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

قال : قال ابن جريج (وَغِيضَ الْمَاءِ) نَشِيفَتِ الْأَرْضُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَا سَمَاءُ

أَقْلِعِي) يقول : أمسكي . (وَغِيضَ الْمَاءِ) يقول : ذهب الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَغِيضَ الْمَاءِ) الْغِيُوضُ : ذَهَابُ الْمَاءِ

(وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) .

(١) في معجم البلدان لياقوت (٦ : ٢٥٨) طبع القاهرة : عين الوردة ، وهو رأس عين المشورة بالجزيرة .

(٢) لعله : ما كان في زمن نوح شبر من الأرض لإنسان يدعيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأَسْتَوَتْ على الجُودِيَّ) قال : جبل بالجزيرة ، تشاخخت الجبال من الغرق ، وتواضع هو لله فلم يغرق ، فأُرسيت عليه .
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأَسْتَوَتْ على الجُودِيَّ) قال : الجودي : جبل بالجزيرة ، تشاخخت الجبال يومئذ من الغرق و تطاولت ، وتواضع هو لله فلم يغرق ، وأُرسيت سفينة نوح عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَسْتَوَتْ على الجُودِيَّ) يقول : على الجبل ، واسمه الجودي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (وأَسْتَوَتْ على الجُودِيَّ) قال : جبل بالجزيرة ، شمخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترفأً عليه سفينة نوح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَسْتَوَتْ على الجُودِيَّ) أبقاها الله لنا بوادي أرض الجزيرة عبرة وآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول (وأَسْتَوَتْ على الجُودِيَّ) : هو جبل بالموصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نوحا بعث الغراب لينظر إلى الماء ، فوجد جيفة ، فوقع عليها ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، فأعطيت الطوق الذي في عنقها ، وخضاب رجليها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أراد الله أن يكف ذلك ، يعنى الطوفان ، أرسل ريحا على وجه الأرض ، فسكن الماء ، واستدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر ، وأبواب السماء ، يقول الله تعالى (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ ، وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي) . . . إلى (بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فجعل ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك على الجودي ، فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، في أول يوم من الشهر العاشر ، رُئي رءوس الجبال ؛ فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء ، فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ، ولم يجد لرجليها موضعا ، فبسط يده للحمامة ، فأخذها ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قلّ عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين ، برز وجه الأرض ، فظهر اليبس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، ورأى وجه الأرض : وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين

في سبع وعشرين ليلة منه، قيل لنوح (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : تزعم أناس أن من غرق من الولدان : مع آبائهم ، وليس كذلك ، إنما الولدان بمنزلة الطير ، وسائر من أغرق الله بغير ذنب ، ولكن حضرت آجالهم ، فماتوا لآجالهم ، والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم في الدنيا ، ثم مصيرهم إلى النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي مِنْ أَهْلِي ، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه ، فقال : رب إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي ، وقد هلك ابني ، وابني من أهلي (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) الذي لا تخلف له (وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ) بالحق ، فاحكم لي ، بأن تفي بما وعدتني ، من أن تنجي لي أهلي ، وترجع إلى ابني . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ) قال : أحكم الحاكمين بالحق .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)

يقول الله تعالى ذكره : قال الله : يا نوح ، إن الذي غرقته فأهلكته ، الذي تذكر أنه من أهلك ، ليس من أهلك . واختلف أهل التأويل في معنى قوله (لَيْسَ مِنِّي مِنْ أَهْلِكَ) فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك : هو من غيرك ، وقالوا : كان ذلك من حينئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عرف ، عن الحسن ، في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي مِنْ أَهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي جعفر (وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ابن امرأته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أصحاب ابن أبي عمير فيهم الحسن ، قال : لا والله ما هو بابنه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هذه بلغة طي ، لم يكن ابنه ، كان ابن امرأته .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ومنصور ، عن الحسن في قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : لم يكن ابنه ، وكان يقرؤها (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كنت عند الحسن فقال : نادى نوح ابنه : لعمر الله ما هو ابنه . قال : قلت يا أبا سعيد يقول (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وتقول : ليس بابنه ؟ قال : أفرايت قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدت أن أنجيهم معك ، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه ، قال : إن أهل الكتاب يكذبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت الحسن يقرأ هذه الآية (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) فقال عند ذلك : والله ما كان ابنه ، ثم قرأ هذه الآية : (فَخَاتَمَهُمَا) قال سعيد : فذكرت ذلك لقتادة ، قال : ما كان ينبغي له أن يخلف :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : تبين لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : بين الله لنوح أنه ليس بابنه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : ناداه وهو يحسبه أنه ابنه ، وكان وليد علي فراشه . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن أبي جعفر ، (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : لو كان من أهله لنجا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، وسمع عبيد بن عمير يقول : نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ » : من أجل ابن نوح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن الحسن ، قال : لا ، والله ما هو بابنه . وقال آخرون : معنى ذلك : (لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الذين وعدت أن أنجيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي عامر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : هو ابنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، قال : ثنا أبو عامر ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : هو ابنه ، ما بعثت امرأة نبي قط .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي عامر الهمداني ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما بعثت امرأة نبي قط ، قال : وقوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) : الذين وعدتكم أن أنجيهم معكم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هو ابنه ، غير أنه خالفه في العمل والنية ، قال عكرمة في بعض الحروف : إنه عمل عملا غير صالح ، والخيانة تكون على غير باب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : كان ابنه ، ولكن كان مخالفا له في النية والعمل ، فن ثم قيل له (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قتتة^١ ، قال : سمعت ابن عباس يسئل وهو إلى جنب الكعبة ، عن قول الله تعالى (فَخَانَتْهُمَا) قال : أما إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل على الأضياف ، ثم قرأ (إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) .

قال ابن عيينة وأخبرني عمار الدهني^٢ أنه سأل سعيد بن جبيرة ، عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب ، قال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : قال الله وهو الصادق ، وهو ابنه ، (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سعيد ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس ، قال : ما بعثت امرأة نبي قط .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر ، عن قوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، وليس ممن وعدتكم أن أنجيهم .

قال يعقوب : قال هشيم : كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر : عن سعيد بن جبيرة :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يعقوب بن قيس ، قال : أتى سعيد بن جبيرة رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الذي ذكر الله ؟ في كتابه ابن نوح ، ابنه هو ؟ قال : نعم ، والله إن نبي الله أمره أن يركب معه في السفينة فعصى ، فقال (سَأَوِي إِلَى جِبَلٍ يَـبْعَثُ مِنِّي مِنَ الْمَاءِ) قال يا نوح إنه ليس من أهلِكَ إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ (لمعصية نبي الله .

(١) في تاج العروس : قننة كضبة : أم سليمان بن حبيب المحاربي التابعي ، المشهور ، يعرف بابن قننة . وفي الخلاصة للخزرجي :

سليمان بن حبيب المحاربي ، أبو أيوب الداراني قاضي دمشق من سنة إحدى إلى أن مات سنة ٢٦١ وثقه ابن معين والنسائي .

(٢) راو كوفي ، وثقه أحمد وأبو حاتم . مات سنة ١٣٣ هـ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد ابن جبير : أنه جاء إليه رجل فسأله فقال : أرأيتك ابن نوح : أبنة ؟ فسبح طويلا ثم قال : لا إله إلا الله ، يحدث الله محمدا (نادى نوح أبنته) وتقول ليس منه ، ولكن خالفه في العمل ، فليس منه من لم يؤمن . حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسّية ، عن أبي هارون الغنوي ، عن عكرمة ، في قوله (ونادى نوح أبنته) قال : أشهد أنه ابنه ، قال الله (ونادى نوح أبنته) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : هو ابنه . حدثني فضالة بن الفضل الكوفي ، قال : قال بزّيع : سألت رجل الضحاك ، عن ابن نوح ، فقال : ألا تعجبون إلى هذا الأحمق ، يسألني عن ابن نوح ، وهو ابن نوح ، كما قال الله : قال نوح لابنه . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ (ونادى نوح أبنته) . وقوله (ليس من أهلِكَ) قال : يقول : ليس هو من أهلك ، قال : يقول : ليس هو من أهل ولايتك ، ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلِكَ (إنه عملٌ غيرُ صالحٍ) قال : يقول : كان عمله في شرك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هو والله ابنه لصلبه . حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (ليس من أهلِكَ) قال : ليس من أهل دينك ، ولا ممن وعدتك أن أنجي ، وكان ابنه لصلبه . حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قال يانوح إنه ليس من أهلِكَ) يقول : ليس ممن وعدناه النجاة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إنه ليس من أهلِكَ) يقول : ليس من أهل ولايتك ، ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلِكَ (إنه عملٌ غيرُ صالحٍ) يقول : كان عمله في شرك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون ، وثابت بن الحجاج قالا : هو ابنه وُلد على فراشه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلِكَ الذين وعدتك أن أنجيهم ، لأنه كان لدينك مخالفا ، وبني كافرا ، وكان ابنه ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه ، فقال (ونادى نوح أبنته) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر ، وليس في قوله (إنه ليس من أهلِكَ) دلالة على أنه ليس بابنه ، إذ كان قوله (ليس من أهلِكَ) محتملا من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : إنه ليس من أهلِكَ كما قيل (وأسأل القرية التي كُنَّا فيها) .

وأما قوله (إنه عملٌ غيرُ صالحٍ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقراءته عامة قراء الأمصار (إنه عملٌ غيرُ صالحٍ) بتنوين عمل ، ورفع غير . واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إن مسألتك إياي هذه : عملٌ غيرُ صالحٍ

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إِنَّهُ سَمِعَ غَسِيرُ صَالِحٍ) قال : إن مسألتك إياي هذه عمل غير صالح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) أي سوء (فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) يقول : سؤالك عما ليس لك به علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) قال : سؤالك إياي عمل غير صالح (فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) .

وقال آخرون : بل معناه : إن الذي ذكرت أنه ابنك ، فسألتني أن أنجيته عمل غير صالح : أي أنه لغير رشدة ، وقالوا : الهاء في قوله (إِنَّهُ) عائدة على الابن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن : أنه قرأ (سَمِعَ غَسِيرُ صَالِحٍ) قال : ما هو والله بابنه .

وروى عن جماعة من السلف أنهم قرءوا ذلك (إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) على وجه الخبر عن الفعل الماضي ، وغير منصوبة . ومن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة ، عن ابن عباس : أنه قرأ (سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) ووجهوا تأويل ذلك إلى ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا غنم ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّهُ سَمِعَ غَيْرُ صَالِحٍ) : قال : كان مخالفا له في النية والعمل ، ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قرء الأمصار إلا بعض المتأخرين ، واعتل في ذلك بخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ ذلك كذلك ، غير صحيح السند ، وذلك حديث روى عن شهر بن حوشب ، فرقة يقول عن أم سلمة ، ومرة يقول عن أسماء بنت يزيد ، ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشهر سمعا يصح عن أم سلمة .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرء الأمصار ، وذلك رفع عمل بالتنوين ، ورفع غير ، يعني أن سؤالك إياي ما تسألني في ابنك ، المخالف دينك ، الموالي أهل الشرك بي ، من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك (لَا تَتَدَرَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا) ما قد مضى ، من غير استثناء أحد منهم : عمل غير صالح ، لأنه مسألة منك إلى أن لا أفعل ما قد تقدم مني القول بأن أفعله في إجابتي ، مسألتك إياي فعله ، فذلك هو العمل غير الصالح . وقوله (فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) :

نهي من الله تعالى؛ ذكره نبيه نوحاً أن يسأله عن أسباب أفعاله، التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر؛ يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكى ابنك الذى أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالى، وليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك إياى عن ذلك.

وكان ابن زيد يقول فى قوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ما حدثنى به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين): أن تبلغ الجهالة بك أن لا آفى لك بوعد وعدتك، حتى تسألنى ما ليس لك به علم. (وإلا تغفر لى وترحمينى أكن من الخاسرين).

واختلفت القراء فى قراءة قوله (فلا تسألن ما ليس لك به علم): فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: (فلا تسألن ما ليس لك به علم) بكسر النون وتخفيفها، ونحواً بكسرها إلى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله (فلا تسألن). وقرأ ذلك بعض المكيين، وبعض أهل الشام (فلا تسألن) بتشديد النون وفتحها، بمعنى: فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علم. والصواب من القراءة فى ذلك عندنا: تخفيف النون وكسرها، لأن ذلك هو الفصحى من كلام العرب، المستعمل بينهم.

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبُّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره مخبراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته، فى مسأله التى سألتها ربه فى ابنه، (قَالَ رَبُّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ): أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك (مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ)، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لى زلتى فى مسألتى إياك، مسألتك فى ابني، وإن أنت لم تغفرها لى وترحمى، فتنقذنى من غضبك (أكن من الخاسرين) يقول: من الذين غببوا أنفسهم حضورها وهلكوا.

القول فى تأويل قوله تعالى

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ، وَأُمَّمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)

يقول تعالى ذكره (يأئوح اهبط) من الفلك إلى الأرض (يسلاماً مناً) يقول: بأمن منا، أنت ومن

معك من إهلاكنا (وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) يقول: وبركات عليك^١ (وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) يقول: وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك، فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح، الذين سبقت لهم من الله السعادة، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم، وأصلاب آبائهم. ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته، فقال له (وَأُمَّمٌ) يقول: وقرون، وجماعة (سَنُمَتَّعُهُمْ) في الحياة في الدنيا. يقول: نرزقهم فيها ما يتمتعون به، إلى أن يبلغوا آجالهم (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِثْنًا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّثْنًا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) . . . إلى آخر الآية، قال: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو داود الحفري^٢، عن سفيان، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّثْنًا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) قال: دخل في السلام كل مؤمن ومؤمنة، وفي الشرك كل كافر وكافرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج (وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) يعني ممن لم يولد، قد قضى البركات لمن سبق له في علم الله وقضائه السعادة (وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) من سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج بنحوه، إلا أنه قال: (وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) متاع الحياة الدنيا، ممن قد سبق له في علم الله وقضائه الشقاوة. قال: ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنب آبائهم كالطير والسباع، ولكن جاء أجلهم مع الغرق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّثْنًا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ، وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) قال: هبطوا والله عنهم راض، هبطوا بسلام من الله، كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر، ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أما، منهم من رحيم، ومنهم من عذاب، وقرأ (وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ، وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) وذلك إنما افرقت الأمم من تلك العصابة التي خرجت من ذلك الماء وسلمت.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّثْنًا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) . . .

(١) لعله: وبركات عليك.

(٢) هو عمر بن سعد الحفري، بالتحريك، كوفي، وثقه ابن معين (مات سنة ٢٠٣).

الآية ، يقول : بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يُولدوا ، أوجب الله لهم البركات ، لما سبق لهم في علم الله من السعادة (وَأُمَمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ) يعنى : متاع الحياة الدنيا (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أنه كان إذا قرأ سورة هود ، فأتى على (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ) حتى ختم الآية ، قال الحسن : فأنجى الله نوحا والذين آمنوا، وهلك المتمتعون، حتى ذكر الأنبياء، كل ذلك يقول : أنجاه الله، وهلك المتمتعون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَنُمَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ) مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : بعد الرحمة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : أخبرنا عبد الله بن شوذب ، قال : سمعت داود ابن أبي هند يحدث عن الحسن : أنه أتى على هذه الآية (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : فكان ذلك حين بعث الله عادا ، فأرسل إليهم هودا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله أنجى الله هودا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم بعث الله ثمود ، فبعث إليهم صالحا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله ؛ فلما جاء أمر الله أنجى الله صالحا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين ، ثم استقرأ الأنبياء نبيا نبيا على نحو من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ

هَذَا ، فَاصْبِرْ ، إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) يقول : هي من أخبار الغيب ، التي لم تشهدا فتعلمها . (نُوحِيهَا إِلَيْكَ) : يقول : نوحيا إليك نحن ، فنعرفكها (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) الوحي الذي نوحيه إليك ، فاصبر على القيام بأمر الله ، وتبليغ رسالته ، وما تلقى من مشركي قومك ، كما صبر نوح . (إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله ، فأدى فرائضه ، واجتنب معاصيه ، فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة ، والظفر في الدنيا بالطلبية ، كما كانت عاقبة نوح ، إذ صبر لأمر الله ، أن نجاه من الهلكة مع من آمن به ، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة ، وغرَّق المكذابين به ، فأهلكهم جميعهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن ، وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ما صنع نوح وقومه ، لولا ما بين الله في كتابه ؟

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ، قَالَ : يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنتمِ

مُفْتَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان (مالككم من إله غيرهُ) يقول : ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالآلوهة (إن أنتم إلا مفترُونَ) يقول : ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون ، تخلقون الباطل ، لأنه لا إله سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

يٰقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ؛ إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ؛ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٥١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه : يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله ، وخلع الأوثان ، والبراءة منها ، جزاء وثوبا . (إن أجري إلا على الذي فطرني) يقول : إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم ، ودعائكم إلى الله ، إلا على الذي خلقتني (أفلا تعقلون) يقول : أفلا تعقلون أني لو كنت أبتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم ، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة ، لالتصت منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا ، وطلبت منكم الأجر والثواب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن أجري إلا على الذي فطرني) : أي خلقتني .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيَزِدْكُمْ

قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ، وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (ويا قوم استغفروا ربكم) يقول : آمنوا به حتى

يغفر لكم ذنوبكم ، والاستغفار : هو الإيمان بالله في هذا الموضع ، لأن هودا صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله ، ليغفر لهم ذنوبهم ، كما قال نوح لقومه (اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) ، وقوله (ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ) يقول : ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به . (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) : يقول : فانكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به ، أرسل قطر السماء عليكم يدر لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه ، وتحيا بلادكم من الجذب والتحط .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِدْرَارًا) يقول : يتبع بعضها بعضها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله « يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا » قال : يدر ذلك عليهم قطرا ومطرا .

وأما قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) فإن مجاهدا كان يقول في ذلك ، ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) قال : شدة إلى شدتكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وإسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) : قال : جعل لهم قوة ، فلو أنهم أطاعوه ، زادهم قوة إلى قوتهم ، وذكر لنا أنه إنما قيل لهم (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) قال : إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ، ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوة . وقوله (وَلَا تَتَّبِعُوا الْمُجْرِمِينَ) يقول : ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله ، والبراءة من الأوثان والأصنام . مجرمين ، يعني كافرين بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : قال قوم هود لهود : يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول ، فنسلم لك ، ونقر بأنك صادق فيما تدعوننا إليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوتك . (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا) : يقول :

وما نحن بتاركي آلهتنا يعني لقولك : أو من أجل قولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) يقول : قالوا : وما نحن لك بما تدعى من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدقين .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ، قَالَ: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ ، فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ، ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٥)

وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود إنهم قالوا له، إذ نصح لهم، ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع الأوثان والبراءة منها: لانترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمها، والنهي عن عبادتها، أنه أصابك منها خبيل من جنون، فقال هود لهم: إنني أشهد الله على نفسي، وأشهدكم أيضا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم، من دونه. (فكيدوني جميعاً) يقول: فاحتالوا أنتم جميعاً وآلهتكم في ضرتي ومكروهي. (ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ) يقول: ثم لا تؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالوني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (اعترأك بعض آلهتنا بسوء) قال: أصابك الأوثان بجنون.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (اعترأك بعض آلهتنا بسوء) قال: أصابك الأوثان بجنون.

حدثني المثنى، قال: ثنا ابن دكين، قال: ثنا سفيان، عن عيسى، عن مجاهد (إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء) قال: سببت آلهتنا وعبتها، فأجنتك.

قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (اعترأك بعض آلهتنا بسوء) أصابك بعض آلهتنا بسوء: يعنون الأوثان.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (إن نقول إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء) قال: أصابك الأوثان بجنون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (إن نقول إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء) قال: تصيبك آلهتنا بالجنون.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (إلا اعترأك بعض آلهتنا بسوء) قال: ما يملك على ذم آلهتنا، إلا أنه أصابك منها سوء.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**) قال : إنما تصنع هذا بالهتنا أنها أصابتك بسوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : أصابتك آلهتنا بشر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**) يقولون : نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ، ولا نجب أن تعتريك ، يقولون : يصيبك منها سوء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**) يقولون اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلهتنا . وقوله (**اعْتَرَاكَ**) افتعل ، من عراني الشيء يعرفون : إذا أصابك ، كما قال الشاعر :

مِنَ الْقَوْمِ يَعْرِوهُ اجْتِرَاءُ وَمَأْتَمٌ ١

القول في تأويل قوله تعالى

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِمْ إِنَّا رَبُّكَ عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)

يقول : إني على الله الذي هو مالكي وما لكم ، والقسم على جميع خلقه توكلت ، من أن تصيبوني أنتم وغيركم من الخلق بسوء ، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض إلا والله مالكة وهو في قبضته وسلطانه دليل له خاضع .

فإن قال قائل : وكيف قيل : هو آخذ بناصيتها ، فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد ؟ قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالدلة والخضوع ، فتقول ماناصية فلان إلا بيد فلان ، أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء ، وكانوا إذا أسروا الأسير ، فأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة ، فخطبهم الله بما يعرفون في كلامهم ، والمعنى ما ذكرت . وقوله (**إِنَّا رَبُّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) يقول : إن ربي على طريق الحق ، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به .

(١) هذا شطر بيت لأبي خراش الهذلي ، وصدده :

تَذَكَّرَ ذَحْلًا عِنْدَنَا وَهُوَ فَاتِكٌ

(بجاز القرآن لأبي عبيدة الجزء الأول ص ٢٩٠) وفيه اجترأ في موضع اجترام . قال أبو عبيدة : اعتراك : وهو افتعلك من عروته ، أي أصابك . وفي ديوان الهذليين (٢ : ١٤٧) : يعرفه : يعتره ، أي يلم به . وفاتك مقدم على الأمر . ويقال للرجل إذا كان جريئا على الأمر : فاتك .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إن ربي على صراطٍ مستقيم) الحق .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ،
وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، إِنْ رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) يقول : فان أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله ، وترك عبادة الأوثان (فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ) أيها القوم (مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ) وما على الرسول إلا البلاغ . (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ) : يهلككم ربي ، ثم يستبدل ربي منكم قوما غيركم ، يوحدهم ، ويخلصون له العبادة (وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا) يقول : ولا تقدرن له على ضرر ، إذا أراد إهلاككم أو أهلككم . وقد قيل : لا يضره هلاككم إذا أهلككم ، لا تنقصونه شيئا ، لأنه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا . (إِنْ رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) يقول : إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم ، يقول : هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ، وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قوم هود عذابنا (نَجَّيْنَا) منه (هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا) بالله (مَعَهُ) بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يعني بفضل منه عليهم ونعمة (وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) يقول : نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة ، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِبَيِّاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين أحلنا بهم نعمتنا وعذابنا عاد ، جحدوا بأدلة الله وحججه ، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم ، للدعاء إلى توحيدهم واتباع أمره (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) : يعني كل مستكبر على الله ، حائد عن الحق ، لا يدعن له ولا يقبله ، يقال منه : عنده عن الحق ، فهو يعنُد عُنُودًا ، والرجل عاند وعنود ، ومن ذلك قيل للعرق الذي ينفجر فلا يرقأ : عرق عاند : أي صار ، ومنه

(١) العاند : العرق الذي يسيل دمه ولا يرقأ . وقوله صار : تفسير بالأبعد ؛ ولعل اللفظ محرف عن صار ، بالصاد ، أي يسمع له صوت ، أو عن دار ، أي غزير الدم .

قول الراجز :

إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ ١

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَتِيدٍ) : المشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأْتِمِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ

هُودٍ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة ، مثلها لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا ، ألا إن عادا كفروا ربهم (أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) يقول : أبعدهم الله من الخير ، يقال : كفر فلان ربه ، وكفر بربه ، وشكرت لك وشكرتك . وقيل : إن معنى كفروا ربهم : كفروا نعمة ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ : يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ

مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا ، فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، فقال لهم يا قوم : اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة ، فما لكم من إله غيره ، يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلا له (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ) يقول : هو ابتداء خلقكم من الأرض ، وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض ، فخرج الخطاب لهم ، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه (وَأَسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا) يقول : وجعلكم عمُارا فيها ، فكان المعنى فيه : أسكنكم فيها أيام حياتكم من قولهم : أعمار فلان فلانا داره وهي له عمُرى ٢ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

(١) البيت في (اللسان : عند) ، ولم ينسبه . قال : عند عن الشيء والطريق يعند (كضرب ويقتل) عنودا ، فهو عنود . وعند عندا (من باب فرح) : تباعد وعدل . وناقاة عنود : لا تتخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحية أبدا والجمع عند وعاند وعاندة ، وجمعها جميعا : عواند وعند . قال :

إِذَا رَحَلْتَ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ ١

يعنى من الإبل . وهو مع أشطار أخرى في الاقتضاب ص ٤١٥ بدون عزو ، وفي الجمهرة لابن دريد (٢١ : ٢٣٨) وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما من عيوب القافية : الإكفاء ، لأنه جمع بين الطاء والذال ، نبه عليه صاحب اللسان .

(٢) عمري بوزن بشري : أى ينتفع بها طول عمره ، ثم ترد بعده إلى ما لكها الأول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وَاسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا) قال : أعمركم فيها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا) يقول : أعمركم .

وقوله (فَاسْتَغْفِرُوهُ) يقول : اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم وذلك الإيمان به ، وإخلاص العبادة له دون ماسواه ، واتباع رسوله صالح . (ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم إلى ما يرضاه ويحبه (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) يقول : إن ربي قريب من أخلص له العبادة ، ورغب إليه في التوبة ، مجيب له إذا دعاه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا

لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لصالح نبيهم : (يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا) : أى كنا نرجو أن تكون فينا سيذا (قَبْلَ هَذَا) القول الذى قلته لنا ، من أنه مالنا من إله غير الله . (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) يقول : أتنهانا أن نعبد الآلهة التى كانت آباؤنا تعبد (وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ) يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله ، وأن الألوهة لا تكون إلا له خالصا ، وقوله (مُرِيبٌ) أى يوجب التهمة ، من أربته ، فأنا أربيه إرابة ، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ، ومنه قول الهذلي :

كُنْتُ إِذَا اتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ بِشَّمِّ عِظْفِي وَيَبْزُ ثَوْبِي
كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ، فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ

اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ، فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه من ثمود (يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَرَهَانٍ وَبَيَانٍ مِنَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتُمْ وَأَيَقِنْتُمْ) (وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً) يقول : وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام (فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز ، أوردتها (أتي) ونسبها إلى خالد بن زهير ، وأورد قبلها بيتا رابعا ، وهو قوله : « يا قوم مالي وأباؤي ذؤيب » : قال : ويقال : أتوته أتوا : لغة في أتيت . والعطف : المنكب ، وعطفا الرجل والدابة جانباه ، عن يمين وشمال ، وشقاء ، من لدن رأسه إلى وركه ، والجمع : أعطاف ، وعطاف وعطوف . ويز ثوبى : يجذبه إليه .

مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) يقول : فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته ، فيخلصني منه ، فما تزيدونني بعدركم الذي تعتدرون به ، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم ، غير تحسير لكم ، يحسركم حظوظكم من رحمة الله .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قفنا تزيدونني غير تحسير) يقول : ما تردادون أتم إلا خسارا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ، فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل صالح لقومه من ثمود : إذ قالوا له : وإنا لنرى شك مما تدعونا إليه مريب . وسألوه الآية على ما دعاهم إليه (يا قوم هذه ناقة الله لكم آية) يقول : حجة وعلامة ، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه ، (فذرُوها تأكل في أرض الله) فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يقول : لا تقتلوها ولا تنالوها بعقر (فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) يقول : فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَعَقَرُوهَا ، فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ (٦٥)

يقول تعالى ذكره ، فعقرت ثمود ناقة الله . وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره ، استغناء بدلالة الظاهر عليه ، وهو : فكذبوه فعقروها ، فقال لهم صالح (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) يقول : استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام (ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ) يقول : هذا الأجل الذي أجلتكم : وعد من الله ، وعدكم بانقضائه الهلاك ، ونزول العذاب بكم . غيره كذب ، يقول : لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ) . وذكر لنا أن صالحا حين أخبرهم أن العذاب آتاهم ، لبسوا الأنطاع والأكسية ، وقيل لهم : إن آية ذلك أن تصفر ألوانكم أول يوم ، ثم تحمر في اليوم الثاني ، ثم تسود في اليوم الثالث . وذكر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا : عليكم الفصيل ، فصعد الفصيل القارة ، والقارة الجبل ، حتى إذا كان اليوم الثالث ، استقبل القبلة وقال : يارب أي ، يارب أي ثلاثا ، قال : فأرسلت الصيحة عند ذلك .

وكان ابن عباس يقول : لو صعدتم القارة ، لرأيتم عظام الفصيل ، وكانت منازل ثمود بحجر ، بين الشام والمدينة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) قال : بقية آجالهم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن ابن عباس قال : لو صدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء ثمود عذابنا (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا) به (مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا) يقول : بنعمة وفضل من الله (وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) يقول : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذُله بذلك العذاب . (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ) في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه ، كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كل شيء ويقهره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) قال : نجاه الله برحمة منا ، ونجاه من خزي يومئذ .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود : « كانت ثمود قوم صالح ، أعمرهم الله في الدنيا ، فأطال أعمارهم ، حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر ، فينهدم ، والرجل منهم حتى ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فبرهين ، فنحتوها وجوفوها ، وكانوا في سعة من معاشهم ، فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية ، نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شربها يوما ، وشربهم يوما معلوما ، فإذا كان يوم شربها خلدوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ، فلم تشرب منه شيئا ، فلدوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله إلى صالح : أن قومك سيتعقرون ناقتك ، فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، فقال : إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ، فوالله لا نجاهه إلا قتلناه ، قال فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر . قال : وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفوا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوج ابنك ؟ قال : لا أجد له كفوا ، قال : فإن ابنتي كفؤ له ، وأنا أزوجك ، فزوجه ، فولد بينهما ذلك المولود . وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ، ولا

يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقروها مولود فيكم ، اختاروا ثمانى نسوة قوايل من القرية ، وجعلوا معهن شُرطاً كانوا يطوفون في القرية ، فإذا وجدوا المرأة تمخض ، نظروا ما ولدها : إن كان غلاماً قلبته ، فنظرن ما هو ، وإن كانت جارية أعرضن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة ، وقلن هذا الذى يريد رسولُ الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوه ، فحال جدّاه بينهم وبينه ، وقالوا : لو أن صالحاً أراد هذا قتلناه ، فكان شرّ مولود ، وكان يشيب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة ؛ فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام ، لمزلته وشرف جدّيه ، فكانوا تسعة . وكان صالح لا ينام معهم في القرية ، كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم ، فوعظهم وذكرهم ، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه . قال حجاج ، وقال ابن جريج : لما قال لهم صالح : إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه ، قالوا فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا ، لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ، فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا ، من شهر كذا وكذا ، فبرصده عند مصلاه ، فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأرسل الله عليهم الصخرة ، فرضخهم ، فأصبحوا رَضِخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا هم رَضِخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أى عباد الله ، أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم ، حتى قتلهم ، فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون ، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر ، ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوا ، حتى أتوا على سرب على طريق صالح ، فاخبتاً فيه ثمانية ، وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه ، وأتينا أهله فبيتناهم ، فأمر الله الأرض ، فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقي لأحدهم : اتها فاعقرها ، فاتاها ، فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر ، فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث رجلاً إلا تعاضمه أمرها ، حتى مشوا إليها ، وتناول فضرب عرقوبئها ، فوقع تركض ، وأتى رجل منهم صالحاً ، فقال أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ، ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ، إنه لا ذنب لنا ، قال : فانظروا هل تُدركون فصيلها ؟ فإن أدركتموه ، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه ، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب ، أتى جبلاً يقال له القارة قصيرا ، فصعد وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله إلى الجبل ، فطال في السماء ، حتى ما يناله الطير . قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى ، حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً ، فرغاً رغوّة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى ، فقال صالح لقومه : لكل رغوّة أجل يوم (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ) ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثاني محمرة ، واليوم الثالث مسودة ؛ فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليبت بالخلق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم :

ألا قد مضى يوم من الأجل ، وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ، كأنها خُصِيت بالدماء ، فصاحوا وضجروا وبكوا وعرفوا آية العذاب ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ؛ فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة ، كأنها طُليت بالقار ، فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفنوا وتحنطوا ، وكان حنوطهم الصبر والمغتر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم بالأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب ، من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض ، خسفاً وغرقاً ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع ، أتتهم صيحة من السماء ، فيها صوت كل صاعقة ، وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة ، أهلك الله من بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، منعه حرم الله من عذاب الله ، قيل : ومن هو يا رسول الله ؟ قال أبو ريغال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه « لا يدخلن أحد منكم القرية ، ولا تشربوا من ما بهم » ، وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة .

قال ابن جريج ، وأخبرني موسى بن عقيبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود ، قال : « لا تدخلوا على هؤلاء المعتدين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم » ، أن يصيبكم ما أصابهم .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، فتشرب ماء هم يوم ورودها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادي ثمود ، وهو عامد إلى تبرك ، قال : فأمر أصحابه أن يسرعوا السير ، وأن لا ينزلوا به ، ولا يشربوا من مائه ، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون . قال : وذكر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطي المعسر منهم ما يتكفنون به ، وكان الرجل منهم يلكد لنفسه ولأهل بيته ، لميعاد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وحدث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت ، فيهم شبان وشيوخ ، أبقاهم الله عبدة وآية .

حدثنا إسماعيل بن المتوكل الأشجعي من أهل حمص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : ثنا أبو الطفيل ، قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبرك ، نزل الحجر فقال : « يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله لهم الناقة آية ، فكانت تلج عليهم »

يَوْمَ وُرُودِهِمْ الَّذِي كَانُوا يَتَرَوْنَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَخْلُبُوهَا مِثْلَ مَا كَانُوا يَتَرَوْنَ مِنْ مَا بِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَبَنًا ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْفَجَّ ، فَعَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَّرُوهَا ، فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ وَعْدًا مِنَ اللَّهِ غَيْرَ مَكْذُوبٍ ، فَأَهْلَكَ اللَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ ، فَسَعَّه حَرَمُ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، قَالُوا : وَمَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَبُو رِغَالٍ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ . (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ، أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من عَقَّرُوا ناقة الله وكفروهم به ، الصيحة ، (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ) قد جَشَمَهُم المنايا ، وتركهم خمودا بأفئدتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ) يقول : أصبحوا قد هلكوا (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول : كأن لم يعيشوا فيها ، ولم يُعَمَّرُوا بها .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد فأنغى ذلك عن إعادته .

وقوله (أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) يقول : ألا إن ثمود كفروا بأيات ربهم ، فجحدها (أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ) يقول : ألا أبعدهم الله ثمود ، لنزول العذاب بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ، قَالُوا : سَلَامًا ، قَالَ : سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ

بِعِجْلِ حَنِيذٍ (٦٩)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا) من الملائكة ، وهم فيما ذكر كانوا جبرئيل ومسكين آخرين . وقيل إن الملكين الآخرين كانا ميكائيل وإسرافيل معه (إِبْرَاهِيمَ) يعني إبراهيم خليل الله (بِالْبُشْرَى) يعني : بالبشارة .

واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها ، فقال بعضهم : هي البشارة بإسحاق ، وقال بعضهم : هي

البشارة بهلاك قوم لوط (قَالُوا سَلَامًا) يقول : فسلموا عليه سلاما ، ونصب سلاما بإعمال قالوا فيه ، كأنه

قيل: قالوا قولاً، وسلّموا تسليماً (قال سلاماً) يقول: قال إبراهيم لهم: سلام، فرفع سلام، بمعنى عليكم السلام، أو بمعنى سلام منكم. وقد ذكر عن العرب أنها تقول: سلّم، بمعنى السلام؛ كما قالوا: حِلّ وحلال، وحيرم وحرام. وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

مَرَرْنَا فَقُلْنَا لَهُ سَلِّمْ فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالْبَرْقِ الْغَمَامُ الدَّوَائِحُ

بمعنى سلام. وقد روى «كما انكل». وقد زعم بعضهم أن معناه إذا قرئ كذلك: نحن سلّم لكم، من المسألة التي هي خلاف المحاربة، وهذه قراءة عامة قرأها الكوفيين، وقرأ ذلك عامة قرأها الحجاز والبصرة قالوا: سلاماً، قال سلام، على أن الجواب من إبراهيم صلى الله عليه وسلم لهم، بنحو تسليمهم عليكم السلام. والصواب من القول في ذلك عندى: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، لأن السَلِّم قد يكون بمعنى السلام، على ما وصفت، والسلام بمعنى السَلِّم، لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السَلِّم، دون الأعداء، فإذا ذكر تسليم من قوم على قوم، ورد الآخريين عليهم، دل ذلك على مسألة بعضهم بعضاً، وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب.

وقوله (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) وأصله مخنوذ، صرف من مفعول إلى فعيل.

وقد اختلف أهل العربية في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم: معنى المخنوذ: المشوى، قال: ويقال منه: حنذت فرسى، بمعنى سخنته وعرقته، واستشهد لقوله ذلك بيت الراجز:

وَرَهَبَا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا ٢

وقال آخر منهم: حنذ فرسه: أى أضمره، وقال: قالوا حنذته يحنذته حنذاً: أى عرقه. وقال بعض أهل الكوفة: كل ما انشوى في الأرض إذا خددت له فيه فدفنته ونعمته فهو الحنيد والمخنوذ، قال: والحنيل تحنذ إذا ألقيت عليها الحلال، بعضها على بعض لتعرق، قال: ويقال: إذا سقيت فاحنذ، يعنى اخفس، يريد: أقل الماء وأكثر النيذ.

وأما التأويل، فإنهم قالوا في معناه ما أنا ذاكره، وذلك ما حدثني به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (بعجل حنيد) يقول: نضيج.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (بعجل حنيد) قال: بعجل حسيل البقر، والحنيد: المشوى النضيج.

(١) البيت أورده صاحب (اللسان: سلم) غير منسوب، وهو ما أنشده الفراء عن بعض الأعراب، وفي روايته اختلاف عن رواية المؤلف، قال الجوهري: وسلم بالكسر: السلام، وقال:

وَقَفْنَا فَقُلْنَا لَهُ سَلِّمْ فَسَلَّمَتْ فَمَا كَانَ إِلَّا وَمُؤْهَا بِالْحَوَاجِبِ

قال ابن بري والذي رواه القناني: فقلنا السلام فاتفقت من أسيرها وما كان إلا ومؤها بالحواجب

على هذه الرواية لا يكون هذا البيت هو الذى استشهد به العايزى، إذ لا شاهد فيه. وأنشده اللسان أيضاً في: (كلل). قال: واكتل: تبسم، عن ابن الأعرابي، وأنشد: عرضنا فقلنا إيه سلم... الخ.

(٢) البيت للعجاج يصف حماراً وأناناً (اللسان: حنذ) وقوله: «حتى إذا ما الصيف كان أمجا». والأمج، حر وعطش شديد والأخذ بالنفس. والحنذ: شدة الحر، حنذته الشمس، أحرقتة. وهرج البعير من باب فرج: سدد من شدة الحر، وثقل الحمل.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) . . . إلى (بَعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج سخن ، أنضج بالحجارة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) والحنيذ : النضيج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بَعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج . قال : وقال الكلبي : والحنيذ : الذي يُحْتَدُّ فِي الْأَرْضِ ١ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، في قوله (فَجَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : الحنيذ : الذي يقطر ماء وقد شوي ، وقال حفص : الحنيذ : مثل حناذ الخيل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذبحه ثم شواه في الرصف ٢ ، فهو الحنيذ حين شواه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (فَجَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : المشوي الذي يقطر .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : الحنيذ : الذي يقطر ماؤه وقد شوي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (بَعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : نضيج . حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بَعِجْلٍ حَنِيذٍ) الذي أنضج بالحجارة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان (فَهَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) قال : مشوي .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : حنيذ ، يعني شوي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : الحناذ : الإنضاج .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير : متقاربات المعاني بعضها من بعض ، وموضع « أن » في قوله (أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) نصب بقوله : فما لبث أن جاء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَحْفَ ، إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به ، والطعام الذي قدم إليهم ،

(١) في اللسان : ما حفرت له في الأرض ، ثم غمته ، قال : وهو من فعل أهل البادية معروف .

(٢) في اللسان : الرصف : الحجارة التي حيت بالنار أو الشمس . واحدها : رصفة ، يسكون الضاد .

نكرهم ؛ وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم فيما ذُكر ، كَفَمُوا عن أكله ، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله ، وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه ، مستنكرًا ، ولم تكن بينهم معرفة ، وراعه أمرهم ، وأوجس في نفسه منهم خيفة .

وكان قتادة يقول : كان إنكاره ذلك من أمرهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَتَّصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجيء بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَتَّصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ) قال : كانوا إذا نزل بهم ضيف ، فلم يأكل من طعامهم ، ظنوا أنه لم يأت بخير ، وأنه يحدث نفسه بشر ، ثم حدثوه عند ذلك بما جاءوا .

وقال غيره في ذلك : ما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب بن سفيان ، قال : لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام قرب إليهم العجل ، فجعلوا ينكتون بقداح في أيديهم من نبتل ، ولا تصل أيديهم إليه ، نكرهم عند ذلك ، يقال منه : نَكَّرَتِ الشَّيْءَ أَنْكَرَهُ ، وَأَنْكَرْتَهُ أَنْكَرَهُ : بمعنى واحد ، ومن نكرت وأنكرت قول الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

فجمع اللغتين جميعا في البيت ، وقال أبو ذؤيب :

فَنَكَّرْتَهُ فَتَقَرَّنَ وَأَمْتَرَسَتْ بِهِ هَوَجَاءُ هَادِيَةٌ وَهَادٍ جُرْشَعٌ

وقوله (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) يقول : أحس في نفسه منهم خيفة وأضمرها . (قَالُوا لَا تَخَفْ) يقول قالت الملائكة لما رأته ما بإبراهيم من الخوف منهم : لا تخف منا وكن آمنًا ، فإننا ملائكة ربك ، أرسلنا إلى قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ نَهْأً بِإِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)

يقول تعالى ذكره (وَأَمْرَأَتُهُ) سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ ، وهي ابنة عم إبراهيم . (قَائِمَةٌ) قيل : كانت قائمة من وراء الستر ، تستمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام . وقيل : كانت قائمة تحذم الرسل ، وإبراهيم جالس مع الرسل .

(١) البيت أورده صاحب اللسان : (نكر) شاهدا على أن العرب تقول : أنكرت الشيء ، وأنا أنكره إنكارًا ، ونكرته مثله ، قال الأعشى . . . البيت ، والبيت منسوب للأعشى ، وهو في ديوانه (طبعة القاهرة ص ١٠١) ولكن بعض العلماء صرح بأنه موضوع في شعر الأعشى ولم يقله . قيل وضعه أبو عمرو بن العلاء . وقيل : حماد ، (انظر الديوان ص ١٠٠) . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٢٩٣) قال أبو عبيدة : قال يونس : قال أبو عمرو : أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره ، فأتوب إلى الله منه .

(٢) البيت في ديوان الهذليين طبعة دار الكتب المصرية (١ : ٨) وفيه : سطعا ، في موضع : هوجاء ، وهي رواية أخرى . قال شارحه : يعني : الحمير نكرن الصائد ، فامترست هوجاء ، يعني : الأتان امترست بالفحل : جعلت تكاده وتسير معه . والهوجاء : التي ترفع رأسها لتتقدمه . وهاد : يعني الفحل . وجرشع : متفخ الجنيين ، وأراد : أنه امترس هو بها أيضا .

وقوله (فَضَحِكْتُمْ) : اختلف أهل التأويل في معنى قوله (فَضَحِكْتُمْ) وفي السبب الذي من أجله ضحكتم ، فقال بعضهم : ضحكتم الضحك المعروف ، تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفا فأنهم بأنفسهما ، تكرمة لهم ، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيفوه ، فلما رآهم إبراهيم أجلتهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين ، فذبحه ، ثم شواه في الرضف ، فهو الحنيد حين شواه ، وأتاهم فقعده معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ) وهو جالس في قراءة ابن مسعود ، فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ؟ قالوا يا إبراهيم إنا لأنأكل طعاما إلا بشمن ، قال : فإن لهذا ثمنا ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوله ، وتحمّدونه على آخره ، فنظر جبرائيل إلى ميكائيل فقال : حقّ لهذا أن يتخذه ربه خليلا . (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ) يقول : لا يأكلون ، فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم ، وقامت هي تخدمهم ، ضحكتم وقالت : عجبا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا ، تكرمة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

وقال آخرون : بل ضحكتم من أن قوم لوط في غفلة ، وقد جاءت رسل الله هلاكهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه ، حدثوه عند ذلك بما جاءوا فيه ، فضحكتم امرأته ، وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم في غفلة ، فضحكتم من ذلك وعجبت ، فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ضحكتم تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ، ومما أتاهم من العذاب .

وقال آخرون : بل ضحكتم ، ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ، في قوله (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ) قال : لما جاءت الملائكة ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط .

وقال آخرون : بل ضحكتم لما رأت بزوجه إبراهيم من الرّوع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ (فَضَحِكْتُمْ) قال : ضحكتم حين راعوا إبراهيم ، مما رأت من الرّوع بإبراهيم .

وقال آخرون : بل ضحكتم حين بشرت بإسحاق ، تعجبا من أن يكون لها ولد ، على كبر سنّها وسنّ زوجها .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام ، فرآهم ، راعه هيئتهم وجمالهم ، فسلموا عليه ، وجلسوا إليه ، فقام فأمر بعجل سمين ، فحندله ، فقرب إليهم الطعام ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، وسارة وراء البيت تسمع ، قالوا : لانتخف إنا نبشرك بغلام حلیم ، مبارك ، وبشّر به امرأته سارة ، فضحكت وعجبت : كيف يكون لى ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير ؟ فقالوا : أتعجبين من أمر الله ، فإنه قادر على ما يشاء ، فقد وهبه الله لكم ، فأبشروا به . وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل : إن هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، وكأن معنى الكلام عنده : وامرأته قائمة ، فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت ، وقالت : يا ويلتا ألد وأنا عجوز ؟

وقال آخرون : بل معنى قوله : فضحكت فى هذا الموضع : فحاضت .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقرية بن الوليد ، عن على بن هارون ، عن عمرو بن الأزهر ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فَضَحِكَتْ) قال : حاضت ، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، قال : وكان إبراهيم ابن مئة سنة .

وقال آخرون : بل ضحكت سرورا بالأمن منهم لما قالوا لإبراهيم : لانتخف ، وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا ، كما خافهم إبراهيم ، فلما أمنت ضحكت ، فأتبعوها البشارة بإسحاق . وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة . وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة : حاضت ، قال :

وقد قال : الضحك : الحيض ، وقد قال بعضهم : الضحك : العجب ، وذكر بيت أبى ذؤيب :

فجاءَ بِمَرْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ ١

وذكر أن بعض أصحابه أنشده فى الضحك بمعنى الحيض .

وَضَحْكُ الْأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَيْشَلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللَّقَا ٢

قال : وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكُمَيْت :

(١) البيت لأبى ذؤيب ، نسبة إليه صاحب اللسان (مزج) شاهد على أن المزج هو العسل ، وفى التهذيب : الشهيد ، وقال أبو حنيفة سمي مزجا لأن مزاج كل شراب حلو طيب به . والضحك : الثغر الأبيض ، والضحك العسل ، شبه بالثغر ، لشدة بياضه ، قال أبو ذؤيب : فجاء بمزج . . . الخ . وقيل الضحك هنا : الشهيد ، وقيل الزيد ، وقيل الثلج . والضحك : العجب ، وعليه استشهد المؤلف بالبيت .

(٢) البيت فى اللسان (ضحك) غير منسوب ، وهو شاهد على قول العرب : ضحكت الأرنب ضحكا : إذا حاضت . قال : وضحك الأرنب . . . الخ . قال : يعنى الحيض فيما زعم بعضهم . قال ابن الأعرابي فى قول تأبط شرا : « تضحك الضبع لقتل هذيل » أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماهم ، طمئت .

فَأَضْحَكَتِ الضَّبَاعَ سَيُوفُ سَعْدٍ بَقَتَسَلَى مَا دُفِنَ وَلَا وُدِينَا

وقال : يريد الحيض . قال : وبلحارث بن كعب يقولون : ضحكت النحلة : إذا أخرجت الطلع أو البسر . وقالوا : الضحك : الطلع ، قال : وسمعنا من يحيى : أضحكت حوضا : أى ملأته حتى فاض ، قال : وكان المعنى قريب بعضه من بعض كله ، لأنه كأنه شيء يمتلئ فيفيض .

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى قوله : فضحكت : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله ، وغفلته عنه .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب : لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : لا تخف ، كان الضحك والتعجب ، إنما هو من أمر قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى

(فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) :

يقول تعالى ذكره : فبشّرنا سارة امرأة إبراهيم ، ثوبا منا لها على نكبتها وعجبتها من فعل قوم لوط ، بإسحاق ولدا لها ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : ومن خلف إسحاق يعقوب من ابنها إسحاق ، والوراء في كلام العرب : ولد الولد ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : الوراء : ولد الولد .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن المثني ، قال : كل واحد منهما : حدثني أبو اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعري ، قال : كنت إلى جنب جدى أبي المغيرة بن مهران في مسجد عليّ بن زيد ، فرأى بنا الحسن بن أبي الحسن ، فقال : يا أبا المغيرة ، من هذا الفتى ؟ قال : ابني من ورأى ، فقال الحسن : (فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) .

حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، في قوله (فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : ولد الولد : هو الوراء :

(١) البيت للكيت كما في (اللسان : ضحك) والرواية فيه بالواو في أوله . وهو شاهد على أن الضباع تحيض ، وقد أنكره ابن دريد وقال : من شاهد الضباع عند حيضتها ، فيعلم أنها تحيض ؟ وقال الفراء : وأما قولهم : فضحكت : حاضت ، فلم أسمع من ثقة . قال أبو عمرو (لعله الشيباني) وسمعت أبا موسى الحامض يسأل أبا العباس ثعلبا أو المبرد ، عن قوله « فضحكت » أى حاضت ، وقال : إنه قد جاء في التفسير . فقال : ليس في كلام العرب ، والتفسير مسلم لأهل التفسير . فقال له : فأنت أنشدتنا (لتأبط شرا) :

تَضْحَكُ الضَّبَعُ لِقَتَلِي هَذَيْلٍ وَتَرَى الذُّئْبَ بِهَا يَسْتَهِيلُ

فقال أبو العباس : تضحك هاهنا : تكشر ، وذلك أن الذئب ينازعها على القتل ، فتكشر في وجهه وعيدا ، فيتركها مع لحم القتل ويمر (اللسان) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، في قوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) قال : الورا : ولد الولد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، عن داود ، عن الشعبي ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو عمرو الأزدي ، قال : سمعت الشعبي يقول :
ولد الولد : هم الولد من الورا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه ، فقال : من هذا معك ؟ قال : هذا ابن ابني ، قال : هذا ولدك من الورا ، قال : فكأنه شقّ على ذلك الرجل ، فقال ابن عباس : إن الله يقول (فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) فولد الولد : هم من الورا .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ضحكت سارة وقالت : عجباً لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمه لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا ! قال لها جبريل : أبشري بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت وجهها عجباً ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) وقالت (أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ! قَالُوا أَتَعَجِّبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) قالت سارة : ما آية ذلك ؟ قال : فأخذ بيده عودا يابسا ، فلواه بين أصابعه ، فاهتز أخضر ، فقال إبراهيم : هو الله إذن ذبيحا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فضحكت ، يعني سارة لما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشروها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، بابن ، وبابن ابن ، فقالت وصكّت وجهها ، يقال : ضربت على جبينها (يَا وَيْلَتَا أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ !) . . . إلى قوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) .
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء العراق والحجاز ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، برفع يعقوب ، ويعيد ابتداء الكلام بقوله (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وذلك وإن كان خبرا مبتدأ ، ففيه دلالة على معنى التبشير ، وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة والشام (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) نصبا ، فأما الشائئ منهما ، فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب ، بإضمار فعل آخر مشاكل للإشارة ، كأنه قال : ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب ، فلما لم يظهر وهبنا ، عمل فيه التبشير ، وعطف به على موضع إسحاق ، إذ كان إسحاق وإن كان مخفوضا ، فإنه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه ، كما قال الشاعر :

جِئْنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمْ أَوْ مِثْلِ أُسْرَةِ مَنظُورِ بْنِ سَيَّارٍ
أَوْ عَامِرِ بْنِ طَقَيْسٍ فِي مُرْكَبِهِ أَوْ حَارِثًا يَوْمَ نَادَى الْقَوْمُ يَا حَارِثًا

(١) البيتان واضحان المعنى . وقد استشهد بهما المؤلف على أن حارثا منصوب بالعطف على المجرور قبله ، وهو عامر وما قبله ، لأنه في معنى المنصوب ، كأنه قال . اذكر عامر بن طفيل أو حارثا ؛ « واذكر » في معنى : « جئني بمثل » وإن لم يكن في لفظه ، ولذلك جاز عطف المنصوب على المجرور على هذا التأويل .

وأما الكوفيّ منهما فإنه قرأه بتأويل الخفض، فيما ذُكِرَ عنه، غير أنه نصبه، لأنه لا يُجْرَى، وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية، من أجل دخول الصفة^١ بين حرف العطف والاسم، وقالوا: خطأ أن يقال: مررت بعمرو في الدار، وفي الدار زيد، وأنت عاطف بزيد على عمرو، إلا بتكرير الباء وإعادتها، فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع، وجاز النصب، فإن قدم الاسم على الصفة^١ جاز حينئذ الخفض، وذلك إذا قلت: مررت بعمرو في الدار، وزيد في البيت، وقد أجاز الخفض والصفة^١ معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويي البصرة.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي: قراءة من قرأه رفعا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية، وما عليه قراءة الأمصار، فأما النصب فيه، فإن له وجهها، غير أني لأحب القراءة به، لأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب، والذي هو أولى بالعلم بالذي نزل به من الفصاحة.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَوَيْلَ لَيْسَ بَأَلِدٍ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ! (٧٢) قَالُوا:

أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ؟ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)

يقول تعالى ذكره: قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق أنها تلد، تعجبا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء، وقيل: لأنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة سنة. وقد ذُكِرَت الرواية فيما روى في ذلك عن مجاهد قبل.

وأما ابن إسحاق، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت سارة يوم بشرت بإسحاق فيما ذُكِرَ لي بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة، (يا وَيَلْتَا) وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، والاستنكار للشيء، فيقولون عند التعجب: ويل امه رجلا ما أرجله!

وقد اختلف أهل العربية في هذه الألف التي في: يا ويلتا، فقال بعض نحويي البصرة: هذه ألف حقيقة، إذا وقفت قلت: يا ويلتاه، وهي مثل ألف النُدْبَةِ، فلطفت من أن تكون في السكت، وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد في الصوت، وذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين، كان لها صدى كندحو الصوت يكون في جوف الشيء، فيتردد فيه، فتكون أكثر وأبين. وقال غيره: هذه ألف النُدْبَةِ، فإذا وقفت عليها فجائز، وإن وقفت على الهاء فجائز، وقال: الأتري أنهم قد وقفوا على قوله (وَيَدْعُوا الْإِنْسَانَ) فحذفوا الواو وأثبتوها، وكذلك (ما كُنَّا تَبَعِي) بالياء، وغير الياء، قال: وهذا أقوى من ألف النُدْبَةِ وهاتها.

(١) الصفة: يريد الجار والمجرور في قوله: «وفي الدار زيد».

والصواب من القول في ذلك عندي: أن هذه الألف ألف الندبة، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز في الكلام، لاستعمال العرب ذلك في كلامهم.

وقوله (ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) تقول: أنى يكون لى ولد وأنا عجوز؟ (وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا) والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمى بذلك لأنه قيمٌ أمرها، كما سموا مالك الشيء بعله، وكما قالوا للنخل التي تستغنى بماء السماء عن سقى ماء الأنهار والعيون البعل، لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل بماء السماء حياته. وقوله (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) يقول: إن كون الولد من مثلى ومثل بعلى على السن التي بها نحن لشيء عجيب (قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يقول الله تعالى ذكره: قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاءه الله فيك وفي بعلك؟ وقوله (رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم، وجعلت الألف واللام خلفا من الإضافة. وقوله (إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ) يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه، مجيد، يقول: ذو مجد ومدح وثناء كريم، يقال في فعل منه: مجد الرجل بمجد مجادة إذا صار كذلك، وإذا أردت أنك مدحته قلت: مجدته تمجيذا.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
حَلِيمٌ أَوْاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)

يقول تعالى ذكره: فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وأمن أن يكون قُصِدَ في نفسه وأهله بسوء، وجاءته البشري بإسحاق، ظل يجادلنا في قوم لوط.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) يقول: ذهب عنه الخوف (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق، ويعقوب ولد من صلب إسحاق، وأمن مما كان يخاف، قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) وقد قيل: معنى ذلك: وجاءته البشري، أنهم ليسوا إياه يريدون.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) قال: حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وأنهم ليسوا إياه يريدون.

قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، وقال آخرون : بشر بإسحاق .
وأما الرَّوْعُ : فهو الخوف ، يقال منه : راعى كذا يرُوْعى رَوْعًا : إذا خافه ، ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم « كيف لك برَوْعة المؤمن » ومنه قول عنترة :
ما رَاعَيْتَنِي إِلَّا مَحْمُولَةً أَهْلِهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الحِمْمِخِمِ
بمعنى : ما أفرغني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الرَّوْعُ :
الفرق .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ثنا
إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا ذَهَبَ عَن
إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرق .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ
عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) قال : الفرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ)
قال : ذهب عنه الخوف .

وقوله (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) يقول : يخاصمنا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(يُجَادِلُنَا) : يخاصمنا .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة : أن معنى قوله (يُجَادِلُنَا) : يكلّمنا ، وقال : لأن إبراهيم لا يجادل
الله ، إنما يسأله ويطلب منه ، وهذا من الكلام جهل ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم
لوط ، فتقول القائل : إبراهيم لا يجادل ، موهما بذلك أن قول من قال في تأويل قوله (يُجَادِلُنَا) : يخاصمنا ،
أن إبراهيم كان يخاصم ربه ، جهل من الكلام ، وإنما كان جداله الرسل على وجه الحاجة لهم . ومعنى ذلك :
وجاءته البشرى يجادل رسلنا ، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل .

(١) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي ، من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا) طبعة شركة مصطفي
البابلي الحلبي وأولاده بالقاهرة (الطبعة الثانية ص ٣٧١) . ورأى : أفرغني ، من الروع بالفتح ، وهو الفزع . والمحمولة ، بفتح
الحاء : الإبل التي تطلق الحمل عليها . والحميم ، بكسر الحاءين : ثبت تعلفه الإبل . يقول : ما أنذرتني بارتجالها ، إلا انقضاء مدة الانتجاع
والكلأ ، وعلامة ذلك سف الإبل حب الحميم ، لأنها لم تجد الكلأ ، ووقوفها وسط الديار ، ولم تخرج إلى المرعى كعادتها في الربيع -
جعل ذلك كناية عن قرب العودة إلى الوطن .

وكان جداله إياهم كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القسُمي، قال: ثنا جعفر، عن سعيد: (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) قال: لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لإبراهيم (إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) قال لهم إبراهيم: أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها ثلاث مائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكت عنهم واطمأنت نفسه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحِمَاني، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: قال الملك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصلون، رُفِعَ عنهم العذاب. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ): ذُكِرَ لَنَا أَنْ مَجَادَلْتَهُ: إِيَّاهُمْ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَعَدَّ بَوَّاهَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، حَتَّى صَارَ ذَلِكَ إِلَى عَشْرَةٍ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا عَشْرَةٌ أَمَعَدَّ بَوَّاهُمْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، وَهِيَ ثَلَاثُ قُرَى، فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْعَدَدِ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) قال: بلغنا أنه قال لهم يومئذ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَمْسُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ لَمْ نَعْدَبِهِمْ، قَالَ: أَرَبَعُونَ، قَالُوا: وَأَرَبَعُونَ، قَالَ: ثَلَاثُونَ، قَالُوا: ثَلَاثُونَ، حَتَّى بَلَغَ عَشْرَةَ، قَالُوا: وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ عَشْرَةٌ، قَالَ: مَا قَوْمٌ لَا يَكُونُ فِيهِمْ عَشْرَةٌ فِيهِمْ خَيْرٌ. قال ابن عبد الأعلى، قال محمد بن ثور: قال معمر: بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان، أو ما شاء الله من ذلك.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَ تَهُ الْبُشْرَى - قَالَ مَا خَطَبْتُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فجادلهم في قوم لوط، قال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا مِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَهْلِكُونَهُمْ؟ قَالُوا: فَلَمْ يَزَلْ يَحِطُّ حَتَّى بَلَغَ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: لَأَعْدَبَهُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ عَشْرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَالُوا: يَا إِبْرَاهِيمَ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا، إِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ لُوطٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) فقالت الملائكة (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَ تَهُ الْبُشْرَى) يعني: لإبراهيم جادل عن قوم لوط، ليردّ عنهم العذاب، قال: فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم، حين جادلهم في قوم لوط، ليردّ عنهم العذاب، إنما قال لارسل فيما يكلمهم به: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ مِئَةٌ مُؤْمِنٍ أَهْلِكُونَهُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُوا تِسْعِينَ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُوا ثَمَانِينَ؟

قالوا : لا ، قال : أفرايتم إن كانوا سبعين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرايتم إن كانوا خمسين ؟ قالوا : لا ، قال : أفرايتم إن كان رجلا واحدا مسلما ؟ قالوا : لا ، قال : فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمنا واحدا : (قَالَ : إِنْ فِيهَا لُوطًا) يَدْفَعُ بِهِ عَنْهُمْ الْعَذَابَ (قَالُوا تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) قالوا : يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال إبراهيم : أتهلكونهم إن وجدتم فيها ميثة مؤمن ، ثم تسعين ، حتى هبط إلى خمسة ، قال : وكان في قرية لوط أربعة آلاف ألف .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيب الأشجعي ، قالوا (لَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) . . . إلى آخر الآية ، قال إبراهيم : أتعدب عالما من عالمك كثيرا فيهم مئة رجل ؟ قال : لا ، وعزتي ، ولا خمسين ، قال : فأربعين ، فثلاثين ، حتى انتهى إلى خمسة ؟ قال : لا ، وعزتي ، لأعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونني ، قال الله عز وجل (فَمَّا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أى لوطا وابنتيه ، قال : فحل بهم من العذاب ، قال الله عز وجل (وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) . وقال (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) ، والعرب لا تكاد تتلى « لَمَّا » إذا وليها فعل ماض ، إلا بماض ، يقولون : لما قام قمت ، ولا يكادون يقولون : لما قام أقوم ، وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال ، فيقولون في ذلك : لما لقيته أقاتله ، بمعنى : جعلت أقاتله .

وقوله (إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَخَلِيمٌ أَوْاهُ مُنِيبٌ) يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم لبطيء الغضب متذلل لربه خاشع له ، منقاد لأمره ، منيب رجاء إلى طاعته .
كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (أَوْاهُ مُنِيبٌ) قال : القانت : الرجاء ، وقد بينا معنى الأواه فيما مضى ، باختلاف المختلفين ، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا؛ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ؛ وَإِنَّهُمْ لَأْتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لإبراهيم : (يا إبراهيم أعرض عن هذا) ، وذلك قيلهم له حين جادلهم في قوم لوط ، فقالوا : دع عنك الجدال في أمرهم ، والخصومة فيه ، (فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) بعدابهم ، وحق عليهم كلمة العذاب ، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء ، (وَإِنَّهُمْ لَأْتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) يقول : وإن قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع . وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه ، عن ذلك عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ، وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)

يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطا، ساءه بمجيئهم، وهو فعل من السوء. وضاق بهم: بمجيئهم. ذرعا: يقول: وضافت نفسه نغما بمجيئهم، وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه بمجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاقت من أجل ذلك بمجيئهم ذرعا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ).
وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) يقول: ساء ظنا بقومه، وضاق ذرعا بأضيافه. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن حذيفة: أنه قال: لما جاءت الرسل لوطا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهد لوط، قال: فأتوه فقالوا: إنا متضيفوك الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعة التفت، فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية، والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسا أحبب منهم. قال: فضى معهم، ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته، انطلقت فأندرتهم.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال حذيفة، فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال: أتت الملائكة لوطا وهو في مزرعة له، وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربع شهادات، فقد أذنت لكم في هلكتهم، فقالوا: يا لوط إنا نريد أن نضيفك الليلة، فقال: وما بلغكم من أمرهم؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا، يقول ذلك أربع مرآت، فشهد عليهم لوط أربع شهادات، فدخلوا معه منزله.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى ريثا، والصغرى زغرنا، فقالوا لها يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فكانكم، لا تدخلوا حتى آتيكم، فبرقت عليهم من قومها، فأتت أباهما، فقالت: يا أبتاه، أراك فتيان على باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، وقد كان قومه تهوه أن يضيف رجلا، فقالوا: نخل عنا فلنضيف الرجال، فجاء بهم، فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط،

(١) في عرائس المجالس للتعليبي (قصص الأنبياء) طبعة الحلبي ص ١٠٤ «غيث».

فخرجت امرأته ، فأخبرت قومها ، قالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة ، فلما جاءت الرسل لوطا ساء بهم ، (وَصَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا) وذلك من تخوف قومه عليهم ، أن يفضحوه في ضيفه ، فقال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) .
وأما قوله (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) فإنه يقول : وقال لوط : هذا اليوم يوم شديد شره ، عظيم بلاؤه ، يقال منه : عَصَبَ يَوْمًا هَذَا يَعَصِبُ عَصَبًا ، ومنه قول عدى بن زيد :

وَكُنْتُ لِرِزَازِ خَصْمِكَ لَمْ أُعْرَدْ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ ١
وقول الراجز :

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعَصِبُ الْأَبْطَالَ عَصَبَ الْقَوَى السَّلْمَ الطَّوَالًا ٢
وقول الآخر :

وَإِنَّكَ إِلَّا تَرْضَى بِكَرْبِنِ وَائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبٌ ٣
وقال كعب بن جعيل :

وَيُلَبِّثُونَ بِالْحَضِيصِ فِئَامٌ عَارِفَاتٌ مِنْهُ بِيَوْمٍ عَصِيبٍ ٤
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : عَصِيبٌ : شديد .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) يقول شديد .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أى يوم بلاء وشدة .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد .

(١) في اللسان : يقال : فلان لزاز : خصم ، وجعلت فلانا لزازا لفلان : أى لا يدعه يخالف ولا يعاند . وأصل اللزاز : ما يترس به الباب . وعرد الرجل عن قرنه : إذا أحجم وتكل . والتعريد : الفرار ، وقيل سرعة الذهاب في الهزيمة . ويقال : عرد فلان بجاجتنا : إذ لم يقضها . وسلوك : أدخلوك . يقال : سلكت الشيء في الشيء فانسلت ، أى أدخلته فيه فدخل . وقال عدى ابن زيد : وكنت لزاز . . . الخ . والعصيب : الشديد ، وهو من عصب كضرب . قال الراجز : يصح أن يكون بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، أى يوم مجموع الأطراف ، كقولهم يوم ككفة حابل ، وحلقة خاتم .

(٢) العَصِيبُ : الذى اشتد فيه جهد الناس . يقال عصبه الجهد يعصبه : إذا اشتد عليه ، والقوى : الرجل الشديد . والسلم : جمع سلمة : وهى شجرة من الغضاه ذات شوك وورقها القرظ الذى يدبغ به الأديم ، ويعسر خرط ورقها لكثرة شوكها ، فتعصب أغصانها بأن تجمع ، ويشد بعضها إلى بعض بحبل ، شدا شديدا ، ثم يهرسها الخابط إليه ، ويخطبها بمصاه ، فيتناثر ورقها للماشية ، ولمن أراد جمعه . شبه الشاعر الجهد الذى يصيب الأبطال يوم النزال ، بعصب الرجل القوى السلم الطوال .

(٣) هذا الشاهد كالشاهدين قبله فى أن معنى اليوم العَصِيبُ الشديد شره . يقول : إذا لم تفعل ما ترضاه قبيلة بكر بن وائل ، فلا بد أن تلقى منهم يوما شديد الشر ، وكانت بكر بن وائل تسكن العراق أو قريباته .

(٤) الفئام : الجماعات . قال الجوهري : لا واحد له من لفظه ، يقال : عند فلان فئام من الناس ، وهى الجماعة الكثيرة . والحضيض : القرار من الأرض ، عند منقطع الجبل . والشاهد فى قوله : عَصِيبٌ : أى شديد شره .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) : أي يوم شديد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَإِنَّ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ : يَقَوْمٌ هُوَ لَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا فِي صِنْفِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : وجاء لوطا قومه يستحثون إليه ، يهرعون مع سرعة المشى ، مما بهم من طلب الفاحشة ، يقال : أهرع الرجل من برد أو غضب أو حمى : إذا أُرعد وهو مُهْرِع ، إذا كان مُعْجَلًا حريصًا ، كما قال الراجز :

بِمُعْجَلَاتٍ نَحْوَهُ مَهَارِعُ !
ومنه قول مهلهل :

فجاءوا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أُسَارَى نَقُودُهُمْ عَلَى رَغْمِ الْأُنُوفِ ؟
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يُهْرَوِلُونَ ، وهو الإسراع في المشى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يسعون إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : فأتوه يُهْرَعُونَ إليه ، يقول : سراعًا إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يُسْرَعُونَ إليه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يقول : يسرعون المشى إليه .

(١) في اللسان : يقال : أهرع الرجل : خف وأرعد من سرعة أو خوف أو حرص أو غضب أو حمى . وفي التنزيل : « وجاءه قومه يهرعون إليه » أي يستحثون إليه ، كأنه يحث بعضهم بعضًا . قال الكسائي : الإهراع : إسرار في زعدة ، يقال : هرعوا وأهرعوا . وقال أبو عبيد : أهرع الرجل إهراعًا : إذا أتاك وهو يرعد من البرد . وقد يكون مهرعًا من الحمى والغضب وهو حين يرعد . والمهرع أيضًا كالحريص . ومهراع : جمع مهرع .

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة ، أنشده صاحب اللسان (هرع) قال : قال الليث : يهرعون وهم أسارى : يساقون ويعجلون . يقال هرعوا وأهرعوا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يهرولون في المشى .

قال سفیان : (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) : يسرعون إليه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : قال سفیان بن عيينة في قوله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : كأنهم يدفَعون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : أقبلوا يسرعون مشيا بين المرولة والجمز .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يقول : مسرعين .

وقوله (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) يقول : من قبل مجيئهم إلى لوط ، كانوا يأتون الرجال في أديارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) قال : يأتون الرجال .

وقوله (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي) يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاؤا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء يا قوم بناتي ، يعني نساء أمته ، فانكحوهن (فَهِنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم لوط بتزويج النساء ، وقال : هن أطهر لكم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وبلغني هذا أيضا ، عن مجاهد ، حدثنا ابن وكيع ، عن سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبي أبو أمته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، لم يعرض عليهم سفاحا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو بشر ، سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : ما عرض عليهم نكاحا ولا سفاحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، وأراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يبي أضيافه ببناته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) (يعني التزويج .

حدثني أبو جعفر ، عن الربيع ، في قوله (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) (يعني التزويج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا محمد بن شبيب الزهراني

(١) المراد ببناته : نساء أمته ، لأنه كالأب لمن ، ولم يرد بناته لصلبه فكانه قال : أمامكم بنات أمي فتزوجوهن .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قول لوط (هَوْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) ، يعني : نساؤهم هن بناته هو نبيهم ، وقال في بعض القراءة (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) وهو أب لهم .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قالوا : أو لم نهك أن تُصَيِّفَ العالمين ، قال (هَوْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) إن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم يهرعون إليه ، فيزعمون والله أعلم أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم ، وقالت : إن عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قط منهم ، وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء ، فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، فلما جاءوه قالوا (أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) أي ألم نقل لك : لا يقربنك أحد ، فإننا لن نجد عندك أحدا إلا فعلنا به الفاحشة (قَالَ يَا قَوْمِ هَوْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فأنا أفدى ضيفي منكم بهن ، ولم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (هَوْلَاءِ بَنَاتِي) قال : النساء .

واختلفت القراء في قراءة قوله (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) ؛ فقرأته عامة القراء برفع أظهر ، على أن جعلوا هن أسما ، وأظهر خبره ، كأنه قيل : بناتي أظهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال . وذكر عن عيسى بن عمر البصري أنه كان يقرأ ذلك : هن أظهر لكم بنصب أظهر . وكان بعض نحوي البصرة يقول : هذا لا يكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغنى عن الخبر ، إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ، ويكون قوله : هن ، عمادا للفعل ، فلا يُعْمَلُ . وقال آخر منهم : مسموع من العرب : هذا زيد إياه بعينه ، قال : فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك : كان عبد الله إياه بعينه ، قال : وإنما لم يجوز أن يقع الفعل ههنا ، لأن التقريب ردّ كلام ، فلم يجتمعا ، لأنه يتناقض ، لأن ذلك إخبار عن معهود ، وهذا إخبار عن ابتداء ما هو فيه ، ها أنا ذا حاضر ، وزيد هو العالم ، فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر ، فلذلك لم يجوز . والقراءة التي لا أستجيز خلافها في ذلك : الرفع (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه ، مع صحته في العربية ، وبعُدُ النصب فيه من الصحة .

وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) يقول : فاحشوا الله أيها الناس ، واحذروا عقابه في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها . (وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي) يقول : ولا تُنْذِرُونِي بِأَنْ تَرْكَبُوا مِنِّي فِي ضَيْفِي مَا يَكْرَهُونَ أَنْ تَرْكَبُوهُ مِنْهُمْ ، والضيف في لفظ واحد في هذا الموضع بمعنى جمع ، والعرب تسمى الواحد والجمع ضيفا ، بلفظ واحد ، كما قالوا : رجل عدل ، وقوم عدل .

وقوله (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟) يقول: أليس منكم رجل ذو رشد يَهْتَبِي من أراد ركوب الفاحشة من ضيفي ، فيحول بينهم وبين ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُوا فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) أي رجل يعرف الحق ، ويهتبي عن المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : قال قوم لوط لوط (لَقَدْ عَلِمْتُمْ) بالوط (مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ) ، لأنهن لسن لنا أزواجا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال قالوا (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ) : أي من أزواج ، (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) يقول : قالوا : وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك ، وأن الذي نريد هو ما تنهانا عنه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) إنا نريد الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) : أي إن بُعِثْنَا لغير ذلك ، فلما لم يتناهوا ، ولم يردّهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمور بناته (قَالَ لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاءوا له من طلب الفاحشة ، وأيسر من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ) بأنصار تنصرني عليكم ، وأعوان تعينني (أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيائي ، وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

- حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال لوط (لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) يقول : إلى جند شديد لقاتلتكم .
- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشيرة .
- حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : العشيرة .
- حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : إلى ركن من الناس .
- حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : بلغنا أنه لم يبعث نبي بعد لوط إلا في ثروة من قومه ، حتى النبي صلى الله عليه وسلم ^١ .
- حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أي عشيرة تمنعني ، أو شيعة تنصرتني لحلت بينكم وبين هذا .
- حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : يعني به العشيرة .
- حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت (لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » ^٢ .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ أَخِي لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، فَلَأَيُّ شَيْءٍ اسْتَكَانَ » .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ لَوَّ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » قال محمد : والثروة : الكثرة والمنعة .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .
- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

(١) يؤيد ذلك ما فعله عماء عبد المطلب وجزرة ، من إمامة عنه ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) يريد صلى الله عليه وسلم أن الله كان ناصره ومؤيده ، فهو ركنه الشديد ، وسنده القوى .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، فذكر مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن محمد ، بن عمرو عن ، أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله (أو آوى إلى ركن شديد) « قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » ، « يعنى الله تبارك وتعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن أبي عمير ، عن أبي يونس ، سمع أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا ، فَإِنَّهُ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » . قال : ثنا ابن أبي مريم سعيد بن عبد الحكم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ، أَوْ أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا إِنَّهُ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بَعْدَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ . يُقَالُ : مِنْ أَوْى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ : أَوَيْتَ إِلَيْكَ ، فَأَنَا آوَيْتُ إِلَيْكَ أَوْ يَا بَعْضِي صَرْتُ إِلَيْكَ وَانضَمَمْتُ ، كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ :

يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ فِي عَسَدٍ طَيْسٍ وَمَجْدٍ بَانَ

وقيل : إن لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال لوط (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَيْتُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فَوَجَدَ عَلَيْهِ الرُّسُلَ ، وَقَالُوا : إِنَّ رُكْنَكَ لَشَدِيدٌ .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَاسْرِبْ بِهَاتِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ

(١) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٢٩٤) وقال : الطيس : الكثير ، يقال : أتانا بلبن طيس ، وشراب طيس : أى كثير . وفي اللسان : (طيس) الطيس : الكثير من الطعام والشراب والماء ، والعدد الكثير ، وقيل : هو الكثير من كل شيء . والمجد الباني : المجد الضخم العالى .

مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟ (٨١)

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) ورأوا ما لَتِي من الكرب بسببهم منهم (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) أَرْسَلْنَا لِأَهْلِكَ مِنْهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ، وَإِلَىٰ ضَيْفِكَ بِمَكْرِهِ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ الْأَمْرَ (فَأَسْرَىٰ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) يقول: فأخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل، يقال منه: أسرى وأسرى، وذلك إذا سار بليل. (وَلَا يَلْتَمِسُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ).

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَأَسْرَى) فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين (فَأَسْرَى) وصل، بغير همز الألف من سرى. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة (فَأَسْرَى) بهمز الألف، من أسرى، والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحد منهما أهل قُدُوءة في القراءة، وهما لغتان مشهورتان في العرب، معناهما واحد، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب في ذلك.

وأما قوله (إِلَّا امْرَأَتَكَ) فإن عامة القراء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرءوا بالنصب (إِلَّا امْرَأَتَكَ) بتأويل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، وعلى أن لوطاً أمير أن يُسْرَى بأهله سوى زوجته، فإنه نُهِيَ أن يُسْرَى بها، وأمر بتخليفها مع قومها. وقرأ ذلك بعض البصريين (إِلَّا امْرَأَتَكَ) رفعا، بمعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، فإن لوطاً قد أخرجها معه، وإنه نُهِيَ لوط ومن معه ممن أسرى معه، أن يلتفت سوى زوجته، وإنما التفتت، فهلكت لذلك.

وقوله (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب. (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح، فاستبطأ ذلك منهم لوط، وقال لهم: بل عجلوا لهم الهلاك، فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ): أي عند الصبح نزول العذاب بهم. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ): أي إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه، فامض لما تؤمر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: فضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، فلما أتوا لوطاً، وكان من أمرهم ما ذكر الله، قال جبرئيل للوط: (يَا لُوطُ إِنَّا مَهْلِكُوكُمْ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) فقال لهم لوط: أهلكوهم الساعة، فقال له جبرئيل عليه السلام: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟) فأنزلت على لوط (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟) قال: فأمره أن يُسْرَى بأهله بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَلَا يَلْتَمِسُ مِنْكُمْ أَحَدٌ، إِلَّا امْرَأَتَهُ، قال: فسار، فلما كانت الساعة التي

أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ، فجعل عليها سافلها ، وأمطر عليها حجارة من سجيل ، قال : وسمعت امرأة لوط الهذبة^١ ، فقالت : واقوماه ، فأدركها حجر فقتلها . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته أن لاتذبح شيئا من سر أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ، رأتهم في صورة لم تر مثلها قط ، فانطلقت تسعى إلى قومها ، فأنت النادی ، فقالت بيدها^٢ هكذا ، وأقبلوا يهرعون مشيا بين الهرولة والجمز^٣ ؛ فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط : ما قال الله في كتابه ، قال جبرئيل (يا لوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، فجعلوا يطلبونهم ، يلمسون ؛ الحيطان وهم لا يبصرون . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة ، قال : لما بصرت بهم : يعنى بالرسول : عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم فقالت : إنه تَصَيَّفَ لوطا قوم مارأيت قوما أحسن وجوها^٤ ، قال : ولا أعلمه إلا قالت : ولا أشدَّ بياضا ، وأطيب ريحا ، قال : فاتوه يهرعون إليه ، كما قال الله ، فأصفق لوط الباب ، قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفتهم بجناحه ، فتركهم عميانا يترددون في أخبث ليلة ما أنت عليهم قط ، فأخبروه (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ فَاسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : ولقد ذكِّر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت ، فالتفت ، وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها .

وقوله (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) فأراد نبي الله ما هو أعجل من ذلك ، فقالوا أليس الصبح بقريب ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي^٥ ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته ، يعنى امرأة لوط حين رأتهم ، يعنى حين رأت الرسل إلى قومها ، فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوها ، ولا أطيّب ريحا ، فجاءوا يهرعون إليه ، فبادرهم لوط إلى أن يزعجهم على الباب ، فقال (هؤُلاءِ بسائى إن كنستم فاعلين) ، فقالوا (أولم ننهك عن العالمين) فدخلوا على الملائكة ، فتناولتهم الملائكة ، وطمست أعينهم ، فقالوا : يا لوط جئنا بقوم سخرة سحرنا كما أنت حتى تصبح ، قال : واحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مئة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض ، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكهم ، ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ، ذهب عجزه ، عجوز السوء ، فأنت قومها ، فقالت : لقد تَصَيَّفَ لوطا الليلة قوم ما رأيت قوما قط أحسن وجوها منهم ، قال : فجاءوا يسرعون ، فعاجلهم لوط ، فقام ملك فلز الباب ، يقول : فسده ، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فضر بهم جبرئيل بجناحه ، فتركهم عميانا فباتوا ،

(١) الهذبة : صوت انقضاض أبنيتهم . (٢) قالت بيدها : حركتها وأشارت بها .

(٣) الهرولة : مثنى سريع يقرب من الجرى ، والجمز : عدو ليس بالشديد جدا . (٤) لمس : من بابي قتل وضرب .

(٥) أى أحسن وجوها منهم . (٦) أصفق الباب : أغلقه أو رده . (٧) الملائي : كذا كتبه الخزرجي في الخلاصة .

بشر ليلة ، ثم (قالوا إنا رُسُلُ رَبِّكَ ، فَأَسْرُ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ) قال : فبلغنا أنها سمعت صوتا ، فالتفت فأصابها حجر ، وهي شاذة من القوم ، معلوم مكانها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بنحوه ، إلا أنه قال : فعاجلهم لوط .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال لوط (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) بسط حينئذ جبريل عليه السلام جناحيه ، ففقا أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في أديبار بعض عميانا ، يقولون النجاء النجاء ، فإن في بيت لوط أبحر قوم في الأرض ، فذلك قوله (وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) وقالوا للوط : (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا) واتبع أديبار أهلك ، يقول : سر بهم ، (وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) فأخرجهم الله إلى الشام ، وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ، فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته ، فذلك قوله (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه ؛ فلما بشروا سارة بالولد ، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشي ، قال : أخبروني لم بعثتم وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لنندمهم ، وإنهم قوم سوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء ، قال إبراهيم : إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا ، قالوا : إذن لانعذبهم ، فجعل ينقص حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيها بيت صالح ؟ قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ، ومضوا إلى أهل سدوم ، فدخلوا على لوط ؛ فلما رأتهم امرأته أعجبتهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية : إنه قد نزل بنا قوم لم يسر قوم قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية ، وتسوروا عليهم الجدران ، فلقبهم لوط ، فقال : يا قوم لانفضحون في ضيفي ، وأنا أزوجهم بناتي ، فهن أطهر لكم ، فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) فوجد عليه الرسل ، وقالوا : إن ركنك لشديد (وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) ففسح أحدهم أعينهم بجناحيه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في كتابه ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه ، حتى بلغ أسفل الأرض ، فقلبها ، ونزلت حجارة من السماء ، فاتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا ، فأهلكهم الله ، ونجى لوطا وأهله ، إلا امرأته :

(١) عاجلهم : أي تعجل بطلب العذاب لقومه لإهلاكهم ، كما هو واضح من حديث السدي بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وعن أبي بكر بن عبد الله وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة دخل حديث بعضهم في بعض ، قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول : وَيُحْكَمُ أَنهَاكُمْ عن الله أن تَعَرَّضُوا لعقوبته ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله نحلّ عذابهم ، وسطوات الربّ بهم ، قال : فأنهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلى الضيافة ، فقالوا إنا مضيّفوك الليلة ، وكان الله تعالى عهد إلى جبريل عليه السلام أن لا تعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ؛ فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشرّ والدواهي العظام ، فشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض شرّاً منهم ، أين أذهب بكم إلى قومي ، وهم شرّ خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة ، فقال : احفظوا ، هذه واحدة ، ثم مشى ساعة ؛ فلما توسط القرية وأشفق عليهم ، واستحيا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ وما أعلم على وجه الأرض شرّاً منهم ، إن قومي شرّ خلق الله ، فالتفت جبرئيل إلى الملائكة ، فقال : احفظوا ، هاتان اثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم ، وشفقة عليهم ، وقال : إن قومي شرّ خلق الله ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرّاً منهم ، فقال جبرئيل للملائكة : احفظوا ، هذه ثلاث قد حقّ العذاب ؛ فلما دخلوا ذهب عجزوه ، عجزوز السوء ، فصعدت ، فلوّحت بثوبها ، فأتاها الفسّاق يُهرعون سرعاً ، قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيّف لوط الليلة قوما ما رأيت أحسن وجوها منهم ، ولا أطيب ريحاً منهم ، فهرعوا مسارعين إلى الباب ، فعاجلهم لوط على الباب ، فدافعوه طويلاً ، هو داخل ، وهم خارج ، يناشدهم الله ويقول (هُوَ لَاءِ بَسَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) فقام الملك فلزّ الباب ، يقول : فسده ، واستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن الله له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه ، ولجبرئيل جناحان ، وعليه وشاح من درّ منظوم ، وهو برّاق الثنايا ، أجلى الجبين ، ورأسه حُبُّك حُبُّك ، مثل المرجان ، وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج ، وقدماه إلى الخضرة ، فقال : (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) امض يا لوط من الباب ، ودعني وإياهم ، فتنحى لوط عن الباب ، فخرج عليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم ، فصاروا عمياً ، لا يعرفون الطريق ، ولا يهتدون إلى بيوتهم ، ثم أمر لوطاً ، فاحتمل بأهله من ليلته ، قال (فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لوط لقومه (لَوْ أَنِّي بِيكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) والرسل تسمع ما يقول وما يقال له ، ويرون ما هو فيه من كرب ذلك ؛ فلما رأوا ما بلغه (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) أي بشيء تكرهه (فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ ، إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ، إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) ؟ أي إنما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث ، أن الرسل عند ذلك

سَمِعُوا فِي وُجُوهِ الَّذِينَ جَاءُوا لوطاً من قومه ، يراودونه عن ضيفه ، فرجعوا عياناً ، قال : يقول الله : (وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : بطائفة من الليل .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) بطائفة من الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ) قال : جوف الليل .
وقوله (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) يقول : واتبع أدبار أهلك ، ولا يلتفت منكم أحد .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) قال : لا ينظر وراءه أحد (إِلَّا امْرَأَتَكَ) . ورؤي عن عبد الله ابن مسعود أنه كان يقرأ (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ) .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال في حرف ابن مسعود (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ) . وهذا يدل على صحة القراءة بالنصب .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ مِّنْ مَّوْءٍ مُّسْوَمَةٍ
عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء أمرنا بالعداب ، وقضائنا فيهم بالهلاك (جَعَلْنَا عَالِيَهَا) يعني عالي قرينهم (سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا) يقول : وأرسلنا عليها (حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ) .
واختلف أهل التأويل في معنى سجيل ، فقال بعضهم : هو بالفارسية سنك وكل .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مِّنْ سِجِّيلٍ) بالفارسية ، أولها حجر ، وآخرها طين .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ)
قال : فارسية أعربت سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : السجيل : الطين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مِّنْ سِجِّيلٍ)
قالا من طين .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد ، عن
وهب قال : سجيل بالفارسية : سنك وكل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ)
أما السجيل فقال ابن عباس : هو بالفارسية : سنك وجل ، سنك : هو الحجر ، وجل هو الطين ، يقول :
أرسلنا عليهم حجارة من طين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حِجَارَةٌ
مِّنْ سِجِّيلٍ) قال : طين في حجارة .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله
(حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ) قال : السماء الدنيا . قال : والسماء الدنيا اسمها سجيل ، وهي التي أنزل الله على قوم
لوط . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : السجيل ، هو من الحجارة : الصلب الشديد ،
ومن الضرب ، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر :

ضَرَبًا تَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّيلًا

وقال بعضهم : تحوّل اللام نونا ، وقال آخر منهم : هو فعيل من قول القائل : أجبته : أرسلته ، فكأنه من
ذلك : أي مرسلة عليهم . وقال آخر منهم : بل هو من سبكت له سبلا من العطاء ، فكأنه قيل : منحوا ذلك
البلاء فأعطوه ، وقالوا أجبته : أهمله . وقال بعضهم : هو من السجيل ، لأنه كان فيها علم كالكتاب . وقال
آخر منهم : بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجر ، وينشد بيت الفضل بن عباس :

مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جِدًّا يَمَلُّ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

فهذا من سبكت له سبلا : أعطيته .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون ، وهو أنها من طين ، وبذلك وصفها الله في كتابه
في موضع ، وذلك قوله (لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِّنْ طِينٍ ، مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُؤَسَّرِينَ) .
وقد روى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول : هي فارسية ونبطية .

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب (السان : سجل) وأشد البيت . قال ابن بري : أصل المساجلة أن يستق ساقيان ،
فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، فضر به العرب مثلا للمفاخرة ، فإذا قيل فلان يساجل فلانا ،
فغناه أنه يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل فقد غلب ، وتساجلوا : أي تفاخروا ؛ ومنه قولهم : الحرب سجال .
والكرب : هو الجبل الذي يشد على الدلو بعد المنين ، وهو الجبل الأول ، فإذا انقطع المنين بق الكرب . والجمع : أكراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : فارسية ونبطية سج ايل ، فذهب سعيد بن جبير في ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية جل لا ايل ، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان سَجِيلَ لا سَجِيلَ ، لأن الحجر بالفارسية يدعى سِجَجَ والطين جل ، فلا وجه لكون الباء فيها وهي فارسية . وقد بينا الصواب من القول عندنا في أول الكتاب ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقد ذُكر عن الحسن البصري أنه قال : كان أصل الحجارة طينا ، فشددت .

وأما قوله (مَنْضُودٍ) فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مَنْضُودٍ) يقول : مصفوفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْضُودٍ) يقول : مصفوفة . وقال الربيع بن أنس فيه ، ما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله (مَنْضُودٍ) قال : نُضِدُ بعضه على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله : أما قوله (مَنْضُودٍ) فإنها في السماء منضودة : معدة ، وهي من عُدَّة الله التي أعدت للظلمة .

وقال بعضهم : منضود : يتبع بعضه بعضا عليهم ، قال : فذلك نُضِدُهُ .

والصواب من القول في ذلك : ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله (مَنْضُودٍ) من نعت سَجِيلَ ، لا من نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض فصير حجارة ، ولم يمتروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه ، وإنما كان جائزا أن يكون على ما تأوله هذا المتأول ، لو كان التنزيل بالنصب منضودة ، فيكون من نعت الحجارة حينئذ .

وأما قوله (مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه يقول : مُعَلِّمَةٌ عند الله ، أعلمها الله ، والمسومة من نعت الحجارة ، ولذلك نصبت ونعت بها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مُسَوِّمَةٌ) قال : مُعَلِّمَةٌ .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : مسومة : لاتشاكل حجارة الأرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (مُسَوِّمَةٌ)

قالا : مطوّقة ، بها نضح من حمرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُسَوِّمَةٌ) عليها سبيا معلومة ، حدث بعض من رآها أنها حجارة مطوّقة عليها ، أو بها نَضْح من حمرة ، ليست كحجارتكم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مُسَوِّمَةٌ) قال : عليها سبيا خطوط .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مُسَوِّمَةٌ) قال : المسوّمة : المختمة .

وأما قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) فإنه يقول تعالى ذكره مهتداً مشركي قريش : وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط ، من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمحطروها ، إن لم يتوبوا من شركهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو عتاب الدلال سهل بن حماد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : أن يصيبهم ما أصاب القوم .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : يُرْهِبُ بها من يشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : ما أجاز الله منها ظالماً بعد قوم لوط .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرّة بن ربیعة ، عن ابن شوذب ، عن قتادة ، في قوله (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) قال : يعني ظلمي هذه الأمة ، قال : والله ما أجاز منها ظالماً بعد .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) يقول : من ظلّمة العرب ، إن لم يتوبوا فيعدّوا بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله ، قال يقول (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) من ظلّمة أمتك ببعيد ، فلا يأمنها منهم ظالم .

وكان قلبُ الملائكةِ على أرض سدوم سافلها ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم .

حدثنا به أبو كريب مرةً أخرى عن مجاهد ، قال : أدخل جبرئيل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أسندهم بالجناح الأيمن ، فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ، ثم رفعها .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، كان يقول (فلَمَّا جاءَ أمرُنا جَعَلْنَا عاليَها سافِلَها) قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ، ففتقها من أركانها ، ثم أدخل جناحه ، ثم حملها على خوافي جناحه .

قال : ثنا شبيل ، قال : فحدثني هذا ابنُ أبي نجیح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابنُ أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : فحملها على خوافي جناحه بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبها ، فكان أولُ ماسقط منها شرفُها ، فذلك قول الله (جَعَلْنَا عاليَها سافِلَها ، وأمطرنا عليَها حجارةً من سجيلٍ) قال مجاهد : فلم يصب قوما ما أصابهم ، إن الله طمس على أعينهم ، ثم قلب قريتهم ، وأمطر عليهم حجارةً من سجيلٍ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ، ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغى كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعهم الحجارة ، قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جوف السماء ، حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شدان القوم صحرا ، قال : وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم ، وهي بين المدينة والشام . قال : وذُكِرَ لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف . وذُكِرَ لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يُشرف^٣ يقول : سدوم يوم مآلك !

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أصبحوا ، يعنى قوم لوط ، نزل جبرئيل ، فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا ، فذلك حين يقول (والمؤتفكة أهوى) المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الأرض ، فاقتلعها بجناحه ، فن لم يمت حين أسقط الأرض ، أمطر الله عليه ، وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذاً في الأرض ، وهو قول الله (فجَعَلْنَا عاليَها سافِلَها ، وأمطرنا عليَها حجارةً من سجيلٍ) ثم تبعهم في القرى ، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله ، وذلك قول الله تعالى (وأمطرنا عليَهم حجارةً من سجيلٍ) :

(١) ضواغى : جمع ضاغ ، يقال : ضغا الذئب والسنور والتعلب يصفو ضغوا وضغاه : صوت وضاح .

(٢) شدان القوم : من تفرق منهم .

(٣) يشرف : يرتفع على شيء عال ، وينظر إلى سدوم مرتقبا لها شرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم ، بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها ، فضمها في جناحه ، فحوها وطواها في جوف جناحه ، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا ، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم صعد قلبها ، فأرسلها إلى الأرض منكوسة : دمدم بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها بحجارة من سجيل . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، قال : ثني محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام ، التي كان لوط فيها ، فاحتلمها بجناحه ، ثم صعد بها ، حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها ، وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله (جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ) ، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وكن خمس قرى : صنعة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، وسدوم ، وسدوم هي القرية العظمى ، ونجى الله لوطا ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِنَّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)

يقول تعالى ذكره (وَ) أرسلنا (إلى) ولد (مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) ، فلما أتاهم (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ) يقول : أطيعوه ، وتذللوا له ، بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه . ما لكم من إله غيره : يقول : ما لكم من معبود سواه ، يستحق عليكم العبادة غيره (وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكياكم وميزانكم ، (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) . واختلف أهل التأويل في الخير الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به ، فقال بعضهم : كان ذلك رخص السعر ، وحذرهم غلاءه .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطي ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الذيبال بن عمرو ، عن ابن عباس (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رخص السعر (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) قال : غلاء سعر . حدثني أحمد بن علي النصرى ، قال : ثني عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن الحسن ، وذكر قوم شعيب قال (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) قال : رخص السعر .

(١) كذا في الأصل . ولعله أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن متجوف السدوسي البصري ، وقد ينسب إلى جده . توفي سنة ٢٥٢ (عن خلاصة الخزرجي) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبي عامر الخراز ، عن الحسن ، في قوله (إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ) قال : الغنى ورخص السعر .
وقال آخرون : عنى بذلك : إني أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ) قال : يعنى خير الدنيا وزينتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ) أبصر عليهم قشرا من قشور الدنيا وزينتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ) قال : في دنياكم ، كما قال الله تعالى (إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا) سماه خيرا لأن الناس يسمون المال خيرا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : ما أخبر الله عن شعيب ، أنه قال لقومه ، وذلك قوله (إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ) يعنى بخير الدنيا ، وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ، ورخص السعر ، ولا دلالة على أنه عنى بقبيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض ، فذلك على كل معانى خيرات الدنيا ، التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها ، وإنما قال ذلك شعيب ، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ، ورخص من أسعارهم ، كثيرة أموالهم ، فقال لهم : لاتنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم ، فقد وسع الله عليكم رزقكم (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم (عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) يقول : أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه ، فجعل المحيط نعتا لليوم ، وهو من نعت العذاب ، إذ كان مفهوما معناه ، وكان العذاب في اليوم ، فصار كقولهم جيتك محترقة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْتُوا

فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل شعيب لقومه : أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط ، يقول : بالعدل ، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن ، حقوقهم ، على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ، ولا نقص .

وقوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم ، كيلا أو وزنا أو غير ذلك .

(١) القشر : الثياب التي تلبس (اللسان) . .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علي بن صالح ، بن حنبل ، قال : بلغني في قوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) قال : لا تنقصوهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم .
 وقوله (وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله .
 كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) قال : لا تسيروا في الأرض وحدثت عن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك (وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : لا تسعوا في الأرض مفسدين ، يعني : نقصان الكيل والميزان .

القول في تأويل قوله تعالى

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (بِقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم .
 بالمكيال والميزان بالقسط ، فأحله لكم ، خير لكم من الذى يبقى لكم ، ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان (إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده ، وحلاله وحرامه . وهذا قول روى عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل .
 وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : طاعة الله خير لكم .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد (بِقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبي بزة ، عن مجاهد (بِقِيَّتُ اللَّهِ) قال : طاعة الله (خَيْرٌ لَّكُمْ) .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِقِيَّتُ اللَّهِ) قال : طاعة الله .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد (بِقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : طاعة الله خير لكم .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) قال : طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
 وقال آخرون : معنى ذلك : حفظكم من ربكم خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَقِيَّتُ اللهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) : حظكم من ربكم خير لكم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بَقِيَّتُ اللهُ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : حظكم من الله خير لكم .
وقال آخرون : معناه : رزق الله خير لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن ذكره ، عن ابن عباس (بَقِيَّتُ اللهُ) قال : رزق الله .
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (بَقِيَّتُ اللهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال : الهلاك في العذاب ، والبقية في الرحمة .
وَإِنَّمَا اخْتَرْتُمْ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْتُمْ : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِنَّمَا تَقْدَمُ إِلَيْهِمُ بِالنَّهْيِ عَنِ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ، وَإِلَى تَرْكِ التَّطْفِيفِ فِي الْكَيْلِ ، وَالْبَخْسِ فِي الْمِيزَانِ ، دَعَاهُمْ شَعِيبٌ ، فَتَعْقِيبُ ذَلِكَ بِالْخَيْرِ عَمَّا لَهُمْ مِنَ الْحِظِّ فِي الْوَفَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَوْلَى ، مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ (بَقِيَّتُ اللهُ) إِنَّمَا هِيَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : بَقِيَّتُ بَقِيَّةً مِنْ كَذَا ، فَلَا وَجْهَ لِتَوْجِيهِ مَعْنَى ذَلِكَ إِلَّا إِلَى بَقِيَّةِ اللَّهِ الَّتِي أَبْقَاهَا لَكُمْ ، مِمَّا لَكُمْ بَعْدَ وَفَائِكُمْ النَّاسَ حَقُوقَهُمْ ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَقِيَّتِكُمْ مِنَ الْحَرَامِ ، الَّذِي يَبْقَى لَكُمْ مِنْ ظَلْمِكُمُ النَّاسَ ، بِيَخْسِكُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ .

وقوله (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمِخْفِطٍ) يقول : وما أنا عليكم أيها الناس بربيب ، أرقبكم عند كيلكم ووزنكم : هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم ؟ وإنما على أن أبلغكم رسالة ربي ، فقد أبلغتكموها .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَشْعِيبُ أَصْلَوْتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ، إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب : (ياشعيب أصلاتك تأمرك أن تترك عبادة (ما يعبد آباؤنا) من الأوثان والأصنام (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) من كسر الدراهم وقطعها ، وبخس الناس في الكيل والوزن . (إنك لانت الحليم) وهو الذي لا يحمل الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا . (الرشيد) يعني : رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان .

كما حدثنا محمود بن خدأش ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، قال : ثنا داود بن قيس ، عن زيد ابن أسلم ، في قول الله (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا

ما نَشَأُ ، إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ) قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم ، أو قال : قطع الدراهم . الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عذبوا في قطع الدراهم ، وجدت ذلك في القرآن (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَأُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا (يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَأُ) ؟

قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، في قوله (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَأُ) قال : كان مما نهاهم عنه : حذف الدراهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَأُ) ؟ قال : نهاهم عن قطع الدينار والدراهم ، فقالوا : إنما هي أموالنا نعمل فيها ما نشاء ، إن شئنا قطعناها ، وإن شئنا حرقناها ، وإن شئنا طرحناها .

قال : وأخبرنا ابن وهب ، قال : وأخبرني داود بن قيس المرسي أنه سمع زيد بن أسلم يقول في قول الله (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَأُ) ؟ قال زيد : كان من ذلك قطع الدراهم .

وقوله (أَصْلَاتُكَ) كان الأعمش يقول في تأويلها ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري عن الأعمش ، في قوله (أَصْلَاتُكَ) قال : قراءتك .
فإن قال قائل : وكيف قيل : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء ، وإنما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا في أموالهم ما قد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن تترك أن نعمل في أموالنا ما نشاء ، وليس معناه : تأمرك أن نعمل في أموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بذا أمرهم .

وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول ، قال : وفيها وجه آخر يجعل الأمر كالنهي ، كأنه قال : أصلاتك تأمرك بذا ، وتنهانا عن ذا ، فهي حينئذ مردودة ، على أن الأولى منصوبة بقوله تأمرك ، وأن الثانية منصوبة عطفاً بها على « ما » التي في قوله (ما يَعْْبُدُ) . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن تترك أن نعمل في أموالنا ما نشاء . وقد ذُكِرَ عن بعض القراء أنه قرأه

(١) حرق الحديد ونحوه بالمبرد يحرقه (كنصر وضرب) حرقاً ، وحرقه (بالتشديد) : برده ، وحك بعضه ببعض .

(ما نَشَأُ) ، فمن قرأ ذلك كذلك فلامؤنة فيه ، وكانت آن الثانية حينئذ معطوفة على آن الأولى .
وأما قولهم لشعيب : (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاء به ،
وإنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام . وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ) قال : يستهزئون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ) المستهزئون يستهزئون بأنك لأنت الحليم الرشيد .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَمَا أُرِيدُ
أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ،
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم ، أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي ، فيما أدعوكم
إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال (وَرَزَقْنِي
مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا) يعني حلالا طيبا (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ) يقول : وما
أريد أن أنهاكم عن أمر ، ثم أفعل خلافه ، بل لأفعل إلا بما أمركم به ، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ
عَنْهُ) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه ، أو آتية (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ) يقول : ما أريد فيما
أمركم به وأناهاكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم . (مَا اسْتَطَعْتُ) يقول : ما قدرت على إصلاحه ، لئلا
ينالكم من الله عقوبة منكرة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) يقول : وما
إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك ، إن لا يعينني عليه لم
أصب الحق فيه .

وقوله (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إلى الله أفوض أمري ، فإنه ثقتي ، وعليه اعتمادى في أموري .
وقوله (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) وإليه أقبل بالطاعة ، وأرجع بالتوبة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**وَأَلَيْهِ أُنِيبُ**) قال : أرجع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله (**وَأَلَيْهِ أُنِيبُ**) قال : أرجع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَنكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (١٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل شعيب لقومه: (**وَيَا قَوْمٍ لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي**) يقول : لا يحملنكم عداوتي وبغضى ، وفراق الدين الذى أنا عليه ، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان ، وبخس الناس فى المكيال والميزان ، وترك الإنابة والتوبة ، فيصيبكم (**مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ**) من العرق (**أَوْ قَوْمَ هُودٍ**) من العذاب (**أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ**) من الرجفة (**وَمَا قَوْمُ لُوطٍ**) الذين انتفكت بهم الأرض (**مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ**) إهلاكهم ، أفلا تتعظون به وتعتبرون ؟ يقول : فاعتبروا بهؤلاء ، واحذروا أن يصيبكم بشقائى مثل الذى أصابهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي**) يقول : لا يحملنكم فراقى (**أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ**) . . . الآية .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (**لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي**) يقول : لا يحملنكم شقائى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (**لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي**) قال عدواً وبغضاً وفراقى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (**وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ**) قال : إنما كانوا حديثاً منهم قريباً يعنى قوم نوح وعاد وثمود وصالح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (**وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ**) قال : إنما كانوا حديثى عهد قريب بعد نوح وثمود .
قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يقال : معناه : وما دار قوم لوط منكم ببعيد .

(١) يظهر أن لفظة « يعنى » محرفة بقلم الناسخ عن لفظة « بعد » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل شعيب لقومه (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم ، التي أنتم عليها مقيمون ، من عبادة الآلهة والأصنام . وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين (ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ) يقول : ثم ارجعوا إلى طاعته ، والانتباه إلى أمره ونهيه . (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) يقول : هو رحيم بمن تاب وأناب إليه ، أن يعذبه بعد التوبة . (وَدُودٌ) يقول : ذو محبة لمن أناب وتاب إليه ، يوده ويحبه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ، وَلَوْلَا رَهْطُكَ

لَرَجَمْنَاكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ (٩١)

يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب لشعيب (يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ) : أي مانعنا حقيقة كثير مما تقول ، وتخبرنا به (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) : ذكر أنه كان ضريراً ، فلذلك قالوا له (إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أسد بن زيد الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال : كان أعمى .
حدثنا عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سعيد ، مثله .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق بن المنذر ، وعبد الملك بن زيد ، قالوا ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالوا : سمعنا شريكاً يقول ، في قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال : أعمى .

حدثنا سعد بن وهب ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، قوله (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) قال : كان ضعيف البصر ، قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء .

قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا)

قال : كان ضريراً البصر .

وقوله (لَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) يقول : يقولون : ولولا أنت في عشيرتك وقومك لرجمناك ، يعنون : لسببناك . وقال بعضهم : معناه لقتلناك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) قال : قالوا : لولا أن نتى قومك ورهطك لرجمناك . (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ) يعنون : ما أنت ممن يكرم علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهوانه ، بل ذلك علينا هين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَاتَّخَذُوا مَمْلُوكًا وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا ، إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أعزّزتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخفتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظمونه حقّ عظمته ، يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره : أى تركها لا يلتفت إليها ، وإذا قضاه قيل : جعلها أمامه ونُصِبَ عينيه ، ويقال : ظهرت بجاجتي ، وجعلتها ظهرية : أى خلف ظهرك ، كما قال الشاعر :

وَجَدْنَا بَنِي الْبَرِّصَاءِ مِنْ وَآدِ الظَّهْرِيَّا

بمعنى : أنهم يظهرون بجوائح الناس ، فلا يلتفتون إليها .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قال : يا قوم أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا مَمْلُوكًا وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا) وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعزّ عليهم من الله ، وصغّر شأن الله عندهم : عزّربنا وجل ثناؤه .

حدثني المنثى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : (وَاتَّخَذُوا مَمْلُوكًا وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا) قال : قفّا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا مَمْلُوكًا وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا) يقول : عزّزتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

(١) هذا عجز بيت لأرطاة بن سبية (اللسان : ظهر) . وصدده :

فَمَنْ مَسْبُغٍ أَبْنَاءَ مَرَّةٍ أَنَسْنَا

وجاء فى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٢٩٨) قال بعد الشاهد : أى من الذين يظهرون بهم ، ولا يلتفتون إلى أرحامهم . وانظره فى (اللسان : ظهر) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه في شيء ، إنما تراقبون قومي (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) يقول : عززتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : لم تراقبوه في شيء ، إنما تراقبون قومي ، واتخذتموه وراءكم ظهرًا لانخافونه .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ) قال : أعزتم قومكم ، واغترتم بربكم ، سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل قال : قال سفيان (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) كما يقول الرجل للرجل : خلف ظهرك ، فاتخذتموه وراءكم ظهرًا : استخفتم بأمره ، فإذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ، ولم يستخف بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : الظهري : الفضل ، مثل الجمال : يخرج معه يابل ظهارية فضل ، لا يحمل عليها شيئًا ، إلا أن يحتاج إليها ، قال : فيقول : إنما ربكم عندكم مثل هذا ، إن احتجتم إليه ، وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشيء . وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهرًا ، فالهاء في قوله (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ) على هذا من ذكر ما جاء به شعيب عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : تركتم ما جاء به شعيب .
قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : نبدوا أمره .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : نبدتم أمره .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : هم رهط شعيب ، تركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهرًا .
حدثني المنفى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) قال : استثنواؤهم رهط شعيب ، وتركهم ما جاء به شعيب وراء ظهورهم ظهرًا .
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لقرب قوله (وَاتَّخَذَ تَمُوهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا) من

(١) لعل كلمة « تركهم » محرفة عن كلمة « تركوا » .

قوله (أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ) فكانت الهاء في قوله (وَأَتَّخَذْتُ مَخُوهُ) بأن تكون من ذكر الله ،
لقرب جوارها منه ، أشبه وأولى .

وقوله (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) يقول : إن ربي محيط علمه بعملكم ، فلا يخفى عليه منه
شيء ، وهو مجازيكم على جميعه ، عاجلا وآجلا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقَوْمَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَذِبٌ ، وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ) يقول : على
تمكنكم ، يقال منه : الرجل يعمل على مكينته ومكيتته : أى على اتناده ، ومكئن الرجل يمكن مكئنا
ومكائة ومكانا .

وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله (على مَكَاتَتِكُمْ) : على منازلكم . فعنى الكلام إذن :
ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذى تعملونه (إنى عاملٌ) على تودة من العمل الذى أعمله (سَوْفَ
تَعْلَمُونَ) أينا الخانى على نفسه والخطى عليها ، والمصيب فى فعله : المحسن إلى نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى

(مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ، وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) :

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه : الذى يأتية منا ومنكم أيها القوم (عَذَابٌ يُخْزِيهِ)
يقول : يذله ويهينه (وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ) يقول : ويخزى أيضا الذى هو كاذب فى قلبه وخبره منا ومنكم .
(وَأَرْتَقِبُوا) : أى انتظروا وتفقدوا من الرقبة ، يقال منه : رَقَبْتُ فلانا أرقبته رقبة . وقوله (إنى مَعَكُمْ
رَقِيبٌ) يقول : إنى أيضا ذو رقبة لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جُثَمِينَ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب بعدابنا ، نجينا شعيبا رسولنا ، والذين آمنوا به ،
فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم ، مع شعيب ، من عذابنا الذى بعثنا على قومه ، برحمة منا له ، ولن
آمن به ، واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم ، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخذتهم فأهلكهم ،
بكفرهم بربهم ، وقيل : إن جبريل عليه السلام ، صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم ،
(فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جُثَمِينَ) على ركبهم ، وصَرَعى بأفئدتهم .

(١) لم أجد هذا الفصير فى اللسان ولا فى التاج .

القول في تأويل قوله تعالى

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ، أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : كأن لم يعيش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك . ولم يَغْنَوْا : من قولهم : غَنَيْتَ بِمَكَانٍ كَذَا : إذا أقمت به ، ومنه قول النابغة :

غَنَيْتَ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لِي جَبْرَةٌ مِئْهَا بَعْطَفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

وكما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كأن لم يَغْنَوْا فِيهَا) قال : يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ) يقول تعالى ذكره : ألا أبعدهم الله مدِين من رحمته

بإحلال نعمته . كما بعدت ثمود : يقول : كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته ، بإنزال سخطه بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ،

وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا ، وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح ، أنها تدل على توحيد الله ، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه ، وبطول قول من أشرك معه في الألوهة غيره ، إلى فرعون وملئه ، يعني إلى أشراف جنده وتباعه (فاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ) يقول : فكذب فرعون وملؤه موسى ، وجعلوا وحدانية الله ، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله ، واتبعوا ما فرعون دون أمر الله ، وأطاعوه في تكذيب موسى ، ورد ما جاءهم به من عند الله عليه . يقول تعالى ذكره (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) يعني : أنه لا يرشيد أمر فرعون ، من قبله في تكذيب موسى ، إلى خير ، ولا يهديه إلى صلاح ، بل يورده نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨)

(١) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٧٣) وغنيت : أقامت وعاشت . يقول : أقامت على مودتك وهي جارة لك ، فكانت تتودد إليك ، وتعرض لك ، وتعطف رسائلها عليك . والرواية فيه « لك جيرة » بالخطاب ، على طريق التجريد ، وهي رواية في البيت . وقد تقدم هذا البيت مشروحا في الجزء (١١ ص ١٠٢) من هذا التفسير .

يقول تعالى ذكره : يقدم فرعون قومه يوم القيامة : يقودهم ، فيمضى بهم إلى النار ، حتى يوردهموها ، ويصليهم سعيها (وَيَبْسُ الْوَرْدُ) يقول : وبئس الورد الذي يردونه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : فرعون يقدم قومه يوم القيامة : يمضى بين أيديهم ، حتى يهجم بهم على النار .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : يقود قومه ، فأوردهم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : أضلهم ، فأوردهم النار .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سمع ابن عباس يقول في قوله (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ) قال : الورد : الدخول .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَأُورِدَهُمُ النَّارَ) كان ابن عباس يقول : الورد في القرآن أربعة أوراد : في هود قوله (وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ) ، وفي مريم (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ، وورد في الأنبياء (حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) ، وورد في مريم أيضا (وَتَسْوِقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا) ، كان ابن عباس يقول : كل هذا الدخول ، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)

يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله في هذه ، يعني في هذه الدنيا ، مع العذاب الذي عجله لهم فيها ، من الغرق في البحر ، لعنته (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : وفي يوم القيامة أيضا يلعنون لعنة أخرى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : لعنة أخرى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال زيدوا بلعنة لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ) اللعنة في أثر اللعنة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : زيدوا لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فِي هَذِهِ)
 قال : في الدنيا (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) أُرْدَفُوا بلعنة أخرى زيدوها ، فتلك لعنتان .
 وقوله (بِيئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) يقول : بئس العون المعان : اللعنة المزيّدة فيها أخرى منها . وأصل
 الرّفد : العون ، يقال منه : رّفد فلان فلانا عند الأمير يرفّده رِفْداً ، بكسر الراء ، وإذا فُتِحَتْ ، فهو السّقي
 في القدح العظيم ، والرّفد : القدح الضخم ، ومنه قول الأعشى :
 رَبِّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشَرٍ أَقْتَالَ
 ويقال : رَفَدَ فلان حائطه ، وذلك إذا أسنده بخشبة لثلا يسقط . والرّفد بفتح الراء المصدر ، يقال منه :
 رَفَدَهُ يُرَفِّدُهُ رَفْداً . والرّفد : اسم الشيء الذي يُعْطَاهُ الإنسان ، وهو المَرْفُودُ .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (بِيئْسَ
 الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) قال : لعنة الدنيا والآخرة .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِيئْسَ الرَّفْدُ
 الْمَرْفُودُ) قال : لعنهم الله في الدنيا ، وزيد لهم فيها اللعنة في الآخرة .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ بِيئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) قال : لعنة في الدنيا ، وزيدوا فيها لعنة في الآخرة .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ بِيئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) يقول : ترادفت عليهم اللعنتان من الله ، لعنة في الدنيا ، ولعنة في الآخرة .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحك ، قال : أصابهم لعنتان في الدنيا ،
 رَفَدَتْ إحداهما الأخرى ، وهو قوله (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ ، مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة ، والنبأ
 (١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (وهو الحادي والسبعون في قصيدته الأولى بديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين
 ص ١٣) . والرّفد : القدح الضخم الذي يجلب فيه ، كئى به عن الموت . وأقتال : أصحاب ترات . جمع قتل بكسر ، القاف : وهو
 العدو ، والقرن . ورواية المؤلف : أقبال : جمع قبيل ، وهو الملك الصغير دون الملك الأعظم . ولعلها تحريف من الناسخ . والقصيدة
 في مدح الأسود بن المنذر اللخمي . وفي (اللسان : رّفد) : الرّفد بالكسر للإناء الذي يجلب فيه . وقال الأصمعي : الرّفد ، بالفتح .
 وقال شمر : رّفد (بفتح الراء وكسرها) .

الذي أنبأ ناكه فيها من أخبار القرى التي أهلكتنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذبهم رسله، نقصه عليك، فنخبرك به، (مِنْهَا قَائِمٌ) يقول ١ : منها بنيانه بائد بأهله هالك ، ومنها قائم بنيانه عامر ، ومنها حصيد بنيانه خراب متداع ، قد تعنى أثره دارس ، من قولهم : زرع حصيد : إذا كان قد استؤصل قطعه ، وإنما هو محصود ، ولكنه صُرف إلى فعيل ، كما قد بينا في نظائره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ ، مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) يعني بالقائم : قرى عامرة ، والحصيد : قرى خادمة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال : قائم على عروشها ، وحصيد : مستأصلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْهَا قَائِمٌ) يُرَى مكانه (وَحَصِيدٌ) لا يُرَى له أثر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (مِنْهَا قَائِمٌ) قال : خاوي على عروشه (وَحَصِيدٌ) : ملزق بالأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفیان ، عن الأعمش (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال : خرب بنيانه .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) قال : الحصيد : ما قد خرب بنيانه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) منها قائم يُرَى أثره ، وحصيد باد لا يُرَى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : وما عاقبنا أهل هذه القرى التي اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا ، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتناهم في غير موضعها ، (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول :

(١ - ١) ظاهر من المقام أن القرى نوعان ، منها عامر ، ومنها دائر ، فلعل العبارة الأولى زائدة من الناسخ .

ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله ، وكفرهم به ، عقوبته وعذابه ، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها ، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها . (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله ، ويدعونها أربابا ، من عقاب الله وعذابه ، إذا أحله بهم ربهم ، من شيء ، ولا ردت عنهم شيئا منه . (لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) يا محمد . يقول : لما جاء قضاء ربك بعذابهم ، فحق عليهم عقابه ، ونزل بهم سخطه (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) يقول : وما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسير وتدمير وإهلاك ، يقال منه : تَبَّيْتَهُ أَتَيْبَهُ تَبْيِيبًا ، ومنه قولهم للرجل : تَبَّأَ لَكَ ، قال جرير :

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لُوطٍ أَلَا تَبَّأَ لِمَا فَعَلُوا تَبَابًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصري ، قال : ثنا سفیان ، عن نُسَير بن ذُعْلُوق ، عن ابن عمر ، في قوله (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) قال : غير تخسير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (غير تَتْبِيبٍ) قال : تخسير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غير تَتْبِيبٍ) يقول : غير تخسير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غير تَتْبِيبٍ) قال : غير تخسير . وهذا الخبر من الله تعالى ذكره ، وإن كان خبرا عن مضي من الأمم قبلنا ، فإنه وعيد من الله جل ثناؤه لنا أَيْسُّهَا الأمة ، أنا إن سلكتنا سبيل الأمم قبلنا في الخلاف عليه وعلى رسوله ، سلك بنا سبيلهم في العقوبة ، وإعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه ، وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : اعتذر ، يعني ربنا جل ثناؤه إلى خلقه ، فقال (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) مما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الأمم (وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ) حتى بلغ (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) قال : ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تبييب .

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الصاوي ، من قصيدته التي بهجو فيها الراعي الغميري : ص ٧٢) وعادة الغميري : راوية الراعي ، وجاء محررفا في رواية المؤلف : « عرابة » . وقوله « لما فعلوا » : في الديوان : « لما عملوا » . والتب : الحمران وإهلاك ، كما في لسان العرب . وأنشد البيت في التاج ، وقال إنه من هجاء جرير في رجل اسمه عرادة بفتح العين ، سمى باسم البنات ، وفيه : « صنعوا » في مكان : « فعلوا » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتضت عليك نبأ أهلها ، بما أخذتهم به من العذاب ، على خلافهم أمرى ، وتكذيبهم رسلى ، وجحودهم آياتى ، فكذلك أخذى القرى وأهلها ، إذا أخذتهم بعقابي وهم ظالمة لأنفسهم ، بكفرهم بالله ، وإشراكهم به غيره ، وتكذيبهم رسله (إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ) يقول : إنَّ أَخْذَ رَبِّكَم بِالْعِقَابِ مَنْ أَخَذَهُ ، أَلِيمٌ ، يَقُولُ : مَوْجِيعٌ (شَدِيدٌ) الْإِيجَاعُ ، وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ، تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَسْلُكُوا فِي مَعْصِيَتِهِ طَرِيقَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ الْفَاجِرَةِ ، فَيَحُلَّ بِهِمْ مَا حُلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ . كَمَا حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ يُمِيلِي ، وَرُبَّمَا أَمْهَلَ ، قَالَ : يُمَهِّلُ الظَّالِمَ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ كَمْ يُفْلِتُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ) » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : إن الله حذر هذه الأمة سطوته بقوله : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ) ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ . وكان عاصم الجحدري يقرأ ذلك (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ) وذلك قراءة لأستجيز القراءة بها ، لخلافها مصاحف المسلمين ، وما عليه قراءة الأمصار .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ

يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتضينا خبرها عليكم أيها الناس ، الآية ، يقول : لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده ، وحججة عليه لربه ، وزاجرا يزجره عن أن يعصى الله ، ويخالفه فيما أمره ونهاه ، وقيل : بل معنى ذلك : إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة ، بأن الله سيق له بوعدته .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ) إنا سوف نبي لهم بما وعدناهم في الآخرة ، كما وقينا للأنبياء أنا نصرهم . وقوله (ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ) يقول تعالى ذكره : هذا اليوم ، يعني يوم القيامة (يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ) ، يقول : يحشر الله له الناس من قبورهم ، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ، (وَذَلِكَ

(١) قراءة الجحدري : أخذ ، بصورة المصدر ، وبصورة الفعل الماضي ، كما في القرطبي .

يَوْمَ مَشْهُودٌ) يقول : وهو يوم تشهده الخلائق لا يتخلف منهم أحد ، فينتقم حينئذ من عصي الله ،
وخالف أمره ، وكذب رسله .

وبنحر الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله (ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ)
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) قال : يوم القيامة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن علي بن
زيد ، عن يوسف المكِّي ، عن ابن عباس ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة . ثم قرأ (ذَلِكَ
يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن ابن عباس ،
قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم تلا هذه الآية (ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ،
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) .

حدثت عن المسيب عن جوير ، عن الضحاك ، قوله (ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ
مَّشْهُودٌ) قال : ذلك يوم القيامة ، يجتمع فيه الخلق كلهم ، ويشهده أهل السماء وأهل الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيثكم به إلا لأن يقضى له أجل ، فعدّه
وأحصاه ، فلا يأتي إلا لأجله ذلك ، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ، ولا يتأخر .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ
النَّارَ ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ
رَبُّكَ ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ، فَيُنْفِقُونَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : يوم يأتي يوم القيامة أيها الناس ، وتقوم الساعة ، لا تكلم نفس إلا بإذن ربها .
واختلفت القراء في قراءة قوله (يَوْمٌ يَأْتِي) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ، بإثبات الياء فيها (يَوْمٌ

يَأْتِي لَاتُكَلِّمُ نَفْسٌ . وقرأ ذلك بعض قرآء أهل البصرة وبعض الكوفيين ، بإثبات الياء فيها في الوصل ، وحذفها في الوقف ، وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الباء في الوصل والوقف (يَوْمَ يَأْتِ لَاتُكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذُنِّهِ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندي : (يَوْمَ يَأْتِ) بحذف الياء في الوصل والوقف ، اتباعا لخط المصحف ، وأنها لغة معروفة لهذيل ، تقول : ما أدر ما تقول ، ومنه قول الشاعر :

كَفَّفَاكَ كَفًّا مَا تَلِيْقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطَى بِالسَّيْفِ الدِّمَا

وقيل (لَاتُكَلِّمُ) وإنما هي لاتكلم ، فحذف إحدى التاءين ، اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها ، وقوله (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) يقول : فمن هذه النفوس التي لاتكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها ، شقٌّ وسعيد ، وعاد على النفس ، وهي في اللفظ واحدة ، بذكر الجميع في قوله (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) يقول : تعالى ذكره (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَّوْا فَنَارٍ لَّهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) لهم وهو أول نهيق الحمار وشبهه ، (وَشَهِيْقٌ) وهو آخر نهيقه ، إذا رددته في الجوف عند فراغه من نهيقه ، كما قال رؤبة بن العجاج :

حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيْلًا أَوْ شَهِيْقٌ حَتَّى يَقَالُ نَاهِقٌ وَمَا شَهِيْقٌ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَلِّمُ

فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ) يقول : صوت شديد ، وصرت ضعيف .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن أبي العالية ، في قوله (كَلِّمُ فِيهَا زَفِيرٌ

وَشَهِيْقٌ) قال : الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن

أبي العالية بنحوه .

(١) البيت أورده صاحب اللسان في « ليق » غير منسوب . وقال : يقال : فلان ما يليق شيئاً من سخائه : أي ما يملك . وما يليق بكفه درهم (ثلاثي) : أي ما يحتبس ، وما يليقه هو : أي ما يحبه ، ولا يلصق به ، وقال : كفافك . . . الخ . والشاهد في البيت حذف الياء من « تعطى » على لغة هذيل .

وقال الفراء (معاني القرآن ، مصورة جامعة القاهرة ٢٠١٤ : ١٤٧) كل ياء أو واو تسكنان ، وما قبل الواو مضموم ، وما قبل الياء مكسور ، فإن العرب تحذفها ، وتجتزئ بالضممة من الواو ، وبالكسرة من الياء ، أنشدني بعضهم : « كفافك كف . . . » البيت .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، وهما في (ديوان رؤبة بن العجاج ، طبعة ليسج سنة ١٩٠٣ وهما ال ٨٥ ، ٨٦ ص ١٠٦) . وحشرج : من الحشرجة ، وهي تردد صوت النفس ، وهي الفرغرة في الصدر . وسحل البغل والحمار يسحل ، بفتح الهاء وكسرها في المضارع ، سحيلاً وسحالا : نهق . وشهيق ، بفتح الهاء وكسرها شهباقاً وشهاقا : ردد البكاء في صدره ، وشهيق الحمار : آخر صوته ، وزفير أوله . ويقال : الشهيق : رد النفس ، والزفير : إخراجها . وقال الزجاج في قوله تعالى . « لهم فيها زفير وشهيق » : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين . قال : والزفير : من شديد الأنين وقبيحه . والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين : أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق ، والشهيق بمنزلة آخر صوته في الشهيق . وروى عن الربيع : الزفير في الحلق ، والشهيق : في الصدر .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : صوت الكافر في النار صوت الحمار ، أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ومحمد بن معمر البحراني ، ومحمد بن المثني ، ومحمد بن بشار ، قالوا : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سليمان بن سفيان ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية (فَيَنْهَضُكُمْ شِقْيَىٰ وَسَعِيدٌ) سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا نبي الله ، فعلام عملنا ؟ على شيء قد فرغ منه ؟ أم على شيء لم يفرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على شيء قد فرغ منه يا عمر ، وجرت به الأقدام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » .
اللفظ لحديث ابن معمر .

وقوله (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) يعني تعالى ذكره بقوله (خَالِدِينَ فِيهَا) لا يثين فيها . ويعنى بقوله (مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) ، أبدا ، وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدا ، قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض ، بمعنى أنه دائم أبدا ، وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما ستمر لنا ستمر ، وما لألات العفر بأذناها ، يعنون بذلك كله أبدا ، فخطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، فقال (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) . والمعنى في ذلك : خالدين فيها أبدا .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بنحو ما قلنا فيه : حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) قال : ما دامت الأرض أرضا ، والسماء سماء ، ثم قال : (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) .

واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : هذا استثناء استثناه الله في أهل التوحيد ، أنه يخرجهم من النار إذا شاء ، بعد أن أدخلهم النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَنِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال : الله أعلم بشنياه . وذكر لنا أن ناسا يصيبهم سقع^٢ من النار بذنوب أصابوها ، ثم يدخلهم الجنة حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) والله أعلم بشنيته : ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سقع من النار ، بذنوب أصابتهم ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا شيبان بن فروخ ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، وتلا هذه الآية (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَنِي النَّارِ ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) . . . إلى قوله (لِمَا يُرِيدُ) ، فقال عند

(١) لألات العفر بأذناها : حر كها .

(٢) السقع بالتحريك : السواد والشحوب . وقيل نوع من السواد ليس بالكثير . (اللسان) .

ذلك: ثنا أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِّنَ النَّارِ»، قال قتادة: ولا نقول مثل ما يقول أهل حبروراء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن أبي مالك، يعني ثعلبة، عن أبي سنان، في قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَنَبِي النَّارِ لَكُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ). خَالِدِ بْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال: استثناء في أهل التوحيد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الضحاك بن مزاحم (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَنَبِي النَّارِ) . . . إلى قوله (خَالِدِ بْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال: يخرج قوم من النار، فيدخلون الجنة، فهم الذين استثنى لهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن عامر بن جشيب^١، عن خالد بن معدان في قوله (لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا)، وقوله (خَالِدِ بْنِ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) أنهما في أهل التوحيد. وقال آخرون: الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم، فلا يدخلهم النار، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا، فَنَبِي النَّارِ - إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) لامن الخلود.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي سعيد، يعني الخدرى، أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، إِنَّ رَبُّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يَرِيدُ) قال: هذه الآية تأتي على القرآن كله، يقول: حيث كان في القرآن (خَالِدِ بْنِ فِيهَا) تأتي عليه.

قال: وسمعت أبا مجلز يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه.

وقال آخرون: عنى بذلك أهل النار، وكل من دخلها.

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب عن ذكره، عن ابن عباس (خَالِدِ بْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ): لا يموتون، ولا هم منها يخرجون، ما دامت السماوات والأرض (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال: استثناء الله، قال: يأمر النار أن تأكلهم، قال: وقال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال: جهنم أسرع الدارين عمرا، وأسرعهما خرابا.

وقال آخرون: أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة، فعرفنا معنى ثنياه بقوله (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ): أنها

(١) عامر بن جشيب، بفتح الجيم وكسر المعجمة: أبو خالد الحمصي، عن خالد بن معدان، وعنه معاوية بن صالح. قال الدارقطني: ثقة، لم يسمع من أبي الدرداء (خلاصة الجزر جي).

في الزيادة على مقدار مدة السماوات والأرض ، قال : ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار ، وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة ، وجائز أن تكون في النقصان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) فقرأ حتى بلغ (عطاء غير مجذوذ) قال : وأخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة ، فقال : عطاء غير مجذوذ ، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار .

وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب : القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك ، من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكيثر أنه يدخلهم النار ، خالدين فيها أبدا ، إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك ، ثم يخرجهم ، فيدخلهم الجنة ، كذا قد بيننا في غير هذا الموضوع ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك : لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار ، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك ، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله يدخل قوما من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار ، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها ، مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا ، وأنا إن جعلناه استثناء في ذلك ، كنا قد دخلنا في قول من يقول : لا يدخل الجنة فاسق ، ولا النار مؤمن ، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم ، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فسد هذان الوجهان ، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث ، ولأهل العربية في ذلك مذهب غير ذلك سنذكره بعد ، ونبينه إن شاء الله تعالى . وقوله (إن ربك فعّال لما يريد) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره ، من الانتقام منه ، ولكنه يفعل ما يشاء ، فيمضي فعله فيهم ، وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاه .

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (وأما الذين سعادوا) بفتح السين . وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (وأما الذين سعادوا) بضم السين ، بمعنى : رزقوا السعادة .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب . فإن قال قائل : وكيف قيل (سعادوا) فيما لم يُسم فاعله ، ولم يقل : أسعدوا ، وأنت لاتقول في الخبر فيما سمي فاعله سَعَدَهُ اللهُ ، بل إنما تقول : أسعده الله ؟ قيل : ذلك نظير قولهم : هو مجنون ، محبوب فيما لم يسم فاعله ، فإذا سموا فاعله ، قيل : أجنه الله وأحبه ، والعرب تفعل ذلك كثيرا . وقد بيننا بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا .

وتأويل ذلك : وأما الذين سَعِدُوا برحمة الله ، فهم في الجنة ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ، يقول : أبدا ، إلا ما شاء ربك .

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : إلا ما شاء ربك من قدر ما مكثوا في النار ، قبل دخولهم الجنة ، قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين ، فأدخل الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك ، في قوله (وأما الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال : هو أيضا في الذين يخرجون من النار ، فيدخلون الجنة ، يقول : خالدين في الجنة ما دامت السماوات والأرض ، (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) يقول : إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة دوام السماوات والأرض ، قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي مالك ، يعني ثعلبة ، عن أبي سنان (وأما الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) قال : ومشيئته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) .

واختلف أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع : فقال بعضهم ^١ في ذلك معنيان : أحدهما أن تجعله استثناء يستثنيه ولا يفعله ، كقولك : والله لأضربنك ، إلا أن أرى غير ذلك ، وعزمك على ضربه ^٢ ، قال : فكذلك قال (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) ولا يشاؤه . قال : والقول الآخر : أن العرب إذا استئنفت شيئا كثيرا مع مثله ، ومع ما هو أكثر منه كان معنى إلا ومعنى الواو : « سِوَى » ؛ فمن ذلك قوله (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) ، سوى ما شاء الله من زيادة الخلود ، فيجعل « إلا » مكان « سوى » فيصالح ، وكأنه قال : خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض سِوَى ما زادهم من الخلود والأبد ، ومثله في الكلام أن تقول : لى عليك ألف إلا الألفين اللذين قبله ؛ قال : وهذا أحب الوجهين إلى ، لأن الله لا يخلف وعده . وقد وصل الاستثناء بقوله (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) ، فدل على أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود ، غير منقطع عنهم .

وقال آخر منهم بنحو هذا القول ، وقالوا : جائر فيه وجه ثالث ، وهو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة ، احتسابهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ ، إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد ، يقول : فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ .

(١) القائل : هو الفراء في كتابه معاني القرآن ، في سورة هود .

(٢) في معاني القرآن : وعزمتك على ضربه .

(٣) في معاني القرآن : مقدار ما كانت .

(٤) في معاني القرآن : اللذين من قبل فلان .

وقال آخر منهم : جائز أن يكون دوام السماوات والأرض بمعنى الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من دوامها ، لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماوات والأرض في الدنيا ، لافي الجنة ، فكأنه قال : خالدين في الجنة ، وخالدين في النار ، دوام السماء والأرض (إلا ما شاء ربك) من تعبيرهم في الدنيا قبل ذلك .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : القول الذي ذكرته عن الضحاك ، وهو (وأما الذين سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، إلا ما شاء ربك) من قدر مكثهم في النار ، من لدن دخولها ، إلى أن أدخلوا الجنة ، وتكون الآية معناها الخصرص ، لأن الأشهر من كلام العرب في « إلا » توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها ، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك ، ولا دلالة في الكلام ، أعنى في قوله (إلا ما شاء ربك) تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام ، فيوجه إليه .

وأما قوله (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) فإنه يعنى عطاء من الله غير مقطوع عنهم ، من قولهم : جذذت الشيء أجذته جذاً : إذا قطعته ، كما قال النابغة :

تَجْدُ السَّلْوُقِ الْمَضَاعِفَ نَسْجُهُ
وَيُوقِدُنَ بِالصُّفْحِ نَارَ الْجَبَابِ

يعنى بقوله : تجذ : تقطع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) قال : غير مقطوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ) يقول : غير منقطع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس « عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ » يقول : عطاء غير مقطوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مجذوذ ، قال : مقطوع .

(١) البيت للنابغة الذبياني (انظر مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة الحلبي ص ١٦١) . والرواية فيه : « تقد » في موضع « تجذ » . قال في اللسان : الجذ : كسر الشيء الصلب ، جذذته كسرتة وقطعته . وجذبه يجذبه جذاً ، فهو مجذوذ وجذيد . وقال في (قدد) : القد : القطع المستأصل ، والشق طولاً ، والانقداد : الانشقاق . وقال ابن دريد هو القطع المستطيل . اهـ . والقد قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك . وضره بالسيف ففده بنصفين . والسلوق : درع ينسب إلى سلوق ، وهي مدينة باليمن وقيل بالشام . والمضاعف : الذي نسج حلقتين حلقتين . والصفاح : حجارة عراض . والمقصود هنا : ما يجعل على الرأس من البيض ، وعلى الساعد من الحديد . والجباب : ذباب له شعاع بالليل ، يقول : إذا اصطدمت السيوف بالدروع ، أخرجت نارا كضوء الجباب .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (عطاء غير مجذوذ) قال : غير مقطوع .

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قوله (عطاء غير مجذوذ)

قال : أما هذه فقد أمضاها ، يقول : عطاء غير منقطع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عطاء غير مجذوذ)

غير منزوع منهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنَّا

لَمَوْفُوهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تك في شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام ، أنه ضلال وباطل ، وأنه بالله شرك ، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، يقول : إلا كعبادة آباؤهم من قبل عبادتهم لها ؛ يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعاً منهم منساج آباؤهم ، واقتفاء منهم آثارهم في عبادتهموها ، لاعتن أمر الله إياهم بذلك ، ولا بحجة تبينوها توجب عليهم عبادتها ، ثم أخبر جل ثناؤه نبيه ما هو فاعل بهم ، لعبادتهم ذلك ، فقال جل ثناؤه : (وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ) يعني : حظهم مما وعدتهم أن أوفيهموه ، من خير أو شر ، غير منقوص ، يقول : لا أنقصهم مما وعدتهم ، بل أتم ذلك لهم ، على التمام والكمال .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ) قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله ، إلا أن أبا كريب قال في حديثه : من خير أو شر .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ) قال : ما قدر لهم من الخير والشر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ،

عن ابن عباس ، في قوله (وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ) قال : ما يصيبهم من خير أو شر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ) تَصِيْبُهُمْ غيرَ مَنْقُوصٍ) قال : نصيبهم من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِلَيْهِمْ

لِنَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره مسليا نبيه في تكذيب مشركي قومه إياه ، فيما أتاهم به من عند الله بفعل بني إسرائيل بموسى ، فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : ولا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء المشركين لك ، وامنض لما أمرك به ربك ، من تبليغ رسالته ، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من النصيحة ، من فعل ضرباً بهم من الأمم قبلهم ، وسنة من سنهم ؛ ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به ، فقال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) يعنى التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى ، فكذب به بعضهم ، وصدق به بعضهم ، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به ، وتكذيب بعض (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك ، بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب ، ولكن يتأني حتى يبلغ الكتاب أجله (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : لقضى بين المكذب منهم به ، والمصدق بإهلاك الله المكذب به منهم ، وإنجائه المصدق به (وَإِلَيْهِمْ لِنَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ) يقول : وإن المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته ، أنه من عند الله ؛ مرىب : يقول : يريهم ، فلا يدرون أحق هو أم باطل ؛ ولكنهم فيه ممترون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِن كَلَّا لَمَا لِيَؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ ، إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء أهل المدينة والكوفة (وَإِن) مشددة (كَلَّا) مشددة .

واختلف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض نحو الكوفيين : معناه : إذا قرئ كذلك : وإن كلاً لهما ليؤفقيهم ربك أعمالهم ، ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأدغمت واحدة في الأخرى ، كما قال الشاعر :

وَإِنِّي لَمَّا أُصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالنَّبِيلِ مَصَادِرُهُ^١

(١) أورد البيت القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الكتب المصرية ٩ : ١٠٥) وروايته فيه (بالسبيل) في موضع (بالنبيل) . استشهد به كما استشهد المؤلف على أن « لما » أصلها « لمن ما » فقلبت النون ميماً ، واجتمعت ثلاث ميمات ، فحذفت الوسطى ، فصارت « لما » . وما على هذا القول بمعنى (من) تقديره : وإن كلاً لمن الذين ، كقولهم : « وإنى . . . البيت . =

ثم تخفف كما قرأ بعض القراء (والبغى يعظكم) يخفف الياء مع الياء ، وذكر أن الكسائي أنشده :
 وَأَشْمَتَ الْعُدَاةَ بِنَا فَأَضْحَرُوا لَدَى يَتَبَاشِرُونَ بِمَا لَقِينَا
 وقال : يريد : لدى يتباشرون بما لقينا ، فحذف ياء ، لحركتهن واجتماعهن ؛ قال : ومثله :
 كَانَ مِنْ آخِرِهَا الْقَادِمُ تَحْتَرِمُ تَجْدِ فَارِعَ الْمَخَارِمُ
 وقال : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك (وإن كلاً) شديداً وحقاً ، ليوفينهم ربك أعمالهم ، قال :
 وإنما يراد إذا قرئ ذلك كذلك (وإن كلاً) بالتشديد والتنوين ، ولكن قارئ ذلك كذلك ، حذف منه
 التنوين ، فأخرجه على لفظ «فَعَلَى» : لَمَّا ، كما فعل ذلك في قوله (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى) فقرأ تَتْرَى بعضهم
 بالتنوين ، كما قرأ من قرأ (لَمَّا) بالتنوين ، وقرأ آخرون بغير تنوين ، كما قرأ (لَمَّا) بغير تنوين من قرأه .
 وقالوا : أصله من اللم من قول الله تعالى (وَأَكَلُوا السُّبُوتَ أَكْلًا لَمًّا) يعنى : أكلا شديداً .

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإن كلا «إلا» ليوفينهم ، كما يقول القائل : لقد قمت
 عنا ، وبالله إلا قمت عنا . ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ، ويأبون أن يكون جائزاً
 توجيه «لَمَّا» إلى معنى «إلا» في اليمين خاصة ؛ وقالوا : لو جاز أن يكون ذلك بمعنى إلا ، جاز أن يقال :
 قام القوم لما أخاك ، بمعنى : إلا أخاك ، ودخولها في كل موضع صلح دخول إلا فيه .

وأنا أرى أن ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قرهلم من أهل العربية إن في فساده ، وهو
 أن إثبات للشيء وتحقيق له ، وإلا أيضاً تحقيق أيضاً ، وإنما تدخل نقضاً للحد قد تقدمها ، فإذا كان ذلك
 معناها ، فواجب أن تكون عند متأولها التأويل الذى ذكرنا عنه ، أن تكون بمعنى الجحد عنده ، حتى تكون
 إلا نقضاً لها ، وذلك إن قاله قائل ، قول لا يخفى جهل قائله ، اللهم إلا أن يخفف قارئ «إن» فيجعلها بمعنى «إن»
 التى تكون بمعنى الجحد . وإن فعل ذلك ، فسدت قراءته ذلك كذلك أيضاً من وجه آخر ، وهو أنه يصير حينئذ
 ناصباً لكل بقوله : ليوفينهم ، وليس في العربية أن ينصب ما بعد «إلا» من الفعل ، الاسم الذى قبلها ، لاتقول

قال القرطبي : وزيف الزجاج هذا القول ، وقال : «من» : اسم على حرفين فلا يجوز حذفه . وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة
 جامعة القاهرة ص ١٤٨ ج ٢) : وأما من شدلما ، فإنه والله أعلم ، أراد : لمن ما ليوفينهم ، فلما اجتمعت ثلاث ميمات ، حذف
 واحدة ، فبقيت ثنتان ، فأدغمت في صاحبها ، كما قال الشاعر :

وَلَمَّا أُصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالنَّبِيلِ مَصَادِرُهُ

(١) البيت من شواهد الكسائي ، أنشده الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٩٥ ج ٢ ص ١٤٨) ، وهو
 شاهد على التخفيف ، بحذف بعض الحروف المكررة في الكلمة ، قال بعد الكلام على تخفيف لما : وبعد الشاهد السابق مباشرة : « ثم
 يخفف ، كما قرأ بعض القراء : « والبغى يعظكم بحذف الياء عند الياء . أنشد في الكسائي : « وأشمت العداة بنا فأضحوا . . . » البيت
 معناه : لدى يتباشرون ، فحذف لاجتماع الياء .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ١٤٨) وهو (مثل الشاهد قبله)
 شاهد على التخفيف بحذف بعض الحروف . قال بعد أن أنشد البيت : أراد : إلى القادم ، فحذف اللام .

العرب: ما زيدا إلا ضربت ، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه ، إلا أن يرفع رافع الكل ، فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القراء ، وخط مصاحف المسلمين ، ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب .

وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين (وإن كُلاً) بتخفيف إن ونصب (كلاً لماً) مشددة ؛ وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد «إن» الثقيلة فخففها . وذُكر عن أبي زيد البصرى ، أنه سمع :
كَأَنَّ تَدْيِيَّهَ حُقَّانٌ ، فَنَصَبَ بِكَأَنَّ ، وَالتَّوْنُ مَخْفَفَةٌ مِنْ كَأَنَّ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَوَجْهُهُ مُشْرِقٌ النَّحْرِ كَأَنَّ تَدْيِيَّهَ حُقَّانًا

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف «إن» ونصب «كلاً» وتخفيف «لماً» . وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك قصد المعنى الذى حكيناه عن قارئ الكوفة ، من تخفيفه نون «إن» وهو يريد تشديدها ، ويريد بما التى فى «لماً» التى تدخل فى الكلام صلة ، وأن يكون قصد إلى تحميل الكلام معنى : وإن كُلاً ليوفينهم ؛ ويجوز أن يكون معناه : كان فى قراءته ذلك كذلك : وإن كُلاً ليوفينهم أى ليوفين كُلاً ، فيكون نيته فى نصب كل كانت بقوله : ليوفينهم ، فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب ، وذلك أنها لاتنصب بفعل بعد لام اليمين اسما قبلها .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة «وإن» مشددة (كلاً لماً) مخففة (ليوفينهم) . ولهذا القراءة وجهان من المعنى : أحدهما : أن يكون قارئها أراد : وإن كُلاً لمن ليوفينهم ربك أعمالهم ، فيوجه «ما» التى فى «لما» إلى معنى «من» ، كما قال جل ثناؤه (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وإن كان أكثر استعمال العرب لها فى غير بنى آدم ، وينوى باللام التى فى «لما» : اللام التى يتلقت بها «إن» جواباً لها ، وباللام التى فى قوله (ليوفينهم) لام اليمين ، دخلت فيما بين ما وصلتها ، كما قال جل ثناؤه (وإن منكم لمن ليبطئن) وكما يقال : هذا ما لغيره أفضل منه . والوجه الآخر : أن يجعل «ما» التى فى «لما» بمعنى «ما» التى تدخل صلة فى الكلام ، واللام التى فيها هى اللام التى يجاب بها ، واللام التى فى (ليوفينهم) هى أيضا اللام التى يجاب بها «إن» ، كررت وأعيدت ، إذ كان ذلك موضعها ، وكانت الأولى مما تدخلها العرب فى غير موضعها ، ثم تعيدها بعد فى موضعها ، كما قال الشاعر :

فَلَدَوْ أَنْ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَعْزَةً لِيَبْعُدَ لَقَدِّ لَاقَيْتُ لَابُدَّ مَصْرَعًا

وقرأ ذلك الزهرى فيما ذكر عنه : (وإن كُلاً) بتشديد إن و (لماً) بتنوينها ، بمعنى : شديداً وحقا وجميعا .

(١) البيت من أبيات الكتاب لسيبويه (١ : ٢٨١) قال الأعمى فى توجيهه : الشاهد فيه : تخفيف كأن ، وحذف اسمها . والتقدير : كأنه ثدياه حقان . قال : ويجوز كأن ثدييه ، على إعمال كأن مخففة . وانها فى ثدييه عائدة على الوجه أو النحر . والمعنى : كأن ثديي صاحبه حقان .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ج ٢ : ص ١٤٨) قال : وإذا عجلت العرب باللام فى غير موضعها ، أعادوها إليه ، كقولك : إن زيدا لإليك لحسن كان موقع اللام فى «لحسن» ، فلما أدخلت فى إليك ، أعيدت فى «لحسن» . ومثله قول الشاعر :

ولو أن قومي لم يكونوا أعزة البيت

أدخلها فى بعد وليس بموضعها . ومثله قول أبي الجراح : «إنى لبحمد الله لصالح» .

﴿ وَأَصْحَ هَذِهِ الْقُرْآنَاتِ مَخْرُجًا عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَفِيضِ فِيهِمْ ، قِرَاءَةً مِنْ قُرْأٍ (وَإِنَّ) بِتَشْدِيدِ نُونِهَا ، (كَلِمًا كَلِمًا) بِتَخْفِيفِ مَا (لَيُؤْفِقِينَهِمْ رَبُّكَ) بِمَعْنَى : وَإِنْ كَلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ قِصَصَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، لَمَنْ لَيُؤْفِقِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ، بِالصَّالِحِ مِنْهَا : بِالْخَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ ، وَبِالطَّالِحِ مِنْهَا : بِالشَّدِيدِ مِنَ الْعِقَابِ ، فَتَكُونُ « مَا » بِمَعْنَى « مَنْ » وَاللَّامُ الَّتِي فِيهَا جَوَابًا لِإِنْ ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ (لَيُؤْفِقِينَهِمْ) لَامُ قِسْمٍ .

وقوله (إِنَّهُ) بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله ، من قومك يا محمد ، خبير ، لا يخفى عليه شيء من عملهم ، بل يخبرُ ذلك كله ويعلمه ويحيط به ، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاسْتَقِمِ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَمْرِ رَبِّكَ ، وَالَّذِينَ الَّذِينَ ابْتَعَثَكَ بِهِ ، وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ ، كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ . (وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) يَقُولُ : وَمَنْ رَجَعَ مَعَكَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ . (وَلَا تَطْغَوْا) يَقُولُ : وَلَا تَعُدُّوا أَمْرَهُ إِلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ . (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يَقُولُ : إِنْ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا ، طَاعَتِهَا وَمَعْصِيَتِهَا ، بِصِيرٌ ذُو عِلْمٍ بِهَا ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَهُوَ لِجَمِيعِهَا مُبْصِرٌ ؛ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْ يُطَّلِعَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ بِخِلَافِ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ ذُو عِلْمٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَهُوَ لَكُمْ بِالْمُرْصَادِ . وَكَانَ ابْنُ عِينَةَ يَقُولُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) مَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، عَنْ سَفْيَانَ ، فِي قَوْلِهِ (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) قَالَ : اسْتَقِمْ عَلَى الْقُرْآنِ . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَلَا تَطْغَوْا) قَالَ : الطَّغْيَانُ : خِلَافُ اللَّهِ ، وَرُكُوبُ مَعْصِيَتِهِ ، ذَلِكَ الطَّغْيَانُ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَلَا تَمِيلُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، فَتَقْبَلُوا مِنْهُمْ وَتَرْضَوْا أَعْمَالَهُمْ ، فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ بِفِعْلِكُمْ ذَلِكَ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ نَاصِرٍ يُنصِرُكُمْ ، وَوَلِيٌّ يَلِيكُمْ (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) يَقُولُ : فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ يُنصِرْكُمْ اللَّهُ ، بَلْ يُخْلِكُمْ مِنْ نَصْرَتِهِ ، وَيَسْلُطُ عَلَيْكُمْ عَدُوَّكُمْ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ النَّارَ) يعني : الركون إلى الشرك .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ) يقول : لا ترضوا أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ) يقول : لا ترضوا أعمالهم ، يقول : الركون : الرضا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ) قال : لا ترضوا أعمالهم ، فتمسكم النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ) قال : قال ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ) فتمسكم النار) يقول : لا تلحقوا بالشرك ، وهو الذي خرجتم منه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَرَكُّوْا إِلَى الدِّينِ ظَلَمْتُمْ) يعني : الركون : الإدهان ، وقرأ (وَذُؤا لَو تَدُهِنُ فَيُدُهِنُونَ) قال : تركن إليهم ، ولا تنكر عليهم الذي قالوا ، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله .
قال : وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام ، أما أهل الذنوب من أهل الإسلام ، فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ، ما ينبغي لأحد أن يصلح على شيء من معاصي الله ، ولا يركن إليه فيها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا

يقول تعالى ذكره لئنبي محمد صلى الله عليه وسلم : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ) يا محمد ، يعني صل (طَرَفِي النَّهَارِ) ، يعني الغداة والعشي .

واختلف أهل التأويل في التي عنيت بهذه الآية من صلوات العشي ، بعد إجماع جميعهم على أن التي عنيت من صلاة الغد : الفجر ، فقال بعضهم : عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر ، قالوا : وهما من صلاة العشي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ) قال : الفجر ، وصلاتي العشي ، يعني : الظهر ، والعصر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ،
 في قوله (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : صلاة الفجر ، وصلاة العشي .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد
 ابن كعب القرظي يقول (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي (أقيم
 الصلاة طرقي النهار) قال : الفجر ، والظهر ، والعصر .
 وقال آخرون : بل عني بها صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (أقيم
 الصلاة طرقي النهار) يقول : صلاة الغداة ، وصلاة المغرب .
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال :
 صلاة الغداة ، والمغرب .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أقيم الصلاة طرقي
 النهار) الصباح ، والمغرب .
 وقال آخرون : عني بها صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (أقيم الصلاة
 طرقي النهار) قال : صلاة الفجر ، والعصر .
 قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد القسبائي ، عن محمد بن كعب (أقيم الصلاة طرقي
 النهار) الفجر ، والعصر .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أقيم الصلاة
 طرقي النهار) قال : صلاة الصبح وصلاة العصر .
 حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله
 لنبيه (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : طرفي النهار : الغداة ، والعصر .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أقيم الصلاة طرقي النهار)
 يعني صلاة العصر والصبح .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن
 (أقيم الصلاة طرقي النهار) الغداة ، والعصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلع بن سعيد ، عن محمد بن كعب (أقيم الصلاة طرقي النهار) الفجر ، والعصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن الحسن (أقيم الصلاة طرقي النهار) قال : الغداة ، والعصر .

وقال بعضهم : بل عن بطرفي النهار : الظهر ، والعصر ؛ ويقولون (زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) : المغرب ، والعشاء ، والصبح .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هي صلاة المغرب ، كما ذكرنا عن ابن عباس . وإنما قلنا : هو أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهي تُصَلَّى قبل طلوع الشمس ، فالواجب إذ كان ذلك من جميعهم إجماعاً أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب ، لأنها تصلى بعد غروب الشمس ، ولو كان واجباً أن يكون مراداً بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس ، وجب أن يكون مراداً بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها ، وذلك ما لا نعلم قائلًا قاله ، إلا من قال : عنى بذلك صلاة الظهر والعصر ، وذلك قول لا نحيل فساده ، لأنهما إلى أن يكونا جميعاً من صلاة أحد الطرفين ، أقرب منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفي النهار ، وذلك أن الظهر لاشك أنها تصلى بعد مضي نصف النهار في النصف الثاني منه ، فحال أن تكون من طرف النهار الأول ، وهي في طرفه الآخر ، فإذا كان لا قائل من أهل العلم يقول : عنى بصلاة طرف النهار الأول ، صلاة بعد طلوع الشمس ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : عنى بصلاة طرف النهار الآخر : صلاة قبل غروبها ، وإذا كان ذلك كذلك ، صح ما قلنا في ذلك من القول ، وفسد ما خالفه .

وأما قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) فإنه يعنى : ساعات من الليل ، وهي جمع زُلْفَةٍ ، والزلفعة : الساعة ، والمنزلة ، والتَّوْبَةُ . وقيل : إنما سميت المزلفة وُجِعَ : من ذلك ، لأنها منزل بعد عرفة . وقيل : سميت بذلك لاذلاف آدم من عرفة إلى حرّاء وهي بها ؛ ومنه قول العجاج في صفة بعير :

ناجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَعًا طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فَزُلْفًا

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والعراق (وَزُلْفًا) بضم الزاي ، وفتح اللام . وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاي واللام ، كأنه وجهه إلى أنه واحد ، وأنه بمنزلة الحُلْم . وقرأه بعض المكين (وَزُلْفًا) بضم الزاي ، وتسكين اللام .

وأعجب القراءات في ذلك إلى ، أن أقرأها (وَزُلْفًا) بضم الزاي وفتح اللام ، على معنى جمع زُلْفَةٍ ،

(١) البيتان للعجاج من مشطور الرجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٤) . وهما في وصف بخل . والناجي : الممرع في السير . وطواه : هزله وأضمه . والأين : الإعياء والتعب . ووجع : سار مسرعاً ، والوجيع : ضرب من السير فيه اضطراب . وزلفاً فزلفاً : قال في اللسان : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة .

كما تجمع غرفة غُرْفٍ ، وحجرة حُجْرٍ . وإنما اخترت قراءة ذلك كذلك ، لأن صلاة العشاء الآخرة إنما تصلى بعد مضي زلف من الليل ، وهي التي عنيت عندي بقوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) .
وبنحو الذي قلنا في قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : الساعات من الليل صلاة العتمة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) يقول : صلاة العتمة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : العشاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفیان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ، ويقرأ (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : ساعة من الليل : صلاة العتمة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : العتمة ، وما سمعت أحدا من فقهاءنا ومشايخنا ، يقول : العشاء ، ما يقولون إلا العتمة .

وقال قوم : الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها زلفا من الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، واللفظ ليعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا أبو رجاء عن الحسن (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : هما زلفتان من الليل : صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن ، في قوله (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثني الحسن بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (أقيم الصلاة طَرْفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : زلفا من الليل : المغرب ، والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ : الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
 قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قد بين الله
 مواقيت الصلاة في القرآن ، قال (أقيم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل) قال : دلوكها :
 إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرض فيء ، وقال (أقيم الصلاة طرقي النهار) الغداة ، والعصر
 (وزلغاً من الليل) المغرب ، والعشاء . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هَمَّا زُلْفَتَا اللَّيْلِ :
 الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وزلغاً من الليل) قال : يعني صلاة
 المغرب ، وصلاة العشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد ، قال : سمعت محمد
 ابن كعب القرظي يقول (زلغاً من الليل) المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، مثله .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي (وزلغاً
 من الليل) المغرب ، والعشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن الحسن ، قال :
 زلغنا الليل : المغرب ، والعشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاک ،
 في قوله (وزلغاً من الليل) قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن الحسن (وزلغاً من الليل)
 قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاک (وزلغاً من الليل)
 قال : المغرب ، والعشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن الحسن (زلغاً من الليل) : صلاة المغرب والعشاء
 وقوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) يقول تعالى ذكره : إن الإنابة إلى طاعة الله ، والعمل بما
 يرضيه ، يذهب آثام معصية الله ، ويكفر الذنوب .

ثم اختلف أهل التأويل في الحسنات التي عنى الله في هذا الموضع ، اللاتي يذهبن السيئات ، فقال بعضهم :
 هن الصلوات الخمس المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن الجربري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد

ابن الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده إن الصلوات الخمس
لهن الحسنات التي يذهب السيئات ، كما يغسل الماء الدرّان .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح ، قال : سمعت محمد بن كعب
القرظي يقول في قوله (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : هنّ الصلوات الخمس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الله بن مسلم ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد (إنَّ الحَسَنَاتِ) الصلوات .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة جميعا ، عن عوف ،

عن الحسن (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثني زريق بن الشخب ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله
تعالى (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال :
الصلوات الخمس .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن
عبد الله (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد الجريري ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان ، قال :
والذي نفسى بيده ، إن الحسنات التي يمحو الله بهن السيئات ، كما يغسل الماء الدرّان : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس (إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مزينة بن زيد ، عن مسروق
إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) قال : الصلوات الخمس .

حدثني محمد بن عمار الأسدي ، وعبد الله بن أبي زياد القَطَواني ، قالوا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال :
أخبرنا حيوة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تميم من رهط أبي بكر الصديق رضي

الله عنه ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول : جلس عثمان يوما وجلسنا معه ، فجاء المؤذن ،
فدعا عثمان بماء في إناء أظنه سيكرن فيه قدر مدّ ، فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال « مَنْ تَوَضَّأَ وَضُؤِي هَذَا ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ ، غُفِرَ لَهُ »
(١) لم أجد زريق بن الشخب فيما بين لدى من كتب الرجال .

ما كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتُ لَيْلَةً يَتَمَرَّغُ ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَرَوَّضًا وَصَلَّى الصُّبْحَ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حبيوة ، قال : ثنا أبو عقيل ، زهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : جلس عثمان بن عفان يوماً على المقاعد ، فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال : « وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ ، إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ » .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، ورشد بن بن سعد ، قالوا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان ، يقول : جلس عثمان بن عفان يوماً على المقاعد ، ثم ذكر نحوه ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال « وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ ، إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ الصَّلَوَاتُ كَقَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهُنَّ » ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : (إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ) .

حدثنا ابن سيار القزاز ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : « كنت مع سلمان تحت شجرة ، فأخذ غُصْنَا من أغصانها يابسا ، فهزته حتى تحات ورقه ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت معه تحت شجرة ، فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزته ، حتى تحات ورقه ، ثم قال : « أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا يَا سَلْمَانَ ؟ فَقُلْتُ : وَلِمَ تَفْعَلُهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْحَمْسَ ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : هو قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .
 وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : قول من قال في ذلك : هنَّ الصَّلَوَاتُ الْحَمْسُ ، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتواترها عنه ، أنه قال : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ مَثَلُ تَهْرٍ جَارٍ

على بابِ أَحَدِكُمْ ، يَنْتَغِمِسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ تَحْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَاذَا يُبْتِغِينَ مِنْ دَرْتِهِ ، وإن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات ، والوعد على إقامتها ، الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد ، على ما لم يحجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال ، إذا خص بالقصد بذلك بعض دون بعض .
وقوله (ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) يقول تعالى : هذا الذي أوعدت عليه ، من الركون إلى الظلم ، وتهددت فيه ، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهب السيئات ، تذكرة ذكرت بها قوما يذكرون وعد الله ، فيرجون ثوابه ووعيده ، فيخافون عقابه ، لامن قد طبع على قلبه ، فلا يجيب داعيا ، ولا يسمع زاجرا ، وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه ، بعض ما يحرم عليه ، فتاب من ذنبه ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، قالوا : قال عبد الله بن مسعود : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني عابحت امرأة في بعض أقطار المدينة ، فأصبت منها ما دون أن أمسها ، فأنا هذا ، فاقض في ما شئت ، فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك ، قال : ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ، فقام الرجل ، فانطلق ، فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ، فدعاه ، فلما أتاه قرأ عليه (أقيم الصلاة طر في النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنة يذهب السيئات ، ذلك ذكري للذاكرين) فقال رجل من القوم : هذا له يا رسول الله خاصة ؟ قال : بلى للناس كافة » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إني لقيت امرأة في البستان ، فضممتها إلى ، وباشرتها وقبعتها ، وفعلت بها كل شيء ، غير أني لم أجامعها ، فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (إن الحسنة يذهب السيئات ، ذلك ذكري للذاكرين) ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأها عليه . فقال عمر : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس كافة ؟ قال : لا ، بلى للناس كافة » . ولفظ الحديث لابن وكيع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، أنه سمع إبراهيم بن زيد ، يحدث عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني وجدت امرأة في بستان ، ففعلت بها كل شيء ، غير أني لم أجامعها ، قبعتها ولزمتها ، ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئت ، فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فقال : ردوه علي ، فردوه ، فقرأ عليه : (أقيم الصلاة طر في النهار وزلفا من الليل ، إن

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكَّارِينَ ، قَالَ : فَقَالَ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ : أَلَيْتَهُ وَحْدَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَمْ لِلنَّاسِ كَافَّةً ؟ فَقَالَ : بَلَى لِلنَّاسِ كَافَّةً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَاني ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن عبد الله ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخذت امرأة في البستان ، فأصبت منها كل شيء ، غير أني لم أنكحها ، فاصنع بي ما شئت ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب دعاه ، فقرأ عليه هذه الآية (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن خاله الأسود ، عن عبد الله : « أن رجلاً لقي امرأة في بعض طرق المدينة ، فأصاب منها ما دون الجماع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) ، إن الحسنات يذهن السيئات ، ذلك ذكري للذكركرين) فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، لهذا خاصة ، أو لنا عامة ؟ قال : بلى لكم عامة .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنبأني سماك ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن خاله ، عن ابن مسعود : « أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لقيت امرأة في حش بمدينة ، فأصبت منها ما دون الجماع . . . نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادي ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم عن خاله ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : جاء فلان بن معتب : رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دخلت على امرأة ، فنلت منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أني لم أواقعها ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه ، حتى نزلت هذه الآية (أقيم الصلاة طرقي النهار ، وزلفاً من الليل) ، إن الحسنات يذهن السيئات . . . الآية ، فدعاه فقرأها عليه .

حدثني يعقوب وابن وكيع قالا : ثنا ابن علية ، وحدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ؛ وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان جميعاً ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن ابن مسعود : « أن رجلاً أصاب من امرأة شيئاً لا أدرى ما بلغ ، غير أنه مادون الزنا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فنزلت (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) ، إن الحسنات يذهن السيئات) فقال الرجل : ألي هذه يا رسول الله ؟ قال : لمن أخذ بها من أمميتي ، أو لمن عميل بها .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا قبيصة ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، قال : كنت مع سلمان ، فأخذ غصن شجرة يابسة ، فحتمه وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الوَرَقُ » ، ثم قال : (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وحسين الجعفيّ عن زائدة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ماترى في رجل لقي امرأة لا يعرفها ، فليس يأتي الرجل من امرأته شيئا إلا قد أتاه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ فأنزل الله هذه الآية (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذوّهبن السيئات ، ذلك ذكركم للذاكيرين) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تتوضأ ؟ ثم صل ، قال معاذ : قلت يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للمؤمنين عامة ؟ قال : بلى للمؤمنين عامة » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى « أن رجلاً أصاب من امرأة ما دون الجماع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، يسأله عن ذلك ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنزلت (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) . . . الآية ، فقال معاذ : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : هي للناس عامة » .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم » ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شيبويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، قال : ثنا عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، قال : ثنا سليم بن عامر ، أنه سمع أبا أمامة يقول : « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أقم في حدّ الله ، مرةً واثنين ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، قال : أين هذآ القائل ؟ أقيم في حدّ الله ؟ قال : أناذا ، قال : هل أتممت الوضوء ، وصليت معنا آينفاً ؟ قال : نعم ، قال : فإنك من خطيئتك كما ولدتلك أمك ، فلا تعد ، وأنزل الله حينئذ على رسوله (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) . . . الآية » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل « أنه كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له ، لم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا أتاه ، إلا أنه لم يجامعها ، قال : يتوضأ وضوءاً حسناً ثم يصلّي ، فأنزل الله هذه الآية (أقيم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل) . . . الآية ، فقال معاذ : هي له يا رسول الله خاصة ، أم للمسلمين عامة ؟ قال : بلى للمسلمين عامة » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة « أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه لحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها ، فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر ، فوجد المرأة جالسة على غدِير ، فدفع في صدرها ، وجلس بين رجلها ، فصار ذكره مثل الهدبة ، فقام نادماً ، حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

اسْتَغْفِرُ رَبَّكَ ، وَصَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، قَالَ : وَنَلَا عَلَيْهِ (أُنِيعَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) . . . الآية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى ابن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري ، قال : « أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرا ، فقلت : إن في البيت تمرا أجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها ، فقبلتها ، فأتيت أبا بكر فسألته ، فقال : استر على نفسك وتب ، واستغفر الله ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَخَلَفْتِ رَجُلًا غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ حَتَّى ظَنَنْتِ أَنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى تَمْنَيْتِ أَنِّي أَسَلَمْتُ سَاعَتُكَ ، قَالَ : فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ، فَنَزَلَ جِبْرِئِيلُ فَقَالَ : أَيُّنَ أَبُوالْيُسْرِ ، فَجِئْتُ فَقَرَأَ عَلَيَّ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) . . . إِلَى (ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ) قَالَ إِنْسَانٌ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَاصَّةٌ ، أَمْ لِلنَّاسِ عَامَةً ؟ قَالَ : لِلنَّاسِ عَامَةً » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر قال : « لقيت امرأة فالتزمتها ، غير أنني لم أنكحها ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فقال : اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدا ، فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر رضي الله عنه ، فسألته ، فقال : اتق الله واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدا ، قال : فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال له : هل جهزت غازيا ؟ قلت : لا ، قال : فهل خلعت غازيا في أهله ؟ قلت : لا ، فقال لي ، حتى تمنيت أني كنت دخلت في الإسلام تلك الساعة ؛ قال : فلما وليت دعائي ، فقرأ عليّ (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) فقال له أصحابه : ألهذا خاصة . أم للناس عامة ؟ فقال : بَلْ لِلنَّاسِ عَامَةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « أن رجلا أصاب من امرأة قُبلة ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هلكت ، فأنزل الله (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ) . »

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سليمان التيمي ، قال : « ضرب رجل على كفل امرأة ، ثم أتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك ، قال : أمغزيرة هي ؟ قال : نعم ، قال : لا أدري . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن ذلك ، فقال : أمغزيرة هي ؟ قال : نعم ، قال : لا أدري ، حتى أنزل الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ) . »

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، في قول الله تعالى (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) « أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق ، فقبلها ، فأسقط في يده ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، فقال : اتق الله ، ولا تكن امرأة غاز ،

فقال الرجل: هي امرأة غاز، فذهب إلى أبي بكر، فقال مثل ما قال عمر، فذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً، فقال له كذلك، ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يجبهم، فأُنزل الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) الصلوات المفروضات (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكَّيرِينَ) .

حدثنا قاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن أبي رباح، قال: «أقبلت امرأة حتى جاءت لإنسانا يبيع الدقيق، لتبتاع منه، فدخل بها البيت، فلما خلا له قبلها، قال: فسقط في يديه، فانطلق إلى أبي بكر، فذكر ذلك له، فقال: أبصر لا تكونن امرأة رجل غاز، فبينما هم على ذلك، نزل في ذلك (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) « قيل لعطاء: المكتوبة هي؟ قال: نعم هي المكتوبة، فقال ابن جريج، وقال عبد الله بن كثير: هي المكتوبات .

قال ابن جريج، عن يزيد بن رومان: «أن رجلاً من بني غنم، دخلت عليه امرأة فقبلها، ووضع يده على دبرها، فجاء إلى أبي بكر رضي الله عنه، ثم إلى عمر رضي الله عنه، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية (أَقِمِ الصَّلَاةَ) . . . إلى قوله (ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكَّيرِينَ) فلم يزل الرجل الذي قبل المرأة يذكر، فذلك قوله (ذِكْرِي لِلذَّكَّيرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)

يقول تعالى ذكره: واصبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك، من الأذى في الله والمكروه، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثواب عمل من عمل فأطاع الله، واتبع أمره، فيذهب به، بل يوفّره أحوج ما يكون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ، وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره: فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي، وكفرهم برسلي من قبلكم (أُولُو بَقِيَّةٍ) يقول: ذوو بقية من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظ الله، ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله وعليهم في الكفر به (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) يقول: ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه، (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) يقول: لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا يسيراً، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من

كان مقبياً على الكفر بالله عذابه ، وهم أتباع الأنبياء والرسل ، ونصب قليلاً ، لأن قوله (إلاً قليلاً) استثناء منقطع مما قبله ، كما قال : (إلاً قومَ يونسَ لما آمنوا) ، وقد بينا ذلك في غير موضع ، بما أغنى عن إعادته .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : اعتذر فقال (فلكوا كان من القرون من قبلكم) . . . حتى بلغ (إلاً قليلاً ممن أنجينا منهم) فإذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله ، وقرأ (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فلكوا كان من القرون من قبلكم أولو بقية) . . . إلى قوله (إلاً قليلاً ممن أنجينا منهم) قال : يستقلهم الله من كل قوم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألت بلال ، عن قول الحسن في العذر ، قال : فقال : سمعت الحسن يقول (قيل يأنوح اهبط بسلام مننا وبركات بكليك وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتههم ، ثم يمسه مننا عذاب أليم) قال : بعث الله هوداً إلى عاد ، فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه ، وهلك المتمتعون ، وبعث الله صالحاً إلى ثمود ، فنجى الله صالحاً وهلك المتمتعون ، فجعلت أستقره الأمم ، فقال : ما أراه إلا كان حسن القول في العذر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فلكوا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلاً قليلاً ممن أنجينا منهم) . أي لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد في الأرض (إلاً قليلاً ممن أنجينا منهم) . وقوله (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يقول تعالى ذكره : واتبع الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بالله ، ما أترفوا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) قال : ما أنظروا فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) من دنياهم ، وكان هؤلاء وجهراً تأويل الكلام : واتبعوا الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم ، من نعيم الدنيا ولذاتها ، إثارة له على عمل الآخرة ، وما ينجيهم من عذاب الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك ، وعوتوا عن أمر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) قال : في ملكهم وتجبرهم ، وتركوا الحق .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : وتركهم الحق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو سراء .

﴿ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر تعالى ذكره أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا وكفروا بالله ، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا ، وصدّوا عن سبيله ، وذلك أن المترف في كلام العرب : هو المنعم الذي قد غُدّي باللذات ، ومنه قول الراجز :

تَهْدِي رُءُوسَ الْمُتَرْفِينَ الصَّدَادَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ — الْمُتَمَتِّدِ ١
وقوله (وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) يقول : وكانوا مكنتي الكفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)

﴿ يقول تعالى ذكره : وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التي أهلكتها ، التي قصّ عليك نبأها ، ظلما وأهلها مصلحون في أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم ، وطاعتهم ربهم ظلما ، ولكنه أهلكتها بكفر أهلها بالله ، وتماديهم في غيهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وركوبهم السيئات . وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله بظلم ، يعني : بشرك ، وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم ، وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ،

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)

(١) هذان البيتان تقدم الكلام عليهما في التفسير (٧ : ١٣١) وهما لرؤية بن العجاج (ديوانه ص ٤٠) وترتيبهما في الأرجوزة ال ١٠٢ ، ١٠٤ وجاءا في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٠١) وقال بعدهما : المتباد : من ماد مجيد . وفي اللسان (ماد) : المتباد : المطلوب منه العطاء ، مفتعل (اسم مفعول) . وأنشد لرؤية : تهدي . الخ . قال : أي المتفضل على الناس ، وهو المستعطي المشلول . وماد زيد عمرا : إذا أعطاه .

❦ يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلها جماعة واحدة، على ملة واحدة، ودين واحد كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول: لجعلهم مسلمين كلهم.

❦ وقوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) يقول تعالى ذكره: ولا يزال الناس مختلفين (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) ثم اختلف أهل التأويل في الاختلاف الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به، فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء، ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى، ونحو ذلك. وقال قائلو هذه المقالة: استثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفية هم الذين رحم ربك.

حدثني المثني، قال: ثنا قبيصة، قال: ثنا سفيان، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: اليهود والنصارى والمجوس (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: هم الحنيفية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع، قالوا: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا منصور بن عبد الرحمن، قال: قلت للحسن، قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ). قال: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، فمن رحم غير مختلفين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن حسن بن صالح، عن ليث، عن مجاهد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا عبد العزيز، عن منصور بن عبد الرحمن، قال: سئل الحسن، عن هذه الآية (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: الناس كلهم مختلفون على أديان شتى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فمن رحم غير مختلف، فقلت له: ولذلك خلقهم، فقال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: ثنا أبو جعفر، عن ليث، عن مجاهد، في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد، قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال: أهل الحق وأهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال: أهل الحق.

قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد، مثله.

قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق ليس فيهم اختلاف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ) قال : اليهود والنصارى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل القبلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : لا يزالون مختلفين في الهوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فأهل رحمة الله أهل جماعة ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة ، وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الحسن بن واصل ، عن الحسن (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) .

قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين في الرزق ، فهذا فقير ، وهذا غني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أن الحسن قال : مختلفين في الرزق ، سخر بعضهم لبعض . وقال بعضهم : مختلفين في المغفرة والرحمة ، أو كما قال .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وميول وأهواء شتى (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) فأمن بالله ، وصدق رسله ، فإلهم لا يختلفون في توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصراب في تأويل ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) في ذلك دليل واضح ، أن الذي قبله من ذكر

خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم .
وأما قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وللإختلاف خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) قال : للاختلاف .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قلت للحسن : (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن منصور ، عن الحسن ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا المعلّى بن أسد ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الحسن ، بنحوه .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الخذاء ، أن الحسن قال في هذه الآية : (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) قال : خلق هؤلاء لهذه ، وخلق هؤلاء لهذه .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوْدُة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) قال : أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافاً يضرهم .
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) قال : خلقهم فريقين : فريقاً يرحم فلا يختلف ، وفريقاً لا يرحم يختلف ، وذلك قوله (فَبَيْنَهُمْ شِقَايَ وَسَعِيدٌ) .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : يهود ونصارى ومجوس (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : من جعله على الإسلام (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) قال : مؤمن وكافر .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك عن قول الله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ) قال : للرحمة .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال للرحمة : حدثني المثنى ، قال : ثنا الحَمَاني ، قال : ثنا شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ،
مثله ، إلا أنه قال : للرحمة خلقهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)
قال : للرحمة خلقهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن ذكره عن ثابت ، عن الضحاك (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)
قال : للرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الحكم بن
أبان ، عن عكرمة (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : أهل الحق ومن اتبعه لرحمته .

حدثني سعد بن عبد الله ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن
ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ) قال : للرحمة (خَلَقَهُمْ)
ولم يخلقهم للعذاب .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : وللإختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لأن الله جلّ
ذكره ، ذكر الصنفين من خلقه : أحدهما أهل إختلاف وباطل . والآخر أهل حق : ثم عقب ذلك بقوله
(وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) ، فعمّ بقوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) صفة الصنفين ، فأخبر عن كل فريق منهما أنه
ميسر لما خلق له .

فإن قال قائل : فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت ، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على إختلافهم ،
إذ كان لذلك خلقهم ربهم ، وأن يكون المتمتعون هم الملومين ؟ قيل : إن معنى ذلك بإختلاف ما إليه ذهب ،
وإنما معنى الكلام : ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومملهم (إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ)
فهذه للحق ولعلمه وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم ، أنه يكون فيهم المؤمن والكافر ، والشقيّ
والسعيد ، خلقهم ؛ فعنى اللام في قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) بمعنى « على » كقولك للرجل : أكرمك على
برك بي ، وأكرمك لبرك بي .

وأما قوله (وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَةَ رَبِّكَ لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) لعلمه السابق
فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله ، وإختلافهم أمره . وقوله (وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَةَ رَبِّكَ) قسم كقول
القائل : حلفي لأزورنك ، وبدالي لآتينك ، ولذلك تليقت بلام اليمين .

وقوله (مِنَ الْجِنَّةِ) وهي ما اجتن عن أبصار بني آدم والناس ، يعني : وبني آدم ، وقيل : لأنهم
سموا جنة ، لأنهم كانوا على الجنان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك : وإنما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان ، والملائكة كلهم جنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : الجنة : الملائكة .

وأما معنى قول أبي مالك هذا : أن إبليس كان من الملائكة ، والجن ذريته ، وأن الملائكة تسمى عنده الجن ، لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ ، مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ، وَمَوْعِظَةٌ

وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ) الذين كانوا قبلك (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) فلا تجزع من تكذيب من كذبتك من قومك ، ورد عليك ما جئهم به ، ولا يضق صدرك ، فتترك بعض ما أنزلت إليك من أجل أن قالوا : (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) إذا علمت ما لتبي من قبلك من رسل من أممها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم . واختلف أهل العربية في وجه نصب كُلًّا ، فقال بعض نحوي البصرة : نُصِبَ عَلَى مَعْنَى : وَنَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ كُلًّا ، كأن الكل منصوب عنده على المصدر من نقص ، بتأويل : ونقص عليك ذلك كل القصص ، وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : ذلك غير جائز ، وقال : إنما نصب كُلًّا بنقص ، لأن كُلًّا بنيت على الإضافة ، كان معها إضافة أو لم يكن ، وقال : أراد كله نقص عليك ، وجعل ما ثبت ردًا على كُلًّا ، وقد بينت الصواب من القول في ذلك .

وأما قوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وجاءك في هذه السورة الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن خليل بن جعفر ، عن أبي إياس ، عن أبي موسى (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن خليل بن جعفر ، عن أبي إياس معاوية بن قرّة ، عن أبي موسى ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سعيد بن عامر ، قال : ثنا عوف ، عن أبي رجاء ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن عمرو العنبري ، عن ابن عباس (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن رجل من بني العنبر ، قال : خطبنا ابن عباس فقال : (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس ، حتى بلغ (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن مروان الأصغر ، عن ابن عباس : أنه قرأ على المنبر : (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) فقال : في هذه السورة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَجَاءَكَ) في هذه السورة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : هذه السورة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه السورة .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن بشعة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ،

عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ)
قال : في هذه السورة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال :
ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن البصري يقول في قول الله تعالى : (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ) قال : يعني في هذه السورة .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاءك في هذه الدنيا الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالوا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة :
(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : في هذه الدنيا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة
(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) قال : كان الحسن يقول : في الدنيا .

وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك : قول من قال : وجاءك في هذه السورة الحق ، لإجماع
الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .

فإن قال قائل : أو لم يجيء النبي صلى الله عليه وسلم الحق من سور القرآن إلا في هذه السورة ؟ فيقال :
وجاءك في هذه السورة الحق ، قيل له : بلى قد جاءه فيها كلها .

فإن قال : فما وجه خصوصه إذن في هذه السورة بقوله : (وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ) ؟ قيل : إن معنى
الكلام : وجاءك في هذه السورة الحق ، مع ما جاءك في سائر سور القرآن ، أو إلى ما جاءك من الحق في سائر
سور القرآن ، لأن معناه : وجاءك في هذه السورة الحق ، دون سائر سور القرآن .

وقوله (وَمَوْعِظَةٌ) يقول : وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به ،
وكذب رسله (وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول : وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله ، كي لا يغفلوا عن
الواجب لله عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ : أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا

مُنْتَظِرُونَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للذين لا يصدقونك ، ولا يقرؤن
بوحداية الله : اعملوا على مكانتكم ؛ يقول : على هيبنتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه ، فإننا عاملون ما نحن

عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها ، وانتظروا ما وعدكم الشيطان ، فإننا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) قال : يقول : انتظروا مواعيد الشيطان إياكم ؛ على ما يزين لكم ، إنا منتظرون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد ملك كل ما غاب عنك في السماوات والأرض ، فلم تطلع عليه ، ولم تعلمه ، كل ذلك بيده وبعلمه ، لا يخفى عليه منه شيء ، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك ، وما إليه مصير أمرهم ، من إقامة على الشرك ، أو إقلاع عنه وتوبة (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) يقول : وإلى الله معاد كل عامل وعمله ، وهو مجاز جميعهم بأعمالهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) قال : فيقضى بينهم بحكمه بالعدل . يقول (فَاعْبُدْهُ) يقول : فاعبد ربك يا محمد (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) يقول : وفوض أمرك إليه ، وثق به وبكفايته ، فإنه كافي من توكل عليه .

وقوله (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بساهٍ عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو محيط به ، لا يعزب عنه شيء منه ، وهو لهم بالمرصاد ، فلا يخزنك إعراضهم عنك ، ولا تكذيبهم بما جشتم به من الحق ، وامض لأمر ربك ، فإنك بأعيننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : خاتمة التوراة ، خاتمة هود .

آخر تفسير سورة هود ، والحمد لله المعبود المقصود .

تفسير السورة التي يذكر فيها يوسف

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١)

❦ قال أبو جعفر محمد بن جرير : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل ، في تأويل قوله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) ، والقول الذي نختاره في تأويل ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا .
وأما قوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : تلك آيات الكتاب المبين ، بين حلاله وحرامه ، ورشده وهداه .
ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا الوليد بن سلمة الفلستيني ، قال : أخبرني عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، في قول الله تعالى (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) قال : بين حلاله وحرامه .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)
أى والله لمبين تركيبه : هداه ورشده .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) قال بين الله رشده وهداه .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا الوليد بن سلمة ، قال : ثنا ثور ابن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ أنه قال في قول الله عز وجل : (الْكِتَابِ الْمُبِينِ) قال بين الحروف التي سقطت عن ألسن الأعاجم ، وهي ستة أحرف .

❦ والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : معناه : هذه آيات الكتاب المبين ، لمن تلاه وتدبر مافيه ، من حلاله وحرامه ونهيه ، وسائر ما حواه من صنوف معانيه ، لأن الله جل : ثناؤه أخبر أنه مبين ، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه ، فذلك على جميعه ، إذ كان جميعه مبينا عما فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)

❦ يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنًا عربيًا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربي ، فأزلنا هذا الكتاب بلسانهم ، ليعقلوه ، ويفقهوا منه ، وذلك قوله عز وجل : (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ

قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)

* يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص ، بوحينا إليك هذا القرآن ، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة ، والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية . (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك ، لاتعلمه ، ولا شئنا منه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة في الأمم (وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه إياه أن يقص عليهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام الرازي ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ، عن ابن عباس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ قال : فنزلت (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا نبي الله ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، قال : مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة ، فقالوا : يا رسول الله حدثنا ، فأنزل الله عز وجل (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) ، ثم ملوا ملة أخرى ، فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا فوق الحديث ، ودون القرآن ، يعنون القصص ، فأنزل الله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) ، فأرادوا الحديث ، فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص ، فدلهم على أحسن القصص .

حدثنا محمد بن سعيد العطار ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا خلاد الصفار ، عن عمرو بن قيس ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، قال : فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) . . . الآية . قال : ثم تلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله لو حدثنا ؟ فأنزل الله تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال خلاد : وزادوا فيه رجلا

آخر ، قالوا : يا رسول الله ، أو قال أبو يحيى : ذهبت من كتابي كلمة ، فأنزل الله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيِّهِ يَسَابْتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، يقول : إنى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبا . وقيل : إن رؤيا الأنبياء كانت وحيا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) قال : كانت رؤيا الأنبياء وحيا .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) قال : كانت الرؤيا فيهم وحيا ، وذكر أن الأحد العشر الكوكب التى رآها فى منامه ساجدة مع الشمس والقمر ، ما حدثنى على بن سعيد الكندى ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ، قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودى ، فقال له : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبه بشىء ، ونزل عليه جبرئيل ، وأخبره بأسمائها ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ، فقال : جربان والطارق ، والذبال ، وذوالكتفين ، وقابس ، ووثاب وعمودان ، والفليق ، والمصباح ، والضروع ، وذو الفرغ ، والضياء ، والنور ، فقال اليهودى : والله إنها لأسماؤها .

وقوله (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) يقول : والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجودا . وقال : ساجدين ، والكواكب والشمس والقمر ، إنما يخبر عنها بفاعلة وفاعلات ، لابلواو والنون ، إنما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم ، أو الجن أو الملائكة . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون ، أو الواو والنون ، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك ، كما قيل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وقال : رأيتهم وقد قيل : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، فكرر الفعل ، وذلك على لغة من قال : كَلَّمْت أَخَاكَ كَلَّمْتَهُ ، توكيذا للفعل بالتكرير . وقد قيل : إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبويه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) إخوته أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر ، يعنى بذلك : أبويه .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، في قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) . . . الآية ، قال : رأى أبويه وإخوته سجودا له ، فإذا قيل له عن قال إن كان حقا ، فإن ابن عباس فسرهُ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) قال : الكواكب : إخوته ، والشمس والقمر : أبواه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) إخوته (والشَّمْسَ) أمه (والقَمَرَ) أبوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان : كان أبويه وإخوته .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) هم إخوة يوسف (والشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هما أبواه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) . . . الآية ، قال : أبواه وإخوته قال : فنعاه إخوته ، وكانوا أنبياء ، فقالوا : مارضى أن يسجد له إخوته ، حتى يسجد له أبواه ، حين بلغهم .

وروى عن ابن عباس أنه قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر : أبوه وخالته ، من وجه غير محمود ، فكرهت ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَدْنِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥)

يقول جل ذكره : (قَالَ) يعقوب لابنه يوسف (يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ) هذه (عَلَيَّ إِخْوَتِكَ) فيحسدوك (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يقول : فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) يقول : إن الشيطان لآدم وبنيه عدو ، قد أبان لهم عداوته وأظهرها . يقول : فاحذر الشيطان أن يغري إخوتك بك ، بالحسد منهم لك ، إن أنت قصصت عليهم رؤياك . وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه قد كان تبين له من إخوته قبل ذلك حسدُهُ .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقري ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : نزل يعقوب الشام ، فكان همه يوسف وأخاه ، فحسده إخوته لَمَّا رَأَوْا حَبَّ أَبِيهِ لَهُ ، ورأى يوسف في المنام كأنَّ أحدَ عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين ، فحدث بها أباه فقال (يا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) . . . الآية .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) فقال بعض نحوي البصرة : معناه : فيتخذوا لك كيذا ، وليست مثل (إن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْسِرُونَ) ، تلك أرادوا أن يوصل الفعل إليها باللام ، كما يوصل بالباء ، كما تقول : قدمت له طعاما : تريد قدمت إليه . وقال : (يَا كَلْبُ مَا قَدَّمْتُمْ لُنَّ) ، ومثله قوله (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ) قال : وإن شئت كان : فيكيدوا لك كيذا ، في معنى : فيكيدوك ، وتجعل اللام مثل (لِيُرْهَبُونَ) وقد قال لربهم يرهبون ، إنما هو بمكان : ربهم يرهبون . وقال بعضهم : أدخلت اللام في ذلك ، كما تدخل في قولهم : حمدت لك ، وشكرت لك ، وحمدتك ، وشكرتك ، وقال : هذه لام عليها الفعل ، فكذلك قوله (فيكيدوا لك كَيْدًا) تقول : فيكيدوك ، ويكيدوا لك ، فيقصدوك ، ويقصدوا لك ، قال : وكيدا : توکید .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف ، لما قص عليه رؤياه (وكذلك يجتبيك ربك) وهكذا يجتبيك ربك . يقول : كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا ، فكذلك يصطفيك ربك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العنقري ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة (وكذلك يجتبيك ربك) قال : بصطفيك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكذلك يجتبيك ربك) ، ويعلمك من تأويل الأحاديث (فاجتباها واصطفاه وعلمه من عبر الأحاديث ، وهو تأويل الأحاديث . وقوله (ويعلمك من تأويل الأحاديث) يقول : ويعلمك ربك من علم ما ينزل إليه أحاديث الناس ، عما يروونه في منامهم ، وذلك تعبير الرؤيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قال : عبارة الرؤيا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ويعلمك من تأويل

الأحاديث (قال : تأويل الكلام : العلم والحلم ، وكان يوسف أعبر الناس ، وقرأ (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) .

وقوله (وَيُؤْتِي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) باجتهائه إليك ، واختياره وتعليمه إليك تأويل الأحاديث (وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ) يقول : وعلى أهل دين يعقوب وملته ، من ذريته وغيرهم (كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) باتخاذ هذا خليلا ، وتنجيته من النار ، وفدية هذا بذبح عظيم .

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عكرمة ، في قوله (وَيُؤْتِي نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) قال : فنعمة على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحاق أن نجاه من الذبح .
وقوله (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : إن ربك عليم بمواضع الفضل ، ومن هو أهل للاجتهاد والنعمة ، حكيم في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) الأحد عشر (آيَاتٌ) (يعني عسبر وذكر للسائلين) (يعني السائلين عن أخبارهم وقصصهم . وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه يقال : إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه ، يعلمه فيها ما لقي يوسف من خوته وإذائته من الحسد ، مع تكرمه الله إياه ، تسليته له بذلك ، مما يلقي من إذائته وأقاربه من مشركي قريش . كذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما قص الله تبارك وتعالى على محمد خير يوسف ، وبتغى إخوته عليه ، وحسداهم إياه حين ذكر رؤياه ، لمسا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بتغى قومه وحسداه ، حين أكرمه الله عز وجل بنبوته ليتأسى به .

واختلفت القراء في قراءة قوله (آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ) فقراءته عامة قراء الأمصار : آيات على الجماع . وروى عن مجاهد وابن كثير : أنهما قرأ ذلك على التوحيد .

والذي هو أولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ ذلك على الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالُوا : لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الرَّحْمَنِ فَضَلَّلْنَاهُ ، إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلَّلِ مُبِينٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : لقد كان في يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم ، حين قالوا لإخوة يوسف : (لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ) من أمه (أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الرَّحْمَنِ) يقولون : ونحن جماعة ذوو عدد

أحد عشر رجلاً، والعصبة من الناس هم عشرة فصاعداً ، قيل إلى خمسة عشر فصاعداً عشر . ليس لها واحد من لفظها ، كالنفسِ والرَهطِ (إنَّ أبانا لَسَيِّ ضَلالٍ مُّبِينٍ) يعنون : إنَّ أبانا يعقوب لَمَيَّ خطاً من فعله ، في إيثاره يوسفَ وأخاه من أمه علينا بالخبية ، ويعني بالمبين : أنه خطأيين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ، ونظر إليه . وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (إذْ قالُوا لِيُوسُفَ وأخُوهُ أَحَبُّ إلی أبینا مِننا) قال : يعنون بنيامين ، قال : وكانوا عشرة .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (إنَّ أبانا لَسَيِّ ضَلالٍ مُّبِينٍ) قال : في ضلال من أمرنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) قال : العصبة : الجماعة .

القول في تأويل قوله تعالى

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)

يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرض من الأرض ، يعنون مكاناً من الأرض (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يعنون : يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف ، فإنه قد شغله عنا ، وصرف وجهه عنا إليه (وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف ، وذنبهم الذي يركبونه فيه ، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوماً صالحين . وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (اَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) قال : تتوبون مما صنعتم ، أو من صنعكم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ، وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ أُنْسِيَّارَةٍ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : قال قائل من إخوة يوسف (لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) ، وقيل : إن قائل ذلك روبيل كان ابن خالة يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ رُوِيَ ،
كان أكبر القوم ، وهو ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (اِقْتُلُوا يُوسُفَ) . . . إلى قوله (إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ) قال : ذُكِرَ لِي وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ مِنْهُمْ رُوِيَ الْأَكْبَرُ ، مِنْ بَنِي يَعْقُوبَ ، وَكَانَ أَقْصَدَهُمْ
فِيهِ رَأْيًا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (لَاتَقْتُلُوا
يُوسُفَ) قال : كان أكبر إخوته ، وكان ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله .
وقيل : كان قاتل ذلك منهم شمعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن
مجاهد ، في قوله (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ) قال : هو شمعون .

وقوله (وَالْقَوْمُ فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) يقول : وَالْقَوْمُ فِي قَعْرِ الْحُبِّ ، حَيْثُ يَغِيبُ خَبْرُهُ .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (غِيَابَاتِ الْحُبِّ) على الجماع . وقرأ ذلك
عامة قراء سائر الأمصار (غِيَابَةِ الْحُبِّ) بتوحيد الغيبة . وقراءة ذلك بالتوحيد أحب إلى ، والحب : بئر .
وقيل : إنه اسم بئر ببيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) قال :
بئر ببيت المقدس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (غِيَابَةِ
الْحُبِّ) قال : بئر ببيت المقدس . والغيبة : كل شيء غيَّب شيئاً فهو غيبة ، والحب : البئر غير المطوية .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فِي غِيَابَةِ
الْحُبِّ) في بعض نواحيها : في أسفلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْقَوْمُ فِي غِيَابَةِ الْحُبِّ) يقول :
في بعض نواحيها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

لوالدهم يعقوب: (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) فتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء (وأنحن له ناصحون) نحوطه ونكلؤه.

انقول في تأويل قوله تعالى

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (١٢)

❦ واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء أهل المدينة (يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ) بكسر العين من يرتع ، وبالياء في يرتع ويلعب ، على معنى : يفتعل ، من الرعى : ارتعت فأنا أرتعى ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غدا يرتع الإبل ، ويلعب (وإننا له لحافظون) .
وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ) بالياء في الحرفين جميعا ، وتسكين العين ، من قولهم : رتع فلان في ماله : إذا لها فيه ونعم ، وأنفقه في شهواته ، ومن ذلك قولهم في مثل من الأمثال : القيد والرتعة ؛ ومنه قول القطامي :

أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وبعده عَطَائِكَ الْمِثَّةَ الرَّتَاعَا

وقرأ بعض أهل البصرة (نَرْتَعُ) بالنون (وَنَلْعَبُ) بالنون فيهما جميعا ، وسكون العين من نرتع .
حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : كان أبو عمرو يقرأ (نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ) بالنون ، قال : فقلت لأبي عمرو : كيف يقولون : نلعب وهم أنبياء ؟ قال : لم يكونوا يؤمنون بأنبياء .

❦ وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء ، ويجزم العين في يرتع ، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم ، وخدعوه بالخبر عن مسألهم إياه ذلك ، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط ، بخروجه إلى الصحراء وفُسْحَتِهَا ، ولعبه هنالك ، لا بالخبر عن أنفسهم . وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ) يقول : يسع وينشط .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : يلهو ، وينشط ، ويسعى .

(١) البيت للقطامي (اللسان : عطا) قال : وقول القطامي : «وبعد عطائك . . . الخ» ليس على حذف الزيادة ، ألا ترى أن في عطاء ألف «فعال» الزائدة ، ولو كان على حذف الزيادة لقال : «وبعد عطوك» . وقال اليفدادي في الخزانة (٣ : ٤٤٢) شاهد على أن العطاء هنا بمعنى الإعطاء ، ولهذا عمل عمله . والمفعول الثاني محذوف . أي بعد إعطائك المئة الرتاع إياي . قال : وأورده شرح الألفية على أن العطاء اسم مصدر ، وهو من قصيدة يمدح بها القطامي . زفر ابن الحارث الكلابي ، وحض قيسا وتغلب على الصلح . قال : وقال شارح ديوان الرتاع : الراعية . يقول : أأخونك بعد هذا وقد مننت على وأطلقني . وفي اللسان : الرتع : الرعى في الخصب . اهـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : ينشط ، ويلهو .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : يسعى ، ويلهو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قوله (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : يتلهى ويلعب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : ينشط ويلعب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا) يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ : يلهو .

قال : ثنا حسين بن علي ، عن شيان ، عن قتادة (أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : ينشط ، ويلعب .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا نعيم بن صمّصم العامري ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، في قوله (أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : يسعى ، وينشط .

وكان الذين يقرءون ذلك (يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) بكسر العين من يرتع ، يتأولونه على الوجه الذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُرْسِلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ) قال : يرعى غنمه ، وينظر ويعقل ، فيعرف ما يعرف الرجل .

وكان مجاهد يقول في ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، (قوله (نَرْتَعُ) : يحفظ بعضنا بعضا ، نتكالا ، نتحارس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (نَرْتَعُ) قال : يحفظ بعضنا بعضا : نتكالا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه .

فتأويل الكلام : أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم ، وننشط في الصحراء ، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (قَالَ) يعقوب لهم : (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) معكم إلى الصحراء ، مخافةً عليه من الذئب أن يأكله ، (وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) : لاتشعرون .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب : لئن أكل يوسف الذئب في الصحراء ، ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه ، وهم العصابة ، (إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) يقول : إنا إذا لعجزة هالكون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)

وفي الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك ، وهو فأرسله معهم (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ، وَاجْمَعُوا) يقول : وأجمع رأيهم وعزموا على (أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قوله (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) . . . الآية ، قال : قال : لن أرسله معكم ، إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . (قَالُوا : لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ . فأرسله معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة : فلما برزوا به إلى البرية ، أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه ، فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحمة ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ، لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإمام ؛ فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني مَوْثِقًا أَنْ لَا تَقْتُلُوهُ ، فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه ، فجعلوا يبدلونه في البئر ، فيتعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ردوا علي قميصي ، أتواري به في الجب ، فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئاً ، فدلّوه في البئر ، حتى إذا بلغ نصفها ، ألقوه إرادة أن يموت ، وكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ؛ قال : فلما ألقوه في البئر جعل يبكي ، فنادوه ، فظن أنها رحمة أدركتهم ، فلبّاهم . فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه ، فقام يهوذا فمنعهم ، وقال : قد أعطيتموني مَوْثِقًا أَلَا تَقْتُلُوهُ ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

وقوله (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا) فأدخلت الواو في الجواب ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَىٰ بنا بطنُ حَبَّتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنَقَلٍ^١ فأدخل الواو في جواب لَمَّا ، وإنما الكلام : فلما أجزنا ساحة الحي أنتحى بنا ، وكذلك (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا) لأن قوله أجمعوا هو الجواب .

وقوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ) يقول : وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا : يقول : بفعلهم هذا الذي فعلوه بك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لا يعلمون ولا يدرون . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله عز وجل بقوله : (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فقال بعضهم : عني بذلك : أن الله أوحى إلى يوسف أن يوسف : سيدني إخوته بفعلهم به ما فعلوه ، من إلقائه في الحب ، ويبيعهم إياه ، وسائر ما صنعوا به من صنيعهم ، وإخوته لا يشعرون بوحي الله إليه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) إلى يوسف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ) هذا) قال : أوحينا إلى يوسف : لتنبئن إخوتك .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أوحى إلى يوسف وهو في الحب : أن سيدبئهم بما صنعوا ، وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) قال : إلى يوسف .

وقال آخرون : معنى ذلك : وأوحينا إلى يوسف بما إخرته صانعون به ، وإخوته لا يشعرون بإعلام الله إياه بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم ، وهو في البئر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٧) وأجزنا : قطعنا . والساحة الفناء . والحي : القبيلة . والجمع : الأحياء . وانتحى : اعترض . والحب : أرض مطمئنة ، والحقف من الرمل : المعوج . ويروي : ركام ، أي بعضه فوق بعض : والعنقل : المتعقد ، المتداخل . ويروي : ذى قفاف ، جمع قف ، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض ، ولم يبلغ أن يكون جبلا بعضه في بعض . قال الزوزني في شرحه للمعلقات السبع : وزعم أبو عبيدة ، وأكثر الكوفيين أن الواو في « وانتحى » مقحمة زائدة ، وهو عندهم جواب لما . قال : وكذلك قولهم في الواو في قوله تعالى : « وناديناه أن يا إبراهيم » . والواو لا تقحم زائدة في جواب لما عند البصريين ، والجواب يكون محذوفا في مثل هذا الموضع ، تقديره في البيت : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتممت بها ، والجواب قوله : « هصرت » . وفي الآية : فازا وظفرا بما أحيا . وحذف جواب لما كثير في التنزيل وكلام العرب .

لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) قال : أوحى الله إلى يوسف وهو في الحب أن ينبئهم بما صنعوا به ، وهم لا يشعرون بذلك الوحي .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به ، وهم لا يشعرون أنه يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لا يشعرون أنه يوسف .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف ، فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جرى بالصواع فوضعه على يده ، ثم نقره ، فظن ، فقال : إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم ، يقال له يوسف ، يدنيه دونكم ، وأنكم انطلقتم به ، فألقيتموه في غيابة الحب . قال : ثم نقره ، فظن ، ، فأتيتم أباكم فقلتم : إن الذئب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب ، قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس : فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا : يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ، وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ، فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)

يقول جل ثناؤه : وجاء إخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الحب (عِشَاءً يَبْكُونَ) وقيل : إن معنى قوله (نَسْتَبِقُ) نتضل من السباق .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون ، فلما سمع أصواتهم ، فزع ، وقال : مالكم يا بني ، هل أصابكم في غنمكم شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فما فعل يوسف ؟ (قالوا : يا أبانا إننا ذهبنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ، فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ) فبكى الشيخ ، وصاح بأعلى صوته ، وقال : أين القميص ؟ فجاءوه بالقميص عليه دم كذب ، فأخذ القميص ، فطرحه على وجهه ، ثم بكى ، حتى تخضب وجهه من دم القميص .

وقوله (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) يقولون : وما أنت بمصدقنا على قيلنا إن يوسف أكله الذئب (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)

قال : بمصدق لنا (وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) ^١ إما خبر عنهم أنهم غير صادقين ، فذلك تكذيب منهم أنفسهم ، أو خبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه ، فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صدقهم ؟ قيل : ليس معنى ذلك بواحد منهما ، وإنما معنى ذلك : وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يهتمون ، لسوء ظنك بنا ، وتهمتك لنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ عَلِيٌّ قَمِيصَهُ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ،
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره (وَجَاءَ عَلِيٌّ قَمِيصَهُ بِدَمٍ كَذِبٍ) وسماه الله كذبا ، لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا ، فقالوا ليعقوب : هو دم يوسف ، ولم يكن دمه ، وإنما كان دم سخلة ^٢ فيما قيل . ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجَاءَ عَلِيٌّ قَمِيصَهُ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجَاءَ عَلِيٌّ قَمِيصَهُ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة ، يعني : شاة .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : كان ذلك الدم كذبا ، لم يكن دم يوسف .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : دم سخلة شاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : بدم سخلة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : ذبحوا جديا من الغنم ، ثم لطحوا القميص بدمه ، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب : إن كان هذا الذئب لرحيما ، كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ؟ يا بني يا يوسف ، ما فعل بك بنو الإمام .

(١) لعله : فإن قال قائل : قوله : ولو كنا . . . الخ .

(٢) السخلة : ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكرا كان أو أنثى .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو أكله السبع لخرق القميص . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، قال : ثنا سفیان بإسناده عن ابن عباس مثله ، إلا أنه قال : لو أكله الذئب لخرق القميص .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لو كان الذئب أكله لخرقه . حدثني عبيد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، قال : جرى بقميص يوسف إلى يعقوب ، فجعل ينظر إليه ، فيرى أثر الدم ، ولا يرى فيه خرقاً ، قال : يا بني ، ما كنت أعهد الذئب حلماً .

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو عاصم العنقدي ، عن قرة ، قال : سمعت الحسن يقول : لما جاءوا بقميص يوسف ، فلم ير يعقوب شقاً ، قال : يا بني ، والله ما عهدت الذئب حلماً . حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، عن عمران بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم ، قال : جعل يتلمبه ، فيقول : ما عهدت الذئب حلماً ، أكل ابني ، وأبني على قميصه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتوا نبي الله يعقوب بقميصه ، قال : ما أرى أثر سبع ، ولا طعن ولا خرق . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِدَمٍ كَذِبٍ) الدم كذب ، لم يكن دم يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، قال : ذبحوا جدًا ، ولطخوه من دمه ، فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحاً ، عرف أن القوم كذبوه ، فقال لهم : إن كان هذا الذئب حلماً ، حيث رحم القميص ، ولم يرحم ابني ، فعرف أنهم قد كذبوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفیان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف ، فلم ير فيه خرقاً ، قال : كذبتم ، لو أكله السبع لخرق قميصه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، ويعلى ، عن زكريا ، عن سماك عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات ، حين جاءوا على قميصه بدم كذب . قال : وقال يعقوب : لو أكله الذئب لخرق قميصه . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا زكريا ، عن سماك ، عن عامر ، قال : إنه كان يقول : في قميص يوسف ثلاث آيات ، حين أتى على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين قد من دبر ، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سيارك ، عن عامر ، قال : كان في قميص يوسف ثلاث آيات : الشق ، والدم ، وألقاه على وجه أبيه ، فارتد بصيرا .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قنبرة ، عن الحسن ، قال : لما جرى بقميص يوسف إلى يعقوب ، فرأى الدم ، ولم ير الشق ، قال : ما عهدت الذئب حلما .
قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قنبرة ، عن الحسن ، بمثله .

فإن قال قائل : كيف قيل (بدم كذب) وقد علمت أنه كان دما لاشك فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟ قيل : في ذلك من القول وجهان : أحدهما : أن يكون قيل (بدم كذب) لأنه كذب فيه ، كما يقال : الليلة الهلال ، وكما قيل : (فَمَا رَبَّحْتَ تَجَارُتَهُمْ) وذلك قول كان بعض نحوِّي البصرة يقوله .
والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى مفعول ، وتأويله : وجاءوا على قميصه بدم مكذوب ، كما يقال : ماله عقل ولا معقول ، ولا له جسد ، ولا له مجلود ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، تضع مفعولا في موضع المصدر ، والمصدر في موضع مفعول ، كما قال الراعي :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَسْتَرْكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا

وذلك كان يقوله بعض نحوِّي الكوفة .

وقوله (قال بئس سؤلت لكم أنفسكم أمرا) يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه ، أن الذئب أكل يوسف ، مكذبا لهم في خبرهم ذلك ، ما الأمر كما تقولون (بئس سؤلت لكم أنفسكم أمرا) يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف ، وحسنته ففعلتموه .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال بئس سؤلت لكم أنفسكم أمرا) قال : يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرا .

وقوله (فصبر جميل) يقول : فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف ، صبر جميل ، أو فهو صبر جميل . وقوله (والله المستعان على ما تصفون) يقول : والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب . وقيل : إن الصبر الجميل : هو الصبر الذي لا جزع فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فصبر جميل) قال : ليس فيه جزع .

(١) البيت للراعي النخعي ، من قصيدة له يمدح عبد الملك بن مروان ، ويشكو من السعاة (جباة الزكاة) . وقد وردت في جملة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي (ص ١٧٢ - ١٧٦) يقول : إن السعاة ضربوا عريف القوم وهو رئيسهم ، بالسياط الأصحية (في البيت قبله) حتى لم يتركوا على عظامه لحما ، ولا أبقوا في فؤاده عقلا . والمعقول : مصدر بمعنى العقل .
وأورده الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ج ٢ ص ١٥١) قال : وقوله « وجاءوا على قميصه بدم كذب » معناه مكذوب . والعرب تقول : للكذب مكذوب ، وليس له عقد رأى ، ومعقود رأى ، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا ، ويقولون : هذا أمر ليس له معنى ، يريدون معنى ، قال الشاعر : « إن أبا مجلود من صبرا » . وقال آخر « حتى إذا لم يتركوا . . . البيت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفیان ، عن مجاهد (فَصَّيْرٌ جَمِيلٌ) في غير جَزَع .
 قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبلة ، قال :
 « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (فَصَّيْرٌ جَمِيلٌ) قال : صبرٌ لاشكوى فيه » قال : من
 بَثَّ فلم يصبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن
 أبي جبلة « أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله (فَصَّيْرٌ جَمِيلٌ) قال : صَبْرٌ لاشكوى فيه » .
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَصَّيْرٌ جَمِيلٌ) : ليس فيه جَزَع .
 حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ،
 في قوله (فَصَّيْرٌ جَمِيلٌ) : قال : في غير جَزَع .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن بعض أصحابه ، قال :
 يقال ثلاث من الصبر : أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ، ولا تركي نفسك .

قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت « أن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سقط
 حاجباه ، فكان يرفعهما بخرقه ، فقيل له ما هذا ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله تبارك
 وتعالى إليه : يا يعقوب أتشكوني ؟ قال : يا رب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي .
 وقوله (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة
 (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) : أي على ما تكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ، فَأَدْلَى دَلْوَهُ ، قَالَ : يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسْرُوهُ

بِضْعَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : وجاءت مارة الطريق من المسافرين (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) وهو الذي يرد المنهل
 والمنزل ، ووروده إياه : مصيره إليه ودخوله (فَأَدْلَى دَلْوَهُ) يقول : أرسل دلوه في البئر ، يقال :
 أدليت الدلو في البئر : إذا أرسلتها فيه ، فإذا استقيت فيها قلت : دلتوت أدلو دلتوا . وفي الكلام محذوف

استغنى بدلالة ما ذكر عليه فترك ، وذلك : فأدلى دلوه ، فتعلق به يوسف فخرج ، فقال المدلى : (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

وبالذی قلنا فی ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأویل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وجاءت سيارة فأرسلوا وأردهم فأدلى دلوه) فتعلق يوسف بالحبل فخرج ، فلما رآه صاحب الحبل ، نادى رجلا من أصحابه يقال له بشري (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فأرسلوا وأردهم فأدلى دلوه) فتشبت الغلام بالدلو ، فلما خرج قال : يا بشري ، هذا غلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأرسلوا وأردهم) يقال : أرسلوا رسولهم ، فلما (أدلى دلوه) تشبت بها الغلام (قال يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) .
واختلفوا في معنى قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) فقال بعضهم : ذلك تبشير من المدلى دلوه أصحابه ، في إصابته يوسف بأنه أصاب عبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) تباشروا به حين أخرجه ، وهي بئر بأرض بيت المقدس ، معلوم مكانها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : بشرهم واردهم حين وجد يوسف .

وقال آخرون : بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه ، ناداه المدلى لما خرج يوسف من البئر ، متعلقا بالحبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : نادى رجلا من أصحابه يقال له : بُشْرَى ، فقال (يا بُشْرَى ، هَذَا غُلامٌ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدي ، في قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : كان اسم صاحبه بشري .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، في قوله (يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ) قال : اسم الغلام بشري ، قال : يا بشري ، كما تقول : يا زيد . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة القراء أهل المدينة (يا بُشْرَى) بإثبات ياء الإضافة ، غير أنه أدغم الألف في الياء طلبا للكسرة التي تلزم ما قبل ياء الإضافة من المتكلم في قولهم : غلامي وجاريتي في كل حال ، وذلك من لغة طي ، كما قال أبو ذؤيب :

سَبَقُوا هَوَىٰ وَأَعْتَقُوا هَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَّصْرَعٌ ١

وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين (يا بُشْرَى) بإرسال الياء وترك الإضافة ؛ وإذا قرئ ذلك كذلك ، احتمل وجهين من التأويل : أحدهما : ما قاله السدي ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقئ باسمه ، كما يقال : يا زيد ، ويا عمرو ، فيكون بشرى في موضع رفع بالنداء . والآخر : أن يكون أراد إضافة البشرية إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريد بها ، فيكون مفردا ، وفيه نية الإضافة ، كما تفعل العرب في النداء فتقول : يا نفس اصبري ، ويا نفسي اصبري ، ويا بَنِيَّ لاتفعل ، ويا بَنِيَّ لاتفعل ، فتفرد وترفع ، وفيه نية الإضافة ، وتضيف أحيانا فتكسر ، كما تقول : يا غلام أقبل ، ويا غلامي أقبل .

وأعجب القراءة في ذلك إلى قراءة من قرأه بإرسال الياء وتسكينها ، لأنه إن كان اسم رجل بعينه ، كان معروفا فيهم ، كما قال السدي ، فذلك هي القراءة الصحيحة لاشك فيها ، وإن كان من التبشير فإنه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على ما بينت . وأما التشديد والإضافة في الياء فقراءة شاذة لأرى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفة لإجماع الحجة من القرآء على خلافها .

وأما قوله (وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : وأسره الوارد المستقئ ، وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر ، لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به ، أن يطلبوا منهم فيه الشركة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً) قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخرته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثق منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر ، فقال : من يبتاعني ويبتسر ، فاشتراه الملك ، والملك مسلم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق ، حتى أوقفوه بمصر ، وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال : خيفة أن يشاركوهم فيه إن علموا بثمنه .

(١) البيت لأبي ذؤيب يرثي أولاده (ديوان المهذلين طبعة دار الكتب المصرية ١ : ٢) . وهوى : هوى ، وهذه لغة هذيل ، يقبلون ألف المقصور المضاف إلى الياء ياء ، ثم يدغمونها . فيقولون هذه عصي في عصاي . وأعتقوا : أسرعوا . فتخرموا : أي أخذوا واحدا واحدا . وهو من شواهد النحويين . ورواء الفراء في معاني القرآن ، عن القاسم بن معن باختلاف عن رواية الطبري هنا ، قال :

تَرَكَوْا هَوَىٰ وَأَعْتَقُوا هَوَاهُمْ فَفَتَقَدَّ هَمُّهُمُ وَلِكُلِّ حَبِّ مَّصْرَعٍ

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا ثمنه ، وقال أيضا : حتى أوقفوه بمصر .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وأسرّوه بِضَاعَةً) قال : لما اشتراه الرجلان فدرقا من الرقعة أن يقولوا اشتريناه ، فيسألوهم الشركة ، فقالا : إن سألونا ما هذا ؟ قلنا بضاعة استبضعناه أهل الماء ، فذلك قوله (وأسرّوه بِضَاعَةً) بينهم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأسرّه التجار بعضهم من بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وأسرّوه بِضَاعَةً) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .
حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (وأسرّوه بِضَاعَةً) قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .
وقال آخرون : معنى ذلك : وأسرّوا بيعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وأسرّوه بِضَاعَةً) قال : أسرّوا بيعه .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن مجاهد (وأسرّوه بِضَاعَةً) قال : قالوا لأهل الماء : إنما هو بضاعة .
وقال آخرون : إنما عنى بقوله (وأسرّوه بِضَاعَةً) إخوة يوسف ، أنهم أسرّوا شأن يوسف أن يكون أخاهم ، قالوا : هو عبد لنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وأسرّوه بِضَاعَةً) يعني إخوة يوسف أسرّوا شأنه ، وكنتموا أن يكون أخاهم ، فكتم يوسف شأنه ، مخافة أن تقتله إخوته ، واختار البيع ، فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادى أصحابه ، قال : (يا بشرى ، هَذَا غُلَامٌ) يباع ، فباعه إخوته .
وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : وأسرّ وَاَرَادَ الْقَوْمَ الْمُدَّ لِي دَلُوهُ . ومن معه من أصحابه ، من رُفِقْتَهُ السَّيَّارَةَ ، أمر يوسف ، أنهم اشتروه ، خيفة منهم أن يستشركوهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء ، وذلك أنه عَقِيْبَ الْخَبْرِ عَنْهُ ، فلأن يكون ماوليه من الخبر خيرا عنه ، أشبه من أن يكون خيرا عن من هو بالخبر عنه غير متصل .

وقوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يعمل به باعة يوسف ومشروه في أمره ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولكنه ترك تغيير ذلك ، ليضئ فيه وفيهم حكمه السابق في علمه ، وليرى إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه . وهذا وإن كان خيرا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تذكير من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وتسليية منه له عما كان يلتقى من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى فيه ، يقول له : فاصبر يا محمد على ما نالك في الله ، فإنني قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون ، كما كنت قادرا على تغيير ما لقي يوسف من إخوته ، في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ، ولم يكن تركي ذلك هو ان يوسف على ، ولكن لما ضئ علمي فيه وفي إخوته ، فكذلك تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هو ان بك على ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم ، ثم يصير أمرهم وأمرهم إلى علوك عليهم ، وإذ غابهم لك ، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم ، وعلو يوسف عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ، وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَشَرَوْهُ) به ، وباع إخوة يوسف يوسف ، فأما إذا أراد الخبر عن أنه ابتاعه ، قال : اشتريته ؛ ومنه قول ابن مفرغ الحميرى :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِّنْ قَبْلِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً^١

يقول : بعث بردا ، وهو عبد كان له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كره الشراء والبيع للبدوي ؛ قال : والعرب تقول : اشترى لي كذا وكذا : أى بع لي كذا وكذا ، وتلا هذه الآية (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) يقول : باعوه ، وكان بيعه حراما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : إخوة يوسف أحد عشر رجلا ، باعوه ، حين أخرجه المذلى إلى بدلوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وثنا إسحاق ، قال :

ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٠٤) على أن شريت بمعنى بعث . وفي (اللسان : شري) : وشاهد شريت

بمعنى بعث ، قول يزيد بن مفرغ وقد باع غلامه بردا ، فندم بعد بيعه :

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلَا مَا تَكَنَّسْتَنِي مِّنَ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَشَرَوْهُ) قال : قال ابن عباس : فبيع بينهم .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله
 (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
 فباعه إخوته بثمن بخص .
 وقال آخرون : بل عنى بقوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) السيارة أنهم باعوا يوسف بثمن بخص .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
 بَخْسٍ) وهم السيارة الذين باعوه .
 * وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : وشروا إخوة يوسف ، يوسف بثمن بخص ،
 وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراء يوسف من أصحابهم ، خيفة أن
 يستشركوهم ، بادعائهم أنه بضاعة ، ولم يقولوا ذلك لإلراغبة فيه أن يخلص لهم دونهم ، واسترخاصا لثمنه الذي
 ابتاعوه به ، لأنهم ابتاعوه ، كما قال جل ثناؤه (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من
 الزاهدين ، لم يكن لثمنهم لرفقائهم هو بضاعة معني ، ولا كان لشراهم إياه وهم فيه من الزاهدين ، وجه ، إلا
 أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم ، لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد ، من غير إكراه مكره
 له عليه ، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول : هو بضاعة ، لم اشتريه مع زهدة فيه ، بل هذا القول من
 قول من هو بسلخته ضنين ، لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها ، وفضل الربح .
 وأما قوله (بَخْسٍ) فإنه يعنى : نقص ، وهو مصدر من قول القائل : بخت فلانا حقه : إذا
 ظلمته ، يعنى : ظلمه فنقصه عما يجب له من الوفاء ، أخصه بخصا ، ومنه قوله (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ) ، وإنما أريد بثمن مبخوس منقوص ، فوضع البخص وهو مصدر ، مكان مفعول ، كما
 قيل (بَدَمٌ كَذِبٌ) ، وإنما هو بدم مكذوب فيه .
 واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : قيل (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) لأنه كان حراما عليهم .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال :
 البخص : الحرام .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ
 يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان ثمنه بخصا حراما ، لم يحل لهم أن يأكلوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : باعوه بثمن بخص ، قال : كان بيعه حراما ، وشراؤه حراما .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : حرام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) يقول : لم يحل لهم أن يأكلوا ثمنه .

وقال آخرون : معنى البخص هنا : الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : البخص : هو الظلم ، وكان بيع يوسف وثمانه حراما عليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) قال : ظلم .

وقال آخرون : عنى بالبخص في هذا الموضع : القليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن جابر ، عن عامر ، قال : البخص : القليل . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ، مثله . وقد بينا الصحيح من القول في ذلك .

وأما قوله (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) فإنه يعنى عز وجل أنهم باعوه بدرهم غير موزونة ، ناقصة غير وافية ، لزهدهم كان فيه . وقيل : إنما قيل : معدودة ، ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين ، لأنهم كانوا في ذلك الزمان ، لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما ، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزن الأوقية أربعين درهما ، قالوا : وإنما دل بقوله (مَعْدُودَةٍ) على قلة الدراهم التي باعوه بها ، فقال بعضهم : كان عشرين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : إن ما اشترى به يوسف عشرون درهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف البكالي ، في قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع : وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن نوف البكالي (بَخْسِ دَرَاهِمٍ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانِي ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (بِشْمَنِ بَخْسِ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) قال : عشرون درهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) قال : كانت عشرين درهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يَبِيعُ بَعْشْرِينَ دَرَاهِمًا ، وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي إدريس ، عن عطية ، قال : كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها ، درهمين درهمين .

وقال آخرون : بل كان عددها اثنين وعشرين درهما ، أخذ كل واحد من إخوة يوسف ، وهم أحد عشر رجلا ، درهمين درهمين منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) قال : اثنين وعشرين درهما .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) قال : اثنان وعشرون درهما ، لإخوة يوسف أحد عشر رجلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) : قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . وقال آخرون : بل كانت أربعين درهما .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة (دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) قال : أربعين درهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : باعوه ، ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية ، وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالأواق ، فما قصر عن الأوقية ، فهو عدد ، يقول الله (وَشَرَوْهُ بِشْمَنِ بَخْسِ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ) أي : لم يبلغ الأوقية .

❦ والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدرهم معدودة ، غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ، ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ، ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين ، وأن يكون كان أربعين ، وأقل من ذلك وأكثر ، وأى ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة ، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ، ولا في الجهل به دخول ضرر فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه .

وقوله (وكانوا فيه من الزاهدين) يقول تعالى ذكره : وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لا يعلمون كرامته عند الله، ولا يعرفون منزلته عنده، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه، ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التي كانت مصروفة إلى يوسف دونهم ، مصروفة إليهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك (وكانوا فيه من الزاهدين) قال : لم يعلموا بنبوته ، ومنزلته من الله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (وجاءت سياره) فنزلت على الحب (فأرسلوا وأردتهم) ، فاستقى من الماء ، فاستخرج يوسف ، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما ، لا يعلمون علمه ، ولا منزلته من ربه ، فزهدوا فيه ، فباعوه ، وكان بيعه حراما ، وباعوه بدرهم معدودة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك (وكانوا فيه من الزاهدين) قال : إخوته زهدوا ، فلم يعلموا منزلته من الله ، ونبوته ، ومكانه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إخوته زهدوا فيه ، لم يعلموا منزلته من الله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ: الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، عَمِيَ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ، وَنُعَلِّمُهُ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)

❦ يقول جل ثناؤه : وقال الذي اشترى يوسف من بائعه بمصر ، وذكر أن اسمه قطفير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قال : كان اسم الذي اشتراه قطفير . وقيل : إن اسمه إطفير بن روجيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد ، رجل من العماليق .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وقيل : إن الذي باعه بمصر كان مالك بن زعر بن ثويب بن عتقاء بن مديان بن إبراهيم .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ) واسمها فيما ذكر ابن إسحاق : راعيل بنت رعاثيل .

حدثنا بذلك بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ) يقول : أكرمى موضع مقامه ، وذلك حيث ينشوي ويقوم فيه ، يقال : ثوى فلان بمكان كذا : إذا أقام فيه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ) منزلته ، وهي امرأة العزيز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَشْوَاهُ) قال : منزلته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد اشتراه الملك ، والملك مسلم .

وقوله (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) ذكر أن مشري يوسف ، قال هذا القول لامرأته ، حين دفعه إليها ، لأنه لم يكن له ولد ، ولم يأت النساء ، فقال لها : أكرمي عسى أن يكفيننا بعض ما نعانى من أمورنا ، إذا فهم الأمور التي نكلفها وعرفها ، أو نتخذه ولدا : يقول : أو نتبناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان إطفير فيما ذكر لي ، رجلا لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة ، طاعمة في ملك ودينا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرس في يوسف ، فقال لامرأته (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وأبو بكر حين تفرس في عمر ، والتي قالت (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق بيوسف إلى مصر ، فاشتراه العزيز ملك مصر ، فانطلق به إلى بيته ، فقال لامرأته : (أَكْرَمِي مَشْوَاهُ ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته (أَكْرِمِي مَشْوَاهُ) والقوم فيه زاهدون . وأبو بكر حين تفرس في عمر فاستخلفه . والمرأة التي قالت : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرِيهِ) .

وقوله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) يقول عز وجل : وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته ، وقد هموا بقتله ، وأخرجناه من الحب بعد أن ألقى فيه ، فصيرناه إلى الكرامة ، والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر ، كذلك مكنا له في الأرض ، فجعلناه على خزائنها .

وقوله (وَلِنُعَلِّمَهُ مِيزَاتٍ وَيُلِي الْأَحَادِيثِ) يقول تعالى ذكره : وكى نعلم يوسف من عبارة الرؤيا مكنا له في الأرض .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِيزَاتٍ وَيُلِي الْأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلِنُعَلِّمَهُ مِيزَاتٍ وَيُلِي الْأَحَادِيثِ) قال : تعبير الرؤيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح (وَلِنُعَلِّمَهُ مِيزَاتٍ وَيُلِي الْأَحَادِيثِ) قال : عبارة الرؤيا .

وقوله (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) يقول تعالى ذكره : والله مستول على أمر يوسف يسوسه ويدبره ويحوطه ، والهاء في قوله (على أمره) عائدة على يوسف .

وروى عن سعيد بن جبير في معنى : غالب ، ما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) قال : فعال .

وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف ، فباعوه بثمن خسيس ، والذين صار بين أظهرهم ، من أهل مصر ، حين بيع فيهم ، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع ، وإليه يوسف من أمره صائر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : لما بلغ يوسف أشده : لما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه ، وحده وذلك فيما بين ثمانى عشرة إلى ستين سنة ، وقيل إلى أربعين سنة ، يقال منه : مضت أشد الرجل : أى شدته ، وهو جمع مثل الأضر والأسر لم يسمع له بواحد من لفظه ، ويجب في القياس أن يكون واحده شد ، كما واحد الأضر وواحد الأسر ، كما قال الشاعر :

هل غير أن كثر الأشد وأهلكت حرب الملوكة أكابر الأموال

وقال حميد :

وقد أتى لَوُ تَعْتَبُ العَوَاذِلُ بَعْدَ الأَشْدِّ أَرْبَعٌ كَوَامِلٌ ٢

وقد اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله به في هذا الموضع من مبلغ الأشد ، فقال بعضهم : عنى به ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثني المنفى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن علي بن الهيثم ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول في قوله : (و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

وقال آخرون : بل عنى به : عشرون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن علي بن المسيب ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله (و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال : عشرين سنة .

وروي عن ابن عباس من وجه غير مرضي ، أنه قال : ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين ، وقد بينت معنى الأشد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه أتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما . والأشد : هو انتهاء قوته وشبابه ، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة ، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولا دلالة في كتاب الله

(١) في اللسان : الأشد : مبلغ الرجل الحكمة والمعرفة . وذلك ما بين الثمانى عشرة والثلاثين . قال الفراء : الأشد : واحدا : شد (بالفتح) في القياس . قال : ولم أسمع لها بواجب . وقال سيبويه : واحدا : شدة ، كنعمة وأنعم . وقال ابن جني : قال أبو عبيد : هو جمع أشد ، على حذف الزيادة . قال وقال أبو عبيدة : ربما استكرهوا على حذف هذه الزيادة في الواحد ، وأنشد بيت عنتره :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ البَتَانُ ورأسه بالعِظْلِمِ

أى أشد النهار ، يعنى أعلاه وأنته . قال ابن سيده : « وذهب أبو عثمان ، فيما روينا عن أحمد بن يحيى عنه : أنه جمع لا واحدا له . وقال السيرافي : في القياس : شد وأشد ، كما يقال : قد ، وأقد . وقال مرة أخرى : هو جمع لا واحدا له . وقد يقال : بلغ أشده (بفتح الشين) ، وهي قليلة .

(٢) هذا الشاهد كالمضى قبله ، وقد أوضحناه بما يكفى من نصوص اللغويين .

ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا في إجماع الأمة على أى ذلك كان ، وإذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذى ذكرت ، فالصواب أن يقال فيه ، كما قال عز وجل ، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ .

وقوله (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حُكْمًا وَعِلْمًا) قال : العقل والعلم قبل النبوة .

وقوله (وكذلك نَجَزَى الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وكما جزيت يوسف ، فأتيته بطاعته إياى الحكم والعلم ، ومكنته فى الأرض ، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله ، كذلك نَجَزَى من أحسن فى عمله ، فأطاعنى فى أمرى ، وانتهى عما نهيتة عنه من معاصى ، وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن ، فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له عز وجل : كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي ، وقاسى من البلاء ما قاسى ، فكنته فى الأرض ، ووطأت له فى البلاد ، فكذلك أفعل بك ، فأنجيك من مشركى قومك ، الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكنن لك فى الأرض ، وأوتيك الحكم والعلم ، لأن ذلك جزائى أهل الإحسان فى أمرى ونهى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وكذلك نَجَزَى الْمُحْسِنِينَ) يقول : المهتمدين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ، وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ : قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وراودت امرأة العزيز ، وهى التى كان يوسف فى بيتها ، عن نفسه أن يواقعها .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ولما بلغ أشده ، راودته التى هو فى بيتها عن نفسه : امرأة العزيز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ) قال : أحبته .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : قالت تعال .

وقوله (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ) يقول : وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف ، لما أرادت منه ، وراودته عليه ، باباً بعد باب .

وقوله (وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ) اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة :

(هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء والتاء ، بمعنى : هلم لك ، وادن وتقرّب ، كما قال الشاعر لعلّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

أبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَنَا
إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَنَا

يعنى : تعال واقرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تأولّه من قرأه كذلك .

حدثني محمد بن عبد الله الخرمي ، قال : ثنا أبو الجواب ، قال : ثنا عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال (هَيْتَ لَكَ) تقول : هلم لك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش ، أنه كان يقرأ هذا الحرف (هَيْتَ لَكَ) نصبا : أى هلم لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : تقول : هلم لك .

حدثني أحمد بن سهيل الواسطيّ ، قال : ثنا قرة بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن عليّ الجزريّ ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، فى قوله (هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك ، قال : هى بالخورانية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ) قال : كان الحسن يقول : هلم لك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ) يقول بعضهم : هلم لك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ (وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ) قال : هلم لك ، وهى بالتبضية .

(١) البيتان فى مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٠٥) قال : يريد على بن أبي طالب رحمه الله ، أى تعال وتقرّب وادنه ، وكذلك لفظ « هيت » للاثنين ، والجميع من الذكر والأنثى سواء ، إلا أن العدد فيما بعدها ، تقول : هيت لكما ، وهيت لكن . وعنتك إليك : ما تملون إليك . وفى اللسان : وذكر ابن جنى : أن هيت فى البيت بمعنى أسرع . قال : وفيه أربع لغات : « هيت » بفتح الهاء والتاء . و « هيت » بكسر الهاء وفتح التاء . و « هيت » بفتح الهاء وضم التاء ، « هيت » بكسر الهاء وضم التاء . قال الأخفش : هيت لك مفتوحة : هلم لك . قال : وكسر بعضهم التاء ، وهى لغة ، فقال : هيت لك . وروى الأزهرى عن أبي زيد قال : هيت لك ، بالعبرية : هيتا لج ، أى تعال ، أعربه القرآن وعنتك إليك : ما تملون إليك ، متطلعون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمرو ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ)
قال : كلمة بالسريانية : أَيْ عَلَيكَ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ)
قال : هلمَّ لك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا خلف بن هشام ، قال : ثنا محبوب ، عن قتادة ، عن الحسن (هَيْتَ
لَكَ) قال : هلمَّ لك .

قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن زرّ (هَيْتَ لَكَ) : أَيْ هلمَّ .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، قال : بلغني في قوله (هَيْتَ لَكَ) قال
هلمَّ لك .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن خالد الخدّاء ، عن عكرمة
عن ابن عباس : أنه قرأ (هَيْتَ لَكَ) وقال : تدعوه إلى نفسها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قول الله تعالى (هَيْتَ لَكَ) قال : لغة عربية تدعوه بها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه
قال : لغة بالعربية ، تدعوه بها إلى نفسها .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد
ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن (هَيْتَ لَكَ)
يفتح الهاء والتاء ، وقال : تقول : هلمَّ لك .

حدثني الحارث ، قال أبو عبيدة : كان الكسائي يحكيها ، يعني (هَيْتَ لَكَ) قال : وقال : وهي لغة
لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، معناها : « تعال » قال : وقال أبو عبيد : سألت شيخا عالما من أهل
حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (هَيْتَ لَكَ) قال : تعال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال
هلمَّ لك إلى .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) بكسر الهاء وضم التاء والهمز ، بمعنى : تهبأت
لك ، من قول القائل : هَيْتَ للأمر ، أهىء هَيْتة . ومن روى ذلك عنه ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلميّ
وجماعة غيرهما .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبان العطار ، عن قتادة ، أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الماء مضمومة التاء ، قال أحمد ، قال أبو عبيد : لا أعلمها إلا مهموزة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن أبان العطار ، عن عاصم ، عن أبي عبد الرحمن السلمى (هِئْتُ لَكَ) أى تَهَيَّأتُ لك .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : تَهَيَّأتُ لك .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (هِئْتُ لَكَ) قال عكرمة : تَهَيَّأتُ لك .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة ، قال : كان أبو وائل يقول : (هِئْتُ لَكَ) : أى تَهَيَّأتُ لك . وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة .
حدثت عن علي بن المغيرة ، قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثني : شهدت أبا عمرو ، وسأله أبو أحمد ، أو أحمد ، وكان عالما بالقرآن ، عن قول من قال (هِئْتُ لَكَ) بكسر ، الماء وهمز الياء ، فقال أبو عمرو : ينسى ، أى باطل جعلها فَعِيلَتٌ من تَهَيَّأتُ ، فهذا الخندق ، فاستعرض العرب ، حتى تنهى إلى اليمن ، هل تعرف أحدا يقول : هئت لك ؟

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : لم يكن الكسائي يحكى (هِئْتُ لَكَ) عن العرب .
وقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة (هِئْتُ لَكَ) بكسر الماء ، وتسكين الياء ، وفتح التاء .
وقرأه بعض المكيين (هِئْتُ لَكَ) بفتح الماء وتسكين الياء وضم التاء .
وقرأه بعض البصريين ، وهو عبد الله بن إسحاق (هِئْتُ لَكَ) بفتح الماء وكسر التاء ، وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد ، فى هِئْتُ بفتح الماء وضم التاء ، وذلك :

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْعَسِدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِّنَ الْعَشِيرَةِ هِئْتُ^٢

وأولى القراءة فى ذلك : قراءة من قرأه (هِئْتُ لَكَ) بفتح الماء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة فى العرب دون غيرها ، وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعت القمراء فسمعهم متقاربين ، فاقروا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : هلمّ وتعال . ثم قال عبد الله (هِئْتُ لَكَ) فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسا يقرءونها (هِئْتُ لَكَ) فقال عبد الله : إنى أقرؤها كما علمت ، أحب إلى .

(١) أصله على زعمهم : هيت ، بوزن فعلت ، ثم حذف الياء ، فصار وزنه : قلت .
(٢) لم أجد هذا البيت فى شعر طرفة الذى بين أيدينا . والشاهد فيه أن « هيت » تبئى على الضم عند بعض العرب ، وقد تبئى على الكسر ، وعلى الفتح ، وهو الأكثر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) قال : فقالوا له : ما كنا نقرأها إلا (هَيْتَ لَكَ) فقال عبد الله إني أقرأها كما علمت أحبُّ إلى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : قال عبد الله (هَيْتَ لَكَ) فقال له مسروق : إن ناسا يقرءونها (هَيْتَ لَكَ) فقال : دعوني ، فإني أقرأ كما أقرئت أحبُّ إلى . حدثني المثني ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال (هَيْتَ لَكَ) بنصب الهاء والتاء وبلا همز .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثني ، أن العرب لا تثنى (هَيْتَ لَكَ) ولا تجمع ولا تؤنث ، وأنها تصوّره في كلِّ حال ، وإنما يتبين العدد بما بعد ، وكذلك التأنيث والتذكير ، وقال : تقول للواحد : هيت لك ، وللثنتين : هيت لكما ، وللجمع : هيت لكم ، وللنساء : هيت لكن .

وقوله (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) يقول جل ثناؤه : قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها ، وقالت له : هلم إلى ، أعتمص بالله من الذي تدعوني إليه ، وأستجير به منه .

وقوله (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : إن صاحبك وزوجك سيدي . كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي) قال : سيدي .

قال : ثنا ابن نمير ، عن رقاء ، عن ابن أبي نجيح (إِنَّهُ رَبِّي) قال : سيدي . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : سيدي ، يعني : زوج المرأة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي) يعني : إطفير ، يقول : إنه سيدي .

وقوله (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) يقول : أحسن منزلي ، وأكرمني وأتمني فلا أخونه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) أمني على بيته وأهله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) . فلا أخونه في أهله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَحْسَنَ مَثْوَايَ) قال : يريد يوسف سيده زوج المرأة .

وقوله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يقول : إنه لا يدرك البقاء ، ولا ينجح من ظلم ، ففعل ما ليس له فعله ، وهذا الذي تدعوني إليه من الفجور ، ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمنى على منزله .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) قال : هذا الذى تدعوني إليه ظلم ، ولا يفلح من عمل به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَاءَ بُرْهَانَ رَبِّهِ ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)

ذُكِرَ أَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ لَمَّا هَمَّتْ بِيُوسُفَ ، وَأَرَادَتْ مَرَاوِدَهُ ، جَعَلَتْ تَذَكُّرَ لَهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ ، وَتَشَوُّقَهُ إِلَى نَفْسِهَا .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : قالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته ، فهمت به ، وهمَّ بها ، فدخلا البيت ، وغلقت الأبواب ، وذهب ليحلَّ سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت ، قد عضَّ على أصبعه ، يقول : يا يوسف توقعها ؟ فإنما مثلك ما لم توقعها مثل الطير فى جوف السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ، ووقع إلى الأرض ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدَّ ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتدَّ نحو الباب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أكَبَّتْ عَلَيْهِ ، يعنى المرأة تطعمه مرة ، وتخيفه أخرى ، وتدعوه إلى لذة من حاجة الرجال ، فى جمالها وحسنها وملكها ، وهو شاب مستقبل ، يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل ، حتى رقت لها مما يرى من كلفها به ، ولم يتخوف منها ، حتى همَّ بها ، وهمت به ، حتى خلكوا فى بعض بيوته . ومعنى الهمَّ بالشئ فى كلام العرب : حديث المرء نفسه بمواقفته ، ما لم يواقع ، فأما ما كان من همَّ يوسف بالمرأة ، وهمها به ، فإن أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره :

وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع ، وسهل بن موسى الرازى ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن همَّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حبل الهميمان ، وجلس منها مجلس الخاتن ، لفظ الحديث لأبي كريب .

حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عيينة ، قال : سمع عبيد الله بن أبي يزيد ابن عباس فى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الخاتن ، وحلَّ الهميمان .
حدثنا زياد بن عبد الله الحسافى ، وعمرو بن على ، والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا سفيان بن عيينة ،

عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : سمعت ابن عباس سئل : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثني زياد بن عبد الله ، قال : ثنا محمد بن أبي عدى ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : استلقت له ، وحلّ ثيابه .

حدثني المنثى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفیان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) ما بلغ ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها ، وحلّ ثيابه ، أو ثيابها .

حدثني المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت على قفاها ، وقعد بين رجلها لينزع ثيابه . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، يعنى السراويل .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حلّ السراويل ، حتى التبتان ، واستلقت له .

حدثنا زياد بن عبد الله الحسائي ، قال : ثنا مالك بن سعيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حلّ سراويله ، حتى وقع على التبتان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : أما همها به ، فاستلقت له ، وأما همها بها : فإنه قعد بين رجلها ، ونزع ثيابه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجلها ينزع ثيابه .

حدثني المنثى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن علي بن بديمة ، عن سعيد بن جبیر وعكرمة ، قالا : حلّ السراويل ، وجلس منها مجلس الخاتن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العتقزي ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ التبان .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : أطلق تكة سراويله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الحميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

فان قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو الله نبي ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : كان ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة ، وإنما ابتلاه الله بها ، ليكون من الله عز وجل على وجب إذا ذكرها ، فيجد في طاعته إشفاقا منها ، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته . وقال آخرون : بل ابتلاه الله بذلك ، ليعرفهم موضع نعمته عليهم ، بصفحة عنهم ، وتركه عقوبته عليه في الآخرة .

وقال آخرون : بل ابتلاههم بذلك ، ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله ، وترك الإيأس من عفوهم إذا تابوا .

وأما آخرون ، ممن خالف أقوال السلف ، وتأولوا القرآن بأرائهم ، فإنهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة ، فقال بعضهم : معناه : ولقد همت المرأة بيوسف ، وهم بها يوسف أن يضربها ، أو يناها بمكروه ، لمها به مما أرادت من المكروه ، لولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفه ذلك عما هم به من أذاها ، لأنها ارتدعت من قبيل نفسها ، قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) قالوا : فالسوء : هو ما كان هم به من أذاها ، وهو غير الفحشاء .

وقال آخرون منهم : معنى الكلام : ولقد همت به ، ففتها الخبر عنها ، ثم ابتدئ الخبر عن يوسف ، فقيل : وهم بها يوسف ، لولا أن رأى برهان ربه ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهم بها ، وأن الله إنما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لم يهم بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها ، كما قيل (وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) ، ويفسد هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب « لولا » قبلها ، لا تقول : لقد قمت لولا زيد ، وهي تريد : لولا زيد لقد قمت ، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله .

وقال آخرون منهم : بل قد همت المرأة بيوسف ، وهم يوسف بالمرأة ، غير أن همها كان تمثيلا منها بين الفعل والترك ، لا عزم ولا إرادة ؛ قالوا : ولا حرج في حديث النفس ، ولا في ذكر القلب ، إذا لم يكن معها عزم ولا فعل . وأما البرهان الذي رآه يوسف ، فترك من أجله واقعة الخطيئة ، فإن أهل العلم يختلفون فيه ، فقال بعضهم : نودي بالنهي عن واقعة الخطيئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : نودي : يا يوسف أتزني ، فتكون كالطير وقع ريشه ؟ فذهب يطير ، فلا ريش له .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه ، قال : تمثال صورة وجه أبيه ، قال سفيان : عاصماً على أصبعه ، فقال : يا يوسف تزني ، فتكون كالطير ذهب ريشه ؟

حدثني زياد بن عبد الله الحسائي ، قال : ثنى محمد بن أبي عدى ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب لاتكن كالطائر له ريش ، فإذا زني ذهب ريشه ، أو قعد لاريش له ، قال : فلم يتعظ على النداء ، فلم يزد على هذا .

قال ابن جريج : وحدثني غير واحد ، أنه رأى أباه عاصماً على أصبعه .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : نودي فلم يسمع ، فقيل له : يا بن يعقوب تريد أن تزني ، فتكون كالطير نُتِف فلا ريش له ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن طلحة ، عن عمرو الحضرمي ، عن ابن أبي مليكة ، قال : بلغني أن يوسف لما جلس بين رجلى المرأة ، فهو يحلّ همسيانه نودي : يا يوسف بن يعقوب لاتزن ، فإن الطير إذا زني تناثر ريشه فأعرض ، ثم نودي فأعرض ، فتمثل له يعقوب عاصماً على أصبعه ، فقام .

حدثني المثني ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قال : نودي : يا بن يعقوب لاتكن كالطير إذا زني ذهب ريشه ، وبقى لاريش له ، فلم يتعظ على النداء ، ففزع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب لاتكون كالطائر له ريش ، فإذا زني ذهب ريشه : قال : أو قعد لاريش له ، فلم يتعظ على النداء شيئاً ، حتى رأى برهان ربه ، ففترق ففرّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قال ابن عباس : نودي : يا بن يعقوب أتزني ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ، فلا ريش له ؟ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة قال : نودي يوسف فقيل : أنت مكتوب في الأنبياء تعمل عمل السفهاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : نودي يوسف بن يعقوب تزني ، فتكون كالطير نتف فلا ريش له ؟

وقال آخرون : البرهان الذي رأى يوسف ، فكف عن واقعة الخطيئة من أجله : صورة يعقوب عليهما السلام يتوعدده .

(١) كذا في الأصل . وفي الدارالمشهور (٤ : ١٤) من رواية للقاسم بن أبي بزة : « فلم يعرض للنداء » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضاً على أصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن العنقزي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب ، فضرب في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه قائلاً بكفه هكذا ، وبسط كفه ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن أبي حصين عن سعيد بن جبير (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب عاضاً على أصابعه ، فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب واضعاً أُمَّلته على فيه يتوعده ، ففرّ .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) قال : حين رأى يعقوب في سقف البيت ، قال : فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى إلى باب البيت ، فتبعته المرأة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن قرة بن خالد السدوسي ، عن الحسن ، قال : زعموا - والله أعلم - أن سقف البيت انفرج ، فرأى يعقوب عاضاً على أصابعه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال يعقوب عاضاً على أصبعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن العنقزي ، قال : أخبرنا سفیان الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن علي بن بديمة ، عن سعيد بن جبير ، قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ، فكلّ ولد يعقوب ولد له اثنا عشر رجلاً إلا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة ، ولم يولد له غير أحد عشر .

(١) قائلا : محركا يده مشيراً بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن حميد ابن عبد الرحمن أخبره : أن البرهان الذي رأى يوسف يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عيسى بن المنذر ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا يونس بن يزيد الإيلي ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : مثل له يعقوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته حتى رأى صورة يعقوب في الجدار .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : نودي : يا ابن يعقوب ، لا تكونن كالطير له ريش ، فإذا زنى قعد ليس له ريش ، فلم يعرض للنداء ، وقعد ، فرجع رأسه ، فرأى وجه يعقوب عاصباً على أصبعه ، فقام مرعوباً استحياء من الله تعالى ذكره ، فذلك قول الله سبحانه وتعالى : (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) وجه يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، قال : مثل له يعقوب عاصباً على أصابعه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نضر بن عربي ، عن عكرمة ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : مثل له يعقوب ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن علي بن بديمة ، قال : كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابناً إلا يوسف ، ولد له أحد عشر ، من أجل ما خرج من شهوته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقول : بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن محمد الخراساني ، قال : سألت محمد بن سيرين ، عن قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : مثل له يعقوب عاضاً على أصابعه يقول : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، اسمك في الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ؟

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى يعقوب عاضاً على أصابعه يقول : يوسف : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : رأى صورة يعقوب ، فقال : يا يوسف تعمل عمل الفجار ، وأنت مكتوب في الأنبياء ؟ فاستحيا منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) رأى آية من آيات ربه ، حجزه الله بها عن معصيته ؛ ذُكر لنا أنه مُثِّلَ له يعقوب حتى كلمه ، فعصمه الله ونزع كل شهوة كانت في مفاصله .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه مثل له يعقوب وهو عاضاً على أصابعه :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي سالم عن أبي صالح ، قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضاً على أصابعه يقول : يا يوسف ، يا يوسف ، يعني قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس عن الحسن ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة يعقوب في سقف البيت عاضاً على أصابعه . حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح مثله ، وقال عاضاً على أصابعه يقول : يوسف ، يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمسي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : نظر يوسف إلى صورة يعقوب عاضاً على أصابعه يقول : يا يوسف ، فذاك حيث كَفَّ ، وقام فاندفع . حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم وأبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من بين أنامله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبیر (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : رأى تمثال وجه أبيه ، فخرجت الشهوة من أنامله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : تمثال صورة يعقوب في سقف البيت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : رأى يعقوب عاضا على يده :

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : يعقوب ضرب بيده على صدره ، فخرجت شهوته من أنامله :

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) آية من ربه يزعمون أنه مثل له يعقوب ، فاستحيا . وقال آخرون : بل البرهان الذي رأى يوسف : ما أوعده الله عزّ وجلّ على الزنا أهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مودود ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب في حائط البيت (لَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مودود ، عن محمد بن كعب ، قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين همّ ، فرأى كتابا في حائط البيت (لَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) .

قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال : لولا ما رأى في القرآن من تعظيم الزنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن أبي صخر ، قال : سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله (إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ) . . . الآية ، وقوله (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ) . . . الآية ، وقوله (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) .

قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فقال : ما حرّم الله عليه من الزنا .

وقال آخرون : بل رأى تمثال الملك

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) يقول : آيات ربه ، أرى تمثال الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان بعض أهل العلم فيما بلغني يقول :

البرهان الذي رأى يوسف ، فصرف عنه السوء والفحشاء : يعقوب عاضاً على أصبعه ، فلما رآه انكشف هاربا . ويقول بعضهم : إنما هو خيال إطفير سيده حين دنا من الباب ، وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ، ألقياها لدى الباب .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَمِّ يَوْسُفَ وَامْرَأَةِ الْعَزِيزِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، لَوْلَا أَنْ رَأَى يَوْسُفَ بَرَهَانَ رَبِّهِ ، وَذَلِكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، زَجَرَتْهُ عَنْ رُكُوبِ مَا هَمَّ بِهِ يَوْسُفَ مِنَ الْفَاحِشَةِ ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْآيَةُ صُورَةَ يَعْقُوبَ ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ صُورَةَ الْمَلِكِ ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْوَعِيدُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى الزَّانِ ، وَلَا حُجَّةٌ لِلْعَذْرِ قَاطِعَةٌ بِأَيِّ ذَلِكَ مِنْ أَى .

والصواب أن يقال في ذلك ، ما قاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه .

وقوله (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) يقول تعالى ذكره : كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما هم به من الفاحشة ، كذلك نسب له في كل ما عرض له من هم يهم به فيما لا يرضاه ، ما يزره ويدفعه عنه ، كي نصرف عنه ركوب ما حرمنا عليه ، وإتيان الزنا ، لنظهره من دنس ذلك .

وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام من المخلصين ، بتأويل : إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا ، واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا . وقرأ ذلك بعض قراء البصرة (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بكسر اللام ، بمعنى : أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئا ، ولم يعبدوا شيئا غيرنا .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القراء ، وهما متفقتا المعنى ، وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختره ، فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته ، فلم يشرك بالله شيئا ، فهو ممن أخلصه الله ، فبأيهما قرأ القارى فهو للصواب مصيب :

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)

﴿ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَاسْتَبَقَ يَوْسُفَ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ بَابَ الْبَيْتِ ، أَمَا يَوْسُفُ ففَرَارًا مِنْ رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ ، لَمَّا رَأَى بَرَهَانَ رَبِّهِ ، فَزَجَرَهُ عَنْهَا . وَأَمَا الْمَرْأَةُ فَطَلَبَهَا يَوْسُفَ لِتَقْضَى حَاجَتُهَا مِنْهُ الَّتِي رَاوَدَتْهُ عَلَيْهَا ، فَأَدْرَكَتْهُ ، فَتَعَلَّقَتْ بِقَمِيصِهِ ، فَجَذَبَتْهُ إِلَيْهَا مَانِعَةً لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَابِ ، فَقَدَّتْهُ مِنْ دُبُرٍ ، يَعْنِي : شَقَّتْهُ مِنْ خَلْفٍ ، لِأَنَّ قَدَّمَ ، لِأَنَّ يَوْسُفَ كَانَ هُوَ الْمَهْرَبُ ، وَكَانَتْ هِيَ الطَّالِبَةُ .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَسْتَبِقَا الْبَابَ)
قال : استبق هو والمرأة الباب (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى برهان ربه ، انكشف عنها هاربا ،
واتبعته ، فأخذت قميصه من دبر فشقت عليه .

وقوله (وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) يقول جل ثناؤه : وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب ،
يعنى : عند الباب .

كالذى حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد (وَأَلْفِيَا
سَيِّدَهَا) قال : سيدها : زوجها (لَدَى الْبَابِ) قال : عند الباب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن زيد بن
ثابت ، قال : السيد : الزوج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)
أى عند الباب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)
قال : جالسا عند الباب ، وابن عمها معه فلما رأته (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) : إنه
راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي ، فشقت قميصه ؛ قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ،
وفررت منها فأدركتني ، فشقت قميصي ، فقال ابن عمها : تبیان هذا في القميص ، فإن كان القميص قد
من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فأنى
بالقميص ، فوجده قد من دبر (قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ؛ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ
عَنْ هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ، إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) إطفير قائما على
باب البيت ، فقالت وهابته (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ،
ولطخته مكانها بالسيئة ، فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح ، فقال هو ، وصدقه الحديث (هِيَ رَاوَدَتْني
عَنْ نَفْسِي) .

وقوله (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز لزوجها
لما ألقىاه عند الباب ، فخافت أن يتهمها بالفجور : ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا إلا أن يسجن في السجن ،
أو إلا عذاب أليم ، يقول : موجه . وإنما قال (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) لأن قوله (إِلَّا أَنْ
يُسْجَنَ) بمعنى إلا السجن ، فعطف العذاب عليه ، وذلك أن « أن » وما عملت فيه بمنزلة الاسم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا : إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلِ
فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذَّابِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ .
(٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ : إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِ كُنٍّ ، إِنْ كَيْدٌ كُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز إياها قذفته من إرادته الفاحشة منها ، مكذبا لها فيما قذفته به ، ودفعها لما نُسب إليه : ما أنا راودتها عن نفسها ، بل هي راودتني عن نفسي ، وقد قيل : إن يوسف لم يرد ذكر ذلك ، لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشيباني ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى (قَالَتْ ماجزأءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) . . . الآية ، قال : فغضب ، فقال : هي راودتني عن نفسي .

وأما قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد ، فقال بعضهم : كان صبيا في المهدي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة في المهدي وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جبرئيل ، وعيسى بن مريم عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جبرئيل ، يعني تكلموا في المهدي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : صبي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان في المهدي صبيا .

حدثني محمد بن عبيد الخاربي ، قال : ثنا أيوب بن جابر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : صبي .

حدثني يحيى بن طلحة البربوعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عبيد الله ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان صبيا في مهده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن هلال بن يساف (شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : صبي في المهدي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاک (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : صبي أنطقه الله ، ويقال : ذو رأي برأيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَكَلَّمْ أَرْبَعَةَ وَهَمَّ صِغَارٌ ، فَذَكَرَ فِيهِمْ شَاهِدٌ يُوسُفَ » .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) يزعمون أنه كان صبيا في الدار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان صبيا في المهدي . وقال آخرون : كان رجلا ذا لحية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان ذا لحية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان من خاصة الملك . وبه قال : حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : ما كان بصبي ، ولكن كان رجلا حكيما .

حدثنا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكر عنده (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) فقالوا : كان صبيا ، فقال : إنه ليس بصبي ولكنه رجل حكيم . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان رجلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : رجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : رجل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (وشهيد)
شاهد من أهلها) قال : رجل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس (وشهيد شاهد من أهلها) قال : ذولحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال ابن عمها كان
الشاهد من أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة
عن ابن عباس (وشهيد شاهد من أهلها) قال : ذولحية .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : كان ذا لحية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة (وشهيد)
شاهد من أهلها) قال : كان من خاصة الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وشهيد شاهد من أهلها) قال :
رجل حكيم كان من أهلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وشهيد شاهد
من أهلها) قال : رجل حكيم من أهلها .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد (وشهيد شاهد من
أهلها) قال : كان رجلا .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن ،
في قوله (وشهيد شاهد من أهلها) قال رجل له رأى أشار برأيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وشهيد شاهد من أهلها) قال : يقال : إنما
كان الشاهد مشيرا ، رجلا من أهل إطفير ، وكان يستعين برأيه ، إلا أنه قال : أشهد إن كان قميصه قد
من قبل لقد صدقت ، وهو من الكاذبين .

وقيل : معنى قوله (وشهيد شاهد) : حكم حاكم .

حدثت بذلك عن الفراء ، عن معلى بن هلال ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد .

وقال آخرون : إنما عني بالشاهد : القميص المقدود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

في قول الله (وشهيد شاهد من أهلها) قال : قميصه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قميصه مشقوق من دُبُرٍ ، فذلك الشهادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) لم يكن من الإنس .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) قال : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيا .

والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : كان صبيا في المهدي للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر من تكلم في المهدي ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف . فأما ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود فما لا معنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة ، فقال (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) ولا يقال للقميص ، هو من أهل الرجل ولا المرأة .

وقوله (إِنَّ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) لأن المطلوب إذا كان هاربا ، فإنما يؤتى من قبل دبره ، فكان معلوما أن الشق لو كان من قَبْلِ لم يكن هاربا مطلوبا ، ولكن كان يكون طالبا مدفوعا ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال : أشهد إن كان قميصه قُدًّا من قَبْلِ لقد صدقت وهو من الكاذبين ، وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلا (وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة من دبر ، وقال : إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذلك ، فلما رأى إطفير قميصه قُدًّا من دبر ، عرف أنه من كيدها ، فقال (إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال : يعنى الشاهد من أهلها ، القميص يقضى بينهما (إِنَّ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ؛ فلَمَّا رأى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ ، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) وإنما حذف أن التي تتلى بها الشهادة ، لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى القول ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصه كما قيل (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ) لأنه ذهب بالوصية إلى القول .

وقوله (فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ) خبر عن زوج المرأة ، وهو القائل لها : إن هذا الفعل من كيدكن : أى صنعكن ، يعنى من صنع النساء ، إن كيدكن عظيم . وقيل : إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكِ ، إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) *

وهذا فيما ذكر عن ابن عباس ، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف ، يعنى بقوله (يُوسُفُ) يا يوسف (أَعْرَضَ عَنْ هَذَا) يقول : أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما راودتك عليه فلا تذكره لأحد .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا) قال : لا تذكره (وَأَسْتَغْفِرِي) أنت زوجك ، يقول : سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذي أذنبت ، وأن يصفح عنه ، فيستره عليك (إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) ، يقول : إنك كنت من المذنبين في مراودة يوسف عن نفسه ، يقال منه : خطى في الخطيئة يخطئ خطأً وخطئاً ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّهُ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا) والخطأ في الأمر ، وحكى في الصواب أيضا الصَّوَّبُ^١ ، والصوب ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِتَمَّا خَطَيْتِي وَصَوَّبِي عَلَى وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالًا^٢

وينشد بيت أمية :

عبادك يخطئون وأنت ربُّ بكفِّيك المنايا والختوم^٣
من خطي الرجل . وقيل (إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ) لم يقل : من الخاطئات ، لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء ، وإنما قصد به الخبر عن فعل ذلك فيخطئ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ : امْرَأَتُ الرَّزِيِّ تَزُو دُفْتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ، إِنَّا نَنظُرُهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)

(١) إن لم يكن مكررا فهو مبتدأ خبره كما قال الخ .

(٢) البيت لأوس بن غلفاء (اللسان : صوب) وقبلة بيت آخر :

أَلَا قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ تَقَطَّعَ بَابِنَ غَلْفَاءَ الْحِبَالِ

قوله « مال » : بالرفع ، أى : إن الذى أهلكته إنما هو مال . يريد : إن هلك المال فلا ضير ، فعرضى موفور لم يظلم . ورواية اللسان : « دعيني » في موضع : « لعمرك » .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي (اللسان : خطى) والشطر الثاني فيه « كريم لاتليق بك الذموم » . وفي اللسان : (حم) :

حَنَانِي رَبِّنَا وَلَهُ عَنَرْنَا بِكَفِّيهِ الْمَنَايَا وَالْحَتُّومُ

وقد أورده صاحب الصحاح كرواية المؤلف . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . والختوم : جمع حتم ، بمعنى القصد . وفي (اللسان : ذم) لأمية بن أبي الصلت :

سَلَامَكَ رَبِّنَا فِي كُلِّ فَجْرٍ بَرِينَا مَا تَعَنَّتَكَ الذُّمُّومُ

قال : والذموم : العيوب وتعتته : قصده أو لحقته .

يقول تعالى ذكره : وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر ، وشاع من أمرهما فيها ما كان ، فلم ينكمم ، وقلن : امرأة العزيز تراود فتاها : عبدها عن نفسه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وشاع الحديث في القرية ، وتحدث النساء بأمره وأمرها ، وقلن (امرأة العزيز تُراودُ فتاها عن نفسه) أي عبدها . وأما العزيز فإنه الملك في كلام العرب ؛ ومنه قول أبي دواد :

درةٌ غاصَ عليَّها تاجرٌ جليبتُ عندَ عزيزٍ يومَ طلَّ

يعنى بالعزيز : الملك ، وهو من العزة .

وقوله (قد شغفها حباً) يقول : قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها ، فدخل تحته حتى غلب على قلبها ، وشغاف القلب : حجابها وغلافه الذي هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبياني بقوله :

وقد حال هم دون ذلك داخلٌ دُخولَ شغافٍ تبتغيه الأصابعُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول ، في قوله (شغفها حباً) قال : دخل حبه تحت الشغاف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (قد شغفها حباً) قال : دخل حبه في شغافها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قد شغفها حباً) قال : دخل حبه في شغافها .

حدثني المنثري ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قد شغفها حباً) قال : كان حبه في شغافها .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن بن محمد ، عن شعبة .

(١) البيت لأبي دواد الإيادي . جملة المؤلف شاهدا على أن العزيز بمعنى الملك ، والعزيز في الأصل : وصف بمعنى القوى ذي المنة ، ثم قيل الملك مجازاً ، ولا مانع من المجاز ما وجدت العلاقة والقرينة . ولم أجد العزيز بمعنى الملك في اللسان ، ولا في الأساس .

(٢) البيت للنابغة الذبياني (اللسان : شغف) . والرواية فيه :

وقد حال هم دون ذلك والحب مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

والشغاف ، بالضم : داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن ، قال النابغة . . . البيت يعنى أصابع الأطباء . وروى : « ولوج الشغاف » . والشغاف ، بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب . ورواية البيت في مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ، طبعه الحلبي صفحة ١٥٦ :

وقد حال هم دون ذلك شاغلٌ مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

بفتح الشين من الشغاف .

- حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : علقها حبا .
- حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : غلبها .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه عن أيوب بن عائذ الطائي ، عن الشعبي (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : المشغوف : المحب ، والمشغوف : المحبون .
- وبه قال : حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن أبي رجاء والحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : أحدهما قد بطنها حبا ، وقال الآخر : قد صدقها حبا .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطنها حبا . قال يعقوب : قال أبو بشر : أهل المدينة يقولون : قد بطنها حبا .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قال : سمعته يقول في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك .
- حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن قرة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد بطن بها حبا .
- حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطنها حبه .
- حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : بطن بها .
- حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : استبطنا حبا إياه .
- حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أي قد علقها .
- حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : قد علقها حبا .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هو الحب اللازق بالقلب .
- حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) يقول : هلكت عليه حبا ، والشغاف : شغاف القلب .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : والشغاف : جلدة على القلب ، يقال لها : لسان القلب ، يقول : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب .

وقد اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الأمصار بالعين (قَدْ شَعَفَهَا) على معنى ما وصفت من التأويل . وقرأ ذلك أبو رجاء (قَدْ شَعَفَهَا) بالعين .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن أبي رجاء (قَدْ شَعَفَهَا) . قال : ثنا خلف ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، أو عوف عن أبي رجاء (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) بالعين .

قال : ثنا خلف ، قال : ثنا محبوب ، قال : قرأه عوف (قد شَعَفَهَا) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أسيد ، عن الأعرج (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) وقال : شغفها إذا كان هو يحبها ، ووجه هؤلاء معنى الكلام إلى أن الحب قد عمها .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : هو من قول القائل : قد شَعِفَ بها ، كأنه ذهب بها كل مذهب من شغف الجبال ، وهي رعوسها .

وروى عن إبراهيم النخعي أنه قال : الشغف : شغف الحب . والشَعَف : شَعَف الدابة حين تذعر .

حدثني بذلك الحارث ، عن القاسم ، أنه قال : يُروى ذلك عن أبي عوانة ، عن مغيرة عنه .

قال الحارث : قال القاسم : يذهب إبراهيم إلى أن أصل الشغف : هو الذعر . قال : وكذلك هو كما قال إبراهيم في الأصل ، إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعها في غير موضعها ؛ قال امرؤ القيس :

أَتَقْتَلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

(١) البيت لامرؤ القيس (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا طبعته الحلبي ص ٣٩) والرواية فيه : « أيقتلني وقد شغفت بالياه في يقتلني ، وبالعين في « شغفت » ، ومعناه : بلغ حبى شغاف قلبها وهو حجابها . والمهنة : الناقة التي تهنا ، أى تطفى بالقطران . يقول : بلغ حبى لها شغاف قلبها ، كما بلغ القطران داخل الجرب في الناقة المطلية به ، وهي تستلذه حتى يكاد يغشى عليها . ويروى شغفت بالعين ، والشغف : إحراق الحب القلب ، مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني بالقطران يجده لذة مع حرقة . وقبل البيت أبيات ، قال :

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسَيْنِ وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرَضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالِ
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَبِيَّ الظَّنِّ والبَالِ
يَغِطُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيَقْتَلُنِي والمرءُ لَيْسَ بِقَتَالِ
أَيَقْتَلُنِي وَالْمَشْرِقِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْبَابِ اغْوَالِ
وليس بذي رُمحٍ فَيَطْعُنُنِي بِهِ وليس بذي سيفٍ وليسَ بِنَبَالِ
أَيَقْتَلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

(وفي اللسان : شغف) : « لتقتلني » . ونظن أنه تحريف . قال : يقول : أحرقت فوادها بحبى ، كما أحرق الطالى هذه المهنة ، ففوادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنة تجد للهناء لذة مع حرقة . وقوله تعالى : « قد شغفها حبا » : قرئت بالعين وبالفين . فمن قرأها بالعين المهمله فعناه : تيمها . ومن قرأها بالعين المعجمة ، فعناه أصاب شغافها . وقال : ومعنى شغف بفلان : إذا ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه قال : وهذا مذهب الفراء . وقال غيره : الشغف : الذعر فالمعنى : هو مذعور خائف قلق . والشغف : شغف الدابة حين تذعر ، ثم نقله العرب من الدواب إلى الناس .

قال : وشعف المرأة من الحب ، وشعف المهنوءة من الذعر ، فشبه لوعة الحب وجواه بذلك .
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله
(قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) قال : إن الشَّغْفَ والشَّعْفَ مختلفان ، والشَّعْفُ في البغض ، والشَّغْفُ في الحب .
وهذا الذي قاله ابن زيد لامي له ، لأن الشَّعْفَ في كلام العرب ، بمعنى عموم الحب ، أشهر من أن يجمله
ذو علم بكلامهم .

والصواب في ذلك عندنا من القراءة (قَدْ شَغَفَهَا) بالغين ، لإجماع الحجة من القرآن عليه .
وقوله (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قلن : إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه ، وغلبة
حبه عليها ، لفي خطأ من الفعل ، وجَوْرٌ عن قصد السبيل مبين ، لمن تأمله ، وعلمه أنه ضلال وخطأ ، غير
صواب ، ولا سداد ، وإنما كان قيلهن ما قلن من ذلك ، وتحدثن بما تحدثن به من شأنها وشأن يوسف ،
مكرا منهن فيما ذكرنا لتهيئ يوسف .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ سِكِّينًا ، وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ، وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ،
مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)

يقول تعالى ذكره : فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قان في المدينة ما ذكره الله عز وجل
عنهن ، وكان مكربهن ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي
(فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) يقول : بقولهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أظهر النساء ذلك من قولهن : تُرَاوِدْ
عبيدها ، مكرا بها ، لتهيئ يوسف ، وكان يوصف لهن بحسنه وجماله ، (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ
إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) : أي
بحديثهن ، (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ) : يقول : أرسلت إلى النسوة اللاتي تحدثن بشأنها وشأن يوسف (وَأَعْتَدَتْ) :
أفعلت ، من العتاد ، وهو العدة ، ومعناه : أعدت لهن متكنا ، يعني مجلسا للطعام ، وما يتكئن عليه من
التمارق والوسائد ، وهو مفتعل ، من قول القائل : اتكأت ، يقال ألقى له متكنا ، يعني : ما يتكى عليه .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن البيان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
مُتَّكِنًا) قال : طعاما وشرابا ومتكنا .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكِّئًا) قال : يتكئ عليه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس :
(وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكِّئًا) قال : مجلسا .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ (مُتَكِّئًا)
ويقول : هو المجلس والطعام .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ (مُتَكِّئًا) خفيفة ، يعني طعاما . ومن قرأ
(مُتَكِّئًا) يعني المتكأ . فهذا الذي ذكرنا عن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة ، هو معنى الكلمة ،
وتأويل المتكأ ، وأنها أعدت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج . ثم فسّر بعضهم المتكأ بأنه الطعام
على وجه الخبر عن الذي أعدّ من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن الأترج ، إذ كان في الكلام ،
وآتت كل واحدة منهن سكيننا ، لأن السكين إنما تعدّ للأترج ، وما أشبهه مما يقطع به .

وبعضهم على البزماورد ، حدثني هارون بن حاتم المقرئ ، قال : ثنا هشيم بن الزبرقان ، عن أبي روق
عن الضحاك ، في قوله (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكِّئًا) قال : البزماورد .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : المتكأ : هو التمرق يتكأ عليه ، وقال : زعم قوم أنه الأترج ، قال :
وهذا أبطل باطل في الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه . وحكى أبو عبيد القاسم بن
سلام ، قول أبي عبيدة ، ثم قال : والفقهاء أعلم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعض ماذهب من كلام
العرب ، فإن الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله ، والقول في أن
الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، كما قال أبو عبيد : لاشك فيه ، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب
في هذا القول ، بل القول كما قال من أن من قال للمتكأ هو الأترج ، إنما بين المعدّ في المجلس الذي فيه
المتكأ ، والذي من أجله أعطيت السكاكين ، لأن السكاكين معلوم أنها لا تعدّ للمتكأ إلا لتخريقه ، ولم
يُعْطَيْنِ السكاكين لذلك ، ومما بين صحة ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، من أن المتكأ هو المجلس .
ثم روى عن مجاهد عنه ، ما حدثني به سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا
أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكِّئًا ، وآتت كل واحدة
منهن سكيننا) قال : أعطهن أترجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكيننا ، فبين ابن عباس في رواية
مجاهد هذه ، ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ ، إذ كان معلوما معناه .

ذكر من قال في تأويل المتكأ ما ذكرنا

حدثني يحيى بن طلحة البربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن
عباس (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكِّئًا) قال : الأترج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، قال : حدثت عن ابن عباس
أنه كان يقرأها (مُتَكِّئًا) مخففة ، ويقول : هو الأترج .

(١) البزماورد : هو الرقاق الملفوف . مع اللحم . وقيل : هو الطعام المعروف بلقمة القاضي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) قال : الطعام .
حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قالا : ثنا ابن عسامة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله
(وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) قال : طعاما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا غُنْدَر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،
في قوله (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) قال : طعاما .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير نحوه
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال :
من قرأ (مُتَكْتَأً) فهو الطعام ، ومن قرأها (مُتَكَأً) فحففها ، فهو الأترج .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
في قوله (مُتَكْتَأً) قال : طعاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ،
قال : من قرأ (مُتَكَأً) خفيفة ، فهو الأترج .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، قال : سمعت بعضهم يقول : الأترج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) : أي طعاما .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

قال : ثنا يزيد ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (مُتَكْتَأً) قال : طعاما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) يعني الأترج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) والمتكأ : الطعام .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً) قال : الطعام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأَعْتَدَتْ لَهْنٌ مُتَكْتَأً)

قال : طعاما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول

في قوله (مُتَكَنًّا) فهو كل شيء يحز بالسكين ، قال الله تعالى ذكره مخبراً عن امرأة العزيز ، والنسوة اللاتي تحدثن بشأنها في المدينة (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) يعني بذلك جل ثناؤه : وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتي حضرنها سكيناً ، لتقطع به من الطعام ما تقطع به ، وذلك ما ذكرت أنها آتتهن ، إما من الأترج ، وإما من البزماورد ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وأترجا يأكلته .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) قال : أعطتهن أترجا ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) ليحترزن به من طعامهن .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وأعطتهن ترنجاً وعسلاً ، فكن يحترزن الترنج بالسكين ، ويأكلن بالعسل ، وفي هذه الكلمة بيان صحة ما قلنا وأخبرنا في قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهَا سِكِّينًا) وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إيتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين ، وترك ماله آتتهن السكاكين ، إذ كان معلوماً أن السكاكين لا تدفع إلى من دعي إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل إذا قطع بها ، فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواباً لها السكاكين ، عن ذكر ماله آتتهن ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لها المتكأ عن ذكر ما يعتد له المتكأ ، مما يحضر المجالس من الأطعمة والأشربة والفواكه ، وصنوف الالتئاء ، لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالة قوله (وَأَعْتَدَتْ لَهَا سِكِّينًا) عليه . فأما نفس المتكأ ، فهو ما وصفنا خاصة دون غيره . وقوله (وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) يقول تعالى ذكره : وقالت امرأة العزيز ليوسف (اخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ) فخرج عليهن يوسف (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) يقول جل ثناؤه : فلما رأين يوسف ، أعظمته وأجللته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أُكْبِرْتَهُ) : أعظمته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله : حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الترنج : ثمرة حامضة تشبه الليمون ، ولكنها أكبر ، وفيها استطالة ، ورائحتها قوية ، وقشرها أصفر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) : أى أعظمته .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى (وَقَالَتْ اِخْرُجْ عَلَيَّهِنَّ)
ليوسف (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) : أعظمته .

حدثنا إسماعيل بن سيف العجلي ، قال : ثنا علي بن عابس ، قال : سمعت السدى يقول في قوله :
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) قال : أعظمته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (اِخْرُجْ عَلَيَّهِنَّ) فخرج
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ) أعظمته وُبَيَّن .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عبد الصمد بن علي الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده ، في قوله
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) قال : حضن .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله
(فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ) يقول : أعظمته .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد
مثله . وهذا القول ، أعنى القول الذي روى عن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جده ، في معنى (أُكْبِرْتَهُ)
أنه حِضْن ، إن لم يكن عني به أنهم حضن من إجلالهن يوسف ، وإعظامهن ، لما كان الله قسم له من البهاء
والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معايتتهن إياه ، فقول لامعنى له ، لأن تأويل ذلك : فلما
رأين يوسف أكبرنه ، فالهاء التي في أكبرنه من ذكر يوسف ، ولا شك أن من المحال أن يحضن يوسف .
ولكن الخبر إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما روى ، فخليق أن يكون كان معناه في ذلك أنهم حضن لما
أكبرن من حُسن يوسف وجماله في أنفسهن ، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك . وقد زعم بعض الرواة
أن بعض الناس أنشده في أكبرن ، بمعنى حضن ، بيتا لا أحسب أن له أصلا ، لأنه ليس بالمعروف عند
الرواة ، وذلك :

نَأَى فِي النِّسَاءِ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأَى فِي النِّسَاءِ إِذَا أُكْبِرْنَ إِكْبَارًا

وزعم أن معناه : إذا حضن .

(١) البيت ورد في (اللسان: كبر) قال: وأما قوله تعالى: «فلما رأته أكبرنه». فأكثر المفسرين يقول: أعظمته. وروى عن مجاهد أنه قال: أكبرنه: حضن. وليس ذلك بالمعروف في اللغة. وأنشد بعضهم: «نأى النساء... البيت». قال أبو منصور الأزهرى: وإن صحت هذه اللفظة في اللغة بمعنى الحوض، فلها مخرج حسن، وذلك أن المرأة أول ما تحيض، فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر، فقليل لها: أكبرت: أى حاضت، فدخلت في حد الكبر، الموجب عليها الأمر والنهي. وروى عن أبي الهيثم أنه قال: سألت رجلا من طيبي، فقلت: يا أخا طيبي، ألك زوجة؟ قال: لا، والله ما تزوجت، وقد وعدت في ابنة عم لي. قلت: وما سنها؟ قال: قد أكبرت أو كبرت. قلت: ما أكبرت؟ قال: حاضت. قال أبو منصور: فلفظة الطائي أن إكبار المرأة أول حيضها. إلا أن هاهنا الكناية في قوله تعالى: «أكبرنه» تنفي هذا المعنى. فالصحيح أنهم لما رأين يوسف راغبن جماله، فأعظمته. وروى الأزهرى بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: «فلما رأته أكبرنه» قال: حضن. قال أبو منصور: فإن صحت الرواية سلمنا له، وجعلنا الهاء في قوله «أكبرنه» هاء وثقة، لا هاء كناية، والله أعلم بما أراد.

وقوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أمهن حَزْرُونَ بالسكين في أيديهن ، وهن يحسبن أمهن يقطعن الأترج .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حَزْرًا بالسكين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حَزْرًا حَزْرًا بالسكاكين .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : حَزْرًا بالسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعل النسوة يحزرن أيديهن ، يحسبن أمهن يقطعن الأترج .

حدثنا إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن عباس ، قال : سمعت السدي يقول : كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج ، فقطعن أيديهن ، وسالت الدماء ، فقلن : نحن نلومك على حب هذا الرجل ، ونحن قد قطعنا أيدينا ، وسالت الدماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : جعلن يحزرن أيديهن بالسكين ، ولا يحسبن إلا أمهن يحزرن الأترج ، قد ذهبت عقولهن مما رأين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وحزرن أيديهن .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا ابن كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أمهن يقطعن الأترج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : جعلن يحزرن أيديهن ، ولا يشعرن بذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت ليوسف : (اخرج عليهن) ، فخرج عليهن ، (فلمأ رأيته أكبرته) وغلبت عقولهن عجا حين رأينه ، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي

معهن ، ما يعقلن شيئاً مما يصنعن (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، مَا هَذَا بَشَرًا) .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أمهن قطعن أيديهن ، حتى ابسنها وهن لا يشعرن .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قطعن أيديهن حتى ألقينها .

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : قطعن أيديهن ، حتى ألقينها .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أنزله عنهن أي قطعن أيديهن وهن لا يشعرون ، لإعظام يوسف ، وجائز أن يكون ذلك كان قطعاً بإبانة ، وجائز أن يكون كان قطعاً حزاً وخذشاً ، ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا محمد بن المنفي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

وبه عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قسم ليوسف وأمه ثلث الحسن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الخلق .

حدثني أحمد بن ثابت ، وعبد الله بن محمد الرازيان ، قالوا : ثنا عفان ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ شَطْرَ الْحُسَيْنِ » .

حدثنا ابن خييد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ ثُلُثَ حُسْنِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَيْنِ » ، أو قال : « أُعْطِيَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ الثُّلُثَيْنِ ، وَأُعْطِيَ النَّاسُ الثُّلُثَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبير ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين : قسم الحسن نصفين : فقسم ليوسف وأمه النصف ، والنصف لسائر الناس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي ، قال : قسم الحسن نصفين ، فجعل ليوسف وسارة النصف ، وجعل لسائر الخلق نصف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين .

وقوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الكوفيين (حاشَ لِلَّهِ)

بفتح الشين وحذف الياء . وقرأه بعض البصريين بإثبات الياء حاشي لله ، وفيه لغات لم يقرأ بها (حاشي لله) كما قال الشاعر :

حاشي أبي ثوبان إنَّ بهِ ضنناً عن الملتحاة والشتمِ

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة (وحاش لله) بتسكين الشين والألف يجمع بين الساكنين . وأما القراءة فانما هي باحدى اللغتين الأولىين ، فمن قرأ (حاش لله) بفتح الشين وإسقاط الياء فانه أراد لغة من قال : حاشي لله ، بإثبات الياء ، ولكنه حذف الياء لكثرتها على ألسن العرب ، كما حذف العرب الألف من قولهم : لأب لغيرك ، ولا أب لشانيك ، وهم يعنون : لأبا لغيرك ، ولا أبا لشانيك . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم : حاشي لله ، موضعين في الكلام : أحدهما : التنزيه ، والآخر : الاستثناء ، وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله ، كأنه قيل : معاذ الله . وأما القول في قراءة ذلك ، فانه يقال للقارى الخيار في قراءته بأى القراءتين شاء ، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين ، وهو (حاش لله) و (حاشي لله) لأنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، وما عدا ذلك فلغات لا تجوز القراءة بها ، لأنها لانعلم قارئاً قرأ بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) قال : معاذ الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حاش لله) : معاذ الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) : معاذ الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حاش لله) : معاذ الله .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن عمرو ، عن الحسن (حَاشَ لِلَّهِ) : معاذ الله .

(١) البيت منسوب لسيرة بن عمرو الأسدى (مجاز القرآن لأبي عبيدة) ، ونسبه فى المفضليات والأصمعيات إلى الجميح ، وهو منقذ بن الطماح الأسدى .

ويقال : حاشيته أى استثنيتها . وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : (٥ : ٢٠٠) كذا ينشده ابن عطية وأكثر النحويين ، وهو بيت ركبو فيه صدر بيت على عجز آخر ، وهما من بيتين . قال :

حاشي أبي ثوبان إنَّ أبا ثوبان ليس بيكمنة قدم

عمرؤ بن عبسُ الله إنَّ بهِ ضنناً عن الملتحاة والشتمِ

وأورده صاحب (اللسان : حشا) كما فى رواية المؤلف ، ونسبه لسيرة بن عمرو .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وقوله (ما هَذَا بَشَرًا) يقول : قلن ما هذا بشرا ، لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحدا ،
 فقلن : لو كان من البشر لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر ، ولكنه من الملائكة لامن البشر .
 كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ
 مَا هَذَا بَشَرًا) : ما هكذا تكون البشر . وبهذه القراءة قرأ عامة قراء الأمصار .
 وقد حدثت عن يحيى بن زياد الفراء ، قال : ثنى دعامة بن رجاء التيمي ، وكان غرًا ، عن أبي الخويرث
 الحنفي : أنه قرأ (ما هَذَا بَشَرِي) : أي ما هذا بمشترى ، يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا
 يشترى ويبيع ، وهذه القراءة لأستجيز القراءة بها ، لإجماع قراء الأمصار على خلافها . وقد بينا أن ما أجمعت
 عليه ، فغير جائز خلافها فيه . وأما نصب البشر ، فمن لغة أهل الحجاز إذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه ،
 فقالوا : ما عمرو قائما . وأما أهل نجد ، فإن من لغتهم رفعه ، يقولون : ما عمرو قائم ؛ ومنه قول بعضهم
 حيث يقول :

لَشْتَانًا مَا أَنْوِي وَيَنْوِي بَنُو أَبِي جميعا ، فما هَذَا مَسْتَوِيَانِ
 تَمَنُّوا لِي الْمَوْتَ الَّذِي يَشْعَبُ الْفَتَى وكلُّ فَتَى وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ

وأما القرآن ، فجاء بالنصب في كل ذلك ، لأنه نزل بلغة أهل الحجاز .
 وقوله (إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) يقول : قلن ما هذا إلا ملك من الملائكة .
 كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّ هَذَا إِلَّا
 مَلَكٌ كَرِيمٌ) قال : قلن : ملك من الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ ، وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ
 مَاءَ امْرُؤِهِ لَيُدْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن
 إياه ، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل ، وغروب الفهم ولها إليه ، حتى قطعتن
 أيديكن ، هو الذي لمتنني في حبي إياه ، وشغف فؤادي به ، فقلتن : قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا ،
 إنا لرها في ضلال مبين . ثم أقرت لمن بأنها قدر اودته عن نفسه ، وأن الذي تحدثن به عنها في أمره حق ،
 فقالت (وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ) مما راودته عليه من ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قالت (فَذَلِكُنَّ)

(١) استشهد المؤلف بهذا الشعر على أن أهل نجد ترفع خبر المبتدأ بعد ما النافية ، ولا يعملونها . أما الحجازيون فينصبون بها خبرا
 المبتدأ كما في قوله تعالى : « ما هذا بشرا » . والقرآن نزل بلسانهم . ويشعب الفتى : يفرقه ، أي يبعده عن أهله .

الَّذِي مُتُّنِّي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) : تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصى ، لأدرى ما بدا له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَاسْتَعْصَمَ) : أى فاستعصى .
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَاسْتَعْصَمَ) يقول : فامتنع .

وقوله (لَسُنُّ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لِيُسْجَنَ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّاعِرِينَ) تقول : ولئن لم يطاوعني على ما أذعوه إليه من حاجتي إليه ليسجن ، تقول : ليحبسن في السجن ، وليكونا من أهل الصغار والذلة ، بالحبس والسجن ، ولأهينته . والوقف على قوله : ليسجن بالنون لأنها مشددة ، كما قيل : لبيطن .

وأما قوله (وَلِيَكُونَا) فإن الوقف عليه بالألف ، لأنها النون الخفيفة ، وهى شبيهة نون الإعراب في الأسماء في قول القائل : رأيت رجلا عندك ، فإذا وقف على الرجل قيل : رأيت رجلا ، فصارت النون ألفا ، فكذلك ذلك في : وليكونا ، ومثله قوله (لَتَنَسِفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةِ) الوقف عليه بالألف ، لما ذكرت ؛ ومنه قول الأعشى :

وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدْ ١١

وإنما هو : فاعبدن ، ولكن إذا وقف عليه ، كان الوقف بالألف .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)

وهذا الخبر من الله يدل على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه ، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل مادعته إليه ، فاختر السجن على مادعته إليه من ذلك ، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك ، كان محالا أن يقول (رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) وهو لا يدعى إلى شيء ، ولا يخوف بحبس ، والسجن هو الحبس نفسه ، وهو بيت الحبس ، وبكسر السين قرأه قراء الأمصار كلها ، والعرب تضع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال ، فتقول : طلعت الشمس مَطْلِعًا ، وغربت مغْرِبًا ، فيجعلونها وهى أسماء ، خلقًا من المصادر ، فكذلك السجن ، فإذا فتحت السين من السجن ،

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون (ديوان طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ١٧) ورواية البيت والذي قبله :

وَذَا النَّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدْ

وَصَلَّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدْ

والشاهد فيه عند النحويين : قلب نون التوكيد الخفيفة عند الموقف ألفا ، كحكم التنوين .

كان مصدرا صحيحا ، وقد ذُكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه (السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) بفتح السين ، ولا أستجيز القراءة بذلك ، لإجماع الحجة من القراء على خلافها . وتأويل الكلام : قال يوسف : يا ربّ الحبس في السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه من معصيتك ، ويراودني عليه من الفاحشة .
كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (قال ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه) : من الزنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف ، وأضاف إلى ربه واستعانه على ما نزل به (رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) : أي السجن أحبّ إليّ من أن آتي ما تكره . وقوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) يقول : وإن لم تدفع عني يا ربّ فعلهنّ الذي يفعلن بي ، في مراودتهنّ لإيادي على أنفسهنّ ، أصب إليهنّ ، يقول : أميل إليهنّ ، وأتابعهنّ على ما يردن مني ، ويهوينّ ، من قول القائل : صبا فلان إلى كذا ، ومنه قول الشاعر :

إلى هند صبا قلبي وهنّدا مثلها يصبني

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) يقول : أتابعهنّ .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) : أي ما أخوفّ منهنّ (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) قال : إلا يكن منك أنت العون والمنعة ، لا يكن مني ، ولا عندي .

وقوله (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) يقول : وأكن بصبوت إليهنّ من الذين جهلوا حقك ، وخالفوا أمرك ونهيك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) : أي جاهلا إذا ركبت معصيتك .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)

❦ إن قال قائل : وما وجه قوله (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ، ولا دعا بصرف كيدهنّ عنه ، وإنما أخبر ربه أن السجن أحبّ إليه من معصيته ؟ قيل : إن في إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه ، مما لقي منهنّ ، وفي قوله (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) معنى دعاء ومسألة

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣١١) قال : أصب إليهنّ : أي أهواهنّ ، وأميل إليهنّ . قال يزيد بن زبنة :

« إلى هند . . . البيت » .

منه ربه صرف كيدهن ، ولذلك قال الله تعالى ذكره (فاستجاب له ربه) وذلك كقول القائل لآخر : إن لاتترني أهتك ، فيجيبه الآخر : إذن أزورك ، لأن في قوله : إن لاتترني أهتك ، معنى الأمر بالزيارة . وتأويل الكلام : فاستجاب الله ليوسف دعاءه ، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحبها من معصية الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنته هو السميع العليم) : أي نجاه من أن يركب المعصية فيهن ، وقد نزل به بعض ما حذر منهن .

وقوله (إنته هو السميع) دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ، ودعاء كل داع من خلته . (العليم) بمطلبه وحاجته ، وما يصلحه ، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْحُهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ثم بدأ للعزير زوج المرأة التي راودت يوسف عن نفسه ، وقيل : بدأ لهم ، وهو واحد ، لأنه لم يذكر باسمه ، ويقصد بعينه ، وذلك نظير قوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَاجَمَعُوا لَكُمْ فَانظُرُوا لَهُمْ) وقيل : إن قائل ذلك كان واحدا . وقيل : معنى قوله (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ) في الرأي الذي كانوا رأوه ، من ترك يوسف مطلقا ، ورأوا أن يسجنوه (مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز ، وتلك الآيات كانت : قد القميص من دبر ، وخمشا في الوجه ، وقطع أيديهن ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نصر بن عوف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) قال : كان من الآيات قد القميص ، وخمش في الوجه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) قال : قد القميص من دبر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) قال : قد القميص من دبر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) قال : الآيات : حزنهن أيديهن ، وقد القميص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قد

القميص من دبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (**ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنَهُ**) براءته مما اتهم به من شق قميصه من دُبر (**لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ**) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (**مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ**) قال :
الآيات : القميص ، وقطع الأيدي .

وقوله (**لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ**) يقول : ليسجنه إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم ، وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة ، وكفارة لخطيئته .

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (**لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ**) عثر يوسف عليه السلام ثلاث عثرات : حين هم بها فسجن ، وحين قال **اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ - فَلَتَبَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَنِينَ**) وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال : **لَهُمْ (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) فَمَا تَأْلُوا إِنْ يَسْرِقْ فَيَمْدُ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ**) .

وذكر أن سبب حبسه في السجن : كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمره وأمرها .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (**ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ**) قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس : يعتذر إليهم ، ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فلما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر ، ولما أن تحبسه كما حبستني ، فذلك قول الله تعالى (**ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ**) .

وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في (**لَيْسَ جُنُنُهُ**) ، فقال بعض البصريين : دخلت هاهنا لأنه موضع يقع فيه أي ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون ، لأن النون تكون في الاستفهام ، تقول : بدا لهم أيهم يتأخذون : أي استبان لهم . وأنكر ذلك بعض أهل العربية ، فقال : هذا يمين ، وليس قوله : هل تقومون بيمين ، ولتقومن ، لا يكون إلا يمينا .

وقال بعض نحووي الكوفة : بدا لهم . بمعنى : القول ، والقول يأتي بكل الكلام بالقسم وبالاستفهام ، فلذلك جاز : بدا لهم قام زيد ، وبدا لهم ليقومن . وقيل : إن الحين في هذا الموضع معنى به سبع سنين .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن داود ، عن عكرمة (**لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ**) قال : سبع سنين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ ، قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي
أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)
يقول تعالى ذكره : ودخل مع يوسف السجن فتيان ، فدل بذلك على متروك قد ترك من الكلام ، وهو

(ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ) فسجنوه وأدخلوه السجن ، ودخل معه فتیان ، فاستغنى بدليل قوله (وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فِتْيَانٍ) على إدخالهم يوسف السجن من ذكره ، وكان الفتیان فيما ذكر : غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر ، أحدهما صاحب شرابه ، والآخر صاحب طعامه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فطرح في السجن : يعنى يوسف ، ودخل معه السجن فتیان ، غلامان كانا للملك الأكبر : الريان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه ، والآخر على بعض أمره ، في سخطه سخطها عليهما ، اسم أحدهما مجلث ، والآخر نبو ، ونبو الذى كان على الشراب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فِتْيَانٍ) قال : كان أحدهما خبازا للملك على طعامه ، وكان الآخر ساقية على شرابه .

وكان سبب حبس الملك الفتیین فيما ذكر ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : إن الملك غضب على خبازه ؛ بلغه أنه يريد أن يسُمَّه ، فحبسه وحبس صاحب شرابه ، ظن أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعا ، فذلك قول الله تعالى (وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فِتْيَانٍ) . وقوله (قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) ذُكِرَ أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما أدخل السجن ، قال لمن فيه من المخبسين ، وسألوه عن عمله : إني أعبر الرؤيا ، فقال أحد الفتیین للذين أدخلوا معه السجن لصاحبه : تعال فلنجرِّبه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما دخل يوسف السجن قال : أنا أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتیین لصاحبه : هلم نجرِّب هذا العبد العبراني ، نترأى له ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا ، فقال الخباز : إني أراى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه . وقال الآخر : إني أراى أعصر خمرا .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : مارأى صاحبا يوسف شيئا ، إنما كانا تحالماً ، ليجرِّبا علمه . وقال قوم : إنما سأله الفتیان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رأى الفتیان يوسف ، قالا : والله يافى لقد أحبيناك حين رأيناك .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك : أتشُدُّ كما الله أن لا تحباني ، فوالله ما أحبني أحد قط ، إلا دخل على من حبه بلاء ، لقد أحببتى عمى فدخل على من حبه بلاء ، ثم لقد أحببتى أبى ، فدخل على بجه بلاء ، ثم لقد أحببتى زوجة صاحبي هذا ، فدخل على بجه إياى بلاء ، فلا تحباني بارك الله فيكما ، قال : فأبيا إلا حبه وإلفه حيث

كان ، وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله ، وقد كانا رأيا حين أدخلنا السجن رؤيا ، فرأى مجلث : أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، ورأى « نبو » أنه يعصر خمرا ، فاستفتياه فيها ، وقال له (نَبَّسْنَا بِنَاؤِ يَلِيهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .
وعنى بقوله (أَعْصِرُ خَمْرًا) أى إني أرى فى نومى أى أعصر عنباً . وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود ، فيما ذكر عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إبي ، عن أبي سلمة الصائغ ، عن إبراهيم بن بشير الأنصارى ، عن محمد ابن الحنفية قال فى قراءة ابن مسعود (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنْبًا) وذكر أن ذلك من لغة أهل عُمان ، وأنهم يسمون العنب خرا .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) يقول : أعصر عنباً ، وهو بلغة أهل عُمان ، يسمون العنب خرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنباً ، أرض كذا وكذا يدعون العنب خرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : عنباً .

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبى حمزة ، عن عكرمة ، قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أبى غرست حيلة من عنب ، فنبئت ، فخرج فيه عناقيد فعصرهن ، ثم سقيهن الملك ، فقال : تمكث فى السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج ، فتسقيه خرا .

وقوله (وَقَالَ الْآخِرُ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيب ، عن مجاهد ، عن يوسف ، فقال بعضهم : هو الذى .
وقوله (نَبَّسْنَا بِنَاؤِ يَلِيهِ) يقول : أخبرنا بما يقول إليه ما أخبرناك أنا رأينا فى منامنا ، ويرجع إليه .

كما حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيب ، عن مجاهد ، عن يوسف ، فقال بعضهم : هو الذى .
وقوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى الإحسان الذى وصف به الفتيان يوسف ، فقال بعضهم : هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزى حزينهم ، وإذا احتاج منهم إنسان جمع له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ،

عن الضحاک بن مزاحم ، قال : كنت جالسا معه ببلخ ، فسئل عن قوله (نَبَّشْنَا بِنَاءَ وِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنِ الْمُحْسِنِينَ) قال : قيل له : ما كان إحسان يوسف ؟ قال : كان إذا مرض إنسان قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق أوسع له .

حدثنا إسحاق ، عن أبي إسرائيل ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک ، قال : سأل رجل الضحاک ، عن قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنِ الْمُحْسِنِينَ) ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَرَاكَ مِنِ الْمُحْسِنِينَ) قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوى مريضهم ، ويعزى حزينهم ، ويجهد لربه . وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن ، وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم ، واشتد بلاؤهم ، فطال حزنهم ، فجعل يقول : أبشروا واصبروا وتوجروا ، إن لهذا أجرا ، إن لهذا ثوابا ، فقالوا : يا فتى بارك الله فيك ! ما أحسن وجهك ، وأحسن خلقك ! لقد بورك لنا في جوارك ما نحب أنا كنا في غير هذا منذ حبسنا ، لما تخبرنا من الأجر والكفارة والطهارة ، فمن أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف بن صفي الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله ، وكانت عليه محبة ، وقال له عامل السجن : يا فتى والله لو استطعت تخليت سبيلك ، ولكن سأحسن جوارك ، وأحسن إيسارك ، فكن في أي بيوت السجن شئت حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلف الأشجعي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک في (إِنَّا نَرَاكَ مِنِ الْمُحْسِنِينَ) قال : كان يوسف للرجل في مجلسه ، ويتعاهد المرضى . وقال آخرون : معناه : (إِنَّا نَرَاكَ مِنِ الْمُحْسِنِينَ) إذ نبأنا بتأويل رؤيانا هذه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استفتياه في رؤياهما ، وقالوا له : (نَبَّشْنَا بِنَاءَ وِيلِهِ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنِ الْمُحْسِنِينَ) إن فعلت .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : القول الذي ذكرناه عن الضحاک و قتادة .

فان قال قائل : وما وجه الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت ، وقد علمت أن مسألتها يوسف أن يذهبها بتأويل رؤياهما ، ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ، ويقوم عليه ، ويحسن إلى من احتاج في شيء ، وإنما يقال للرجل : نبئنا بتأويل هذا ، فلأنك عالم ، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره ؟

قيل : إن وجه ذلك : أنهما قالوا له : نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا إلينا في إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن في سائر أفعالك ، إنا نراك من المحسنين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا يَا تَيْكُمَا طَعَامُ تَرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تَيْكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَا تَيْكُمَا ، ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره (قال) يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا (لا يا تَيْكُمَا) أيها الفتيان في منامكما (طَعَامُ تَرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تَيْكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) في يقظتكما (قَبْلَ أَنْ يَا تَيْكُمَا) .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال يوسف لهما (لا يا تَيْكُمَا طَعَامُ تَرْزُقَانِهِ) في النوم (إِلَّا نَبَأُ تَيْكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) في اليقظة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف لهما (لا يا تَيْكُمَا طَعَامُ تَرْزُقَانِهِ) يقول : في نومكما (إِلَّا نَبَأُ تَيْكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) . ويعنى بقوله (بِتَأْوِيلِهِ) : ما يقول إليه ويصير ما رأيا في منامهما من الطعام الذي رأيا أنه أتاهما فيه .
وقوله (ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) يقول : هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا ، مما علمني ربي فعلَّمته . (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وجاء الخبر مبتدأ : أي تركت ملة قوم . والمعنى ما ملت . وإنما ابتدأ بذلك ، لأن في الابتداء الدليل على معناه .
وقوله (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) يقول : إنني برئت من ملة من لا يصدق بالله ، ويقرّ بوحْدانيته (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول : وهم مع تركهم الإيمان بوحْدانية الله لا يقرّون بالمعاد والبعث ، ولا ثبواب ولا عقاب ، وكررت « هم » مرتين ، فقيل (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) لما دخل بينهما قوله (بِالْآخِرَةِ) فصارت « هم » الأولى كالمُلغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قيل (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) وكما قيل (أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِيتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ) .

فإن قال قائل : ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف ، وأين جوابه الفتين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام ؟

قيل له : إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما ، لما علم من مكروه ذلك على أحدهما ، فأعرض عن ذكره ، وأخذ في غيره ، ليعرض عن مسألته الجواب بما سألاه من ذلك .
وينحو ذلك قال بعض أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ

حَمْرًا، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي حَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، نَبَّشْنَا بِتَأْوِيلِهِ). قال : فكره العبارة لهما ، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ، ليريهما أن عنده علما . وكان الملك إذا أراد قتل إنسان ، صنع له طعاما معلوما ، فأرسل به إليه ، فقال يوسف (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) . . . إلى قوله (تَشْكُرُونَ) فلم يدعاه ، فعدل بهما ، وكره العبارة لهما ، فلم يدعاه حتى يعبر لهما ، فعدل بهما ، وقال (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) . . . إلى قوله (يَعْلَمُونَ) فلم يدعاه حتى عبّر لهما ، فقال (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) . قالوا : مارأينا شيئا ، إنما كنا نلعب ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج . فقوله (لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) في اليقظة لافي النوم ، وإنما أعلمهما على هذا القول ، أن عنده علم ما يثول إليه أمر الطعام ، الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره ، لأنه قد علم النوع الذي إذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك منهما ، والنوع الذي إذا أتاه كان علامة لغير ذلك ، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، ذَلِكَ

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

يعنى بقوله (واتبعت ملة آباءى إبراهيم وإسحاق ويعقوب) : واتبعت دينهم لادين أهل الشرك . (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) يقول : ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا فى عبادته وطاعته ، بل الذى علينا إفراده بالألوهة والعبادة (ذلك من فضل الله علينا) يقول : اتباعتى ملة آباءى إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام ، وتركى (ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون) ، من فضل الله الذى تفضل به علينا ، فأنعم إذ أكرمنا به ، (وعلى الناس) يقول : وذلك أيضا من فضل الله على الناس ، إذ أرسلنا إليهم دعة إلى توحيدهم وطاعته (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يقول : ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه ، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ، ولا يعرف المتفضل به . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (ذلك من فضل الله علينا) أن جعلنا أنبياء (وعلى الناس) يقول : أن بعثنا إليهم رسلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : يارب شاكرا نعمة غير منعم عليه لا يدري ، ورب حامل فقه غير فقيه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَصْحَبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟ (٣٩)

ذُكِرَ أَنَّ يَوْسُفَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لِغَفَّتَيْنِ اللَّذَيْنِ دَخَلَا مَعَهُ السَّجْنَ ، لِأَنَّ أَحَدَهُمَا كَانَ مُشْرِكًا ، فَدَعَاهُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ، فَقَالَ (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ) يَعْنِي : يَا مَنْ هُوَ فِي السَّجْنِ ، وَجَعَلَهُمَا صَاحِبِيهِمَا لِكُونِهِمَا فِيهِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِسُكَّانِ الْجَنَّةِ (فَأَوْلِيَاكُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وَكَذَلِكَ قَالَ لِأَهْلِ النَّارِ ، وَسَمَّاهُمْ أَصْحَابَهَا ، لِكُونِهِمْ فِيهَا . وَقَوْلُهُ (أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يَقُولُ : أَعِبَادَةُ أَرْبَابٍ شَتَّى مُتَفَرِّقِينَ ، وَآلِهَةٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، خَيْرٌ ، أَمْ عِبَادَةُ الْمَعْبُودِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَذَلِّلَهُ وَسَخَّرَهُ ، فَأَطَاعَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا ؟ وَبَنَحُوا الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (لَا يَعْلَمُونَ) لَمَّا عَرَفَ نَبِيَّ اللَّهِ يَوْسُفَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مَقْتُولٌ ، دَعَاهُمَا إِلَى حِظِّهِمَا مِنْ رَبِّهِمَا ، وَإِلَى نَصِيبِهِمَا مِنْ آخِرَتِهِمَا .
حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَانٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ) يَوْسُفَ يَقُولُهُ .
قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ وَرْقَاءَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ .
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثُمَّ دَعَاهُمَا إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) : أَيُّ خَيْرٍ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، أَوْ آلِهَةً مُتَفَرِّقَةً ، لَا تَنْفَعُ عَنْكُمْ شَيْئًا ؟

القول في تأويل قوله تعالى

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمِيَّتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)

يَعْنِي بِقَوْلِهِ (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) : مَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقَالَ (مَا تَعْبُدُونَ) وَقَدْ ابْتَدَأَ الْخُطَابَ بِخُطَابِ اثْنَيْنِ ، فَقَالَ (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ) لِأَنَّهُ قَصَدَ الْخُطَابَ بِهِ وَمَنْ هُوَ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ

مقيم من أهل مصر ، فقال للمخاطب بذلك : ما تعبد أنت ، ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان (إلا أسماءً سميتُموها أنتم وأباؤكم) ، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا ، شركا منهم ، وتشبيها لها في أسماءها التي سموها بها بالله تعالى ، عن أن يكون له مثل أو شبيه (ما أنزل الله بها من سلطان) يقول : سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ، ولا وصَّع لهم على أن تلك الأسماء أسماءها دلالة ولا حجة ، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء .

وقوله (إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه) يقول : وهو الذي أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه ، إلا الله الذي له الألوهة والعبادة خالصة ، دون كل ما سواه من الأشياء .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) قال : أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له .

وقوله (ذلك الدين القسيم) يقول : هذا الذي دعوتكما إليه من البراءة ، من عبادة ما سوى الله من الأوثان ، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار ، هو الدين القويم الذي لا عوجاج فيه ، والحق الذي لا شك فيه . (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول : ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته .

القول في تأويل قوله تعالى

يُصْحَبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُ كَمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَابُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ، قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)

يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن (يا صاحبي السجن) ، أمَّا أَحَدُ كَمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) هو الذي رأى أنه يعصر خمرا ، فيسقى ربه : يعنى سيده ، وهو ملكهم ؛ خمرًا : يقول : يكون صاحب شرايه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) قال : سيده .

وأما الآخر ، وهو الذي رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه ، فيصلب فتأكل الطير من رأسه ؛ فذكر أنه لما عبّر ما أخبراه به أنهما رأياه في مناهما ، قالا له : ما رأينا شيئا ، فقال لهما (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) يقول : فُرِغَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ اسْتَفْتَيْتُمَا ، ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : قال اللذان دخلا السجن على يوسف : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال : لما قالا ما قالا ، أخبرهما ، فقالا : ما رأينا شيئا ، فقال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله في الفتيين اللذين أتيا يوسف والرؤيا ، إنما كانا نحلمانا ليغرباه ، فلما أول رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : ما رأى صاحبنا يوسف شيئا ، إنما كانا نحلمانا ليغرباه ، فقال أحدهما : إني أراي أعصر عينا ؛ وقال الآخر : إني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله ، إنا نراك من المحسنين . قال : يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، فلما عسبر ، قالا : ما رأينا شيئا ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) على ما عسبر يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال لجلث : أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك ، وقال لنبو : أما أنت فترد على عملك ، فيرضى عنك صاحبك (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) ، أو كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) ١ : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) عند قولهما : ما رأينا رؤيا ، إنما كنا نلعب ، قال : قد وقعت الرؤيا على ما أولت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) فذكر مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ، فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ، فَلَبِثَ

فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يقول : اذكرني عند سيدك ، وأخبره بمظلمتي ، وأني محبوس بغير جرم .

(١) كذا في أصله المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية ، وهو آخر سطر في (ص ٣٨ و) . ونسى الكاتب أن يكتب التفسير في أول الصفحة التالية .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعنى لنبو (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) : أى اذكر للملك الأعظم مظلمتى وحبسى فى غير شىء ، قال : أفعل .
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال للذى نجا من صاحبه السجن يوسف يقول : اذكرنى عند الملك ؛
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أسباط (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : عند ملك الأرض .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) يعنى بذلك الملك .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) الذى نجا من صاحبه السجن للملك ، يقول يوسف : اذكرنى ؛
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي : أنه لما انتهى به إلى باب السجن ، قال له صاحب له : حاجتك : أوصنى بحاجتك ، قال : حاجتى أن تذكرنى عند ربك ، ينوى الرب الذى ملك يوسف . وكان قتادة يوجه معنى الظن فى هذا الموضع ، إلى الظن الذى هو خلاف اليقين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) وإنما عبارة الرؤيا بالظن ، فيسحق الله ما يشاء ، ويبطل ما يشاء ، وهذا الذى قاله قتادة ، من أن عبارة الرؤيا ظن ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء ، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمره كائن ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون ، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن ، لأن ذلك لو جاز عليها فى أخبارها ، لم يؤمن مثل ذلك فى كل أخبارها ، وإذا لم يؤمن ذلك فى أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت إليه . فإذا كان ذلك كذلك ، كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حق وصدق ؛ فمعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت ، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه ، أنه كائن ، فيقول لأحدهما : (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَا كَلُ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ) ، ثم يؤكد ذلك بقوله (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) عند قولهما : لم نر شيئا ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه ، أنه كائن لاحتمال ، لاشك فيه ، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) . فبين إذن بذلك ، فساد القول الذى قاله قتادة ، فى معنى قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) ، وقوله (فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان ، نسي لها ذكر ربه ، الذى لوبه استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زل بها ، فأطال من أجلها فى السجن حبسه ، وأوجع لها عقوبته .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : لما قال يوسف للساق (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : قيل : يا يوسف اتخذتُ من دوني وكيلا ، لأطيلن حبسك ، فبكى يوسف وقال : يا ربّ آتسني قلبى كثرة البلوى ، فقلتُ كلمةً ، فويل لإخوتى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنَّهُ » يعنى يوسف « قالَ الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللَّهُ يَوْسُفَ لَوْلَا كَلِمَتُهُ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » . يعنى قوله (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ثم يبكى الحسن ، فيقول : نحن إذا نزل بنا أمرٌ فنزِعنا إلى الناس .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْلَا كَلِمَةَ يَوْسُفَ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا لَمْ يَقُلْ يَوْسُفُ ، يعنى الكلمة الَّتِي قَالَ ، مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » يعنى حيث يتبغى الفرج من عند غير الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْلَا لَمْ يَسْتَعِينْ يَوْسُفُ عَلَى رَبِّهِ ، مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ » . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « لَوْلَا أَنَّ يَوْسُفَ اسْتَشْفَعَ عَلَى رَبِّهِ ، مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ ، وَلَكِنْ لَأَتَمَّا عَوْقِبَ بِاسْتِشْفَاعِهِ عَلَى رَبِّهِ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال له (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) قال : فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا ، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه ، وأمره بذكر الملك ، وابتغاء الفرج من عنده (فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) ، بقوله (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه ، غير أنه قال (فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) عقوبة لقوله (اذْكَرْتَنِي عِنْدَ رَبِّكَ) .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد ابن عمرو سواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث المثني ، عن أبي حذيفة .

وكان محمد بن إسحاق يقول : إنما أنسى الشيطان الساقى ذكر أمر يوسف ملكهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما خرج ، يعنى الذى ظن أنه ناج منهما ، رد على ما كان عليه ، ورضى عنه صاحبه ، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك ، الذى أمره يوسف أن يذكره ، فلبث يوسف بعد ذلك فى السجن بضع سنين ؛ يقول جل ثناؤه : فلبث يوسف فى السجن ، لقيله للناجى من صاحبه السجن من القيل : اذكرنى عند سيدك ، بضع سنين ، عقوبة له من الله بذلك .

واختلف أهل التأويل فى قدر البضع الذى لبث يوسف فى السجن ، فقال بعضهم : هو سبع سنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد أبو عثمة ، قال ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لبث يوسف فى السجن سبع سنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قال : سبع سنين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الخليل الصنعاني ، قال : سمعت وهباً يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك فى السجن يوسف سبع سنين ، وعذب بختنصر الجول فى السباع سبع سنين .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : زعموا أنها ، يعنى البضع : سبع سنين ، كما لبث يوسف .

وقال آخرون : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت أبا قتادة يقول : البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

حدثنا وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد (بِضْعَ سِنِينَ) قال : ما بين الثلاث إلى التسع .

وقال آخرون : بل هو ما دون العشر .

(١) أى بالمسح سبعا ، وصار يجول فى السباع ، كما يؤخذ من الكامل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (بضع سنين) دون العشرة .

وزعم الفراء أن البضع لا يذكر إلا مع عشر ، ومع العشرين إلى التسعين ، وهو نيف ما بين الثلاثة إلى التسعة ، وقال : كذلك رأيت العرب تفعل ، ولا يقولون بضع ومئة ، ولا بضع وألف ، وإذا كانت للذكران قيل : بضع .

والصواب في البضع : من الثلاث إلى التسع ، إلى العشر ، ولا يكون دون الثلاث ، وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة ، وما زاد على المئة فلا يكون فيه بضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ، وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . (٤٣)

يعنى جل ذكره بقوله : وقال ملك مصر (إني أرى) في المنام (سبع بقرات سمان) يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون. (سبع بقرات سمان) يأكلهن سبع عجاف من البقر (عجاف) . وقال: إني أرى ، ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم : أرى أني أفعل كذا: وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه ، وإن لم يذكر النوم ، وأخرج الخبر جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم . (وسبع سنبلات خضر) يقول : وأرى سبع سنبلات خضر في منامى (وأخرى) يقول : وسبعاً آخر من السنبل (يابسات) (يا أيها الملأ) يقول : يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي (أفتوني في رؤياي) فاعبروها (إن كنتم للرؤيا) عبرة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله أرى الملك في منامه رؤيا حالته ، فرأى سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخرى يابسات ، فجمع السحرة والكهنة والحزاة، والقافة، فقصها عليهم (فقالوا أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن الملك الريان بن الوليد، رأى رؤياه التي رأى ، فهالته . وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدر ما تأويلها ؟ فقال للملأ حوله من أهل مملكته (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) . . . إلى قوله (بعالمين) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَامٍ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه : رؤياك هذه أضغاث أحلام ، يعنون أنها أحلاط رؤيا كاذبة ، لاحقيقة لها ، وهى جمع ضِغْث ، والضغْث : أصله الخزْمة من الحشيش ، يُشَبَّهُ بها الأحلام المختلطة ، التى لا تأويل لها ، والأحلام جمع حلم ، وهو ما لم يصدق من الرؤيا ، ومن الأضغاث قول ابن مقبل :

خَوْدٌ كَانَ فِرَاشَهَا وَضِعَتْ بِهِ أَضْغَاثُ رِيحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ ١
ومنه قول الآخر :

يَحْمِي ذِمَارَ جَنِينٍ قَلَّ مَا نِعُهُ طَاوٍ كَضِغْثِ الْخَلَا فِي الْبَطْنِ مُكْتَمِينَ ٢
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أضغاث أحلام) يقول : مشتبهة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أضغاث أحلام) كاذبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قصّ الملك رؤياه التى رأى على أصحابه ، قالوا : أضغاث أحلام : أى فعل الأحلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أضغاث أحلام) قال : أحلاط أحلام (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أضغاث أحلام : كاذبة .

قال : ثنا البخاريّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قالوا : أضغاث ، قال : كذب .

(١) البيت لابن مقبل . وقال فى اللسان : الخود : الفتاة الحسنه الخلق الشابة ، ما لم تصر نصفاً (بالتحريك) . وقيل الجارية الناعمة ، والجمع : خودات وخود (بضم الخاء فى الأخير) . و(فى اللسان : ضغث) : وأضغاث الأحلام : الرؤيا التى لا يصح تأويلها ، لاختلاطها . والضغث : الحلم الذى لا تأويل له ، ولا خير فيه . والضغث الخزمة من الحشيش ، أو كل ما ملى الكف من النبات ، أو الحشيش المختلط . والشمال : الريح الباردة . يريد أن ريح فراشها بعد النوم ، كأنما وضع فيه صنوف من الريحان ، تذيب ريحها ريح الشمال اللطيفة .

(٢) فى (اللسان : ذمر) : الدمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم . وطاو : ضامر ، يريد أنه صغير ، والضغث الخزمة من الزرع والبقل ونحوه . والخلا : الرطب من الحشيش يختل فى الربيع (كما لبرسيم) فإذا يبس فهو حشيش ، يريد أن لا يزال طريا فى بطن أمه كخزمة الخلا فى لبنه ، لم تصلب عظامه . والمكتمن : الخافى المضمهر .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) : هي الأحلام الكاذبة .

وقوله (وَمَا تَحْنُ بُتًا وَيَلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ) يقول : وما نحن بما تنول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين . والباء الأولى التي في التأويل : من أصلة العالمين ، والتي في العالمين : الباء التي تدخل في الخبر مع « ما » التي بمعنى الجحد . ورفع أضغاث أحلام : لأن معنى الكلام : ليس هذه الرؤيا بشيء ، إنما هي أضغاث أحلام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ : أَنَا أُنذِرَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا
الصِّدِّيقُ ، افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَا كَلْبُهَا سَبْعُ عِجَافٍ ، وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ ، وَأُخْرَى
يَأْبَسَتِ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وقال الذي نجا من القتل من صاحبي السجن ، اللذين استعبرا يوسف الرؤيا وادَّكَرَ ؛ يقول : وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف ، وذكر حاجته للملك ، التي كان سأله عند تعبيره رؤياه ، أن يذكرها له ، بقوله : (اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ، بَعْدَ أُمَّةٍ) يعني بعد حين .

كالذي حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس (وَاذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش (وَاذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، قال (وَاذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزین ، عن ابن عباس ، مثله ؛ قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَاذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد حين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَاذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال : ذكر بعد حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد حين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة ،
عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَدَّكَرَّ
بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد حين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير (بَعْدَ أُمَّةٍ) :
بعد حين . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : (بعد أُمَّةٍ) قال : بعد سنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّةٍ) قال :
بعد حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانِي ، قال : ثنا شريك ، عن سِيَّاح ، عن عكرمة (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ
أُمَّةٍ) أي بعد حِقْبَةٍ من الدهر .

وهذا التأويل على قراءة من قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) بضم الألف ، وتشديد الميم ، وهي قراءة القرآء في أمصار
الإسلام .

وقد روى عن جماعة من المتقدمين : أنهم قرءوا ذلك (بَعْدَ أُمَّةٍ) بفتح الألف ، وتخفيف الميم
وفتحها ، بمعنى بعد نسيان . وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك : أُمَّةٌ الرَّجُلُ يَأْمَهُ أُمَّهًا : إذا نسى ،
وكذلك تأوله من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
أنه كان يقرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) ويفسرها : بعد نسيان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه
قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) يقول : بعد نسيان .

حدثني أبو غسان مالك بن الحليل اليمحمدي ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن أبي هارون الغنوي ، عن
عكرمة أنه قرأ (بَعْدَ أُمَّةٍ) والْأُمَّةُ : النسيان .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن علكية ، قال : ثنا أبو هارون الغنوي ، عن عكرمة ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : قال هارون ، وثني أبو هارون الغنوي ، عن

عكرمة (بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد نسيان .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَأَدَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّةٍ) : بعد نسيان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : أي بعد نسيان .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَادَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ)
قال : من بعد نسيانه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الكريم أبي أمية المعلم ،
عن مجاهد ، أنه قرأ (وَادَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَادَّكَرَّ
بَعْدَ أُمَّهِ) قال : بعد نسيان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك يقول في قوله (وَادَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ) يقول : بعد نسيان .

وقد ذكر فيها قراءة ثالثة ، وهي ما حدثني به المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ،
سفيان ، عن حميد ، قال : قرأ مجاهد (وَادَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ) مجزومة الميم مخففة ، وكأن قارئ ذلك كذلك ،
أراد به المصدر ، من قولهم : أَمِهَ يَأْمُهْ أَمَهَا ، وتأويل هذه القراءة ، نظير تأويل من فتح الألف والميم .
وقوله (أَنَا أَنْبَشْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) يقول : أنا أخبركم بتأويله (فَأَرْسَلُونِي) يقول : فأطلقوني أمضي ،
لآتيكم بتأويله من عند العالم به . وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره ، استغناء بما ظهر عما ترك ، وذلك : فأرسلوه
فأتى يوسف ، فقال له : يا يوسف ، يا أيها الصديق .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : (قَالَ الْمَلِكُ) للملأ حوله (لَأَنِّي أَرَى
سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ) . . . الآية ، وقالوا له ما قال ، سمع «نبو» من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها
ذكر يوسف ، وما كان عبر له ولصاحبه ، وما جاء من ذلك على ما قال من قوله ، قال (أَنَا أَنْبَشْتُكُمْ
بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِي) يقول الله تعالى (وَادَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ) : أي حقة من الدهر ، فأناه فقال :
يا يوسف ، إن الملك قد رأى كذا وكذا ، فقص عليه الرؤيا ، فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا في الكتاب ،
فجاءهم مثل فلتق الصباح تأويلها ، فخرج «نبو» من عند يوسف ، بما أفنأهم به من تأويل رؤيا الملك ، وأخبره
بما قال . وقيل : إن الذي نجا منهما إنما قال : أرسلوني ، لأن السجن لم يكن في المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا
وَادَّكَرَّ بَعْدَ أُمَّهِ ، أَنَا أَنْبَشْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِي) قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ،
فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ) . . . الآيات .

قوله (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ يَا كَلْهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ

(١) لعل صواب عبارة ابن إسحاق هو « عن ابن إسحاق قال : لما قال الملك : إني أرى سبع . . . الآية ، وقالوا له ما قالوا ، وسمع

«نبو» من ذلك ماسمع ، ومسألته عن تأويلها ، ذكر يوسف . . . الخ » .

وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ) فإن معناه : أفنتنا في سبع بقرات سِيَانٍ رُئِينِ فِي الْمَنَامِ ، يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ مِنْهَا عَجَافٌ ، وَفِي سَبْعِ سَنِبَلَاتٍ خَضِرٍ رُئِينٍ أَيْضًا ، وَسَبْعٌ أُخْرٍ مِنْهُنَّ يَابِسَاتٌ ؛ فَأَمَّا السَّمَانُ مِنَ الْبَقْرِ ، فَإِنَّهَا السَّنُونُ الْمُخْصَبَةُ .
كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أفنتنا في سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ ، يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عَجَافٌ) قال : أما السمان : فسنون منها مخصبة . وأما السبع العجاف : فسنون مجدبة ، لاتنبت شيئًا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أفنتنا في سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ) فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف : هي السنون المَحْوَلُ الْجُدُوبِ .
قوله (وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ) أما الخضر : فهن السنون المخاصيب ، وأما اليابسات : فهن الجُدُوبُ المَحْوَلُ . والعجاف : جمع عَجِيفٍ ، وهي المهازيل .
وقوله (لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول : كفى أرجع إلى الناس ، فأخبرهم ، لعلهم يعلمون : يقول : ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا، فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)

❦ يقول تعالى ذكره : قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا) يقول : تزرعون هذه السبع السنين ، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها ، على عادتكم فيما مضى ، والدأب^١ : العادة ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمَّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ^٢

يعنى كعادتك منها .

وقوله (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) وهذا مشورة أشار بها نبي الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، ورأى رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال لهم نبي الله يوسف (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا) . . . الآية ، وإنما أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم البقاء .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)

(١) الدأب ، بسكون الهزلة وفتحها : العادة والشأن .

(٢) البيت لامرئ القيس ، من معلقته المشهورة (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٤) وكدأبك ، يروى . « كدينك » أى عادتك وشأنك ، وأم الحويرث : أخت الحارث بن حصين بن ضمضم من كلب ، وهى امرأة حجر أبى امرئ القيس . ومأسل ، بفتح السين : جبل بعينه . ويكسر السين : ماء بعينه ، والرواية بالفتح .

يقول : ثم يجيء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها دأبا ، سنون سبع شداد : يقول : جُدوب قحطة (يَا كَلْنَنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَنَ) يقول : يؤكل فيهن ما قدمتم في إعداد ما أعددتن لهن في السنين السبعة الخصبية ، من الطعام والأقوات ، وقال جل ثناؤه (يَا كَلْنَنَ) فوصف السنين بأنهن يأكلن ، وإنما المعنى : أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن ، كما قيل :

سَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَعَقْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ ٢

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يُسَهَى في هذا ويُغْفَل فيه ، وينام في هذا ، لمعرفة مخاطبين بمعناه ، والمراد منه : إلا قليلا مما تُحْصِنُونَ : يقول : إلا يسيرا مما تُحْرِزُونَهُ : والإحصان : التصيير في الحصن ، وإنما المراد منه : الإحراز .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (يَا كَلْنَنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَنَ) يقول : يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَا تِي مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهن الجُدوب الخول (يَا كَلْنَنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَنَ) ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَا تِي مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ) وهن الجُدوب (يَا كَلْنَنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَنَ) إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) : مما تدخرون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) يقول : تُحْرِزُونَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (تُحْصِنُونَ) : تُحْرِزُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَا كَلْنَنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهْنَنَ) إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) قال : مما ترفعون .

وهذه الأقوال في قوله (تُحْصِنُونَ) وإن اختلفت ألفاظ قائلها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَا تِي مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩)

(١) يقال : عام قحط ، يسكون الحاء ، وبكسرهما ؛ وقحيط أيضا .

(٢) الشاهد في هذا البيت : إسناد السهو والغفلة إلى اليوم إسنادا مجازيا عقليا ، لأن السهو والغفلة إنما يقعان في النهار ، ولا يقعان منه ، ولكن لما كان النهار هو الزمان الذي يقعان فيه ، فلهذه الملازمة الزمانية ، ساغ الإسناد إلى زمان الحدث . والعلاقة هي الزمانية .

و هذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم ، عما لم يكن في رؤيا ملكهم ، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله ، دلالة على نبوته ، وحجة على صدقه .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها ، فقال (« ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ») ويعنى بقوله (فيه يغاث الناس) : بالمطر والغيث .
وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (« ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ») قال : فيه يغاثون بالمطر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك (فيه يغاث الناس) قال : بالمطر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (« ثم يأتي من بعد ذلك عام ») قال : أخبرهم بشئ لم يسألوه عنه ، وكان الله قد علمه إياه ؛ عام فيه يغاث الناس بالمطر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (فيه يغاث الناس) بالمطر .

وأما قوله (وفيه يعصرون) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسَّمْسَم ، وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وفيه يعصرون) قال : الأعناب والدُّهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وفيه يعصرون) السَّمْسَم دُهْنًا ، والعنب خمرًا ، والزيتون زيتًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عام فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون) يقول : يصيبهم غيث ، فيعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزيت ، ويعصرون من كل الثمرات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (وفيه يعصرون) قال : يعصرون أعنابهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : العنب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : كانوا يعصرون الأعناب والتمرات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الحصب ، هذا علم آتاه الله يوسف لم يسئل عنه . وقال آخرون : معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) وفيه يخلبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) قال : فيه يخلبون .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا الفرج بن فضالة ، عن علي بن أبي طلحة ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، يعني تحتلبون :

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة والبصرة والكوفة (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بالياء ، بمعنى ما وصفت من قول من قال : عصر الأعناب والأدهان . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (وَفِيهِ تَعْصِرُونَ) بالتاء ، وقرأه بعضهم (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) بمعنى : يمتطرون ، وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لخلافها ما عليه من قراء الأمصار .

والصواب من القراءة في ذلك أن لقارته الخيار في قراءته بأي القراءتين الأخيرين شاء إن شاء ، بالياء ردأ على الخبر به عن الناس ، على معنى (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) أعنابهم ، وأدهانهم ، وإن شاء بالتاء ردأ على قوله (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخْصِنُونَ) وخطابا به لمن خاطبه بقوله (يَا كُلُّنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخْصِنُونَ) لأنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار باتفاق المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بهما . وذلك أن المخاطبين بذلك كان لاشك أنهم أغثوا وعصروا : أغيث الناس الذين كانوا بناحيهم وعصروا ، وكذلك كانوا إذا أغيث الناس بناحيهم وعصروا ، أغيث المخاطبون وعصروا ، فهما متفقتا المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بقراءة ذلك . وكان بعض من لاعلم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) إلى : وفيه ينسجون من الجلبد والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العَصْر ، والعصر التي بمعنى المنجاة من قول أبي زيد الطائي :

صَادِيَا يَسْتَعِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمَجْنُونِ

أى المقهور ، ومن قول لبيد :

(١) البيت لأبي زيد الطائي : (اللسان : عصر) قال : وقال أبو عبيدة : هو في العصر ، بالتحريك ، وهو المنجاة والعصرة والمعصر والمعصر ، بفتح العين وتشديد الصاد المفتوحة ، قال لبيد . « وما كان وقافا بدار معصر » . وقال أبو زيد : صاديا . . . أى كان ملجأ المكروب .

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمَ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافًا بَغْيِيرٍ مُعَصِّرًا
وذلك تأويل يكتفى من الشهادة على خطئه خلافاً قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين . وأما القول الذي
روى الفرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة ، فقول لامعنى له ، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ،
وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ: أَتُؤْتِنِي بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلُهُ : مَا بَالُ النِّسْوَةِ
الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ؟ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فلما رجع الرسول الذى أرسلوه إلى يوسف ، الذى قال (أنا أنبئكم بيتاً وويله
فأرسلون) فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف ، علم الملك حقيقة ما أفناه به من تأويل رؤياه ، وصحة
ذلك ، وقال الملك : اتئوتنى بالذى عتبر رؤياى هذه .

كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فخرج «نبو» من عند يوسف بما
أفناه به من تأويل رؤيا الملك ، حتى أتى الملك ، فأخبره بما قال ، فلما أخبره بما فى نفسه بمثل النهار ،
وعرف أن الذى قال كائن ، كما قال ، قال اتئوتنى به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله ، قال :
اتئوتنى به .

وقوله (فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ) يقول : فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك (قال ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ) يقول : قال يوسف للرسول : ارجع إلى سيدك (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن) وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قدفوه به من
شأن النساء ، فقال للرسول : سل الملك ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، والمرأة التي سجنت بسببها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ) قال ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ ، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) والمرأة التي سجنت بسبب أمرها عما كان
من ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره
(قال اتئوتنى به) فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك ، أبى يوسف الخروج معه ، وقال (ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) . . . الآية ، قال السدى ، قال ابن عباس :

(١) البيت لبيد . وقد أورد اللسان الشطر الثاني منه كما نقلناه فى الشاهد قبله . والزواية فيه : « بدار معصر » فى مكان :
« بغير معصر » . ونقل التاج البيت كاملاً ورواية الشطر الثاني كرواية اللسان .

لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملكُ بشأنه ، ما زالت في نفس العزيز منه حاجة ، يقول : هذا الذي راود امرأته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن رجل ، عن أبي الزناد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَرَحَمُ اللَّهُ يُوسُفَ إِنْ كَانَ ذَا أَنَاةٍ ، لَوُ كُنْتُ أَنَا الْمُحِبُّوسَ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيَّ ، تَخَرَّجْتُ سَرِيحًا ، إِنْ كَانَ لِحَلِيمَا ذَا أَنَاةٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوُ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي لِأَجْبَتُهُ ، إِذْ جَاءَهُ الرَّسُولُ ، فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ » . . . الآية .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا زكريا بن أبان المقرئ ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنا بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَوُ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لِأَجْبَتِ الدَّاعِي » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ هذه الآية (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، إِنْ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) . قال النبي صلى الله عليه وسلم لَوُ كُنْتُ أَنَا لِأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ ، وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُدْرَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه قرأ (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) . . . الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لَوُ بُعِثَ إِلَى لِأَسْرَعْتُ فِي الْإِجَابَةِ ، وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُدْرَ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكِرَمِهِ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافِ وَالسَّمَانِ ، وَلَوُ كُنْتُ مَكَانَهُ ، مَا أَحْبَبْتُ لَهُمْ بَيْتِي حَتَّى أُسْتَرَطَّ أَنْ يُخْرِجُونِي ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكِرَمِهِ ،

وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَبَادَرْتُهُمُ الْبَابَ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْعُذْرُ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ) أراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج حتى يكون له العذر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) قال : أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن . وقوله (إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) يقول : إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التي فعلن في ويفعلن بغيري من الناس ، لا يخفى عليه ذلك كله ، وهو من وراء جزأهن على ذلك . وقيل : إن معنى ذلك : أن سيدي إطفير العزيز زوج المرأة التي راودتني عن نفسي ، ذو علم ببراءتي مما قذفتني به من سوء

القول في تأيل قوله تعالى

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْتَمَنَّا حَصْحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)

وفي هذا الكلام متروك ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو : فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته ، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، وامرأة العزيز ، فقال لهن (ما خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) ؟

كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه جميع النسوة (وَقَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) ويعنى بقوله (ما خَطْبُكُنَّ) ما كان أمركن ، وما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ، فأجبهن (فَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) تقول : الآن تبين الحق ، وانكشف فظهر (أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) وإن يوسف لمن الصادقين في قوله (هِيَ اِرَاوَدْتُنِي عَنْ نَفْسِي) .

وبمثل ما قلنا في معنى (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) قال : تبين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ) الآن تبين الحق .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَّ
الْحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (الآن حَصَّحَصَّ
الْحَقُّ) قال : تبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت راعيل امرأة إطفير العزيز (الآن
حَصَّحَصَّ الْحَقُّ) : أي الآن برز الحق وتبين (أنا راودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)
فما كان قال يوسف ، مما ادَّعَتْ عَلَيْهِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال الملك ائتوني بهن ، فقال :
(ما خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) ،
ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت ، وحلَّ سراويله ، ثم شدّه بعد ذلك ،
فلا تدري ما بدا له ، فقالت امرأة العزيز : (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ)
تبين . وأصل حصحص : حصّ ، ولكن قيل : حصحص ، كما قيل : فكبكبوا في كبوا . وقيل :
كفكف في كفّ ، وذردر في ذرّ . وأصل الحصّ : استئصال الشيء ، يقال منه : حصّ شعره : إذا
استأصله جزاً ، وإنما أريد في هذا الموضع : حصحص الحقّ : ذهب الباطل والكذب ، فانقطع ، وتبين
الحقّ فظهر .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَىٰ لَمْ أَخْنُفُ بِالْغَيْبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) *

* يعني بقوله (ذلك ليعلمم أ تى لم أخنفه بالغييب) هذا الفعل الذى فعلته ، من ردّى رسول الملك

إليه ، وتركى إجابته والخروج إليه ، ومسألتي إياه أن يسأل النَّسْوَةَ اللاتِي قَطَعْنَ أَيَدِيَهُنَّ ، عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيب : يقول : لم أركب منها فاحشة في حال غيبته عني ، وإذا لم يركب ذلك بمغيبه ، فهو في حال مشهده إياه أحرى أن يكون بعيدا من ركوبه :

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ) إطفير سیده (أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) : أني لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لا يعلمه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) يوسف يقوله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) يوسف يقوله : لم أخن سيدي .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) قال يوسف يقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) هو يوسف ، يقول : لم أخن الملك بالغيب . وقوله (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) يقول : فعلت ذلك ليعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين : يقول : وأن الله لا يصدّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعاظم في خيانتهموها ، واتصل قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) بقول امرأة العزيز (أَنَا رَأَوْتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) المعرفة السامعين لعناه ، كاتصال قول الله تعالى (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) بقول المرأة (وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً) ، وذلك أن قوله (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) وهو متصل بقول الملأ (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ) .

والله أعلم :

تمّ الجزء الثاني عشر من تفسير الإمام ابن جرير الطبري

وبليه الجزء الثالث عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (وَمَا أُبْرِي نَفْسِي)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء الثالث عشر

الطبعة الثانية

١٩٥٤ - ١٣٧٣ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

كتاب التبريد

كتاب التبريد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

فهارس الجزء الثالث عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثاني : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافي .

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٣	وما أبرئ نفسي . . .	١	٧٦	فبدأ بأوعيتهم . . .	٢٣
٥٤	وقال الملك اتتوني به . . .	٣	٧٧	قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له . . .	٢٨
٥٥	قال اجعلني على خزائن الأرض . . .	٤	٧٨	قالوا يا أيها العزيز . . .	٣١
٥٦	وكذلك مكنا ليوسف في الأرض . . .	٦	٧٩	قال معاذ الله أن نأخذ . . .	٣٢
٥٧	ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا . . .	٧	٨٠	فلما استياسوا منه خلصوا نجيا . . .	٣٢
٥٨	وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه . . .	٧	٨١	ارجعوا إلى أبيكم . . .	٣٥
٥٩	ولما جهزهم بجهازهم قال اتتوني . . .	٨	٨٢	واسأل القرية التي كنا فيها . . .	٣٧
٦٠	فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . . .	٨	٨٣	قال بل سوت لكم أنفسكم أمرا . . .	٣٧
٦١	قالوا سترأود عنه أباه . . .	٨	٨٤	وتولى عنهم وقال . . .	٣٨
٦٢	وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم . . .	٨	٨٥	قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف . . .	٤٠
٦٣	فلما رجعوا إلى أبيهم . . .	٩	٨٦	قال إنما أشكو بثي . . .	٤٥
٦٤	قال هل آمنكم عليه . . .	١٠	٨٧	يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف . . .	٤٨
٦٥	ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم . . .	١١	٨٨	فلما دخلوا عليه . . .	٤٩
٦٦	قال لن أرسله معكم . . .	١٢	٨٩	قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف . . .	٥٤
٦٧	وقال يا بني لا تدخلوا من باب . . .	١٣	٩٠	قالوا أعنك لأنت يوسف . . .	٥٥
٦٨	ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم . . .	١٤	٩١	قالوا تالله لقد آثرك الله علينا . . .	٥٥
٦٩	ولما دخلوا على يوسف . . .	١٥	٩٢	قال لا تريب عليكم اليوم . . .	٥٦
٧٠	فلما جهزهم بجهازهم . . .	١٦	٩٣	اذهبوا بقميصي هذا . . .	٥٧
٧١	قالوا وأقبلوا عليهم . . .	١٨	٩٤	ولما فصلت العير قال أبوهم . . .	٥٧
٧٢	قالوا نفقيد صواع الملك . . .	١٨	٩٥	قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم . . .	٦١
٧٣	قالوا تالله لقد علمتم . . .	٢١	٩٦	فلما أن جاء البشير . . .	٦٢
٧٤	قالوا فما جزاؤه . . . ؟	٢٢	٩٧	قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا . . .	٦٤
٧٥	قالوا جزاؤه من وجد في رحله . . .	٢٢	٩٨	قال سوف أستغفر لكم . . .	٦٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٩	فلما دخلوا على يوسف . . .	٦٥	١٤	له دعوة الحقّ والذين يدعون . . .	١٢٨
١٠٠	ورفع أبويه على العرش . . .	٦٥	١٥	ولله يسجد من في السموات . . .	١٣١
١٠١	ربّ قد آتيتني من الملك . . .	٧٢	١٦	قل من ربّ السموات والأرض . . .	١٣٢
١٠٢	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . . .	٧٥	١٧	أنزل من السماء ماء . . .	١٣٤
١٠٣	وما أكثر الناس ولو حرصت . . .	٧٦	١٨	للذين استجابوا لربهم الحسنى . . .	١٣٨
١٠٤	وما تسئلهم عليه من أجر . . .	٧٦	١٩	أفمن يعلم أنّما أنزل إليك من ربك . . .	١٣٩
١٠٥	وكأين من آية في السموات . . .	٧٦	٢٠	الذين يوفون بعهد الله . . .	١٣٩
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله . . .	٧٧	٢١	والذين يصلون ما أمر الله به . . .	١٣٩
١٠٧	أفأمنوا أن تأتيهم غاشية . . .	٧٩	٢٢	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم . . .	١٤٠
١٠٨	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله . . .	٧٩	٢٣	جنات عدن يدخلونها . . .	١٤١
١٠٩	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا . . .	٨٠	٢٤	سلام عليكم بما صبرتم . . .	١٤١
١١٠	حتى إذا استيأس الرسل . . .	٨١	٢٥	والذين ينقضون عهد الله . . .	١٤٣
١١١	لقد كان في قصصهم عبرة . . .	٨٩	٢٦	الله يبسط الرزق لمن يشاء . . .	١٤٣
<u>سورة الرعد</u>					
١	المرتلك آيات الكتاب . . .	٩١	٢٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٤٤
٢	الله الذي رفع السموات . . .	٩٣	٢٨	الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم . . .	١٤٥
٣	وهو الذي مدّ الأرض . . .	٩٥	٢٩	الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٤٥
٤	وفي الأرض قطع متجاورات . . .	٩٦	٣٠	كذلك أرسلناك في أمة قد خلت . . .	١٥٠
٥	وإن تعجب فعجب قولهم . . .	١٠٣	٣١	ولو أنّ قرآنا سيرت به الجبال . . .	١٥١
٦	ويستعجلونك بالسديثة قبل الحسنة . . .	١٠٥	٣٢	ولقد استهزئ برسل من قبلك . . .	١٥٨
٧	ويقول الذين كفروا . . .	١٠٦	٣٣	أفمن هو قائم على كلّ نفس . . .	١٥٨
٨	الله يعلم ما تحمل كل أنثى . . .	١٠٩	٣٤	هم عذاب في الحياة الدنيا . . .	١٦١
٩	عالم الغيب والشهادة . . .	١١٣	٣٥	مثل الجنة التي وعد المتقون . . .	١٦١
١٠	سواء منكم من أسر القول . . .	١١٣	٣٦	والذين آتيناهم الكتاب يفرحون . . .	١٦٣
١١	له معقبات من بين يديه . . .	١١٤	٣٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا . . .	١٦٤
١٢	هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا . . .	١٢٣	٣٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك . . .	١٦٥
١٣	ويسبح الرعد بحمده . . .	١٢٣	٣٩	يمحو الله ما يشاء ويثبت . . .	١٦٥
			٤٠	وإما نرينك بعض الذي نعدهم . . .	١٧٢
			٤١	أو لم يروا أنّ أتقى الأرض . . .	١٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٢	وقد مكر الذين من قبلهم . . .	١٧٥	٢٥	تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . . .	٢٠٣
٤٣	ويقول الذين كفروا لست مرسلًا . . .	١٧٦	٢٦	ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة . . .	٢١٠
تفسير سورة إبراهيم عليه السلام					
١	الكتاب أنزلناه إليك . . .	١٧٩	٢٨	ألم تر إلى الذين بدلوا نعمتة الله . . .	٢١٩
٢	الله الذي له ما في السموات . . .	١٧٩	٢٩	جهنم يصلونها وبئس القرار . . .	٢١٩
٣	الذين يستحبون الحياة الدنيا . . .	١٨٠	٣٠	وجعلوا لله أندادا . . .	٢٢٣
٤	وما أرسلنا من رسول . . .	١٨١	٣١	قل لعبادي الذين آمنوا . . .	٢٢٤
٥	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	١٨٢	٣٢	الله الذي خلق السموات والأرض . . .	٢٢٥
٦	وإذ قال موسى لقومه . . .	١٨٤	٣٣	ونحر لكم الشمس والقمر . . .	٢٢٥
٧	وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم . . .	١٨٥	٣٤	وآتاكم من كل ما سألتموه . . .	٢٢٥
٨	وقال موسى : إن تكفروا . . .	١٨٦	٣٥	وإذ قال إبراهيم رب اجعل . . .	٢٢٧
٩	ألم يأتكم نبيّ الذين من قبلكم . . .	١٨٧	٣٦	ربّ إنهنّ أضللن كثيرا من الناس . . .	٢٢٧
١٠	قالت رسلهم أفي الله شكّ . . . ؟	١٩٠	٣٧	ربنا إني أسكنت من ذريتي . . .	٢٢٩
١١	قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر . . .	١٩٠	٣٨	ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن . . .	٢٣٥
١٢	وما لنا ألا نتوكل على الله . . .	١٩١	٣٩	الحمد لله الذي وهب لي على الكبر . . .	٢٣٥
١٣	وقال الذين كفروا لرسولهم . . .	١٩١	٤٠	رب اجعلني مقيم الصلاة . . .	٢٣٥
١٤	ولنسكننكم الأرض من بعدهم . . .	١٩١	٤١	ربنا اغفر لي ولوالدي . . .	٢٣٦
١٥	واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . . .	١٩٣	٤٢	ولا تحسبن الله غافلا . . .	٢٣٦
١٦	من ورائه جهنم . . .	١٩٤	٤٣	مهطعين مقنعي رءوسهم . . .	٢٣٦
١٧	يتجرّعه ولا يكاد يسيغه . . .	١٩٤	٤٤	وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب . . .	٢٤١
١٨	مثل الذين كفروا بربهم . . .	١٩٦	٤٥	وسكنتم في مساكن الذين ظلموا . . .	٢٤٣
١٩	ألم تر أن الله . . .	١٩٨	٤٦	وقد مكروا مكروهم . . .	٢٤٤
٢٠	وما ذلك على الله بعزيز . . .	١٩٨	٤٧	فلا تحسبن الله مخلف وعده . . .	٢٤٨
٢١	وبرزوا لله جميعا . . .	١٩٩	٤٨	يوم تبدل الأرض غير الأرض . . .	٢٤٩
٢٢	وقال الشيطان لما قضي الأمر . . .	٢٠٠	٤٩	وترى المجرمين يومئذ مقرّنين . . .	٢٥٤
٢٣	وأدخل الذين آمنوا . . .	٢٠٣	٥٠	سرايلهم من قطّيران . . .	٢٥٤
٢٤	ألم تر كيف ضرب الله مثلا . . .	٢٠٣	٥١	ليجزى الله كل نفس ما كسبت . . .	٢٥٤
			٥٢	هذا بلاغ للناس . . .	٢٥٨

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٨٢	١
تأويل قوله تعالى « حتى إذا استنأس الرسل »	تأويل قوله تعالى « وما أبرئ نفسي » . . .
. . . الآية ، وما كان عليه الرسل وأتباعهم .	الآية ، وسبب قول يوسف لها .
٨٩	٤
العبرة التي في قصص يوسف وإخوته .	منزلة يوسف عند الملك وتسليمه أموره إليه .
٩١	٧
<u>تفسير سورة الرعد</u>	الأسباب التي دعت إخوة يوسف للدخول
٩٣	مصر حتى عرفهم ولم يعرفوه .
تأويل قوله تعالى « الذي رفع السموات »	١١ ما فعله يوسف بإخوته من الإكرام ليحملهم
. . . الآية ، وبيان أن السموات لا عمد لها	على العود إليه ثانيا .
تري .	١٣ ما كان يخشاه يعقوب على بنيه ، ولأجله أمرهم
٩٧	بالتفرق في الدخول .
تأويل قوله تعالى « وفي الأرض قطع » . . .	١٥ ما أكرم به يوسف أخاه عند مجيئه .
الآية ، وما في ذلك من الدلالة على واجب	٢٢ جزاء السارق في شريعة يعقوب .
الوجود .	٢٨ ما فعله يوسف وسماه إخوته به سارقا .
١٠٥	٣٣ ذكر كبير إخوة يوسف ، وبيان أن كبيرهم
ما كانت تطلبه قريش من نزول العذاب .	في العقل ، غير كبيرهم في السن .
١٠٩	٣٩ فضيلة الاسترجاع .
تأويل قوله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كلِّ	٤٦ ما بلغه حزن يعقوب ، وما له عليه من الأجر .
أنثى » . . . الآية ، والسبب في زيادة	٤٩ تأويل قوله تعالى « فلما دخلوا عليه » . . . الآية .
الحمل ونقصه .	٥٠ معنى مُزجاة .
١١٥	٥٣ شيء مما يتعلق بأمر الصدقة .
الملائكة التي تتعاقب على الإنسان .	٥٧ المسافة التي شتم منها يعقوب ريح يوسف .
١٢٤	٦٤ الوقت الذي أخطر يعقوب الاستغفار إليه .
ما ينبغي أن يقال عند سماع الرعد .	٦٩ ما كان بين الرؤيا وتحققها من الأزمنة .
١٢٦	٧٣ ما جمعه الله ليوسف من العلم والملك ، وما سأله
ماتم لعامر بن الطفيل وأربد مع رسول الله .	ربه من تعجيل موته .
١٣٤	
تأويل قوله تعالى « أنزل من السماء ماء »	
. . . الآية ، وما فيها من الأمثال .	
١٤٣	
بيان أكبر الكبائر ، وأن منها قطيعة الرحم .	
١٤٥	
ما ورد في شجرة طوبى .	
١٥٥	
تأويل قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا »	
. . . الآية ، وأن وعد الله هو فتح مكة .	

الصفحة	الصفحة
٢٠٣	١٦٥
تأويل قوله تعالى « وأدخل الذين آمنوا » ...	تأويل قوله تعالى « يمحو الله ما يشاء » . . .
الآية ، وبيان الكلمة الطيبة وضدّها .	الآية ، والاختلاف في الحو والإثبات .
٢١٣	١٧٦
تثبيت المؤمن في القبر وتزول الكافر .	بيان أن بعض اليهود والنصارى كانوا مقرّين برسالته .
٢١٩	١٧٩
من هم الذين بدلوا نعمة الله من قريش ؟	تفسير سورة إبراهيم عليه السلام
٢٢٩	١٨٢
أمّ إسماعيل أول من سعى بين الصفا والمروة ، وما تمّ لها هي وابنها حين تركهما إبراهيم عليه السلام بمكة .	بيان أن الأيام يعبر بها عن النعم ، وذكر الشواهد .
٢٣٦	١٨٧
تأويل قوله تعالى « إنما يؤخرهم ليوم » . . الآية .	بيان أنه مضت أم لا يعلمها إلا الله ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : كذب النسابون .
٢٤٠	١٨٤
معنى كون الأفتدة هواء ، والشواهد في ذلك .	تأويل قوله تعالى « من ورائه جهنم » . . .
٢٤٤	الآية ، وحال أهل النار .
قصة الذي حاج إبراهيم في ربه .	٢٠٠
٢٤٩	بيان أن إبليس وعيسى يقومان خطيبين يوم القيامة ، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام .
بيان معنى تبدل الأرض يوم القيامة . . .	
٢٥٤	
تأويل قوله تعالى « وترى المجرمين » . . .	
الآية ومعنى الأصفاد . . الخ ، والشواهد على ذلك .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	القافية	الصفحة	الصفحة	القافية
٢١٩	بور				ا
٣٠	الصدور		ح		الشواء
١٠٤	سائر	٤٢	قادح	١٨٥	هواء
٢٤١	مكاسرة	٢٥٦	والمسوحا	٢٤١	وتنكؤها
٩٦	بالفهر	٢٤٢	ففسر يحا	٩٤	بجراها
١٦٣	كافير		د	٢٥٦	
٦٩	العمارا			ب	أرغب
١٩٢	بقيصر	١٦٢	مرصد	١٨٩	ندب
١٩٢	فنعدرا	٣٣	شهود	١٩٨	مشدب
	س	١٢١	لانعد	٢٣٨	الذيب
١٩٧	شمسا	١٢٩	باليد	١٨٠	قريب
١٥٢	أنفسا	١٢٠ ، ١٢٦	التجد	١١٣	وتعقيب
	ض	٢٥٥	بالصفد	١٢٢	عوازب
٤٣	مريض	٩٣	والعمد	٥	الكواكب
٤٣	محرضا	٨٧	المسرد	١٨٣	وحابا
	ع	٥٩	بمردود	٥٥	الصعابا
٤١	ترفع	٢٥٦	قائدا	٢٢٨	
٤١	وتقطع	٥٩	أفتدا		ث
٢٣٨	ممنع	٦١	التفنيدا	١١	تغيث
٢٤٨	أجمع		ر	ج	النجي
١٣٧	المتاع	١٢٢	مر	٣٣	
		١٦٢	منهمير		

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٢٨	مَلْتَمُهُ	١٦٣	الشَّهَالِ	٢٣٨	الْوَقْبِيعِ
١٥٣	زَهْدَمِ	١٥٩	أُمِ عَالِ	١٩٢	صَنَعَا
٥٠	صِرْمَا	١٥٩	تَنْبَالِ	١٥٢	مَدْفَعَا
٢١	زَعِيْمَا	١٥٩	السَّرْبَالِ	٢٣٨	أَطْمَعَا
		١٥٩	الليالي	١٩٧	مُضَاعَا
	ن	١٥٩	مال		
١٩٤	دُونِي	١٣٢	بالأصائل	ف	
١٢٩	دُونِي	٤٢	وأوصالي	١٩٧	كاسِفُ
٨١	هَجِينِ	٢٥٥	سِرْبَالِي	ك	
٨١	اليقينِ	٥٠	أرْمَلَا	١٦٢	عليكَا
١٥٨	المَسْوَانِ	١٢٧	والمِحَالَا	ل	
١٥٨	المتباطينِ	٥٠	أطفأَلهَا		
١٨٣	تَدِينَا			٢٤٩	الكَسَلِ
٢٥٤	مُصَقَّدِينَا	٩٢	المزْدَحَمِ	١٢٩	أَنَامِلُهُ
		٤٢	السَّقَمِ	٢٤٨	بَعْسِيلِ
	ي	١٢٢	المظلومِ	١٢٧	المِحَالِ
٩٤	واللياليَا	٢١	زَعِيمِ	٢٢٤	قَالِي
٩٤	آلِيَا	١٥٤	أَعْصَامُهَا	١٦٣	الْحَلَالِ
١٥٣	نَائِيَا				

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

* وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ ، إِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (٥٣)

يقول يوسف صلوات الله عليه (وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ) من الخطأ والزلل فأزكيتها (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ) يقول : إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ) يقول إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواها ، وطاعته فيما تأمره به من السوء (إِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ) . و « ما » في قوله (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ) في موضع نصب ، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله ، كقوله (وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا) بمعنى : إلا أن يرحموا ، وأن إذا كانت في معنى المصدر تضارع « ما » .

ويعني بقوله (إِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ) : إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، بتركه عقوبته عليها ، وفضيحتة بها ، رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها . وذُكِرَ أن يوسف قال هذا القول ، من أجل أن يوسف لما قال (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) قال ملك من الملائكة : ولا يوم هممت بها ؟ فقال يوسف حينئذ (وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ) . وقد قيل : إن القائل ليوسف : ولا يوم هممت بها ، فحللت سراويلك ، هو امرأة العزيز ، فأجابها يوسف بهذا الجواب . وقيل : إن يوسف قال ذلك ابتداء من قبيل نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، فسألن : هل (رَأَوْدْتُنَّ يُوْسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيْزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) . . . الآية ، قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى كَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) . قال : فقال له جبرئيل : ولا يوم هممت بما هممت ، فقال (وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال لمن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ ثم ذكر سائر الحديث ، مثل حديث أبي كريب ، عن وكيع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما جمع الملك النسوة ، قال : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال : فغمزه جبرئيل ، فقال : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف (وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبي ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَنِّي كَمَا أُخِنْتُ بِالْغَيْبِ) ، قال جبرئيل ، أو ملك : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال (وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير بنحوه ، إلا أنه قال : قال له الملك : ولا حين هممت بها ؟ ولم يقل : أو جبرئيل ، ثم ذكر سائر الحديث مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَنِّي كَمَا أُخِنْتُ بِالْغَيْبِ) ، قال : فقال له الملك ، أو جبرئيل : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف : (وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : لما قال يوسف (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَنِّي كَمَا أُخِنْتُ بِالْغَيْبِ) قال له جبرئيل : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : (وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بمثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثل حديث ابن وكيع ، عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، سواء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، وزيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَنِّي كَمَا أُخِنْتُ بِالْغَيْبِ) قال له جبرئيل : اذكر همك ، فقال : (وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن الحسن (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ أَنِّي كَمَا أُخِنْتُ بِالْغَيْبِ) قال جبرئيل : يا يوسف اذكر همك ، قال : (وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَنَّ

أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) قال : هذا قول يوسف ، قال : فقال له جبرئيل : ولا حين حللت سراويلك ؟ قال : فقال يوسف (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) . . . الآية .

حدثني المنفي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، بنحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف ، قال له : اذكر ما هممت به ، قال نبي الله : (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن الملك قال له حين قال ما قال : أتذكر همك ؟ فقال : (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) قال الملك : وطعن في جنبه ، يا يوسف ، ولا حين هممت ؟ قال : فقال : (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي) .

ذكر من قال قائل ذلك له المرأة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ) قال : قاله يوسف حين جرى به ليُعَلِّمَ العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله ، (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) فقالت امرأة العزيز : يا يوسف ، ولا يوم حللت سراويلك ؟ فقال يوسف (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) .

ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه ، من غير تذكير مذكّر ذكره ،

ولكنه تذكّر ما كان سأل منه في ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) هو قول يوسف للملك حين أراه الله عذره ، فذكره أنه قد همّ بها وهمت به ، فقال يوسف (وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلِكُ : أَتُورِنِي بِهِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ : إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا

مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : وقال الملك : يعنى ملك مصر الأكبر ، وهو فيما ذكر ابن إسحاق : الوليد بن الريان .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عنه : حين تبين عذر يوسف ، وعرف أمانته وعلمه ، قال لأصحابه (ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي) يقول : أجعله من خلصائى دون غيرى .

وقوله (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) يقول : فلما كلم الملك يوسف ، وعرف براءته ، وعظم أمانته ، قال له : إنك يا يوسف لدينا مكين أمين : أى متمكن مما أردت ، وعرض لك من حاجة قبيلتنا ، لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا ، أمين على ما أوتمنت عليه من شئ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما وجد الملك له عذرا ، قال : (ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي) يقول : أتخذه لنفسى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، (قال المليك ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِيصُهُ لِنَفْسِي) قال : قال له الملك : إنى أريد أن أخلصك لنفسى ، غير أنى آنف أن تأكل معى ، فقال يوسف : أنا أحق أن آنف ، أنا ابن إسحاق ، أو أنا ابن إسماعيل « أبو جعفر شك » ، وفى كتابى : ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل بنعوه ، غير أنه قال : أنا ابن إبراهيم خليل الله ابن إسماعيل ذبيح الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : قال العزيز ليوسف : مامن شئ إلا وأنا أحب أن تشركنى فيه ، إلا أنى أحب أن لا تشركنى فى أهلى وأن لا يأكل معى عبدى ، قال : أتأنف أن أكل معك ؟ فأنا أحق أن آنف منك ، أنا ابن إبراهيم خليل الله ، وابن إسحاق الذبيح ، وابن يعقوب الذى ابضت عيناه من الحزن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان بن عقيبة ، عن حمزة الزيات ، عن ابن إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : لما رأى العزيز لىسوف وكيسه وظرفه ، دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانة ؛ فلما كان بينه وبين المرأة ما كان ، قالت له : تدنى هذا ، مره فليتغدى مع الغلمان ، قال له : اذهب فتغدى مع الغلمان ، فقال له يوسف فى وجهه : نرضب أن تأكل معى ، أو تنكف ؟ أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)

يقول جل ثناؤه : قال يوسف للملك : اجعلني على خزائن أرضك ، وهي جمع خزانة ، والألف واللام دخلتا في الأرض خلفا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

والأحلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها ، والقيام بأسباب بلده ، ففعل ذلك الملك به فيما بلغني .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (اجعلني على خزائن الأرض) قال : كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام ، قال : فأسلم سلطانه كله إليه ، وجعل القضاء إليه ، أمره وقضاؤه نافذ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبه الضبي ، في قوله (اجعلني على خزائن الأرض) قال : على حفظ الطعام .

وقوله (إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إني حفيظ لما استودعني ، عليم بما وليتني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) إني حافظ لما استودعني ، عالم بما وليتني ، قال : قد فعلت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) يقول : حفيظ لما وليت ، عليم بأمره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبه الضبي في قوله (إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) يقول : إني حفيظ لما استودعني ، عليم بسني الجماعة .
وقال آخرون : إني حافظ للحساب ، عليم بالأسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن الأشجعي (إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) : حافظ للحساب ، عليم بالأسن .

يقول وأولى القولين عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : إني حافظ لما استودعني ، عالم بما

(١) هذا جزء من بيت للنايفة الذبياني في شعره (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ١٦٢) والبيت بتمامه :

كَلَّمْتُ شَيْمَةَ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
مِنَ الْجُودِ ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

وهو من قصيدة في مدح بعض آل جفنة غسانة الشام . والأحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . وعوازب جمع عازب ، وهو الضال . والشاهد فيه نيابة آل عن المضاف إليه ، أي وأحلامهم .

أوليتي ، لأن ذلك عقيب قوله (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) ومسألته الملك استكفاه خزائن الأرض ، فكان إعلامه بأن عنده خيرة في ذلك ، وكفايته إياه ، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ، ومعرفته بالألسن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ؛ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره: وهكذا وطأنا ليوسف في الأرض: يعني أرض مصر (يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) يقول: يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء ، بعد الحبس والضيق (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ) من خلقنا ، كما أصبنا يوسف بها ، فمكَّنَّا له في الأرض بعد العبودة والإسار ، وبعد الإلقاء في الحب (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول: ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه ، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه ، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف : إذ أحسن فأطاع الله .

وكان تمكين الله ليوسف في الأرض ، كما حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال يوسف للملك (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) قال الملك : قد فعلت ، فولاه فيما يذكر عمل إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه ، يقول الله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) ... الآية ، قال : فذكر لي ، والله أعلم ، أن إطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه ، قال : أليس هذا خير مما كنت تريدن ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصديق لا تلُمّني ، فإنني كنت امرأة كما ترى حسناً وجمالاً ، ناعمة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حُسْنِكَ وهَيْئَتِكَ ، فغلبتني نفسي على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عذراء ، فأصابها ، فولدت له رجلين : أفرائيم بن يوسف ، وميشائيل بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحب أمرها ، وكان يلي البيع والتجارة ، وأمرها كله ، فذلك قوله (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ، يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) قال : ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا ، يصنع فيها ما يشاء ، فوُضِعَ إليه . قال : ولو شاء أن يجعل فرعون من تحت يديه ، ويجعله فوقه لفعل .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن مجاهد ، قال : أسلم الملك الذي كان معه يوسف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا جُرْ إِلَّا خَيْرَةٌ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)

✽ يقول تعالى ذكره : ولثواب الله في الآخرة خير للذين آمنوا : يقول : للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطى يوسف في الدنيا من تمكينه له في أرض مصر (وكانوا يَتَّقُونَ) يقول : وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه في خلاف أمره ، واستحلال حرامه ، فيطيعونه في أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ، وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨)

✽ يقول تعالى ذكره : (وجاء إخوة يوسف ، فدخلوا عليه فعرّفهم) يوسف ، (وهم له منكرون) ليوسف (منكرُونَ) لا يعرفونه .

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لي ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما اطمأن يوسف في ملكه ، وخرج من البلاء الذي كان فيه ، وخلت السنون الخصبية ، التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة ، جهيد الناس في كل وجه ، وضرىوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة ، وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد ، قد أسأ بينهم ، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرا واحدا ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين ، تقسيطا بين الناس ، وتوسيعا عليهم ، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرّفهم ، وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أصاب الناس الجوع ، حتى أصاب بلاد يعقوب التي هويها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ؛ فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ؛ فلما نظر إليهم ، قال : أخبروني ما أمركم ؟ فإني أنكر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاما ، قال : كذبتم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أمير ألف ، فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أبا لنا ، وإنه ذهب معنا البرية ، فهلك منا فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا ، قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فكيف تخبروني أن أباكم صديق ، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ، اثنوني بأخيكم هذا ، حتى أنظر إليه (فإن لم تأتوني به ، فلا كيّل لكم عندى ، ولا تقربون) ، قالوا سسرأود عنه أباه ، وإننا لتفاعلون) قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وهم له منكرون)

قال : لا يعرفونه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَال: ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ، أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي السَّكِيْلَ،
وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَ (٥٩)

يقول: ولما حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام، فأوقر لكل رجل منهم بعيره، قال لهم (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ) كما أحمل لكم بعيرا آخر، فتزادوا به حمل بعير آخر (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي السَّكِيْلَ) فلا أبخسه أحدا (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَ)، وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة، فأنا أضيفكم.

كما حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَ) يوسف يقول: أنا خير من يضيف بمصر.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما جهَّز يوسف فيمن جهَّز من الناس، حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدهم، ثم قال لهم: (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ) أجعل لكم بعيرا آخر، أو كما قال (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي السَّكِيْلَ): أي لأبخس الناس شيئا (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَ): أي خير لكم من غيري، فإنكم إن أتيتم به، أكرمت منزلتكم، وأحسن إليكم، وازددتم به بعيرا مع عِدَّتكم فإني لأعطي كل رجل منكم إلا بعيرا (فإن لم تأتوني به فلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي، وَلَا تَقْرَبُونِ): لا تقربوا بلدي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ) يعني بنيامين، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه.

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي، وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لإخوته (فإن لم تأتوني به) بأخيكم من أبيكم (فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) يقول: فليس لكم عندي طعام أكيه لكم (وَلَا تَقْرَبُونِ) يقول: ولا تقربوا بلادي. وقوله (وَلَا تَقْرَبُونِ) في موضع جزم بالنهي، والنون في موضع نصب، وكسرت لما حذفت ياؤها، والكلام: ولا تقربوني.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ، وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ: لِفِتْنَتِهِ أَجْمَلُوا بِضَمَّتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ إِذْ قَالَ لَهُمْ : (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) ، (قَالُوا سَتَزَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) وَنَسَّأَلَهُ أَنْ يَخْلِيَهُ مَعَنَا ، حَتَّى نَجِيَّ بِهِ إِلَيْكَ ، (وَإِنَّا لَتَفَاعِلُونَ) يَعْنُونَ بِذَلِكَ : وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ مَا قَلْنَا لَكَ أَنَا نَفَعَلَهُ ، مِنْ مَرَاوِدَةِ أَبِيْنَا عَنْ أَخِينَا مِنْهُ ، وَلنَجْتَهْدُنَ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ سِنَاقٍ (وَإِنَّا لَتَفَاعِلُونَ) لَنَجْتَهْدُنَ . وَقَوْلُهُ (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَقَالَ يُوسُفَ لِفِتْيَانِهِ : وَهُمْ غُلَمَانُهُ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ) : أَيْ لَغُلَمَانِهِ : (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) يَقُولُ : اجْعَلُوا أَمْتَانَ الطَّعَامِ الَّذِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُمْ فِي رِحَالِهِمْ . وَالرِّحَالُ : جَمْعُ رَحْلٍ ، وَذَلِكَ جَمْعُ الْكَثِيرِ ، فَأَمَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْجَمْعِ مِنْهُ ، فَهُوَ أَرْحُلٌ ، وَذَلِكَ جَمْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ .

وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي مَعْنَى الْبِضَاعَةِ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) : أَيْ أَوْرَاقِهِمْ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثُمَّ أَمَرَ بِبِضَاعَتِهِمُ الَّتِي أَعْطَاهُمْ بِهَا مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الطَّعَامِ ، فَجَعَلَتْ فِي رِحَالِهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، عَنْ أَسْبَاطٍ ، عَنْ السُّدِيِّ ، قَالَ : وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ وَهُوَ يَكِيلُ لَهُمْ : اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَلَا يَأْتِي عِلَّةَ أَمْرِ يُوسُفَ فِتْيَانَهُ أَنْ يَجْعَلُوا بِضَاعَةَ إِخْوَتِهِ فِي رِحَالِهِمْ ؟ قِيلَ : يَحْتَمِلُ ذَلِكَ أَوْجُهًا : أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ خَشْيَ الْأَنْ يَكُونَ عِنْدَ أَبِيهِ دَرَاهِمٌ ، إِذْ كَانَتْ السَّنَةُ سَنَةً جَدْبٍ وَقَحْطٍ ، فَيُضَرُّ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِهِ ، وَأَحَبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَتَسَّعَ بِهَا أَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ ، مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ سَبَبَ رَدِّهِ ، تَكْرَمًا وَتَفَضُّلاً . وَالثَّلَاثُ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ أَلَّا يَخْلِفُوهُ الْوَعْدَ فِي الرَّجُوعِ ، إِذَا وَجَدُوا فِي رِحَالِهِمْ ثَمَنَ طَعَامٍ قَدْ قَبِضُوهُ ، وَمَلَكَهَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ ، عِيَّوَضًا مِنْ طَعَامِهِمْ ، وَيَتَحَرَّجُوا مِنْ إِسَّاكِهِمْ ثَمَنَ طَعَامٍ قَدْ قَبِضُوهُ ، حَتَّى يُوَدُّهُ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الْعُودِ إِلَيْهِ .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا مُنِّعَ مِنَّا الْكَيْلُ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَنَا نَكْتَلْ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (٦٣)

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَلَمَّا رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَىٰ أَبِيهِمْ ، قَالُوا (يَا أَبَانَا مُنِّعَ مِنَّا الْكَيْلُ) ، فَأَرْسِلْ

(١) جمع ورق بالتحريك ، وهو الفضة . يريد ثمن القمح الذي اشتراه إخوة يوسف (اللسان) .

مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ) يقول : مُنِعَ منا الكيل فوق الكيل الذي كيل لنا ، ولم يُكْتَلْ لكل رجل منا إلا كيل بعير ، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر ، زيادة على كيل أبا عرنا (وَإِنَّا لَهُ لَخَافِظُونَ) من أن يناله مكروه في سفره .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ما ، لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : انتوني بأخيكم هذا الذي عكف عليه أبوكم ، بعد أخيكم الذي هلك ، فإن لم تأتوني به فلا تقربوا بلادى . قال يعقوب (هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ) ، فإله خَيْرٌ حَافِظًا ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قال : فقال لهم يعقوب : إذا أتيتكم مصر فأقرئوه مني السلام : وقولوا : إن أبانا يصلّي عليك ، ويدعوك بما أوليتنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجوا حتى قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم فيما ذكر لي بعض أهل العلم ، بالعربيات من أرض فلسطين بغور الشام . وبعض يقول : بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من حسمي . وكان صاحب بادية ، له شاء وإبل ، فقالوا : يا أبانا ، قدمنا على خير رجل أنزلنا ، فأكرم منزلنا ، وكال لنا فأوفانا ، ولم يبخسنا ، وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبنائنا ، وقال : إن أنتم لم تفعلوا فلا تقربوني ، ولا تدخلن بلدي . فقال لهم يعقوب (هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ) ، فإله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (نَكْتَلُ) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ، وبعض أهل مكة والكوفة : (نَكْتَلُ) بالنون ، بمعنى : نكتل نحن وهو . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يَكْتَلُ) بالياء ، بمعنى يكتل هو لنفسه ، كما نكتال لأنفسنا .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، متفقنا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب ، وذلك أنهم إنما أخبروا بأبهم ، أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رؤوسهم ، فقالوا (يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ) ثم سأله أن يرسل معهم أخاهم ، ليكتال لنفسه ، فهو إذن اكتال لنفسه ، واكتالوا هم لأنفسهم ، فقد دخل الأخ في عددهم ، فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه ، أو عن جميعهم بلفظ الجميع ، إذ كان مفهوما معنى الكلام ، وما أريد به .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ، فَأَلَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ،
وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)

(١) العربيات : جمع عربية ، وهي بلدة في فلسطين نقله صاحب التاج عن صاحب المراد . والأولاج : جمع ولة ، بالتحريك . قال البكري : موضع بالرميل معروف له وهو قريب من أجأ في بلاد طبرية ، جنوبي الشام .

يقول تعالى ذكره: قال أبوهم يعقوب: هل آمنكم على أخيكم من أبيكم، الذي تسألوني أن أرسله معكم، إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل؟ يقول: من قبله.

واختلفت القراء في قراءة قوله (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) فقرأ ذلك عامة قرآء أهل لمداينة وبعض الكوفيين والبصريين: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) بمعنى: والله خيركم حفظا. وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين وبعض أهل مكة (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) بالألف، على توجيه الحافظ إلى أنه تفسير للخير، كما يقال: هو خير رجلا، والمعنى: فالله خيركم حفظا، ثم حذف الكاف والميم.

والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى: قد قرأ بكل واحد منهما أهل علم بالقرآن، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظا، فقد وصفه بأنه خيرهم حافظا، ومن وصفه بأنه خيرهم حافظا فقد وصفه بأنه خيرهم حفظا. (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول: والله أرحم راحم بخلقه، يرحم ضعيفي على كبير سني، ووحداني بفقد ولدي، فلا يضيعه، ولكنه يحفظه، حتى يردّه على لرحمته.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي، هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا، وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ، ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ (٦٥)

يقول تعالى ذكره: ولما فتح إخوة يوسف متاعهم، الذي حملوه من مصر من عند يوسف، وجدوا بضاعتهم، وذلك ثمن الطعام الذي اكتالوه منه، ردت إليهم (قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) يعني أنهم قالوا لأبيهم: ماذا نبغي؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا، تطيبنا منهم لنفسه، بما صنع بهم في ردت بضاعتهم إليه، وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى كانت «ما» استفهاما في موضع نصب بقوله: (نَبْغِي)، وإلى هذا التأويل كان يوجهه قتادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (مَا نَبْغِي) يقول: ما نبغي وراء هذا، إن بضاعتنا ردت إلينا، وقد أوفى لنا الكيل.

وقوله (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) يقول: ونطلب لأهلنا طعاما، فنشتره لهم، يقال منه: مَارَ فلان أهله يَمِيرُهُمْ مَيْرًا، ومنه قول الشاعر:

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَكَشْتَحَوْلًا مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَن تَغِيثُ

(وَنَحْفَظُ أَخَانَا) الذي ترسله معنا (وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) يقول: ونزداد على أحمالنا الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا (ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ) يقول: هذا حمل يسير.

(١) المائر: اسم فاعل من مارة، يقال: مار عياله وأهله يميرهم ميرا، وامتارهم: جلب لهم الطعام. والميرة: بالكسر: الطعام يتارده الإنسان، وهم يمتارون لأنفسهم، ويمرون غيرهم. والميار: جالب الميرة.

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَتَزَادُ كَيْبَلٌ بِبَعِيرٍ)
قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقللوا : أرسل معنا أخانا نزاداد حمل بعير .

وقال ابن جريج : قال مجاهد (كَيْبَلٌ بِبَعِيرٍ) حمل حمار ، قال : وهى لغة ، قال القاسم : يعنى مجاهد :
أن الحمار يقال له فى بعض اللغات : بعير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَزَادُ كَيْبَلٌ بِبَعِيرٍ) يقول :
حمل بعير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَزَادُ كَيْبَلٌ بِبَعِيرٍ) نَعُدُّ بِهِ بَعِيرًا مَعَ إِبِلِنَا
(ذَلِكَ كَيْبَلٌ بِبَعِيرٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لِنَأْتِنَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا
ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ، قَالَ : اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبيته : لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر (حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا
مِّنَ اللَّهِ) يقول : حَتَّى تُعْطُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ، بمعنى الميثاق ، وهو ما يوثق به من يمين وعهد (لِنَأْتِنَنِي بِهِ)
يقول لِنَأْتِنَنِي : بأخيكم (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) يقول : إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرُونَ معه على أن
تأتونى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَوْهُ
مَوْثِقَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثني المنثى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله
(إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) : إلا أن تهلكوا جميعا .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ
بِكُمْ) قال : إلا أن تغلبوا ، حتى لا تطبقوا ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) : إِلَّا أَنْ يَصِيْبَكُمْ أمر يذهب بكم جميعا ، فيكون ذلك عذرا لكم عندي .
وقوله (فَلَمَّا آتَوْهُ مُؤْتَفِقِينَ) يقول : فلما أعطوه عهدهم ، قال يعقوب : (اللهُ على ما نقول) أنا وأنتم (وكيلٌ) . يقول : هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ: يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة . وذكر أنه قال ذلك لهم ، لأنهم كانوا رجالا لهم جمال وهيبة ، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد ، وهم ولد رجل واحد ، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد الواسطي ، عن جويبر ، عن الضحاك (لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) قال : خاف عليهم العين .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) : خشى نبي الله صلى الله عليه وسلم العين على بنيه ، كانوا ذوى صورة وجمال .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالا ، فخشى عليهم أنفسهم الناس .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَ: يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) قال : رهيب يعقوب عليه السلام عليهم العين :

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله : (لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) خشى يعقوب على ولده العين .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) قال : خشى عليهم العين .
قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين ، فقال : (يا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) فيقال : هؤلاء لرجل واحد ، ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أجمعوا الخروج ، يعني ولد يعقوب قال يعقوب : (يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) خشى عليهم أعين الناس هيبتهم ، وأنهم لرجل واحد .

وقوله : (وَمَا أَغْنَيْ عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير ، لأن قضاءه نافذ في خلقه (إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ) يقول : ما القضاء والحكم إلا لله ، دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم في خلقه بما يشاء ، فينفذ فيهم حكمه ، ويقضى فيهم ، ولا يرد قضاؤه (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : على الله توكلت ، فتوكلت به فيكم ، وفي حفظكم على ، حتى يردكم إلى وأنتم سالمون معافون ، لا على دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرقة (وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) يقول : وإلى الله فليفوض أمورهم المفقوضون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم ، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة (ما كان يغني) دخولهم إياها كذلك (عنهم من) قضاء (الله) الذي قضاه فيهم فحتمه (من) شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهها) إلا أنهم قضوا وطرا ليعقوب بدخولهم ، لا من طريق واحد ، خوفا من العين عليهم ، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أتوا من قبل ذلك ، أو نالهم من أجله مكروه . كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهها) خيفة العين على بنيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهها) قال : خشية العين عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (إلا حاجة في نفس يعقوب قضاهها)

قال : ما تخوف على بنيه من أعين الناس ، هيبتهم وعيدهم .

وقوله (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) يقول تعالى ذكره : وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه :

وقيل معناه : وإنه لذو حفظ لما استودعنا صدره من العلم .

واختلف عن قتادة في ذلك ، فحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله :

(وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) : أي مما علمناه :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عمروبة ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ) قال : إنه لعامل بما علم .
قال المثنى ، قال إسحاق ، قال عبد الله ، قال سفيان : إنه لدو علم مما علمناه ، وقال : من لا يعمل لا يكون عالما (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جل ثناؤه : ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب ، لا يعلمون ما يعلمه ، لأننا حرّمناه ذلك ، فلم يعلمه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩)
يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب على يوسف (آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) يقول : ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، وكل أخوه لأبيه .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) قال : عرف أخاه ، فأنزله منزلا ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ؛ فلما كان الليل جاءهم بمثل ، فقال : لئنم كل أخوين منكم على مثل ؛ فلما بقى الغلام وحده ، قال يوسف : هذا ينام معي على فراشي ، فبات معه ، فجعل يوسف يشتم ريحه ، ويضمه إليه ، حتى أصبح ، وجعل رؤبيل يقول : ما رأينا مثل هذا ، أريحونا منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما دخلوا ، يعني ولد يعقوب على يوسف ، قالوا : هذا أخونا ، الذي أمرتنا أن نأتيك به ، قد جئناك به ، فندّكر لي أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندي ، أو كما قال ، ثم قال : إني أراكم رجالا ، وقد أردت أن أكرمكم ، ودعا ضافته فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ، ثم قال : إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثاب ، فسأضمه إلي ، فيكون منزله معي ، فأنزله رجلين رجلين ، في منازل شتى ، وأنزل أخاه معه ، فأواه إليه ، فلما خلا به (قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) أنا يوسف (فَلَا تَبْتَئِسْ) بشيء فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا ، ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك ، يقول الله : (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضمه إليه وأنزله ، وهو بنيامين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : وسئل عن قول يوسف (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ، قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كيف أجابه حين أخذ بالصواع ؟ وقد كان أخبره أنه أخوه ، وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكأيدهم ، حتى رجعوا ، فقال : إنه لم يعترف له

(١) المثال : الفراش ينام عليه ، جمعه مثل .

(٢) ضافته : يظهر أنه جمع ضائف وهم الموكلون بالضيوف من ضافة يضيفه : إذا نزل به ضيفا .

بالنسبة ، ولكنه قال : أنا أخوك مكان أخيك المالك (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآ كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لا يحزنك مكانه .

وقوله (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تستكين ولا تحزن ، وهو فلا تفتعل من البؤس ، يقال منه : ابتأس يبتأس ابتئاسا .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : فلا تحزن ، ولا تيأس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : (فَلَا تَبْتَئِسْ) يقول : لا يحزنك مكانه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآ كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : لا تحزن على ما كانوا يعملون .

فتأويل الكلام إذن : فلا تحزن ولا تستكين لشيء سلف من إخوتك إليك ، في نفسك وفي أخيك من أمك ، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرْقُونَ (٧٠)

يقول : ولما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة ، وقضى حاجتهم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ) يقول : لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم .

وقوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ) يقول : جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رجل أخيه ، والسقاية : هي المشربة ، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ، ويكيل به الطعام .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصُّوَاعُ والسقاية سواء : هو الإناء الذي يشرب فيه .

قال : ثنا شهاب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : السقاية والصُّوَاعُ شيء واحد ، كان يشرب فيه يوسف .

قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السقاية : الصُّواع الذي يشرب فيه يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (جَعَلَ السَّقَايَةَ) قال : مَشْرَبَةَ الملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) وهو إناء الملك ، الذي كان يشرب فيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالُوا : تَنْفِقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ ، وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) وهي السقاية التي كان يشرب فيها الملك يعني مكوكه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ) وقوله (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : هما شيء واحد ، السقاية والصواع شيء واحد يشرب فيه يوسف . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) : هو الإناء الذي كان يشرب فيه الملك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) قال : السقاية : هو الصُّواع ، وكان كأساً من ذهب فيما يذكرون .

قوله (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) فإنه يعني : في متاع أخيه ابن أمه وأبيه ، وهو بنيامين ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) : أي في متاع أخيه ، وقوله (ثُمَّ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ) يقول : ثم نادى مناد ، وقيل : أعلم مُعَلِّمٌ (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) : وهي القافلة فيها الأحمال (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ) والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أدن مؤذن قبل أن ترتحل العير : (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال (ثُمَّ جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ) وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم ، وحمل لهم بعيراً بعيراً ، وحمل لأخيه بعيراً باسمه ، كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك ، وهو الصُّواع ، وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت في رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم ، حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدركوا ، فاحتبسوا ، ثم نادى مناد (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) قفوا ،

وانتهى إليهم رسوله ، فقال لهم فيما يذكرون : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا ؟ أو كما قال لهم : قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا نهم عليها غيركم ، (قالوا : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض ، وما كنا سارقين) .

وقوله (أيتها العير) قد بينا فيما مضى معنى العير ، وهو جمع لا واحد له من لفظه . وحكى عن مجاهد أن عير بني يعقوب كانت حميرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفیان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أيتها العير) قال : كانت حميرا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان ، قال : ثنى رجل ، عن مجاهد ، في قوله (أيتها العير إنكم لسارقون) قال : كانت العير حميرا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا : نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ ، وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢)

* يقول تعالى ذكره : قال بنو يعقوب لما نودوا (أيتها العير إنكم لسارقون) وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم (ماذا تفقدون) : ما الذى تفقدون (قالوا ننفقد صواع الملك) يقول : فقال لهم القوم : ننفقد مشربة الملك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فذكر عن أبي هريرة أنه قرأه (صاع الملك) بغير واو ، كأنه وجهه إلى الصاع الذى يكال به الطعام . ورؤى عن أبي رجاء أنه قرأه (صوع الملك) ، ورؤى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه (صوع الملك) بالغين ، كأنه وجهه إلى أنه مصدر من قولهم صاغ يصوغ صوغا . وأما الذى عليه قرأه الأمصار : فصواع الملك ، وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة عليها ، والصواع : هو الإناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذا الحرف (صواع الملك) قال : كهية المسكوك . قال : وكان للعباس مثله فى الجاهلية ، يشرب فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (صواع الملك) قال : كان من فضة مثل المسكوك . وكان للعباس منها واحد فى الجاهلية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع . وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ) قال : كان من فضة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (صُوعَ الْمَلِكِ) قال وكان إناؤه الذى يشرب فيه ، وكان إلى الطول ما هو .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : الْمَكْوُوكُ الْفَارَسِيّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : هو الْمَكْوُوكُ الْفَارَسِيّ الذى يلتقى طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَعْرَاء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : إناؤه الملك الذى كان يشرب فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى : يعنى ابن عباد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : (صُوعَ الْمَلِكِ) : مَكْوُوكٌ من فضة يشربون فيه . وكان للعباس واحد فى الجاهلية :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صُوعَ الْمَلِكِ) : إناؤه الملك الذى يشرب فيه :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، فى قوله (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : هو الْمَكْوُوكُ الْفَارَسِيّ ، الذى يلتقى طرفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصواع : كان يشرب فيه يوسف :

حدثنا محمد بن معمر البحرانى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا صدقة بن عباد ، عن أبيه عن ابن عباس (صُوعَ الْمَلِكِ) قال : كان من نحاس .

وقوله (وَوَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) يقول : ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَوَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) يقول : وقمر بعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (حِمْلُ بَعِيرٍ) قال : حمل طعام ، وهى لغة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :

(١) أى حمل حمار من طعام . . الخ ، ويقال لما يحمل الميرة من الدواب : عير ، إبلا أو حميرا أو بغالا .

قال : وحدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (حَمْلٌ بَعِيرٌ) قال : حمل طعام ، وهي لغة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله (حَمْلٌ بَعِيرٌ) قال : حمل حمار .

وقوله (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) يقول : وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام إذا جاءني بصواع الملك كفيل .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) يقول : كفيل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) الزعيم : هو المؤذن الذى قال (أَيَسُّهَا الْعَيْرُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن ورقاء بن إياس ، عن سعيد بن جبير (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) : أى وأنا به كفيل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قال : كفيل .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قال ، كفيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال لهم الرسول : إنه من جاءنا به فله حمل بعير ، وأنا به كفيل بذلك ، حتى أؤديه إليه ، ومن الزعيم الذى بمعنى الكفيل قول الشاعر :

فَلَسْتُ بِأَمِيرٍ فِيهَا بِسَلْمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ^١

وأصل الزعيم في كلام العرب : القائم بأمر القوم ، وكذلك الكفيل والحميل ، ولذلك قيل : رئيس القوم زعيمهم ، ومُدَّبَّرهم ، يقال منه : قد زعم فلان زعامة وزعاما ؛ ومنه قول ليلي الأخيلية :
حتى إذا برَّرَ اللّواءُ رأيتَهُ تحت اللّواءِ على الحميسِ زَعِيماً^٢

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا كُنَّا سُرِقِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف (تالله) يعني : والله ، وهذه التاء في تالله إنما هي واو قلبت تاء ، كما فعل ذلك في التورية ، وهي من ورّيت ، والبراث ، وهي من ورثت ، والتخمة ، وهي من الوخامة ، قلبت الواو في ذلك كله تاء ، والواو في هذه الحروف كلها من الأسماء ، وليست كذلك في تالله ، لأنها إنما هي واو القسم ، وإنما جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب في الأيمان في قولهم والله ، فخصت في هذه الكلمة بأن قلبت تاء ، ومن قال ذلك في اسم الله ، فقال : تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ، ولا مع شيء من أسماء الله ، ولا مع شيء مما يقسم به ، ولا يقال ذلك إلا في تالله وحده .

وقوله (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) يقول : لقد علمتم ما جئنا لنعصي الله في أرضكم ، كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله (قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) يقول : ما جئنا لنعصي في الأرض .
فإن قال قائل : وما كان أعلم من قيل له (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) بأنهم لم يجيئوا لذلك ، حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه ؟ قيل : استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ، فقالوا : لو كنا سراقا لم نرد عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا . وقيل : إنهم كانوا قد عرفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحدا ، ولا يتناولون ما ليس لهم ، فقالوا ذلك حين قيل لهم (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) .

(١) البيت للمؤسسى الأزدي ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣١٥) واستشهد به على « زعيم » بمعنى كفيل . وبعد البيت بيت آخر ، وهو :

بَغَزَوْ مِثْلَ وَلَنَعِ الذَّنْبِ حَتَّى يَنْوَأَ بِصَاحِبِي ثَأْرَ مُنِيمٍ

(٢) البيت في « اللسان » زعم « شاهد على أن الزعيم بمعنى السيد الرئيس » . قال : وزعيم القوم رئيسهم وسيدهم . وقيل : رئيسهم المتكلم عنهم ومدرهم ، والجمع زعماء . والزعامة : السيادة والرياسة ، وقد زعم زعامة ، قال : حتى إذا رفع اللواء ... الخ البيت .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا: جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ،
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السرقة إن كنتم كاذبين في قولكم (ما جئنا لننفسد في الأرض، وما كنا سارقين). قالوا: جزاؤه من وجد في رحله، فهو جزاؤه. يقول جل ثناؤه: وقال إخوة يوسف: ثواب السرقة: من وجد في متاعه السرقة، فهو جزاؤه، يقول: فالذي وجد ذلك في رحله، ثوابه بأن يسلم بسرقة إلى من سرق منه، حتى يسرقه (كذلك نجزي الظالمين) يقول: كذلك نعمل بمن ظلم، ففعل ما ليس له فعله، من أخذه مال غيره سرقا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَهُوَ جَزَاؤُهُ): أي سلم به (كذلك نجزي الظالمين): أي كذلك نصنع بمن سرق منا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: بلغنا، في قوله (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) أخبروا يوسف بما يحكم في بلادهم: أنه من سرق أخذ عبدا، فقالوا (جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، (قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ؟) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ: تأخذونه فهو لكم. ومعنى الكلام: قالوا: ثواب السرقة الموجود في رحله، كأنه قيل: ثوابه استرقاق الموجود في رحله، ثم حذف استرقاق، إذ كان معروفا معناه، ثم ابتدئ الكلام فقيل: هو جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين).

وقد يحتمل وجه آخر: أن يكون معناه: قالوا: ثواب السرقة الذي يوجد السرقة في رحله، فالسارق جزاؤه، فيكون جزاؤه الأول مرفوعا بجملة الخبر بعده، ويكون مرفوعا بالعائد من ذكره في هو، وهو: رافع جزاؤه الثاني.

ويحتمل وجه ثالث: وهو أن تكون «مَنْ» جزائية، وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره، في الهاء التي في رحله، والجزء الأول مرفوعا بالعائد من ذكره في وجده، ويكون جواب الجزاء الفاء في «فَهُوَ»، والجزء الثاني مرفوع بهو، فيكون معنى الكلام حينئذ: قالوا: جزاء السرقة من وجد السرقة في رحله، فهو ثوابه، يسرق ويستعبد.

القول في تأويل قوله تعالى

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ، كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ، مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ *

يقول تعالى ذكره : ففتش يوسف أوعيتهم ورحلهم ، طالبا بذلك صواع الملك ، فبدأ في تفتيشه بأوعية إخوته من أبيه ، فجعل يفتشها وعاء وعاء ، قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه ، فإنه أحرر تفتيشه ، ثم فتش آخرها وعاء أخيه ، فاستخرج الصواع من وعاء أخيه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) : ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء ، إلا استغفر الله ، تأثما مما قد فهم به ، حتى بقي أخوه ، وكان أصغر القوم ، قال : ما أرى هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى فاستبره^١ ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ، ثم استخرجها من وعاء أخيه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن مسعر ، عن قتادة ، قال : فاستخرجها من وعاء أخيه ، قال : كان كلما فتح متاعا استغفر تائبا مما صنع ، حتى بلغ متاع الغلام ، فقال : ما أظن هذا أخذ شيئا ، قالوا : بلى ، فاستبره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) فلما بقي رحل الغلام ، قال : ما كان هذا الغلام ليأخذه ، قالوا : والله لا يترك حتى تنظر في رحله ، لنذهب وقد طابت نفسك ، فأدخل يده ، فاستخرجها من رحله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال الرسول لهم (وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) قالوا : ما نعلمه فينا ولا معنا ، قال : لستم بيارحين حتى أفتش أمتعتكم ، وأعدر في طلبها منكم ، فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء ، يفتشها وينظر ما فيها ، حتى مر على وعاء أخيه ففتشه ، فاستخرجها منه ، فأخذ برقبته ، فأنصرف به إلى يوسف ، يقول الله (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ذكر لنا أنه كان كلما بحث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما ، قد علم أين موضع الذي يطلب ، حتى إذا بقي أخوه وعلم أن بغيته فيه ، قال : لا أرى هذا الغلام أخذه ، ولا أبالي أن لا أبحث متاعه ، قال إخوته : إنه أطيب لنفسك ، وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضا ، فلما فتح متاعه ، استخرج بغيته منه ، قال الله (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) .

(١) أصله : استبره ، أي اطلب براهته بتفتيشه ، ثم خفف الهمزة ، وحذفها للأمر .

واختلف أهل العربية في الهاء والألف اللتين في قوله (**مَّمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ**) فقال بعض نحوِّي البصرة: هي من ذكر الصواع ، قال : وأنت ، وقد قال (**وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ**) لأنه عنى الصُّوع ، قال : والصواع مذكر ، ومنهم من يؤنث الصواع ، وعنى هاهنا السقاية ، وهي مؤنثة قال : وهما اسمان لواحد ، مثل الثوب والملحفة ، مذكر ومؤنث لشيء واحد .

وقال بعض نحوِّي الكوفة في قوله (**مَّمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ**) ذهب إلى تأنيث السرقة ، قال : وإن لم يكن الصواع في معنى الصاع ، فلعل هذا التأنيث من ذلك ، قال : وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية ، قال : والصواع : ذَكَرَ ، والصاع يؤنث ويذكر ، فمن أنه قال : ثلاث **أَصْوَعُ** ، مثل ثلاث **أَدْوَرُ** ، ومن ذكَّره قال : أصواع مثل أبواب .

وقال آخر منهم : إنما أنث الصواع حين أنث ، لأنه أرادت به السقاية ، وذكَّره حين ذكَّره ، لأنه أريد به الصواع ، قال : وذلك مثل الخيوان والمائدة ، وسنان الرمح وعاليتها ، وما أشبه ذلك من الشيء الذي يجتمع فيه اسمان : أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث .

وقوله (**كَذَلِكَ كِيدُنَا لِيُوسُفَ**) يقول : هكذا صنعنا ليوסף ، حتى يُخَلِّصَ أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه ، بإقرار منهم أن له أن يأخذه منهم ، ويحتبس في يديه ، ويحول بينه وبينهم ، وذلك أنهم قالوا إذ قيل لهم : (**مَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ**) جزاء من سرق الصواع : أن من وجد ذلك في رحله فهو **مُسْتَرْقٌ** به ، وذلك كان حكمهم في دينهم ، فكاد الله ليوסף كما وصف لنا ، حتى أخذ أخاه منهم ، فصار عنده بحكمهم ، وصنع الله له .

وقوله (**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**) يقول : ما كان يوسف يأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم ، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن **يُسْتَرْقَ** أحد بالسرقة ، فلم يكن ليوסף أخذ أخيه في حكم ملك أرضه ، إلا أن يشاء الله بكيد الذي كاده له ، حتى **أَسْلَمَ مَنْ وَجَدَ فِي وَعَائِهِ الصُّوعَ** إخوته ورفقاؤه ، بحكمهم عليه . وطابت أنفسهم بالتسليم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**) إلا فعلة كادها الله له ، فاعتل بها يوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (**كَذَلِكَ كِيدُنَا لِيُوسُفَ**) كادها الله له ، فكانت علة ليوסף .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج . عن مجاهد (**لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**) قال : إلا فعلة كادها الله ، فاعتل بها يوسف .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (كذلك كيدنا ليوسف) قال : صنعنا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (كذلك كيدنا ليوسف) يقول :
صنعنا ليوسف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله (كذلك كيدنا ليوسف) يقول : صنعنا ليوسف .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) فقال بعضهم :
ما كان ليأخذ أخاه في سلطان الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
(ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يقول : في سلطان الملك .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يقول : في سلطان الملك .
وقال آخرون : معنى ذلك : في حكمه وقضائه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين
الملك إلا أن يشاء الله) يقول : ما كان ذلك في قضاء الملك : أن يستعبد رجلا بسرقة .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (في دين الملك)
قال : لم يكن ذلك في دين الملك ، قال : حكمه .

حدثني الثني ، قال : ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزي ، عن رجل قد سماه ، عن عبد الله بن
المبارك ، عن أبي مودود المدني ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول (قالوا جزأوه من وجد
في رحله فهو جزأوه) ؛ كذلك كيدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) قال :
دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ، ولكن الله كاد لأخيه ، حتى تكلموا ما تكلموا به ، فأخذهم بقولهم ،
وليس في قضاء الملك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : بلغه في قوله (ما كان
ليأخذ أخاه في دين الملك) قال : كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه الغرم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (ما كان ليأخذ أخاه في دين
الملك) يقول : في حكم الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) : أي
بظلم ، ولكن الله كاد ليوسف ليضم إليه أخاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما كان ليلاً أخذ أخاه في دين الملك) قال : ليس في دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقة . قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقة عبدا يسرق .

وهذه الأقوال وإن اختلفت ألفاظ قائلها في معنى دين الملك ، فتقاربة المعاني ، لأن من أخذه في سلطان الملك عامله بعمله ، فيربناه أخذه إذ لم يغيره ، وذلك منه حكم عليه ، وحكمه عليه قضاؤه ، وأصل الدين : الطاعة ، وقد بيّنت ذلك في غير هذا الموضع بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (إلا أن يشاء الله) ، كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (إلا أن يشاء الله) ولكن صنعنا له ، بأنهم قالوا : (فهو جزأؤه) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إلا أن يشاء الله) إلا بعلّة كادها الله ، فاعتلّ بها يوسف .

وقوله (نرفع درجات من نشاء) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (نرفع درجات من نشاء) بإضافة الدرجات إلى « من » بمعنى : نرفع منازل من نشاء رفع منازل ومرتبه في الدنيا ، بالعلم ، على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك ، ومزنته في الدنيا ، على منازل إخوته ومرتبتهم . وقرأ ذلك آخرون (نرفع درجات من نشاء) بتدوين الدرجات ، بمعنى : نرفع من نشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره ، كما رفعنا يوسف ، فمن على هذه القراءة نصب ، وعلى القراءة الأولى خفض . وقد بيّنا ذلك في سورة الأنعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (نرفع درجات من نشاء) يوسف وإخوته أو تواتوا علما ، فرفعنا يوسف فوقهم في العلم .

وقوله (وقوف كل ذي علم عليم) يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم من هو أعلم منه ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى ، وإنما عني بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه حدث بحديث ، فقال رجل عنده (وقوف كل ذي علم عليم) فقال ابن عباس : بثما قلت ، إن الله هو عليم ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ،

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل المخطوط ، وفيها غموض .

عن سعيد بن جبير ، قال : حدث ابن عباس بحديث ، فقال رجل عنده : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : العالم الله ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، قال : كنا عند ابن عباس ، فحدثت حديثنا ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فقال ابن عباس : بثنا قلت : الله العليم^١ ، وهو فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد وابن وكيع ، قالا : ثنا عمرو بن محمد ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : أخبرنا أبو الأحوص ، عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله الخبير العليم فوق كل عالم . حدثني المنثري ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله فوق كل عالم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : سألت رجل عليا عن مسألة ، فقال فيها ، فقال الرجل : ليس هكذا ، ولكن كذا وكذا ، قال علي : أصبت وأخطأت (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عسيرة ، عن خالد ، عن عكرمة ، في قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : علم الله فوق كل أحد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله عز وجل .

حدثنا ابن وكيع ، ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : الله أعلم من كل أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن ، في قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : ليس عالم إلا فوجه عالم حتى ينتهي العلم إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا جويرية ، عن بشير الهجيمي ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، ثم وقف فقال : إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوجه من هو أعلم منه ، حتى يعود العلم إلى الذي علمه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، عن جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) قال : فوق كل عالم عالم ، حتى ينتهي العلم إلى الله .

(١) لعل هذه الرواية أظهر من التي قبلها ، فإن ابن عباس فهم من كلام الرجل أنه هو العليم ، فرد عليه القول بأن العليم هو الله ، أما من عده فيوصف بأنه عالم ، لا عليم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بدى ، وتعلمت العلماء ، وإليه يعود . في قراءة عبد الله (وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ عَلِيمٌ) .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يسرق قوما أبرياء من السرقة ، ويقول (أَيْتُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) ؟ قيل : إن قوله (أَيْتُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به ، لا خبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك أن فقصد الصواع ، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرقة ، ويوسف يعني ذلك السرقة ، لاسرقتهم الصواع . وقد قال بعض أهل التأويل : إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

* قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُدْهِهَا لَهُمْ ، قَالَ : أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) يعنون أخاه لأبيه وأمه ، وهو يوسف .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ليوسف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يعنى يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : يوسف .

وقد اختلف أهل التأويل في السرقة الذي وصفوا به يوسف ، فقال بعضهم : كان صنما بلده أبي أمه ، كسره وألقاه على الطريق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عمرو البصرى ، قال : ثنا العيص بن الفضل ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : سرق يوسف صنما بلده أبي أمه ، كسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَقَدَ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) ذكر أنه سرق صنما لجدّه أبي أمه ، فعيروه بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) : أرادوا بذلك عيب نبيّ الله يوسف ، وسرقته التي عابوه بها صنم كان لجدّه أبي أمه ، فأخذه ، إنما أراد نبيّ الله بذلك الخير ، فعابوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) قال : كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لحاله يعبده ، كانت مسلمة وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، قال : كان بنو يعقوب على طعام اضطرّ يوسف إلى عرق^١ ، فخبأه ، فعيروه بذلك (إِنْ يَسْرِقْ ، فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد أبي الحجاج ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني ، أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها منطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكبير ، فكان من اختص بها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف ، كان قد حضنته عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يجب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه ، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ، وقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أخية سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، فقالت : والله ما أنا بتاركته ، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة ، قال : فوالله ما أنا بتاركة ، قالت : فدعه عندي أياما أنظر إليه ، وأسكن عنه ، لعل ذلك يسليني عنه ، أو كما قالت ؛ فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتست ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ، فقالت والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك . ما أستطيع غير ذلك ، فأمسكته ، فإقدر عليه يعقوب حتى ماتت قال : فهو الذي تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ لَهُ أَخٌ مِنْ قَبْلُ) .

قال ابن حميد ، قال ابن إسحاق : لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف ، ولم يشكوا أنه سرق ، قالوا أسفا عليهم ، لما دخل عليهم في أنفسهم تأنيبا له (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) فلما سمعها يوسف (قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا) سراً في نفسه (وَكَمْ يُبْدِيهَا لَهُمْ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) . وقوله (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِيهَا لَهُمْ) ، قال أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يعني بقوله : فَأَسْرَهَا : فأضمرها ، وقال : فَأَسْرَهَا : فأنت ، لأنه عنى بها الكلمة ، وهي

(١) العرق ، بفتح العين ، وإسكان الراء : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ، ويق عليه لحوم رقيقة طيبة فيؤكل لحمه ، ويتمشش عظمه ، والعرق أيضا : القدرة من اللحم (اللسان) .

أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ، وَلَوْ كَانَتْ جَاءَتْ بِالتَّذْكِيرِ كَانَ جَائِزًا ، كَمَا قِيلَ (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ - وَ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى) ، وَكُنِيَ عَنِ الْكَلِمَةِ ، وَلَمْ يَجْرَ لَهَا ذِكْرٌ مُتَقَدِّمٌ ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا ، إِذَا كَانَ مَفْهُومًا الْمَعْنَى الْمُرَادَ عِنْدَ سَامِعِي الْكَلَامِ ، ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ حَاتِمِ الطَّائِي :

أَمَاوِيٌّ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^١

يريد : وضاق بالنفس الصدر ، فكُنِيَ عنها ، وَلَمْ يَجْرَ لَهَا ذِكْرٌ ، إِذَا كَانَ فِي قَوْلِهِ : إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا ، دَلَالَةٌ لِسَامِعِ كَلَامِهِ عَلَى مُرَادِهِ بِقَوْلِهِ : وَضَاقَ بِهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ) فَقَالَ : مِنْ بَعْدِهَا ، وَلَمْ يَجْرَ قَبْلَ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِاسْمِ مَوْئِثٍ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِهَا لَكُمْ) أَمَا الَّذِي أَسْرَ فِي نَفْسِهِ فَقَوْلُهُ (أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ، وَكَمْ يُبْدِهَا لَكُمْ) ، قَالَ أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) قَالَ هَذَا الْقَوْلُ . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا عَمِي ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُبْدِهَا لَكُمْ) يَقُولُ : أَسْرَ فِي نَفْسِهِ قَوْلُهُ (أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) .

وَقَوْلُهُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يَقُولُ : وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْذِبُونَ فِيهَا تَصِفُونَ بِهِ أَخَاهُ بَنِيَامِينَ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ :

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثَنَا شَبَابَةُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ (أَنْتُمْ شَرَّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) يَقُولُونَ : يُوسُفُ يَقُولُهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ . حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، عَنْ وَرْقَاءُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ . حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) : أَيْ بِمَا تَكْذِبُونَ .

(١) الْبَيْتُ فِي (اللسان : حشر) قَالَ : الْحَشْرَجَةُ : تَرَدُّدُ صَوْتِ النَّفْسِ ، وَهُوَ الْفَرَاغَةُ فِي الصَّدْرِ عِنْدَ الْمَوْتِ . تَمَثَّلَتْ بِالْبَيْتِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَدَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا عِنْدَ مَوْتِهِ قَائِلَةً :

لِعَمْرِكَ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ وَلَا الْغِنَى إِذَا حَشْرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

وَالْبَيْتُ لِحَاتِمِ يَخَاطَبُ زَوْجَهُ مَأْوِيَةَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ : أَنَّ الضَّمِيرَ فِي حَشْرَجْتَ لَيْسَ لَهُ مَرَجِعٌ مَذْكَورٌ فِي الْكَلَامِ .

فغنى الكلام إذن : فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، قال : أنتم شرّ عند الله منزلاً ممن وصفتموه بأنه سرق ، وأخبث مكاناً بما سلف من أفعالكم ، والله عالم بكذبكم ، وإن جهله كثير ممن حضر من الناس . وذكر أن الصواع لما وُجد في رحل أخى يوسف تلاوم القوم بينهم ، كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بنى راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع ، فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه في البرية ، وضع هذا الصواع في رحلى الذى وضع الدراهم في رحالكم ، فقالوا : لاتذكر الدراهم فنؤخذ بها ؛ فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ، ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعى هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه ؛ فلما سمعها بنيامين ، قام فسجد ليوسف ، ثم قال : أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحمى هو ؟ فنقره ، ثم قال : هو حى ، وسوف تراه ، قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي سوف يستنقذنى ، قال : فدخل يوسف فبكى ، ثم توضع ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك إني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق ، فسله من سرقه ، فجعله في رحلى ، فنقره فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى عن صاحبي ، وقد رؤيت مع من كنت ، قال : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا ، فغضب روبييل ، فقال : أيها الملك ، والله لتركنا ، أو لأصبحن صبيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألفت ما في بطنها ، وقامت كل شعرة في جسد روبييل ، فخرجت من ثيابه ، فقال يوسف لابته : قم إلى جنب روبييل فسه ؛ وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسه الآخر ذهب غضبه ، فمرّ الغلام إلى جنبه فسه ، فذهب غضبه ، فقال روبييل : من هذا ؟ إن في هذا البلد لبزرا من بزير يعقوب ، فقال يوسف من يعقوب ؟ فغضب روبييل فقال : يا أيها الملك لاتذكر يعقوب ، فإنه سرى الله ، ابن ذبيح الله ، ابن خليل الله ، قال يوسف : أنت إذن كنت صادقاً .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قالت إخوة يوسف ليوسف (يا أيُّها العزير) يا أيها الملك (إن له أباً شيخاً كبيراً ، كفلاً بحبه ، يعنون يعقوب) فخذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ (يعنون فخذ أحداً منا بدلاً من بنيامين ، وخلّ عنه) إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (يقولون : إنا نراك من المحسنين في أفعالك .

وقال محمد بن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إنا نرى ذلك منك إحساناً إن فعلت :

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته (مَعَاذَ اللَّهِ) أَعُوذُ بِاللَّهِ، وكذلك تفعل العرب في كل مصدر وضعته موضع يَفْعَلُ وَيَفْعَلِيلُ، فإنها تنصب كقولهم: حمدًا لله وشكرًا له، بمعنى: أحمد الله وأشكره؛ والعرب تقول في ذلك: معاذ الله، ومعاذة الله، فتدخل فيه هاء التانيث كما يقولون: ما أحسن معناه هذا الكلام، وعوذ الله، وعوذة الله، وعياذ الله؛ ويقولون: اللهم عائذا بك، كأنه قيل: أعوذ بك عائذا، أو أدعوك عائذا (أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ) يقول: أستجير بالله من أن نأخذ بريثا بسقيم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ) يقول: إن أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده، إنا إذا نفعل ما ليس لنا فعله، ونجور على الناس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا، فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ، إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ) قال يوسف: إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام، وقولوا له: إن ملك مصر يدعوك أن لاتموت حتى ترى ابنك يوسف، حتى يعلم أن في أرض مصر صدق يقين مثله.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا، قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ، فَلَنْ أْبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ) فلما يتسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين، ويأخذ منهم واحدا مكانه، وأن يجيبهم إلى ما سألوه من ذلك، وقوله (اسْتَيْسَسُوا) استفعلوا، من يتس الرجل من كذا يئس.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ) يتسوا منه ورأوا شدته في أمره.

وقوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) يقول بعضهم لبعض: يتناجون، لا يختلط بهم غيرهم، والنجى جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة، كما يقال: رجل عدل، ورجال عدل، وقوم زور وفطر، وهو

مصدر من قول القائل : نجوت فلانا أنجوه نجيا ، جعل صفة ونعتا . ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا قول الله تعالى (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) فوصف به الواحد ، وقال في هذا الموضع : خَلَصُوا نَجِيًّا ، فوصف به الجماعة ويجمع النَجِيَّ نَجِيَّةً ، كما قال ليبيد :

وَشَهِدْتُ أُنْجِيَّةَ الْأُفَاقَةِ عَالِيَا كَعَبِي وَأُرْدَا فُ الْمُلُوكِ شُهُودًا

وقد يقال للجماعة من الرجال : نجوى ، كما قال جل ثناؤه (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) وقال (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) وهم القوم الذين يتناجون ، وتكون النجوى أيضا مصدرا ، كما قال الله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) تقول منه : نجوت أنجو نجوى ، فهي في هذا الموضع : المناجاة نفسها ، ومنه قول الشاعر :

بُتِّي بَدَا حَيْبُ نَجْوَى الرَّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ حَبَّ النَّجْوَى

فالنجوى والنجى في هذا البيت بمعنى واحد ، وهو المناجاة ، وقد جمع بين اللغتين .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا اسْتَبَيَّ سُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) وأخلص لهم شمعون وقد كان ارتهنه ، خَلَصُوا بينهم نجيا : يتناجون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَلَصُوا نَجِيًّا) خلصوا وحدهم نجيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (خَلَصُوا نَجِيًّا) : أى خلا بعضهم ببعض ، ثم قالوا : ماذا ترون .

وقوله (قَالَ كَبِيرُهُمْ) اختلف أهل العلم في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : عني به كبيرهم في العقل والعلم ، لافي السن ، وهو شمعون ، قالوا : وكان روبيل أكبر منه في الميلاد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،

(١) البيت لليبي ، استشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣١٥) قال في معنى قوله تعالى (خلصوا نجيا) : أى اعتزلوا نجيا يتناجون . والنجى : يقع لفظه على الواحد والجمع أيضا . وقد يجمع ، فيقال : نجى وأنجى ، وقال ليبيد : « وشهدت أنجية » . . . البيت . والشاهد فيه أن فاعل جهرجت ضمير تقديره هي راجع إلى النفس المفهومة من السياق . والنفس مؤنثة ، فلذلك أنث الفعل بالهاء . وانظره في (اللسان : أفق) .

(٢) البيت للصلتان العبدى : فثم بن خبيبة ، أورده صاحب الخزانة مع عدة أبيات له (١ : ٣٠٨) وأورد المقتوعة أبو تمام في الحماسة ، وعدتها تسعة أبيات وقال التبريزي في شرح البيت (٣ : ١١٢) : الحب : المكر بكسر الهمزة ، والحب بفتحها : المكار . والنجوى مصدر ، وهو مستعمل . فيما يتحدث فيه اثنان ، على طريق السر والكتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحبك . فكن خيا فيما تودعه من سر لك فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها عادت وبالا . والنجى : يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى : وفي القرآن : وإذ هم نجوى . اهـ .

في قول الله تعالى (قَالَ كَبِيرُهُمْ) قال : هو شمعون الذي تخلف ، وأكبر منه ، وأكبر منهم في الميلاد روبييل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قال كَبِيرُهُمْ) : شمعون الذي تخلف ، وأكبر منه في الميلاد روبييل .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قال كَبِيرُهُمْ) قال : شمعون : الذي تخلف ، وأكبرهم في الميلاد : روبييل .
وقال آخرون : بل عَسَى به كبيرهم في السن ، وهو روبييل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال كَبِيرُهُمْ) وهو روبييل أخو يوسف ، وهو ابن خالته ، وهو الذي نهاهم عن قتله :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قال كَبِيرُهُمْ) قال : روبييل ، وهو الذي أشار عليهم أن لا يقتلوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (قال كَبِيرُهُمْ) في العلم ^١ (أن أباكم قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ، وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ، فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) . . . الآية ، فأقام روبييل بمصر ، وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر ، فبكى وقال : يا بني ماتذهبون مرة إلا نقصتم واحدا ، ذهبتم مرة فنقصتم يوسف ، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون ، وذهبتم الآن فنقصتم روبييل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا اسْتَيْسَأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) قال : ماذا ترون ؟ فقال روبييل كما ذكر لي ، وكان كبير القوم (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لِنَأْتِيَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) ، وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) . . . الآية . . . وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : قول من قال : عنى بقوله (قال كَبِيرُهُمْ) روبييل لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنا ، ولا تفهم العرب في مخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم مطلقا ، بغير وصل ، إلا أحد معنيين ، إما في الرياسة عليهم والسؤدد ، وإما في السن ، فأما في العقل فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه ، فقالوا : هو كبيرهم في العقل ، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك ، فلا يفهم إلا ما ذكرت . وقد قال أهل التأويل لم يكن لشمعون ، وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به ، على إخوته رياسة وسؤدد ، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله (قال كَبِيرُهُمْ) ، فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو الكبير في السن ، وقد قال الذين ذكرنا جميعا ، روبييل كان أكبر القوم سنا ، فصح بذلك القول الذي اخترناه .
وقوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) يقول : ألم تعلموا أيها

(١) لعله في السن ، تأمل .

القوم أن أبائكم يعقوب قد أخذ عليكم عهد الله وموآثيقه ، لتأثينه به جميعا ، إلا أن يحاط بكم ، ومن قبل فعلتكم هذه تفريطكم في يوسف : يقول : أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم في يوسف . وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذي قلناه ، كانت « ما » حينئذ في موضع نصب . وقد يجوز أن يكون قوله (وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) خبرا مبتدأ ، ويكون قوله (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَائَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) خبرا متناهيا ، فتكون « ما » حينئذ في موضع رفع ، كأنه قيل : ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف ، فتكون « ما » مرفوعة بمن قبل هذا ، ويجوز أن تكون « ما » التي تكون صلة في الكلام ، فيكون تأويل الكلام : ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف .

وقوله (فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ) التي أنا بها ، وهي مصر فأفارقها (حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالخروج منها . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ) التي أنا بها اليوم (حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالخروج منها .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال شمعون (لَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) . وقوله (أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) : أو يقضى لي ربي بالخروج منها ، وترك أخي بنيامين ، وإلا فاني غير خارج (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) يقول : والله خير من حكم ، وأعدل من فصل بين الناس . وكان أبو صالح يقول في ذلك بما حدثني الحسين بن يزيد السبيعي ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) قال : بالسيف ، وكان أبو صالح وجه تأويل قوله (أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) إلى : أو يقضى الله لي بحرب ممن منعي من الانصراف بأخي بنيامين إلى أبيه يعقوب ، فأحاربه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ ، فَقُولُوا : يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ، وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ، وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل رُوبيل لإخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذي استخرج من وعائه (ارجعوا) إخواني (إلى آبائكم) يعقوب ، (فقولوا) له (يا أبانا إن ابنك سرق) بنيامين (سرق) ؛ والقراء على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف (إن ابنك سرق) . ورؤي عن ابن عباس (إن ابنك سرق) بضم السين وتشديد الراء ، على وجه ما لم يسم فاعله ، بمعنى : أنه سرق (وما شهدنا إلا بما علمنا) .

(١) هذا مصدر صريح ، مأخوذ من ما المصدرية والفعل الماضي « ما فرطتم » .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما قلنا : إنه سَرَقَ إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صَوَاعَ الملك أصيب في وعائه ، دون أوعية غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ) فإني ما كنت راجعا حتى يأتيني أمره (فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ، وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا) : أي قد وُجِدَت السرقة في رحله ، ونحن ننظر لاعلم لنا بالغيب (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال لهم يعقوب عليه السلام : ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم ؟ فقالوا : (مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا) لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقة ، إلا وذلك الذي علمنا . قال : وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه : أن يؤخذ السارق بسرقة عبدا فيسرق .

وقوله (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) يقول : وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا ، وإنما قلنا (وَتَحْفَظُ أَخَانَا) : مما لنا إلى حفظه منه السبيل .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحرير أبو عمار المروزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : لم نشعر أنه سيسرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد وأبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : ما كنا نرى أنه سيسرق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا كُنْنَا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) قال : ما كنا نظن أن ابنك يسرق .
 وَأُولَى التَّأْوِيلِينَ بالصواب عندنا في قوله (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا) : قول من قال : وما شهدنا بأن ابنك سرق ، إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع في وعائه ، لأنه عقيب قوله (إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) ، فهو بأن يكون خبراً عن شهادتهم بذلك ، أولى من أن يكون خبراً عما هو منفصل .
 وذكر أن الغيب في لغة حمير : هو الليل بعينه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ، (٨٢)

يقول : وإن كنت متهما لنا لاتصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق ، فاسأل القرية التي كنا فيها ، وهي مصر ، يقول : سل من فيها من أهلها (والعير التي أقبلنا فيها) وهي القافلة التي كنا فيها ، التي أقبلنا منها معها ، عن خبر ابنك ، وحقبة ما أخبرناك عنه من سرقه ، فإنك تحبب مصداق ذلك (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فيما أخبرناك من خبره .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واسأل القرية التي كنا فيها) وهي مصر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (واسأل القرية التي كنا فيها) قال : يعنون مصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قد عرف روبييل في رجوع قوله لإخوته أنهم أهل ههنا عند أبيهم ، لما كانوا صنعوا في يوسف ، وقولهم له (اسأل القرية التي كنا فيها ، والعير التي أقبلنا فيها) فقد علموا ما علمنا ، وشهدوا ما شهدنا إن كنت لاتصدقنا (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً ، إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)

قال أبو جعفر : في الكلام متروك ، وهو : فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم ، وتخلّف روبييل ، فأخبروه خبره ، فلما أخبروه أنه سرق قال (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) يقول : بل زينّت لكم أنفسكم أمراً همتم به وأردوه (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) يقول : فصبري على ما نالني من فقد ولدي صبر جميل لاجزع

فيه ولا شكايته ، عسى الله أن يأتيني بأولادى جميعا ، فبردتم على (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بوحدتى وبفقدتهم وحزنى عليهم ، وصدق مايقولون من كذبه (الْحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه .
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلِّ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ)
أمرًا فصَّبرٌ جميلٌ) يقول : زينب ، وقوله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) يقول :
بيوسف وأخيه وروبييل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما جاءوا بذلك إلى يعقوب ، يعنى بقول
روبييل لهم أنهم ، وظن أن ذلك كنفعلهم بيوسف ، ثم قال (بَلِّ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ) أمرًا
فصَّبرٌ جميلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) : أى بيوسف وأخيه وروبييل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ، وَقَالَ : يَا سَأْنِي عَلَى يُونُسَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ، فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) وأعرض عنهم يعقوب (وَقَالَ يَا سَأْنِي عَلَى يُونُسَ)
يعنى : يا حزنا عليه ، يقال : إن الأسف هو أشدَّ الحزن والتندم ، يقال منه : أسفت على كذا أسف عليه
أسفا ، يقول الله جل ثناؤه : وأبيضت عينا يعقوب من الحزن (فَهُوَ كَظِيمٌ) يقول : فهو مكظوم على
الحزن ، يعنى أنه مملوء منه ممسك عليه ، لا يبينه صرف المفعول منه إلى فعل .
ومنه قوله (وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) وقد بينا معناه بشواهد فى ماضى .
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله (وَقَالَ يَا سَأْمًا عَلَى يُونُسَ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) أعرض عنهم ، وتنام حزنه ،
وبلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه ، وهيج عليه حزنه على يوسف ، فقال (يَا سَأْمًا عَلَى يُونُسَ) ،
وأبيضت عيناه من الحزن ، فهو كظيمٌ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) وَقَالَ يَا سَأْمًا عَلَى يُونُسَ) يقول : يا حزنى على يوسف .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ،
عن ورقاء ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله (يَا سَأْمًا عَلَى يُونُسَ) : يا حزنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد
(يَا سَأْمًا عَلَى يُونُسَ) : يا جزعاه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أسفًا على يوسف) يا جزعاه حزنا .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يا أسفًا على يوسف) قال : يا جزعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أسفًا على يوسف) أي حزناه . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أسفًا على يوسف) قال : يا حزناه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن قتادة نحوه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وقال يا أسفًا على يوسف)^١ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك (يا أسفًا على يوسف) قال : يا حزنا على يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبي مرزوق ، عن جوير ، عن الضحاك (يا أسفًا) يا حزناه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثني هشيم ، قال : أخبرنا جوير عن الضحاك (يا أسفًا) يا حزنا على يوسف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن سفيان العصفري ، عن سعيد بن جبير ، قال : لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب (يا أسفًا على يوسف) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، نحوه . ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله تعالى (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهو كظيم) قال : كظيم الحزن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهو كظيم) قال : كظيم الحزن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فهو كظيم) قال : الحزن .

(١) لعله ترك المتن اختصاراً أو اكتفاءً بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَهَوَ كَظِيمٌ) مكمود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال كويد : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (كَظِيمٌ) قال : كويد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ ، فَهَوَ كَظِيمٌ) يقول : يردد حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل بأسا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيرا . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يعمر ، عن يزيد بن زريع ، عن عطاء الخراساني (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : مكروب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : من الغيظ . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهَوَ كَظِيمٌ) قال : الكظيم : الذي لا يتكلم ، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَاللَّهِ تَفْتَأُ أَذْكَرٌ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)

يعنى تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له حين قال (يَا أَسْفَا عَلَىٰ يَوسُفَ) تالله لا تزال تذكر يوسف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (تَفْتَأُ) : تَفْتَسِّرُ من جبهه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَفْتَتُوا) : ما تَفْتَتِرُ من حبه ، كذا قال الحسن في حديثه ، وهو غلط ، إنما هو : تَفْتَتِرُ من حبه ، تزال تذكر يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قالوا تالله تفتتوا تذكرو يوسف) قال : لا تفتتير من حبه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تفتتوا) : تفتت من حبه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تالله تفتتوا تذكرو يوسف) قال : لا تزال تذكر يوسف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سبائك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قالوا (تالله تفتتوا تذكرو يوسف) قال : لا تزال تذكر يوسف ، قال : لا تفتت من حبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تفتتوا تذكرو يوسف) قال : لا تزال تذكر يوسف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تفتتوا تذكرو يوسف) قال : لا تزال تذكر يوسف ١ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تفتتوا تذكرو يوسف) قال : لا تزال تذكر يوسف . يقال منه : ما فتئت أقول ذلك ، وما فتئت لغة ، أفتى وأفتأ فتأ وفتتوا . وحكى أيضا ما أفتأت به : ومنه قول أوس بن حجر :

فما فتئت حتى كأن غبارها سرادق يوم ذي رباح ترفع ٢

وقول الآخر :

فما فتئت خيل تشوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع ٣

بمعنى : فما زالت ، وحذفت « لا » من قوله (تفتتوا) وهي مرادة في الكلام ، لأن اليمين إذا كان ما بعدها خبرا لم يصحبها الجحد ، ولم تسقط اللام التي يجاب بها الأيمان ، وذلك كقول القائل : والله لا تينك ، وإذا كان ما بعدها مجحودا ، تلقبت بما أو بلا ، فلما عرفت موقعها حذفت من الكلام ، لمعرفة السامع بمعنى الكلام ، ومنه قول امرئ القيس :

(١) كذا في النسخ وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى .

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمي . من قصيدة له في وصف الخيل ، منها ثلاثة أبيات في كتاب « المعاني الكبير لابن قتيبة » ص ١٠٠٢ . وهو شاهد مثل الذي قبله ، على أن معنى ما فتئت : ما زالت .

(٣) البيت لأوس بن حجر التميمي أيضا ، استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣١٦) على أن معنى « فافتئت » : ما زالت .

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحَ قَاعِيدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
 فحذفت « لا » من قوله : أبرح قاعيدا ، لما ذكرت من العلة ، كما قال الآخر :
 فَلَا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيْزَةً عَلَى قَوْمِهَا مَا فَتَلَ الزَّنْدَ قَادِحٌ ٢
 يريد : لازالت .

وقوله (حَتَّى تَكُونُ حَرَّصًا) يقول : حتى تكون دَنِيفَ الجِسم ، محبوبَ العقل . وأصل الحَرَّص :
 الفساد في الجسم والعقل ، من الحزن أو العشق ، ومنه قول العَرَجِيّ :
 إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبِّ فَأَحْرَصْتِي حَتَّى بُلِيْتُ وَحَتَّى شَقَمْتَنِي السَّقَمُ ٣
 يعنى بقوله : فأحرضنى : أذابنى فتركنى مُحْرَصًا ، يقال منه : رجل حَرَّص ، وامرأة حَرَّص ، وقوم حَرَّص ،
 ورجلان حَرَّص ، على صورة واحدة للمذكر والمؤنث ، وفي التثنية والجمع . ومن العرب من يقول للذكر :
 حارص ، وللأنثى حارضة ، فإذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وذكر وأنث ، ووحد حَرَّص بكل حال ،
 ولم يدخله التأنيث ، لأنه مصدر ، فاذا أخرج على فاعل على تقدير الأسماء ، لزمه ما يلزم الأسماء من التثنية
 والجمع والتذكير والتأنيث . وذكر بعضهم سماعا رجل مُحْرَص : إذا كان وجعا . وأنشد في ذلك بيتا .

(١) البيت لامرئ القيس ، من شعره في (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ،
 ص ٣٨) . أبرح : أى لا أبرح بإضمار حرف النى ، لدلالة المعنى عليه ، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكد ، ولو كان الكلام إثباتا ،
 لوجب توكيد الفعل بالنون . ومثله في القرآن « تالله تفتأ تذكر يوسف » أى لاتفتأ . حذف منه حرف النى ، كما حذف في قول امرئ
 القيس : « يمين الله أبرح » أى لا أبرح . والأوصال : جمع وصل ، بالكسر ، وهو كل عضو يفصل من آخر .
 (٢) أورد البيت البغدادي في خزنة الأدب الكبرى (٤ : ٤٥ - ٤٧) ولم يعرف قائله ولا تسمية الشعر . وهو شاهد على أنه
 قد فصل بالجار والمجرور أعنى الجملة القسمية ، وهو « وأبى دهما ، بين » لا « النافية ، وبين » زالت . وهذا الفصل لا يجيزه
 النحاة ، ويعتبرون ما جاء منه شاذا ، إلا ابن هشام في باب الجملة الاعتراضية فقد قال : ويفصل بين حرف النى ، ومنفيه ، كقوله
 فلا وأبى دهما زالت عزيزة . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٥٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قالوا « تالله تفتأ
 تذكر يوسف » معناها : لا تزال تذكر يوسف . ولا قد يضم مع الأيمان ، لأنها إذا كانت خبرا : لا يضم فيها لا ، لم تكن إلا
 بلام ؛ ألا ترى أنك تقول والله لا أتيتك ، لا يجوز أن تقول : والله أتيتك ، إلا أن تكون تريد لا ، فلما تبين موضعها ، وفارقت الخبر
 أضمرت . قال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح » . . . البيت . وأنشدني بعضهم : « فلا وأبى دهما . زالت عزيزة . . . »
 البيت ، يريد لا زالت . وقد تبع المؤلف الفراء في قوله . وقال ابن الملا الحلبي (الخزانة ٤ : ٤٦) يجوز أن تكون لا في البيت
 ردا ، وحرف النى محذوفا ولا اعتراض . انتهى . وقد رد شارح كفاية ابن الحاجب محمد بن الحسن الإستراباذي هذا الجواز (٢ :
 ٢٩٥ طبع الشركة الصحافية العمانية بالقسطنطينية سنة ١٣١٠ هـ) قال : وقوله : « فلا وأبى دهما زالت عزيزة » شاذ ،
 وليس مما حذف منه حرف النى ، كما في قوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » بتأويل لا وأبى دهما لا زالت ، لأن حذفها لم
 يسمع إلا من مضارعاتها ، وإنما جاز حذفها لعدم اللبس ، إذ قد تقرر أنها لا تكون ناقصة إلا معها . قال :

تَسْنِفُكَ تَسْمَعُ مَا حَبِيْبِيَسْتُ بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونُوْنَهُ

ويحذف منها كثيرا في جواب القسم ، كقوله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » لأن حذف حرف النى في جواب القسم ثابت في غير
 هذه الأفعال أيضا ، نحو والله أقوم : أى لا أقوم ، فكيف بها . هـ .
 ودهما : اسم امرأة ، أقسم الشاعر بوالدها ، وجملة « لا زالت عزيزة » جواب القسم . وفتل الزند أو تفتيله عند الاقتراح مفصل
 في الخزانة (٤ : ٤٧) فراجعه .

(٣) البيت للعرجي عبد الله بن عمر بن عبد الله (انظره في اللسان : حرض) . وذكره أبو عبيدة شاعدا على أن معنى أحرضنى :
 أذابنى (مجاز القرآن : ١ : ٣١٧) . وقال في اللسان : أحرضه الحب : أى أفسده ، وأنشد للعرجي . . . البيت . أى أذابنى .

طَلَبَتْهُ الْخَيْلُ يَوْمًا كَامِلًا وَلَوَّ الْفَتْنَةُ لِأَضْحَى مُحْرَضًا

وذكر أن منه قول امرئ القيس :

أَرَى الْمَرْءَ ذَا الْأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضًا كِلِحْرَاضٍ بِكُرِّ فِي الدِّيَارِ مَرِيضًا^٢
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى تكون حرصًا) يعني : الجهد في المرض البالي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حتى تكون حرصًا) قال : دون الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (حتى تكون حرصًا) قال : الحرص : مادون الموت .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى تكون حرصًا) حتى تبلى أوتهرم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى تكون حرصًا) :

حتى تكون هرما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن (حتى تكون حرصًا)

قال : هرما .

قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الحرص : الشيء البالي .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله

(حتى تكون حرصًا) قال : الحرص : الشيء البالي الفاني .

(١) البيت في تفسير الشوكاني (طبع شركة مصطفي الباني الحلبي وأولاده بالقاهرة ٣ : ٤٦) ولم ينسبه إلى قائله . وهو شاهد على أن الحرص : الفاسد العقل والجسم . وأحرضه الهم : أسقمه . والمحرص : الذائب من الهم .

(٢) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا . طبعة مصطفي الباني الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٦٥) . والأذواد : جمع ذود ، وهو الثلاثة إلى العشرة من الإبل . والمحرص الذي قارب الهلاك . وقال في اللسان : حرصه المرض وأحرضه : إذا أشق منه على شرف الموت ، وأحرض هو نفسه كذلك ، وقال الأزهرى : المحرص : الهالك مرضا ، الذي لاحي فيرجى ، ولا ميت فييومن منه ؛ قال امرؤ القيس . . . البيت ، و يروى محرصا (بكسر الراء) .

قال : ثنا سُويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (حتى تَكُونَ حَرَصًا) الحَرَصُ : البالي .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك يقول في قوله (حتى تَكُونَ حَرَصًا) : هو البالي المنذر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (حتى تَكُونَ حَرَصًا) باليا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ذكر يعقوبُ يوسف ، قالوا : يعنى ولده الذين حضروه في ذلك الوقت ، جهلا وظلما : (تَلَّه تَفْتَنُوْا تَدْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَ حَرَصًا) أى تكون فاسدا لا عقل لك (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حتى تَكُونُ حَرَصًا أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال : الحَرَصُ الذى قدر دُ إلى أرذل العمر ، حتى لا يعقل ، أو تهلك ، فتكون هالكا قبل ذلك .

وقوله (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) يقول : أو تكون ممن هلك بالموت .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال : الموت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال : الميتين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن عون ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال : الميتين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال أو تموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال : من الميتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (أو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِيْنَ) قال : من الميتين .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : قال يعقوب للقائين له من ولده (تالله تفتنؤ تذكرو يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) لست إليكم أشكو بتي وحزني ، وإنما أشكو ذلك إلى الله .
ويعنى بقوله (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي) ما أشكو همي (وَحُزْنِي) إلا (إلى الله) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي) قال ابن عباس : بتي : همي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يعقوب : عن علم بالله (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) لما رأى من فظاظهم وغلظهم وسوء لفظهم به : لم أشك ذلك إليكم (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) قال : حاجتي وحزني إلى الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هروذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، مثله . وقيل : إن البث أشد الحزن ، وهو عندي من بث الحديث ، وإنما يراد منه : إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم ، وأبث حديثي وحزني إلى الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي) قال : حزني .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي) قال : حاجتي .

وأما قوله (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) فإن ابن عباس كان يقول في ذلك فيما ذكر عنه ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يقول : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأني سأعبد له :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) قال : لما أخبروه بدعاء الملك ، أحست نفس يعقوب ، وقال : ما يكون في الأرض صديق إلا نبي ، فطمع ، قال : لعله يوسف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ إِتَمَّا أَشْكُو بَسِّي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ) الآية ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَعْقُوبَ لَمْ يَنْزَلْ بِهِ بَلَاءٌ قَطُّ إِلَّا أَتَى حَسَنٌ ظَنَّهُ بِاللَّهِ مِنْ وَرَائِهِ .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وجد يعقوب على ابنه ؟ قال : وَجِدَ سَبْعِينَ شُكْلِي ، قال : فما كان له من الأجر ، قال : أجر مئة شهيد ، قال : وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار .

حدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزدي ، عن طلحة بن مصرف الإيامي ، قال : ثلاثة لا تذكرهن ، واجتنب ذكرهن : لانشك مرضك ، ولا تشك مصيبتك ، ولا تزك نفسك . قال : وأنبت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له ، فقال له : يا يعقوب ، مالي أراك قد انهشمت وفديت ، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ، قال : هشمتني وأفناني ما ابتلاني الله به ، من هم يوسف وذكره ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب ، أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي ، قال : فإني قد غفرت لك ، وكان بعد ذلك إذا سئل ، قال (إِتَمَّا أَشْكُو بَسِّي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفیان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : بلغني أن يعقوب كئيب حتى سقط حاجباه على وجنتيه ، فكان يرفعهما بخرقه ، فقال له رجل : ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب تشكوني ؟ قال : خطيئة فاغفرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : ما بلغ بك هذا يا إبراهيم ؟ فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فقال الله : يا يعقوب أتشكوني ؟ فقال : يارب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا هشام ، عن ليث بن أبي سليم ، قال : دخل جبرئيل على يوسف السجن ، فعرفه ، فقال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، ألا تخبرني عن يعقوب : أحي هو ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مشكلة ، قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فهل في ذلك من أجر ؟ قال : أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : حدثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر في صورة رجل ؛ فلما رآه يوسف عرفه ،

فقام إليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك بيعقوب من علم ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فكيف هو ؟ قال : ذهب بصره ، قال : أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما الذي أذهب بصره ؟ قال : الحزن عليك ؟ قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فما أُعطي على ذلك ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .
حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو شريح : سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبرئيل ، ما بلغ من حزن يعقوب ؟ قال : حزن سبعين شكلى ، قال : فما بلغ أجره ؟ قال : أجر سبعين شهيدا .

قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، قال : دخل جبرئيل على يوسف في البئر أو في السجن ، فقال له يوسف : يا جبرئيل ، ما بلغ حزن أبي ؟ قال حزن سبعين شكلى ، قال : فما بلغ أجره من الله ، قال : أجر مئة شهيد .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو في السجن ، فقال : هل تعرفني أيها الصديق ، قال : أرى صورة طاهرة ، وروحا طيبة ، لانشبه أرواح الخاطئين ، قال : فإني رسول رب العالمين ، وأنا الروح الأمين ، قال : فما الذي أدخلك على مدخل المذنبين ، وأنت أطيّب الطيبين ، ورأس المقرّبين ، وأمين رب العالمين ؟ قال : ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله ياطهر الطاهرين وابن المطهرين ؟ إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلصين ، قال : كيف لي باسم الصديقين ، وتعدّتي من المخلصين ، وقد أدخلت مدخل المذنبين ، وسميت بالضالّين المفسدين ، قال : لم يفتن قلبك ، ولم تطع سيدتك في معصية ربك ، ولذلك سماك الله في الصديقين ، وعدّك من المخلصين ، وألحقك بأبائك الصالحين ، قال : لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين ؟ قال : نعم ، وهبه الله الصبر الجميل ، وابتلاه بالحزن عليك ، فهو كظيم ، قال : فما قدر حزنه ؟ قال : حزن سبعين شكلى ، قال : فماذا له من الأجر يا جبرئيل ؟ قال : قدر مئة شهيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن ثابت البناني ، قال : دخل جبرئيل على يوسف في السجن ، فعرفه يوسف ، قال : فأتاه فسلم عليه ، فقال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل تدري ما فعل ؟ قال : ابيضت عيناه ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، ممّ ذاك ؟ قال : من الحزن عليك ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مشكّلة ، قال : أيها الملك الطيب ريح ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، هل له على ذلك من أجر ؟ قال : نعم أجر مئة شهيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن فسلم عليه ، وجاء في صورة رجل حسن الوجه ، طيب الريح ، نقى الثياب ، فقال له يوسف : أيها الملك الحسن وجهه ، الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، حدثني كيف يعقوب ؟ قال : حزن عليك حزنا شديدا ، قال : وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُشكَّلة ، قال : فما بلغ من أجره ؟ قال : أجر سبعين أو مئة شهيد ، قال يوسف : فإلى من أوى بعدى ؟ قال : إلى أخيك بنيامين ، قال : فتراني ألقاه أبدا ؟ قال : نعم ، فيكى يوسف لما لقي أبوه بعده ، ثم قال : ما أبالي ما لقيت إن الله أرانيه .

قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أتى جبرئيل يوسف وهو في السجن ، فسلم عليه ، فقال له يوسف : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل من علم يعقوب ؟ قال : نعم ما أشد حزنه ! قال : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا له من الأجر ؟ قال : أجر سبعين شهيدا ، قال : أفتراني لاقاه ؟ قال : نعم ، قال : فطابت نفس يوسف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه ، قال الملك : ما هذا ؟ قال : السنون والأحزان أو الموم والأحزان ، فقال ربه يا يعقوب لم تشكوني إلى خلقي ، ألم أفعل بك وأفعل ؟

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ » ثم قرأ (لَمَّا أَشْكُو بَيْتِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) .

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، يبكي حتى ذهب بصره ، قال الحسن : والله ما على الأرض يومئذ خليفة أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَدِينِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَأْتِنَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره ، حين طمع يعقوب في يوسف ، قال لبنيه : يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه ، وخالفتكم أخويكم به (فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ) يقول : التمسوا يوسف . وتعرفوا من خبره وأصل التحسس : التفتل من الحسن (وَأَخِيهِ) يعني بنيامين (وَلَا تَأْتِنَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) يقول : ولا تقنطوا من أن يروح الله عنا ما نحن فيه ، من الحزن على يوسف وأخيه ، فترج من عنده ، فيربنهما

(إِنَّهُ لَا يَتِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ) يقول : لا يقنط من فرجه ورحمته ، ويقطع رجاءه منه (إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) يعني : القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ) بمصر (وَلَا تَيَّاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) قال : من فرج الله أن يرد يوسف .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (وَلَا تَيَّاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) أي من رحمة الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن يعقوب قال لبنيه ، وهو على حسن ظنه بربه ، مع الذي هو فيه من الحزن : يا بني اذهبوا إلى البلاد التي منها جئتم (فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَيَّاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) : أي من فرجه (إِنَّهُ لَا يَتِيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا تَيَّاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) يقول : من رحمة الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَيَّاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ) قال : من فرج الله ، يفرج عنكم الغم الذي أنتم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ ، وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)

وفي الكلام متروك قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف ؛ وذلك فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها ، فدخلوا على يوسف ، (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ) : أي الشدة من الجلب والقحط (وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزْجَاةٍ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرجوا إلى مصر راجعين إليها بيضاعة مزجاة : أي قليلة ، لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به ، إلا أن يتجاوز لهم فيها ، وقد رأوا ما نزل بأبيهم ، وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره ، حتى قدموا على يوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ) ، رجاء أن يرحمهم في شأن أخبهم (مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ) ، وعسى بقوله (وَجِئْنَا بِيضَاعٍ مُزْجَاةٍ)

بدرهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام، إلا لمن يتجاوز فيها ، وأصل الإزجاء : السوق بالدفع ، كما قال النابغة الذبياني :

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِينَ تِلْقَاءِ ذِي أُرْلٍ تَزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِينَ صُرَادِهَا صِرْمًا
يعنى تسوق وتدفع ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :
الْوَاهِبُ المِئَةِ المِيجَانَ وَعَبْدَهَا عُوذًا تَزْجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا
وقول حاتم :

لَيْبِكَ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٍ مُدَقَّعٍ وَأَرْمَلَةٌ تَزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلًا
يعنى أنها تسوقه بين يديها، على ضعف منه عن المشى وعجز . ولذلك قبل (ببيضاء مَزْجَاةٍ) لأنها غير نافقة ، وإنما تجوز تجوزا على نفع ؛ من أخذها . وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك ، وإن كانت معاني بيانهم متقاربة .

ذكر أقوال أهل التأويل في ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثننا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ببيضاء مَزْجَاةٍ) قال : ردية زُيُوف ، لا تنفق حتى يوضع منها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِيضَاءَةٍ مَزْجَاةٍ) قال : الردية التي لا تنفق حتى يوضع منها . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَجِئْنَا بِبِيضَاءَةٍ مَزْجَاةٍ) قال : خَلَقَ الغِرَارَةَ والحبل والشئ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (وَجِئْنَا بِبِيضَاءَةٍ مَزْجَاةٍ) قال : رثة المتاع : الحبل والغرارة والشئ .

(١) البيت في شعر النابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ١٧٠) وهو البيت التاسع في القصيدة . وذو أُرْلٍ : جبل بأرض غطفان في مهب الشمال ، وتلقاؤه : قبالة . وتزجي : تسوق . والصراد : سحاب بارد لا ماء فيه . والصرم : جمع صرمة ، وهي قطع السحاب وأصلها : القطعة من الإبل . يقول : إذا هبت الريح من عند ذي أُرْلٍ كانت شمالا ، وهي أشد الرياح بردا ، وأقلها خيرا . والبيت شاهد على أن الإزجاء السوق بالدفع .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ، ميمون ، وهو الأعشى الأكبر ، وهو في ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ٢٩) وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، ومطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها » . والميجان : جمع هجين ، وهو الأبيض الكريم ، يقال إبل هجان . والعوذ : الحديثات النتاج ، وزجي الشئ : دفعه برفق . يقول : إن الممدوح هيب المنة من الإبل وعيها ، تنبها أطفالها ، تسمى خلفها .

(٣) البيت في (اللسان : رمل) أنشده ابن بري شاهدا على أن الأرملة المرأة التي لا زوج لها . واستشهد به المؤلف على أن معنى الإزجاء السوق والدفع .

(٤) لعله على دفع .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : البضاعة : الدراهم ، والمزجاة : غير طائل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي زياد ، عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : كاسدة غير طائل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : سعيد ناقصة . وقال عكرمة : دراهم فسؤل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين عن سعيد بن جبيرة وعكرمة (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال أحدهما : ناقصة . وقال الآخر : ردية .

وبه قال : ثنا أبي عن سفیان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كان سمنا وصوفا . حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن يزيد بن أبي زياد قال : سألت رجل عبد الله بن الحارث وأنا عنده ، عن قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : قليلة ، متاع الأعراب : الصوف والسمن .

حدثنا إسحاق بن زياد القطان أبو يعقوب البصري ، قال : ثنا محمد بن إسحاق البلخي ، قال : ثنا مروان ابن معاوية الفزاري ، عن مروان بن عمرو العذري ، عن أبي إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : الصنوبر والحبة الخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : قليلة ، ألا تسمع قوله : فأوقر ركابنا ، وهم يقرءون كذلك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : ما أراها إلا القليلة ، لأنها في مصحف عبد الله : وأوقر ركابنا ، يعني قوله : مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن القعقاع بن يزيد ، عن إبراهيم ، قال : قليلة ، ألم تسمع إلى قوله : وأوقر ركابنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد ، عن أبي بكر الهذلي ، عن سعيد بن جبيرة والحسن (بِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال سعيد : الردية . وقال الحسن : القليلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : متاع الأعراب ، سمن وصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، قال : دراهم ليست بطائل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :
(مُزْجَاةٌ) قال : قليلة :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مُزْجَاةٌ) ،
قال : قليلة .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :
قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفیان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث (وَجِثْنَا
بِبَيْضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : شئ من صوف ، وشئ من سمن .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : قليلة :
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن حدثه ، عن مجاهد (مُزْجَاةٌ)
قال : قليلة :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، قال : ناقصة :
وقال سعيد بن جبیر : فُسُول .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبیر (وَجِثْنَا بِبَيْضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ)
قال : ردية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كاسدة لا تنفق .
حدثني المنثى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال كاسدة :
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : كاسدة غير طائل :
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول
في قوله (بِبَيْضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) يقول : كاسدة غير نافقة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن
جبیر (وَجِثْنَا بِبَيْضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : الناقصة ، وقال عكرمة : فيها تجوز :
قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الدراهم الردية التي لا تجوز
إلا بنقصان .

قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الدراهم الرذال ، التي لا تجوز إلا بنقصان :
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : دراهم فيها جواز .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجِثْنَا بِبَيْضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) :
أى يسيرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) قال : المزجاة : القليلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) : أى قليلة لا تبلغ ما كنا نشترى به منك ، إلا أن تتجاوز لنا فيها .

وقوله (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ) بها ، وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد ، والدرهم الجائزة ، الوافية التي لا ترد .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ) : أى أعطنا ما كنت تعطينا قبل ، فإن بضاعتنا مزجاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ) قال : كما كنت تعطينا بالدرهم الجياد .

وقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : قالوا : ونفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديّة ، فلا تنقصنا من سعر طعامك لردى بضاعتنا (إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) يقول : إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) قال : تفضل بما بين الجياد والرديّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لا تنقصنا من السعر من أجل ردى دراهمنا .

واختلفوا في الصدقة ، هل كانت حلالا للأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كانت حراما ؟ فقال بعضهم : لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير ، قال : ما سألت نبي قط الصدقة ، ولكنهم قالوا (جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) : لا تنقصنا من السعر .

وروى عن ابن عيينة ما حدثني به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : يحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل : هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم تسمع قوله : (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) .

قال الحارث ، قال القاسم : يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلال ، وهم أنبياء ، فإن الصدقة إنما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم ، لا عليهم .
وقال آخرون : إنما عني بقوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) وتصدق علينا برد أخينا إلينا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) قال : ردّ إلينا أخانا ، وهذا القول الذي ذكرناه ، عن ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فليس بالقول المختار في تأويل قوله (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لأن الصدقة في المتعارف : إنما هي إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه ، وإن كان كل معروف صدقة ، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن معاوية . عن عثمان بن الأسود ، قال : سمعت مجاهدا ، وسئل : هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق عليّ ؟ فقال : نعم ، إنما الصدقة لمن يبغى الثواب .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ؟ (٨٩)

﴿ ذُكِرَ أَنَّ يَوْسُفَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، لَمَّا قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ ، وَبَاحَ لَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ مِنْ شَأْنِهِ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لِي أَنَّهُمْ لَمَّا كَلَّمُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ غَلِبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَارْفَضَ دَمْعَهُ بِأَكْبِيَا ، ثُمَّ بَاحَ لَهُمْ بِالَّذِي يَكْتُمُونَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ (هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) ، وَلَمْ يَعْزِمْ بِذِكْرِ أَخِيهِ ، مَا صَنَعَهُ هُوَ فِيهِ حِينَ أَخَذَهُ ، وَلَكِنْ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، إِذْ صَنَعُوا بِيُوسُفَ مَا صَنَعُوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضَّرَّ) . . . الآية ، قال : فرحهم عند ذلك ، فقال لهم : (هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) ؟

فتأويل الكلام : هل تدكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه ، إذ فرقتم بينهما ، وصنعت ما صنعت ، إذ أنتم جاهلون ، يعني في حال جهلكم بعاقبة ما فعلت بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا أَوَآءَنكَ لِأَنْتَ يُوسُفُ ، قَالَ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ، إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف : (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) . فقال : نعم (أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بأن جمع بيننا بعد ما فرقم بيننا (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . ويصبر : يقول : ويكف نفسه ، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل ، عند مصيبة نزلت به من الله (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه ، وجزاء طاعته إياه ، فيما أمره ونهاه .

وقد اختلف القراء في قراءة قوله (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (أَيْنِكَ) على الاستفهام . وذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب (أَوَ أَنْتَ يُوسُفُ) . ورؤى عن ابن محيصن أنه قرأ (إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) على الخبر ، لأعلى الاستفهام .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأه بالاستفهام ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قال لهم ذلك ، يعني قوله (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) ؟ كَشَفَ الْغَطَاءَ فَعَرَفُوهُ ، فَقَالُوا (أَيْنِكَ لِأَنْتَ يُوسُفُ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى من سمع عبد الله بن إدريس يذكر ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) يقول : من يتق معصية الله ويصبر على السجن .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَأَلَّه لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ (٩١)

يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف له : تأله لقد فضلك الله علينا ، وآثرك بالعلم والحلم والفضل ، (وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ) يقول : وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك ، في تفرقنا بينك وبين أبيك وأخيك ، وغير ذلك من صنيعنا الذي صنعنا بك ، إلا خاطئين ، يعنون مُحْطِئِينَ ، يقال منه : حَطِئَ فلان يَحْطِئُ حِطَاءً وَخِطَاءً ، وَأَخْطَأَ يَخْطِئُ إِخْطَاءً ؛ ومن ذلك قول أمية بن الأسكر :

وَإِنَّ مُهَاجِرِينَ تَكَنَّاهُ لَعَمْرُ اللَّهِ قَدْ حَطِئْنَا وَحَابَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت لأمية بن الأسكر الليثي . ويقال فيه : الأشكر : بالشين ، وهو شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم والبيت من شعر له في ابنه كلاب الذي لقي طلحة بن عبيد الله والزيير بن العوام ، فسألها : أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا : الجهاد ، فسأل عمر ، فأغزاه في جيش ، وكان أبوه كبير وضعف ، فطالت غيبته عنه ، فقال : « وإن مهاجرين » . . . الخ . والبيت =

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال لهم يوسف (أنا يوسف) وهَذَا أَخِي) اعتذروا إليه ، وقالوا (تالله لقد آثرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) فيما كنا صنعنا بك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تالله لقد آثرَكَ اللهُ عَلَيْنَا) وذلك بعد ما عرفهم أنفسهم ، يقول : جعلك الله رجلا حليما .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته (لا تَثْرِيبَ) يقول : لا تغيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحُرمة ، وحقّ الأخوة ، ولكن لكم عندي الصفح والعفو . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ) لم يثرب عليهم أعمالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، قوله (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) قال : قال سفيان : لا تعبير عليكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قال لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) : أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : اعتذروا إلى يوسف ، فقال (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) يقول : لا أذكر لكم ذنبكم .

وقوله (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ) وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وهذا دعاء من يوسف لإخوته ، بأن يغفر الله لهم ذنبهم ، فيما أتوا إليه ، وركبوا منه من الظلم ؛ يقول : عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم (وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يقول : والله أرحم الراحمين ممن تاب من ذنبه ، وأنا ب إلى طاعته ، بالتوبة من معصيته . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ) وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) حين اعترفوا بذنبهم .

— استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن عند قوله تعالى (إنه كان حوبا كبيرا) أي إنما ، لأن الرواية في البيت « وحبا » بالخاء لا بالحاء . واستشهد به مرة ثانية عند قوله تعالى : « وإن كنا لخاطئين » قال : مجازه : وإن كنا خاطئين . وتراد اللام المفتوحة للتوكيد والتثنية . وخطت وأخطأت : واحد . قال امرؤ القيس : « يالفت هند إذ خطن كاهلا » أي أخطأن . وقال أمية بن الأسكر : « وإن مهاجرين . . . الخ » .

القول في تأويل قوله تعالى

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

❦ قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرف نفسه لإخوته ، سألمهم عن أبيهم ، فقالوا ذهب بصره من الحزن ، فعند ذلك أعطاهم قميصه ، وقال لهم (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال لهم يوسف : ما فعل أبي بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن قال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ، فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) .

وقوله (يَأْتِ بَصِيرًا) يقول : يَبعُدُ بصيرا . (وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : وجيئوني بجمع أهلكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفَنِّدُونِ (٩٤)

❦ يقول تعالى ذكره : ولما فصلت عير بني يعقوب من عند يوسف ، متوجهة إلى يعقوب ، قال أبوهم يعقوب : (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) ذكر أن الريح استأذنت ربهما في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير ، فأذن لها ، فأنته بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو شريح ، عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح أن تأتي يعقوب بريح يوسف ، حين بعث بالقميص إلى أبيه ، قبل أن يأتيه البشير ، فقال يعقوب (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفَنِّدُونِ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال : (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنُ تُفَنِّدُونِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال :

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح يوسف ، وهو منه على مسيرة ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد ، قالوا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ،

قال : كنت إلى جنب ابن عباس ، فسئل : من كم وجد يعقوب ريح القميص ؟ قال : من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن أبي الهذيل ، قال : قال لي أصحابي : إنك تأتي ابن عباس ، فسله لنا ، قال : فقلت : ما أسأله عن شيء ، ولكن أجلس خلف السرير ، فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتي ، فسمعتة يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال ابن أبي الهذيل : فقلت : ذلك كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : فقلت في نفسي : هذا كمكان البصرة من الكوفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ، قال : قلت له : ذلك كما بين البصرة إلى الكوفة ، واللفظ لحديث أبي كريب . حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا عاصم وعلي ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرني أبو سنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في هذه الآية (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة إلى الكوفة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو سنان ، قال : سمعت عبد الله بن أبي الهذيل يحدث عن ابن عباس : مثله .

قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : كنا عند ابن عباس فقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) قال : لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ، فقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَسِّنَدُونِ) قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا ، يوسف بأرض مصر ، ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا ، وقال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس ، في قوله (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ) قال : وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام .
قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَلَأْنَا فَصَلَّتِ الْعَيْرُ) قال : فلما خرجت العير هبت ريح ، فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب ، فقال (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ) قال : ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق قال : لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف ، فقال لمن عنده من ولده : (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) .
وأما قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) فإنه يعني : لولا أن تُعَنِّفُونِي - وتُعَجِّزُونِي - وتكذَّبُونِي ؛ ومنه قول الشاعر :

يا صاحبي دَعَا لَوْمِي وَتَفْسِيدِي فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِي بِمَرْدُودٍ^١

ويقال : أفند فلانا الدهر ، وذلك إذا أفسده ؛ ومنه قول ابن مقبل :

دَعَى الدَّهْرَ يَفْعَلُ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كَلَّفَ الْإِفْتَادَ بِالنَّاسِ أَفْسَدًا^٢

وختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : معناه : لولا أن تسفهوني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) قال : تسفهون .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

وبه قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) قال : تسفهون .
حدثني المثنى وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) يقول : تجهلون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قالا : جميعا ، ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) قال : لولا أن تسفهون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وسالم ، عن سعيد (لَوْلَا أَنْ تُفَسِّدُونِ) قال : أحدهما تسفهون ، وقال الآخر : تكذَّبون .

(١) البيت لهاتف بن شكيم العدوي ، استشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣١٨) على أن معنى تفندون : تسفهوني وتعجزوني وتلوموني . والبيت في القرطبي (٩ : ٢٦٠) وفي رواية أبي عبيدة : « ما فات من أمر » .

(٢) الفند ، بالتحريك : الحرف وإنكار العقل من الهرم والمرض . وأفند ، الكبر : إذا أوقعه في الفند .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : لولا أن تكذبون ، لولا أن تسفهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : تسفهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) يقول : لولا أن تسفهون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله ابن أبي الهذيل ، قال : سمعت ابن عباس يقول (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) يقول : تسفهون .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : ذهب عقله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : قد ذهب عقله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : قد ذهب عقله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : لولا أن تقولوا : ذهب عقلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) يقول : لولا أن تضعفوني .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : الذي ليس له عقل ذلك المفند ، يقولون لا يعقل وقال آخرون : معناه : لولا أن تكذبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن شريك ، عن سالم (لَوْلَا أَنْ تُفْسَدُوا) قال : تكذبون .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لولا أن تهرمون وتكذبون .

قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد ، قال : تكذبون .

قال : ثنا عبدة وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : لولا أن تكذبون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) تكذبون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تسفهون أو تكذبون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) يقول : تكذبون .
وقال آخرون : معناه : تهرمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : لولا أن تهرمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : تهرمون .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو الأشهب ، عن الحسن (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) قال : تهرمون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب وغيره ، عن الحسن ، مثله .

وقد بينا أن أصل التفنيد : الإفساد ، وإذا كان ذلك كذلك فالضمف والمهرم والكذب ، وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التفنيد ، لأن أصل ذلك كله الفساد ، والفساد في الجسم : المهرم وذهاب العقل والضعف ، وفي الفعل الكذب ، واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :

يا عاذلٍ دَعَا المَلَامَ وأَقْصِرَا طَالَ الهَوَى وَأَطْلَسْنَا التَّفْنِيدَا

يعني الملامة ، فقد تبين إذ كان الأمر على ما وصفنا أن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعاني ، محتمل جميعها ظاهر التنزيل ، إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معنى به بعض ذلك دون بعض .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : تَأَلَّهَ إِنَّكَ لِنِي ضَلَّكَ الْقَدِيمِ (٩٥)

يقول تعالى ذكره : قال الذين قال لهم يعقوب من ولده (إني لأجد ريح يوسف لولا أن

(١) البيت لجرير بن عطية بن الحظي . ومعنى أقصرا : قالا الملام ، وكفا عن لومكما . والتفنيد : اللوم بالباطل .

تُفَسِّدُونَ) تالله أيها الرجل ، إنك من حبّ يوسف وذكره ، لى خطئك وزلك القديم لانتسائه ، ولا تنسلى عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) يقول : خطئك القديم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) أى من حبّ يوسف لا تنسائه ولا تسلاه ، قالوا لو الدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها لو الدهم ولا لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى (قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) قال : فى شأن يوسف .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان (تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) قال : من حبك ليوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن سفيان ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) قال : فى حبك القديم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قَالُوا تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) أى إنك لمن ذكر يوسف فى الباطل الذى أنت عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تالله إِنَّكَ لَسِنِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) قال : يعنون : حزنه القديم على يوسف ، وفى ضلالك القديم : لى خطئك القديم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ، قَالَ : لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف ، وهو المبشر برسالة يوسف ، وذلك يريد فيما ذكر كان يوسف يردّه إليه ، وكان البريد فيما ذكر والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ) يقول : البشير : البريد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهوذا ابن يعقوب .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو يهوذا ابن يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : يهوذا بن يعقوب كان البشير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : هو يهوذا بن يعقوب .

قال سفيان : وكان ابن مسعود يقرأ : وجاء البشير من بين يدي العير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد هو يهوذا بن يعقوب .

قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال يوسف (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ، وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب ، فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حي ، فأفرحه كما أحزنته ، فهو كان البشير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قال : البريد .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : «أن» في قوله (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) وسقوطها بمعنى واحد ، وكان يقول هذا في لما وحتى خاصة ، ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا ، وتسقطها أحيانا ، كما قال جل ثناؤه (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا) ، وقال في موضع آخر (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا)

وقال : هي صلة لاموضع لها في هذين الموضعين ، يقال : حتى كان كذا وكذا ، وحتى أن كان كذا وكذا .

وقوله (أَلْتَقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ) يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) ألقى القميص على وجهه .
وقوله (فَارْتَدَّ بِصَيْرٍ) يقول : رجع وعاد مبصراً بعينه بعد ما قد عمى (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ) لاني أعلم من الله ما لا تعلمون) يقول عز وجل : قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده : ألم أقل لكم يا بني لاني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف ، ويجمع بيني وبينه ، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه ، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة ، وكان الله قد قضى أن آخر أنا وأنتم له سجدوا فكنت موقناً بقضائه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ

رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف : يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا ، ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك ، وفي يوسف ، فلا يعاقبنا بها في القيامة (إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) فيما فعلنا به ، فقد اعترفنا بذنوبنا ، قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) يقول جل ثناؤه : قال يعقوب : سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها في وفي يوسف .

ثم اختلف أهل التأويل في الوقت الذي أحر الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنوبهم ، فقال بعضهم : آخر ذلك إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الرحمن بن إسحاق ، يذكر ، عن محارب ابن دثار ، قال : كان عم لي يأتي المسجد ، فسمع إنساناً يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت وهذا سحر ، فاعفر لي ، قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أحر بنيه إلى السحر بقوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله ابن مسعود (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أحرهم إلى السحر .

قال : ثنا أبو سفيان الحميري ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي في قول يعقوب لبنيه (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أحرهم إلى السحر .

قال : ثنا عمرو ، عن خلاد الصَّفَّار ، عن عمرو بن قيس (سَوَّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال :
في صلاة الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (سَوَّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى السَّحَرِ .
وقال آخرون : أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي ، قال : ثنا الوليد ، قال : أخبرنا ابن
جريج ، عن عطاء وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سَوَّفَ اسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي) يقول : حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَخِي يَعْقُوبَ لَبْنِهِ .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ،
قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « قَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ : سَوَّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ، يَقُولُ حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةَ
الْجُمُعَةِ » .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يقول : إن رَّبِّي هُوَ السَّاتِرُ عَلَى ذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ،
الرَّحِيمُ بِهِمْ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ ، وَقَالَ : ادْخُلُوا مِنصِرَ إِن شَاءَ اللَّهُ
مِّنْ مِّنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ : يَا بَنَاتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ
الْبَدْوِ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ (١٠٠)

يقول جل ثناؤه : فلما دخل يعقوب وولده وأهلهم على يوسف (آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ) يقول :
ضم إليه أبويه ، فقال لهم (ادْخُلُوا مِنصِرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) .

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : (ادْخُلُوا مِنصِرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) بعد ما دخلوها ، وقد
أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف ، وضم إليه أبويه ، قال لهم هذا القول ؟ قيل : قد
اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف

أبويه إليه قبل دخول مصر ، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه ، تكرمته له ، قبل أن يدخل مصر ، فأواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) بها ، قبل الدخول .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، فحملوا إليه أهلهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر ، كلم يوسف المليك الذي فوقه ، فخرج هو والمليك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر (قال : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخي ، قال : لما أتى القميص على وجهه ارتد بصيرا ، وقال : ائتوني بأهلكم أجمعين ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف ؛ فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه ؛ قال : وركب معه أهل مصر ، وكانوا يعظمونه ؛ فلما دنا أحدهما من صاحبه ، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا ، قال : فنظر يعقوب إلى الخليل والناس ، فقال : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ؟ قال : لا ، هذا ابنك ؛ قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ، فذهب يوسف يبذوه بالسلام ، ففزع من ذلك ، وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل ، فقال : السلام عليك يا ذاهب الأحران عني ؛ هكذا قال : « يا ذاهب الأحران عني » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : قال حجاج : بلغني أن يوسف والمليك خرجا في أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه .

قال : وحدثني من سمع جعفر بن سليمان يحكي ، عن فرقد السبخي ، قال : خرج يوسف يتلقى يعقوب ، وركب أهل مصر مع يوسف ، ثم ذكر بقية الحديث ، نحو حديث الحارث ، عن عبد العزيز .
وقال آخرون : بل قوله (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) استثناء من قول يعقوب لبنيه (أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إنه هو الغفور الرحيم (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ) ورفع أبويه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، يعني ابن جريج ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن ، أنه قد دخل بين قوله (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) ، وبين قوله (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله : (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) .

والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله السدي ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم ، قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج ، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه ، أو تأخيره عن مكانه ، إلا بحجة واضحة .

وقيل : عُسِّي بقوله (آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ) : أبوه وخالته ، وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أم يوسف قد ماتت قبل . وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه ، كان نكحها بعد أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ) قال : أبوه وخالته .
وقال آخرون : بل كان أباه وأمّه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ) قال : أباه وأمّه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : ما قاله ابن إسحاق ، لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس ، والمتعارف بينهم في أبوين ، إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك . بحجة يجب التسليم لها ، فيسلم حينئذ لها .

وقوله : (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) مما كنتم فيه في باديتكم من الجذب والقحط .

وقوله : (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) يعني : على السرير .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : العرش : السرير .

قال : ثنا شبابه ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) قال : السرير .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى قال : أخبرنا أبو حذيفة قال : ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)

قال : سريره .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (على العرش) قال :
على السرير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) يقول : رفع أبويه على السرير .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : قال سفيان (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) قال :
على السرير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)
قال : مجلسه .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت زيد بن أسلم ، عن قول
الله تعالى (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) فقلت : أبلغك أنها خالته ؟ قال : قال ذلك بعض أهل العلم ،
يقولون : إن أمه ماتت قبل ذلك ، وإن هذه خالته .

وقوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : وخرّ يعقوب وولده وأمه ليوسف سجدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
(وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) يقول : رفع أبويه على السرير ، وسجدا له ، وسجدا له إخوته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : تَحَمَّلَ ، يعني يعقوب بأهله حتى قدموا على
يوسف ؛ فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه ، دخلوا على يوسف ؛ فلما رأوه وقعوا له سجودا ، وكانت تلك تحية
الملوك في ذلك الزمان ، أبوه وأمه وإخوته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) وكانت تحية من
قبلكم ، كان بها يحيى بعضهم بعضا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، تحية أهل الجنة ، كرامة من الله تبارك
وتعالى عَجَّلَهَا لَهُمْ ، ونعمة منه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)
قال : وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : قال سفيان (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : كانت
تحية فيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) أبواه
وإخوته ، كانت تلك تحيتهم ، كما تصنع ناس اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المخاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال :
تحية بينهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قال : قال ذلك السجود تشرفه ، كما سجدت الملائكة لآدم تشرفه ، ليس بسجود عبادة . وإنما عني من ذكر بقوله : إن السجود كان تحية بينهم ، أن ذلك كان منهم على الخلق ، لأعلى وجه العبادة من بعضهم لبعض ؛ وما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض ، قول أعشى بنى ثعلبة :

فَلَمَّا أَنَا بُعَيْدَ الْكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا الْعِمَارَا

وقوله (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلْنَا رَّبِّي حَقًّا) يقول جل ثناؤه : قال يوسف لأبيه : يا أبت ، هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي (تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) يقول : ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيها ، وهي رؤياها التي كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا ، أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون (قَدْ جَعَلْنَا رَّبِّي حَقًّا) يقول : قد حققها ربي لحجبي تأويلها على الصحة .

وقد اختلف أهل العلم في قدر المدة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها ، فقال بعضهم : كانت مدة ذلك أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

حدثني يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا ابن علقمة ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : قال عثمان : كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله ، قال : فذكر أربعين سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شداد ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

قال : ثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون

(١) البيت للأعشى الأكبر ميمون ، وهو أعشى بنى ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥١) وهو من قصيدته التي مطلعها : « أزمعت من آل ليل ابتكارا » يمدح قيس بن معد يكرب ، وكان قد صحبه في بعض غاراته . يمكن اسمه لعلع ، وتعرض للأسر ، حتى أنقذ بدخول المدوح عليهم آخر الليل مظفرا ، فسجدوا له شكرا وتعظيما ، رافعين أيديهم بالعمار ، وهو الریحان ، وذلك من تحية الملوك . على جهة التكريم لا العبادة .

في رؤيا رآها بعضهم وهو يصلي ، فلما انصرف سألمهم عنها ، فكنتموه ، فقال : أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن ضرار بن مرة أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وجرير ، عن أبي سنان ، قال : سمع عبد الله بن شدّاد قوما يتنازعون في رؤيا ، فذكر نحو حديث أبي السائب ، عن ابن فضيل .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة ، وإليها تنتهي أيضا الرؤيا .

قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة .

قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كان بين رؤيا يوسف ، وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمانين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديّه ، وما على وجه الأرض يومئذ عبد أحب إلى الله من يعقوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي جعفر ، حسن بن فَرْقَد ، قال : كان بين أن فقد يعقوب يوسف إلى يوم رُدّ عليه ، ثمانون سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن علي ، عن فضيل بن عياض ، قال : سمعت أنه كان بين فراق يوسف حجج يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهرا ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن

الحسن ، قال : ألقى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه ، غير أنه قال : ثلاث وثمانون سنة .

قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : ألقى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان في العبودية وفي السجن وفي الملك ثمانين سنة ، ثم جمع الله عز وجل شمله ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

حدثني الخارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : ألقى يوسف في الحب ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحسن ، قال : غاب يوسف ، عن أبيه في الحب وفي السجن حتى التقيا ثمانين عاما ، فما جفت عينا يعقوب ، وما على الأرض أحد أكرم على الله من يعقوب .

وقال آخرون : كانت مدة ذلك : ثمان عشرة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة ، قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر ، سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

وقوله (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف : وقد أحسن الله بي في إخراجه إياي من السجن الذي كنت فيه محبوسا ، وفي مجيئه بكم من البدو ، وذلك أن مسكن يعقوب وولده فيما ذكر ، كان ببادية فلسطين كذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان منزل يعقوب وولده فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالعربيات ، من أرض فلسطين ثغور الشام ، وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب ، وكان صاحب بادية ، له إبل وشاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان ، أهل مواش وبرية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ)

وقال : كانوا أهل بادية وماشية ، والبدو مصدر من قول القائل : بدا فلان : إذا صار بالبادية يبدو بدوا .
وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها ، وهم أقل من مئة ،
وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ست مئة ألف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب وعمرو بن محمد ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن
كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد ، قال : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون
إنسانا ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأثناهم ، وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ست مئة
ألف و تَيْف .

قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : خرج أهل
يوسف من مصر وهم ست مئة ألف وسبعون ألفا ، فقال فرعون : إن هؤلاء لشردمة قليلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل والمسعودي ، عن أبي إسحاق ،
عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها
وهم ست مئة ألف ، قال إسرائيل في حديثه : ست مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، قال : دخل أهل
يوسف مصر وهم ثلاث مئة وتسعون من بين رجل وامرأة .

وقوله (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْتِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) يعني : من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم ،
وجهل بعضنا على بعض ، يقال منه : نزع الشيطان بين فلان وفلان ، ينزع نزعًا ونزوغًا .

وقوله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ) يقول : إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء ، ومن لطفه وصنعه
أنه أخرجني من السجن ، وجاء بأهلي من البدو ، بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار ، وبعد ما كنت
فيه من العبودة والرق والإسار .

كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا
يَشَاءُ) لَطَفَ بيوسف وصنع له ، حتى أخرجته من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونزع من قلبه نزع
الشيطان وتحريشه على إخوته .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بمصالح خلقه ، وغير ذلك لا يخفى عليه مبادئ الأمور وعواقبها (الْحَكِيمُ)
في تدبيره .

القول في تأويل قوله تعالى

* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،

أَنْتَ وَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ، ومكنه في الأرض ، منشوقا إلى لقاء آبائه الصالحين (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ) يعني : من ملك مصر (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) يعني من عبارة الرؤيا ، تعديدا لنعم الله ، وشكرا له عليها (فاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : يا فاطر السموات والأرض ، ياخالقها وبارئها . (أَنْتَ وَلِيِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) : يقول : أنت ولي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك ، وتغدوني فيها بنعمتك ، وتلييني في الآخرة بفضلك ورحمتك (تَوَفَّيْنِي مُسْلِمًا) يقول : اقبضني إليك مسلما ، (وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ) يقول : وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك . وقيل : إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن عباس : يقول : أول نبي سأل الله الموت يوسف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (رب قد آتيتني من الملك) . . . الآية ، قال : اشتاق إلى لقاء ربه ، وأحب أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفاه ، ويلحقه بهم ، ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) . . . الآية ، قال ابن جريج : في بعض القرآن من الأنبياء من قال : توفني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَوَفَّيْنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ) لما جمع شمله ، وأقر عينه ، وهو يومئذ مغموس في نعيم الدنيا وملكها وغضارتها ، فاشتاق إلى الصالحين قبله . وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عمير ، عن قتادة ، قال : لما جمع ليوسف شمله ، وتكاملت عليه النعم ، سأل لقاء ربه فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) فاطر السموات والأرض ، أنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما ، وألحقني بالصالحين) قال قتادة : ولم يتمن أحد قط ، نبي ولا غيره ، إلا يوسف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثني غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته ، وهو يومئذ ملك مصر ، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ، قال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي ،

مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّقْنِي مُسْلِمًا ، وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) قال : العبارة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (تَوَفَّقْنِي مُسْلِمًا ، وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ) يقول : توفني على طاعتك ، واغفر لي إذا توفيتني .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ، وردّه على والده ، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة (يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) . . . إلى قوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ثم ارعوى يوسف ، وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب ، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّقْنِي مُسْلِمًا ، وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ) وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا ، استغفر لهم أبوهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ، وغفر لهم ذنبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن صالح المرثي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : إن الله تبارك وتعالى بما جمع ليعقوب شمله ، وأقر عينه ، خلا ولده نجيا ، فقال بعضهم لبعض : ألسنم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقي منكم الشيخ ، وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلى ، قال : فيغركم عفوهما عنكم ، فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ ، فجلسوا بين يديه ، ويوسف إلى جنب أبيه قاعد ، قالوا : يا أبانا أتيناك في أمر لم نأتك في أمر مثله قط ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله ، حتى حركوه ، والأنبياء أرحم البرية ، فقال : مالكم يا بني ؟ قالوا : ألسنم قد علمت ما كان منا إليك ، وما كان منا إلى أخينا يوسف ؟ قال : بلى ، قالوا : أفلستما قد عفوتما ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فإن عفوكما لا يغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا ، قال : فما تريدون يا بني ، قالوا : نريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا ، قررت أعيننا ، واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرّة عين في الدنيا لنا أبدا . قال : فقام الشيخ ، واستقبل القبلة ، وقام يوسف خلف أبيه ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين ، قال : فدعا وأمن يوسف ، فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المرثي : يخيفهم . قال : حتى إذا كان رأس العشرين ، نزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك ، أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، وأنه قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد موافقتهم من بعدك على النبوة .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، قال : والله لو كان قتل يوسف مضي ، لأدخلهم الله النار كلهم ، ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ، ليبلغ فيه أمره ورحمة لهم ، ثم يقول والله ما قص الله نبأهم يعيرهم بذلك ، إنهم لأنبياء من أهل الجنة ، ولكن الله قص علينا نبأهم ، لئلا يقننط عبده .
وذكر أن يعقوب توفي قبل يوسف ، وأوصى إلى يوسف ، وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما حضر الموت يعقوب ، أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحاق ، فلما مات نفخ فيه المر ، وحمله إلى الشام ، قال : فلما بلغوا إلى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب ، فقال : غلبني على الدعوة ، فوالله لا يغلبني على القبر ، فأني أن يتركهم أن يدفنوه ، فلما احتبسوا قال هشام بن دار بن يعقوب وكان هشام أصم لبعض أخوته : ما لجدتي لا يدفن ؟ قالوا : هذا عمك يمنع ، قال : أرونيه أين هو ؟ فلما رآه رفع هشام يده ، فوجأ بها رأس العيص وجأة ، سقطت عيناه على فخذه يعقوب ، فدفنا في قبر واحد .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة (من أنباء الغيب) يقول : من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ، ولم تعينه ، ولكننا (نوحيه إليك) ونعرفك ، لنثبت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين ، فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ، ومكّنوا في البلاد ، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فيهم يا محمد فتأس ، وآثارهم فقص (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يَمْكُرُونَ) يقول : وما كنت حاضرا عند إخوة يوسف ، إذ أجمعوا ، واتفقت آراؤهم ، وصحت عزائمهم ، على أن يلقنوا يوسف في غيابة الحب ، وذلك كان مكرهم الذي قال الله عز وجل وهم يَمْكُرُونَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما كنت لديهم) ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الحب وهم يَمْكُرُونَ : أي بيوسف . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن

ابن عباس (وَمَا كُنْتُمْ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) . . . الآية ، قال : هم بنو يعقوب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

❦ يقول جل ثناؤه : وما أكثر مشركي قومك يا محمد ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك ، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك ، بمصدقيك ولا متبعيك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤)

❦ يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وما تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوتك ، ويمتنعون من تصديقك ، والإقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الأوثان ، وطاعة الرحمن ، من أجر ، يعنى : من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله . يقول : ما تسألهم على ذلك ثوابا ، فيقولوا لك : إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك ، لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك ، وإذ كنت لا تسألهم ذلك ، فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه ، اتباعا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ، وأن لا يستغشوك .

وقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : ما هذا الذى أرسلك به ربك يا محمد من النبوة والرسالة ، إلا ذكر ، يقول : إلا عظة وتذكير للعالمين ، ليتعضوا ويتذكروا به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)

❦ يقول جل وعزّ : وكم من آية في السموات والأرض لله ، وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالبحال والبحار والنبات والأشجار ، وغير ذلك من آيات الأرض . (يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) يقول : يعابثونها ، فيمرّون بها معرضين عنها ، لا يعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها ، وفيها دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الألوهة لا تتبغى إلا للواحد القهار ، الذى خلقها وخلق كل شىء ، فدبرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) وهى فى مصحف عبد الله : يمشون عليها ، السماء والأرض آيتان عظيمتان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله (وكأين من آية في السموات والأرض يَمْشُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) بالله ، أنه خالقه ورازقه ، وخالق كل شيء ، إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام ، واتخاذهم من دونه أربابا ، وزعمهم أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، قال : من إيمانهم إذا قيل لهم مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ، وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : تسألهم من خلقهم ، ومن خلق السموات والأرض ، فيقولون : الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، قالوا : يعلمون أنه ربهم ، وأنه خلقهم ، وهم مشركون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعكرمة بنحوه : قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر ، عن عكرمة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) : قال : من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ قالوا : الله ؛ وإذا سئلوا : من خلقهم ؟ قالوا : الله ، وهم يشركون به بعد .

قال : ثنا أبو نعيم ، عن الفضيل بن يزيد الثمالي ، عن عكرمة ، قال : هو قول الله (وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولدا ، وأشركوا به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ورازقنا ويميتنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) فإيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ورازقنا ويميتنا .

حدثني المنثي ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ

أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) إيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد وأبو معاوية ، عن حجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد ، قال يقولون : الله ربنا ، وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعامر ، أنهم قالوا في هذه الآية (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) في إيمانهم هذا ، إنك لست تلتقي أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذي خلقه ورزقه ، وهو مشرك في عبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) ... الآية ، قال : لاتسأل أحدا من المشركين من ربك إلا قال : ربي الله ، وهو يشرك في ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) يعني النصراني ، يقول : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، ليقولنَّ الله ، ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولنَّ الله ، ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولنَّ الله ، وهم مع ذلك يشركون به ، ويعبدون غيره ، يسجدون للأنداد دونه . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوبير ، عن الضحاك ، قال : كانوا يشركون به في تلبيتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) ... الآية ، قال : يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) قال : يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال سمعت ابن زيد يقول (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) ... الآية ، قال : ليس أحد يعبد مع الله ، غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله

خالقه ورازقه ، وهو يشرك به ، ألا ترى كيف قال إبراهيم (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ، فَانَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون ، قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تُلَسَّبِي ، تقول : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك . المشركون كانوا يقولون هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)

يقول جل ثناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لا يقرّون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ، (أن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) تغشاهم من عقوبة الله وعذابه ، على شركهم بالله ، أو تأتيتهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم ، فيخلدهم الله عز وجل في ناره ، وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) قال : تغشاهم .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) قال : تغشاهم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) : أي عقوبة من عذاب الله .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) قال : غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (هَذِهِ) الدعوة التي أدعو إليها ،

والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، دون الآلهة والأوثان، والانتهاز إلى طاعته، وترك معصيته (سبيلي) وطريقي ودعوتي (أدعوا إلى الله) وحده لا شريك له (على بصيرة) بذلك، ويقين علم مني به (أنا) يدعو إليه على بصيرة أيضا (من اتبعني) وصدقني، وآمن بي. (وسبحة الله) يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له، من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه (وما أنا من المشركين) يقول: وأنا برىء من أهل الشرك به، لست منهم، ولا هم مني.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفي، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، في قوله (قل هـ سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة) يقول: هذه دعوتي.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قل هـ سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة) قال: هذه سبيلي، هذا أمرى وسنتي ومنهاجى. (أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) قال: وحق الله وعلى من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، قوله (قل هـ سبيلي) : هذه دعوتي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع (قل هـ سبيلي) قال: هذه دعوتي.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ مِنْ اٰهْلِ الْقُرَىٰ ۗ اَفَلَمْ يَسِيْرُوْا
فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ اتَّقَوْا ۗ
اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ؟ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره (وما أرسلنا) يا محمد (من قبلك إلا رجالا) لانساء، ولا ملائكة (نوحى إليهم) آياتنا، بالدعاء إلى طاعتنا، وإفراد العبادة لنا (من أهل القرى) يعنى من أهل الأمصار، دون أهل البوادي.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى) لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود.

وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ، ويحسدون نبوتك ، ويُنكرون ما جئتهم به من توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له في الأرض . (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) إذ كذبوا رسلنا ، ألم نُحِلِّ بِهَم عَقُوبَتَنَا ، فهلكتهم بها ، ونج منها رسلنا وأتباعنا ، فبتفكروا في ذلك ويعتبروا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ) قال : إنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . قال : وقوله (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسُ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ - وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) ، وقوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) ، وقوله (أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ) ، وقوله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا) من أهلكتنا ؟ قال : فكل ذلك قال لقريش : أفلم يسروا في الأرض ، فينظروا في آثارهم ، فيعتبروا ويتفكروا .

وقوله (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) يقول تعالى ذكره : هذا فعلنا في الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ، إن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا ، أنجيناهم منها ، وما في الدار الآخرة لهم خير ، وترك ذكر ما ذكرنا اكتفاء بدلالة قوله (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) عليه ، وأضيفت الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة ، لاختلاف لفظهما ، كما قيل : (إِنَّ هَذَا لَطَوَّحُ حَقِّ الْيَقِينِ) وكما قيل : أتيتك عام الأول ، وبارحة الأولى ، وليلة الأولى ، ويوم الخميس ، وكما قال الشاعر :

أَتَمَدَّحُ فَتَمَعَسَا وَتَدَمَّ عَبَسَا أَلَا لِلَّهِ أُمُّكَ مِنْ هَجِينِ
وَلَوْ أَقْوَتْ عَلَيْكَ دِيَارُ عَبَسٍ عَرَفْتَ الدُّلَّ عِرْفَانَ الْيَقِينِ

يعني عرفانا به يقينا .

فتأويل الكلام : وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، واجتناب معاصيه .
وقوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ، ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر ؟ وغب ما يصير إليه حال أهله ، مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا ، مما حلَّ بما قبلهم من الأمم الكافرة ، المكذبة رسل ربها .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ، فَنجَّيْنَا مَن نَّشَاءُ ، وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)

(١) البيتان ما رواه الفراء عن بعضهم في معاني القرآن (ص ١٥٧ . مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) قال : أضيف الدار إلى الآخرة ، وهي الآخرة ؛ وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه ، كقوله : إن هذا لحو حق اليقين . والحق هو اليقين ، وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها ، لاختلاف لفظها ، وكذلك شهر ربيع ، والعرب تقول في كلامها : أنشدني بعضهم : أتمدح البيتين . قال : وإنما معناه عرفانا يقينا .

﴿ يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يُوحى إليهم من أهل القرى ، فَدَعَوْا من أرسلنا إليهم ، فكذبوهم ، وردوا ما أتوا به من عند الله ، حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم ، منهم أن يؤمنوا بالله ، ويصدقوهم فيما أتوهم به من عند الله ، وظن الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذبة ، أن الرسل الذين أرسلناهم ، قد كذبوهم ، فيما كانوا أخبروهم عن الله ، من وعده إياهم نصرهم عليهم ، جاءهم نصرنا . وذلك قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ، جاءهم النصر على ذلك ، فنجى من نشاء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه قال في حديثه ، قال : أيست الرسل ، ولم يقل : لما أيست .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر (حتى إذا استيأس الرسل) أن يسلم قومهم ، وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا ، جاءهم نصرنا . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا (جاءهم نصرنا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن حصين ، عن عمران السلمى ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) أيس الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث السلمى ، عن عبد الله بن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل) قال : استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : ظن قومهم أنهم جاءوهم بالكذب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل) من أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن قد كذبوهم ، (جاءهم نصرنا) .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبير ، قال : ثنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، في هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل) قال : استيأس الرسل من

قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم فيها وعدوا وكذبوا (جاءهم نصرنا) .
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن
ابن عباس ، قال : (حتى إذا استنيس الرسل) من نصر قومهم (وظننوا أنهم قد كذبوا)
ظن قومهم أنهم قد كذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن
عمران بن الحارث ، عن ابن عباس . في قوله (حتى إذا استنيس الرسل) قال : من قومهم أن يؤمنوا
بهم ، وأن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم (جاءهم نصرنا) يعني الرسل .
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ،
عن ابن عباس بمثله سواء .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هارون ، عن عباد القرشي ، عن
عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس (وظننوا أنهم قد كذبوا) خفيفة ، وتأويلها عنده : وظن
القوم أن الرسل قد كذبوا .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا طلحة بن غنم ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ،
قال (حتى إذا استنيس الرسل) من قومهم أن يصدقوهم ، وظن قومهم أن قد كذبهم رسلهم ،
(جاءهم نصرنا) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(حتى إذا استنيس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) يعني : أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم ،
وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، فينصر الله الرسل ، ويبعث العذاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (حتى إذا استنيس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا) حتى إذا استنيس
الرسل من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم ، وظن قومهم أن رسلهم كذبوهم (جاءهم نصرنا) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ،
عن ابن عباس (حتى إذا استنيس الرسل) من قومهم (وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : فما
أبطأ عليهم إلا من ظن أنهم قد كذبوا .

قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحارث
قال : سمعت ابن عباس يقول (وظننوا أنهم قد كذبوا) خفيفة . وقال ابن عباس : ظن القوم
أن الرسل قد كذبوهم ، خفيفة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (حتى إذا استنيس
الرسل) من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن خَصِيف ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن قوله (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) من قومهم ، وظن الكفار أنهم هم كذَّبوا .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جبير ، قوله (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) من قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومهم أن الرسل قد كذَّبَ بهم . حدثني المثني ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا شعيب ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي حمزة الجزري ، قال : سألت فتي من قريش سعيد بن جبير ، فقال له : يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف ؟ فإني إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) وظننوا أنهم قد كذَّبوا) قال : نعم ، حتى إذا استنيس الرسل من قومهم أن يصدِّقوهم ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذَّبوا ، قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كالיום قطُّ رجلاً يدعى إلى علم ، فيتلكأ ، لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلاً .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثنا أبي ، أن مسلم بن يسار ، سألت سعيد بن جبير ، فقال : يا أبا عبد الله ، آية بلغت مني كل مبلغ (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) وظننوا أنهم قد كذَّبوا) فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذَّبوا ، أو تظن أنهم قد كذَّبوا ، مخففة ؛ قال : فقال سعيد بن جبير : يا أبا عبد الرحمن ، حتى إذا استنيس الرسل من قومهم أن يستجيبيو لهم ، وظن قومهم أن الرسل كذَّبَ بهم (جاءهم نصرنا ، فنسجى من نساء ، ولا يردُّ بأسنا عن القوم المجرمين) قال : فقام مسلم إلى سعيد ، فاعتقه ، وقال : فرج الله عنك كما فرجت عنى .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا أبو المعلى العطار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) وظننوا أنهم قد كذَّبوا) قال : استنيس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذَّبَ بهم ما كانوا يخبرونهم ويبلغونهم . قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) أن يصدِّقهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذَّبوا ، جاء الرسل نصرنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ؛ حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذَّبت .

قال : ثنا حماد ، عن كلثوم بن جبر ، قال : قال لي سعيد بن جبير : سألتني سيد من ساداتكم عن هذه الآية ، فقلت : استنيس الرسل من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذَّبت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حتى إذا استنيس الرُّسُلُ) وظننوا أنهم قد كذَّبوا) قال : استنيس الرسل أن يؤمن قومهم بهم ، وظن قومهم المشركون

أن الرسل قد كذبوا ما وعدهم الله من نصره إياهم عليهم وأخلفوا ، وقرأ (جاءهم نصرنا) قال : جاء الرسل النصر حينئذ ، قال : وكان أبي يقرؤها : كذبوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب ابن أبي صفوان ، عن عبد الله بن الحارث ، أنه قال (حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنوا أنهم قد كذبوا) وظن القوم أنهم قد كذبوا فيما جاءوهم به .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ظن قومهم أن رسلهم قد كذبوا فيما وعدوهم به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن جحش بن زياد الضبي ، عن تميم ابن حذلم ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية : (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم ، وظن قومهم حين أبطأ الأمر ، أنهم قد كذبوا بالتخفيف .

حدثنا أبو المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلّى ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل من نصر قومهم ، وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (حتى إذا استيأس الرسل) أن يصدّ قوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل) أن يصدّ قوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك في قوله (حتى إذا استيأس الرسل) يقول : استيأسوا من قومهم أن يجيبوهم ، ويؤمنوا بهم ، (وظنوا) : يقول : وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا الموعد .

والقراءة على هذا التأويل الذي ذكرنا في قوله (كذبوا) بضم الكاف ، وتخفيف الذال ، وذلك أيضا قراءة بعض قرآء أهل المدينة ، وعمامة قرآء أهل الكوفة .

وإنما اخترنا هذا التأويل ؛ وهذه القراءة لأن ذلك عقيب قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى) ، أفلم يسيروا في الأرض ، فيستظفروا كيف كان عاقبة الذين من قبليهم) فكان ذلك دليلا على أن إياس الرسل ، كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا ، وأن المضمرة في قوله (وظنوا أنهم قد كذبوا) إنما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة ، وزاد ذلك وضوحا أيضا إتياع الله في سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله (فنجى من نساء) إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبوا بهم ، فكذبواهم ظنا منهم أنهم قد كذبواهم .

وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة إلى غير التأويل الذي اخترنا ، ووجهوا معناه إلى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعِدوا من النصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : كانوا بشرا ضعفوا ويأسوا قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، قرأ (وظننوا أنهم قد كذبوا) خفيفة . قال ابن جريج : أقول كما يقول : أخلفوا ؛ قال عبد الله : قال لي ابن عباس : كانوا بشرا ، وتلا ابن عباس (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب) قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : [ذهب بها إلى أنهم ضعفوا ، فظنوا أنهم أخلفوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، أنه قرأ (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) مخففة ، قال عبد الله : هو الذي تكره .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : هو الذي تكره ، مخففة .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال في هذه الآية (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قلت : كذبوا ، قال : نعم ، ألم يكونوا بشرا؟ حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : كانوا بشرا قد ظنوا . وهذا تأويل .

وقول غيره من أهل التأويل : أولى عندي بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل ، إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ، ويشكوا في حقيقة خبره ، مع معانيهم من حجج الله وأدلتها ما لا يعاينه المرسل إليهم ، فيعذروا في ذلك إن المرسل إليهم لأولى في ذلك منهم بالعدر ، وذلك قول إن قاله قائل لا يخفى أمره ، وقد ذكر هذا التأويل الذي ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة ، فأنكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا .

ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، قال : قرأ ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا) فقال : كانوا بشرا ضعفوا ويأسوا ؛ قال ابن أبي مليكة : فذكرت ذلك لعروة ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ، ما حدث الله

رسوله شيئاً قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسول ، حتى ظنّ الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوا ، فكانت تقرؤها قد كذبوا ، تثقلها .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة ، أن ابن عباس قرأ (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) خفيفة ؛ قال عبد الله : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشراً ، وتلا ابن عباس (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب) قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة ، يذهب بها إلى أنهم ضعفوا ، فظنوا أنهم أخلفوا . قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة عن عائشة ، أنها خالفت ذلك وأبنته ، وقالت : ما وعد الله محمداً صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وقد علم أنه سيكون ، حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسول ، حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوا . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا) متقللة للتكذيب .

قال : ثنا سليمان بن داود الهاشمي ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة قال : قلت لها قوله (حتى إذا استنأس الرسول وظنوا أنهم قد كذبوا) قال : قالت عائشة : لقد استيقنوا أنهم قد كذبوا ، قلت : كذبوا ؟ قالت : معاذ الله ، لم تكن الرسل تظن يوماً ، إنما هم أتباع الرسل ، لما استأخر عنهم الوحي ، واشتد عليهم البلاء ، ظننت الرسل أن أتباعهم قد كذبوا . (جاءهم نصرنا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : حتى إذا استنأس الرسول ممن كذبهم من قومهم أن يصدقهم ، وظننت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوا ، جاءهم نصر الله عند ذلك .

فهذا ما روى في ذلك عن عائشة ، غير أنها كانت تقرأ (كذبوا) بالتشديد ، وضم الكاف ، بمعنى ما ذكرنا عنها ، من أن الرسل ظننت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم ، أنهم قد كذبوا ، فارتدوا عن دينهم ، استبطاء منهم للنصر .

وقد بينا أن الذي نختار من القراءة في ذلك والتأويل غيره في هذا الحرف خاصة .

وقال آخرون ممن قرأ قوله (كذبوا) بضم الكاف وتشديد الـذال ، معنى ذلك : حتى إذا استنأس الرسول من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدقوهم ، وظننت الرسل : بمعنى واستيقنت أنهم قد كذبهم أممهم ، جاءت الرسل نصرتنا ؛ وقالوا : الظن في هذا بمعنى : العلم ، من قول الشاعر :

فَظَنُّوا بِالْفَيْ فَارِسٍ مُتَسَلِّبٍ سَرَّاهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ

(١) البيت لدريد بن الصمة الجشمي (السان : ظن) ورواية الشطر الأول فيه : « فقلت لهم ظنوا بألق مدجج » واستشهد بالبيت على أن الظن قد يوضع موضع العلم . ثم قال بهد البيت : أي استيقنوا ، وإنما يخوف عدوه باليقين لا بالشك . قال : وكذلك قوله عز وجل : « وظنوا أنهم قد كذبوا » أي علموا ، يعني الرسل أن قومهم قد كذبوا ، فلا يصدقونهم . و « كذبوا » بالتشديد : هي =

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة (حتى إذا استيأس الرُّسُلُ) من إيمان قومهم (وظننوا أنهم قد كذبوا) : أي استيقنوا أنه لاخير عند قومهم ، ولا إيمان ، جاءهم نصرنا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى إذا استيأس الرُّسُلُ) قال : من قومهم (وظننوا أنهم قد كذبوا) قال : وعلموا أنهم قد كذبوا (جاءهم) نصرنا . وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرآء المدينة والبصرة والشام ، أعني بتشديد الذال من كذبوا ، وضم كافها .

وهذا التأويل الذي ذهب إليه الحسن وقاتدة في ذلك ، إذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف ، خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ، لأنه لم يوجه الظن في هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين ، مع أن الظن إنما استعمله العرب في موضع العلم ، فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر ، أو من غير وجه المشاهدة والمعينة ؛ فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعينة ، فلإنها لا تستعمل فيه الظن ، لا تكاد تقول : أظنني حيًّا ، وأظنني إنسانا ، بمعنى : أعلمني إنسانا ، وأعلمني حيا . والرسل الذين كذبهم أممهم ، لا شك أنها كانت لأممها شاهدة ، ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظننت بأممها أنها كذبتها .

وروي عن مجاهد في ذلك قول هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين ، الذين سمينا أسماءهم ، وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه فيما ذكر عنه ، كان يقرأ (وظننوا أنهم قد كذبوا) بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قرأها (كذبوا) بفتح الكاف بالتخفيف .

وكان يتأوله كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد استيأس الرسل أن تعذب قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، قال : جاء الرسل نصرنا ؛ قال مجاهد : قال في المؤمن (فلما جاءتهم رسلنا بالبينات ، فرحوا بما عندهم من العليم) قال : قولهم نحن أعلم منهم ، ولن نعذب ، وقوله (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) قال : حاق بهم ما جاءت به رسلهم من الحق .

= قراءة أبي عمرو وابن كثير ونافع وابن عامر ، وبه قرأت عائشة ، وفسرته على ما ذكرناه . ورواية الديوان (شعراء النصرانية : ٧٥٦) كرواية اللسان . والمدحج : التام السلاح . والمتطلب : المتحزم بالسلاح وغيره . وسراهم : خيارهم . والمسرد : المتتابع الخلق في النسخ

وهذه القراءة لأستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من قرآء الأمصار على خلافها ، ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل ، وهو أحسن مما تأوله مجاهد ، وهو حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها ، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها . ويكون الظن موجها حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوله الحسن وقتادة .

وأما قوله (فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأه عامة قرآء أهل المدينة ومكة والعراق (فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ) بنونين ، بمعنى : فننجي نحن من نشاء من رسلنا ، والمؤمنين بنا ، دون الكافرين الذين كذبوا رسلنا ، إذا جاء الرسل نصرنا . واعتل الذين قرءوا ذلك كذلك ، أنه إنما كتبت في المصحف بنون واحدة ، وحكمه أن يكون بنونين ، لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة ، من أنجي يُنجي ، والأخرى النون التي تأتي لمعنى الدلالة على الاستقبال ، من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها ، لأنهما حرفان ، أعنى النونين من جنس واحد ، يخفى الثاني منهما عن الإظهار في الكلام ، فحذفت من الخط ، واجتزأ بالثبته من المحذوفة ، كما يفعل ذلك في الحرفين اللذين يدغم أحدهما في صاحبه ، وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى ، غير أنه أدغم النون الثانية وشدّد الجيم ، وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ، ونصب الياء ، على معنى فعل ذلك به ، من نجته أنجيه . وقرأ ذلك بعض المكيين (فَتَنْجَا مَنْ نَشَاءُ) بفتح النون والتخفيف ، من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه (فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ) بنونين ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها القيرآة في الأمصار ، وماخالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التي ذكرناها ، فنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القراء ، وغير جائز خلاف ما كان استيفضا بالقراءة في قرآء الأمصار .

وتأويل الكلام : فننجي الرسل ، ومن نشاء من عبادنا المؤمنين ، إذا جاء نصرنا ؛

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ) فننجي الرسل ومن نشاء (وَلَا يَرَدُّ بِأَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل ، فدعوا قومهم ، وأخبروهم أنه من أطاع نجا ، ومن عصاه عذّب وغرّى ، وقوله (وَلَا يَرَدُّ بِأَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) يقول : ولا تردّ عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا ، عن القوم الذين أجرموا ، فكفروا بالله ، وخالفوا رسله ، وما أتوهم به من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول ، يعتبرون بها ،

وموعظة يتعظون بها، وذلك أن الله جل ثناؤه، بعد أن أتى يوسف في الحب ليهيبك، ثم بيع بيع العبيد، بالخسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل، ملكه مصر، ومكّن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدّة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشفّة النائية البعيدة، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش، من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لقد كان لكم أيها القوم في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به؛ إن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعدّر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجنود والرجال، من الأتباع والأصحاب، وإن مرّت به شذائد، وأتت دونه الأيام والليالي، والدهور والأزمان.

وكان مجاهد يقول: معنى ذلك: لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته.

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) ليوسف وإخوته.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: عبرة ليوسف وإخوته.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) قال: يوسف وإخوته.

وهذا القول الذي قاله مجاهد، وإن كان له وجه يحتمله التأويل، فإن الذي قلنا في ذلك أولى به، لأن ذلك عقيب الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم، وعن قومه من المشركين، وعقيب تهديدهم ووعيدهم، على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته، ومع ذلك أنه خبر عام عن جميع ذوى الألباب، أن قصصهم لهم عبرة، وغير مخصوص بعض به دون بعض، فإذا كان الأمر على ما وصفت في ذلك، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبه. والرواية التي ذكرناها عن مجاهد، رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله، لأن ذلك موافق القول الذي قلناه في ذلك.

وقوله (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) يقول تعالى ذكره: ما كان هذا القول حديثاً يُخْتَلَقُ وَيُتَكَدَّبُ ويتخرص.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) والفريّة: الكذب (ولكن تصدّق الذي بين يديه) يقول: ولكنه تصديق الذي بين يديه، من كتب الله التي أنزلها قبله على أنبيائه، كالتوراة والإنجيل والزبور، ويصدق ذلك كله، ويشهد عليه، أن جميعه حق من عند الله.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)
والفرقان تصديق الكتب التي قبله ، ويشهد عليها .
وقوله (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة ،
من بيان أمر الله ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .
وقوله (وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وهو بيان أمره . ورشاد من جهل
سبيل الحق ، فعمى عنه ، إذا تبعه فاهتدى به من ضلالته ، ورحمة لمن آمن به ، وعمل بما فيه ، ينقذه من سخط الله
وأليم عذابه ، ويورثه في الآخرة جنانته ، والخلود في النعيم المقيم (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : لقوم
يصدقون بالقرآن ، وبما فيه من وعد الله ووعيده ، وأمره ونهيه ، فيعملون بما فيه من أمره ، وينتهون عما
فيه من نهيه .
آخر تفسير سورة يوسف .

أول تفسير السورة التي يذكر فيها الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْمَرَّتْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)

قال أبو جعفر : قد بينا القول في تأويل قوله (الرَّآ وَالْمَرَّ) ونظائرها من حروف المعجم ، التي افتتح بها
أوائل بعض سور القرآن فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادتها ، غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به
كل سورة افتتح أولها بشيء منها . فمما جاء من الرواية في ذلك في هذه السورة عن ابن عباس ، من نقل
أبي الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبيرة عنه ، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها ، مع زيادة الميم التي فيها ،
على سائر سور ذوات الراء ، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها ، مع نقصان ذلك منها عنها .
ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن
ابن عباس (الرآ) قال : أنا الله أرى .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ،
عن ابن عباس ، قوله (الرآ) قال : أنا الله أرى .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الرآ) : فواتح
يفتتح بها كلامه .

وقوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) يقول تعالى ذكره : تلك التي قصصت عليك خبرها ، آيات الكتاب الذي أنزلته ، قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ، إلى من أنزلته إليه من رسل قبلك .
وقيل : عنى بذلك : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمَّا تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) الكتب التي كانوا قبل القرآن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) قال : التوراة والإنجيل .

وقوله (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) فاعمل بما فيه ، واعتصم به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) قال : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ) : أي هذا القرآن .

وفي قوله (وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع ، على أنه كلام مبتدأ ، فيكون مرفوعا بالحق والحق به . وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة ، الذي ذكرنا قبل عنهما . والآخر : الحذف على العطف به على الكتاب ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تلك آيات التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم يبتدئ الحق بمعنى ذلك الحق ، فيكون رفعه بمضمون الكلام ، قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه . ولو قيل : معنى ذلك : تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك الحق ، وإنما أدخلت الواو في « والذي » ، وهو نعت للكتاب ، كما أدخلها الشاعر في قوله :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهمامِ وليتِ الكتبيّةِ في المزدحم^١

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقوله (والذي أنزل إليك من ربك الحق) . فوضع الذي رفع تستأنفه على الحق ، وترفع كل واحد يصاحبه . وإن شئت جعلت (الذي) في موضع خفض ، تريد : تلك آيات الكتاب ، وآيات الذي أنزل إليك من ربك ، فيكون خفضا ، ثم رُفِعَ الحق ، أي ذلك هو الحق ، كقولهم في البقرة : (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك) فترفع على إضمار ذلك الحق ، أو هو الحق : وإن شئت جعلت (الذي) خفضا ، فخفضت الحق ، فجعلته من صفة الذي ، ويكون الذي نعتا للكتاب ، مردودا عليه ، وإن كانت فيه الواو ، كما قال الشاعر : (إلى الملك ... الخ) فعطف الواو ، وهو يريد واحدا . ومثله في الكلام : أتانا هذا الحديث عن أبي حفص والفراروق ، فأنت تريد عمرين الخطاب هـ . والقرم بفتح القاف : السيد . والهمام : الملك العظيم الهمة ، والسيد الشجاع السخي . والكتبية : جماعة الخيل إذا أغارت ، من المثة إلى الألف . والمزدحم : محل الازدحام . يقال : ازدحم القوم وتزاحوا : أي تضايقوا ، وأراد به المعركة .

فعطف بالواو، وذلك كله من صفة واحد، كان مذهبا من التأويل، ولكن ذلك إذا تَوَوَّلَ كذلك، فالصواب من القراءة في الحق الخفض، على أنه نعت للذي .
وقوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) من مشركي قومك لا يصدقون بالحق الذي أنزل إليك من ربك، ولا يقرّون بهذا القرآن، وما فيه من محكم آية .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ، لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : الله يا محمد هو الذي رفع السموات السبع بغير عمد ترونها ، فجعلها للأرض سقفا مسموكا ، والعمد جمع عمود ، وهي السواري ، وما يُعَمَدُ به البناء ، كما قال النابغة :
وَحَيْسَ الْجِنِّ آتَى قَدْ أَذْنَتْ لَهُمْ يَبْتَنُونَ تَدْمُرُ بِالصُّفْحِ وَالْعَمَدِ
وجمع العمود : عمد ، كما جمع الأديم : آدم ، ولو جمع بالضم فقليل : عمد ، جاز ، كما يجمع الرسول : رُسُل ، والشكور : شُكُر .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذي رفع السموات بعمد لا ترونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، قال : قلت لابن عباس : إن فلانا يقول : إنها على عمد ، يعني السماء ، قال : فقال : اقرأها بغير عمد ترونها : أى لا ترونها .
حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، في قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : بعمد لا ترونها .
حدثني المنفي ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد ، في قول الله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : هي لا ترونها .

(١) البيت للنايفة الذيراني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٥٢) . استشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٢٠) على أن معنى العمد : السواري والدعائم ، وما يعمد البناء . ومعنى خيس : ذلل . وتدمر مدينة في البرية بين الشام والعراق . والصفاح : حجارة عراض .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بغير عمد ^١ يقول : عمد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، قوله (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال قتادة : قال ابن عباس : بعمد ، ولكن لاترونها .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : ما يدريك لعلها بعمد لاترونها . ومن تأول ذلك كذلك ، قصد مذهب تقديم العرب الجحد من آخر الكلام إلى أوله ، كقول الشاعر :
ولا أراها تترال ظالمة ^٢ تحدث لي نكبة ^٣ وتنكؤها ^٤
يريد : أراها لاتزال ظالمة ، فقدم الجحد عن موضعه من تزال ، وكما قال الآخر :

إِذَا عَجَبْتِكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنْ أَمْرِي ^٥ فَدَعَا عَنْهُ وَوَاكَيْلٌ حَالَهُ وَاللَّيَالِيَا ^٦
يَجِيئُنَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ صَالِحٍ بِهِ ^٧ وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَا تَرَى النَّاسَ أَلْيَا ^٨
يعنى : وإن كان فيها يرى الناس لا يألوا .
وقال آخرون : بل هي مرفوعة بغير عمد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : أخبرنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن إياس بن معاوية ، في قوله (رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : السماء مقببة على الأرض مثل القبة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال : رفَعها بغير عمد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، أن يقال كما قال الله تعالى (اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) فهي مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا جل ثناؤه ، ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه .

وأما قوله (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) فإنه يعنى : علا عليه :

* وقد بينا معنى الاستواء ، واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيما قالوا فيه ، بشواهد فيما مضى

(١) لعله : يقول لاترونها .

(٢) البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : وقال الآخر : ولا أراها ... البيت . ومعناها : أراها لاتزال . ويقال : نكأ القرحة ينكؤها نكنا : قشرها قبل أن تبرأ ، فنديت . والبيت كالشاهد الذي بعده ، على أن العرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . اهـ . يريد تقدمه على موضعه المتأخر .

(٣) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٥٧) قال : والعرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، يكون ذلك جائزا . أنشدني بعضهم : إذا أعجبتك ... الخ البيتين . معناه : وإن كان فيما يرى الناس لا يألوا .

بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يقول : وأجرى الشمس والقمر في السماء ، فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذلكهما لمنافعهم ، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ، ويفصلوا به بين الليل والنهار .
وقوله (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول جل ثناؤه : كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى : أي لوقت معلوم ، وذلك إلى فناء الدنيا ، وقيام القيامة التي عندها تكوّر الشمس ، ويُخسف القمر ، وتنكدر النجوم ؛ وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، وأن « كلٌّ » لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به .

وبنحو الذي قلنا في قوله (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : الدنيا .
وقوله (يُدَبِّرُ الْأُمْرَ) يقول تعالى ذكره : يقضى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها ، ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين ، سبحانه !
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُدَبِّرُ الْأُمْرَ) : يقضيه وحده .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقوله (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) يقول : يفصل لكم ربكم آيات كتابه ، فيبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) يقول : لتوقنوا بقاء الله ، والمعاد إليه ، فتصدقوا بوعدته ووعيده ، وتنجزوا عن عبادة الآلهة والأوثان ، وتخلصوا له العبادة إذا تيقنتم ذلك .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) وأن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه ، وأرسل رسله ، لتؤمن بوعدته ، ونستيقن ببقائه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

أُنثَيْنِ ، يُغْشَى اللَّيْلَ الْأَنهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره : والله الذي مدّ الأرض ، فبسطها طولا وعرضا . وقوله (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول جل ثناؤه : وجعل في الأرض جبالا ثابتة ؛ والرواسي : جمع راسية ، وهي الثابتة ، يقال منه : أرسيت الوتد في الأرض : إذا أثبتته ، كما قال الشاعر :

بِهِ خَالِدَاتٌ مَا يَرْمُنَ وَهَامِدٌ
وَأَشْعَثُ أُرْسَتَهُ الْوَلِيدَةُ بِالْفَيْهْرِ ١

يعنى : أثبتته .

وقوله (وَأَنْهَارًا) يقول : وجعل في الأرض أنهارا من ماء . وقوله (وَمِنْ كُلِّ الشَّمْرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) فين في قوله (وَمِنْ كُلِّ الشَّمْرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من صلة جعل الثاني ، لا الأول . ومعنى الكلام : وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات ، وعنى بزوجين اثنين : من كل ذكرٍ اثنان ، ومن كل أنثى اثنان ، فذلك أربعة ، من الذكور اثنان ، ومن الإناث اثنان ، في قول بعضهم . وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين زوجين ، والواحد من الذكور زوجا لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة زوجا وزوجة لذكرها ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . ويزيد ذلك إيضاحا قول الله عز وجل (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) فسمى الاثنين الذكر والأنثى زوجين . وإنما عنى بقوله (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) : نوعين وضربين .

وقوله (يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) يقول : يجلّل الليل النهار ، فيلبسه ظلمته ، والنهار الليل بضياته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) : أي يلبس الليل النهار .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن فيما وصفت وذكرت ، من عجائب خلق الله وعظيم قدرته ، التي خاق بها هذه الأشياء ، لتدلالاتٍ وحججا وعظما ، لقوم يتفكرون فيها ، فيستدلون ويعتبرون بها ، فيعلمون أن العبادة لاتصلح ولا تجوز ، إلا لمن خلقها ودبرها ، دون غيره من الآلهة والأصنام ، التي لاتقدر على ضررٍ ولا نفع ، ولا لشيء غيرها إلا لمن أنشأ ذلك ، فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى ، وأن القدرة التي أبدع بها ذلك ، هي القدرة التي لايتعذر عليه إحياء من هلك من خلقه ، وإعادة ما فنى منه ، وابتداع ما شاء ابتداعه بها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ وَّجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَّرَعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ ،

(١) البيت للأحوص (اللسان : رسا) . والشطر الأول فيه : « سوى خالداً ما يرمن وهامد » بجر خالداً وهامد . ورواية المؤلف كرواية أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢١) . واستشهد به على أن الرواسي : الجبال الثابتات ، يقال : أرسيت الوتد : أي أثبتته في الأرض .

يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ ، وَنُفِضَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) : وفي الأرضِ قطعٌ منها متقارباتٌ متدانياتٌ ، يقرب بعضها من بعضٍ بالحوار ، وتختلف بالتفاضل ، مع تجاورها ، وقرب بعضها من بعض ، فبها قطعةٌ سَبِيخَةٌ ، لا تنبت شيئاً ، في جوار قطعةٍ طيبة ، تنبت وتنفع .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : السَّبِيخَةُ والعَدِيَّةُ ، والمالح والطيب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : سبخا وعدوبة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن ابن عباس في قوله (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : العَدِيَّةُ والسَّبِيخَةُ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) يعني : الأرضِ السَّبِيخَةَ ، والأرضِ العَدِيَّةَ ، يكونان جميعاً متجاورات ، نفضل بعضها على بعض في الأكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) العَدِيَّةُ والسَّبِيخَةُ ، متجاورات جميعاً ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لا تنبت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) طيبها : عَدِيَّةٌ ، وخبيثها : السبخا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قرى قربت متجاورات بعضها من بعض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : قُرَى متجاورات .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن الضحاك ، في قوله (قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : الأرض السَّبِيحَةُ بينها الأرض العَدْيِيَّة .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) يعني الأرض السَّبِيحَةَ والأرض العَدْيِيَّة ، متجاورات بعضها عند بعض .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، في قوله (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : الأرض تنبت حلوا ، والأرض تنبت حامضا ، وهي متجاورة (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : يكون هذا حلوا ، وهذا حامضا ، وهو يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وهن متجاورات .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : ثنا ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن ابن شوذب في قوله (وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) قال : عَدْيِيَّةٌ وَمَالِحَةٌ .

وقوله (وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفُضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) يقول تعالى ذكره . وفي الأرض مع القِطْعِ المختلفة المعاني منها ، بالملوحة والعذوبة ، والحبث والطيب ، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض ، بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا ، متقاربة في الخليفة ، مختلفة في الطعوم والألوان ، مع اجتماع جميعها على شرب واحد ، فَمِنْ طَيِّبٍ طَعْمُهُ مِنْهَا ، حَسَنٌ مَنْظَرُهُ طَيِّبَةٌ رَائِحَتُهُ ، وَمِنْ حَامِضٍ طَعْمُهُ ، وَلَا رَائِحَةَ لَهُ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال : مجتمع وغير مجتمع (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفُضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخَوْخُ والكَمْثَرِيُّ والعَنَيْبُ الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلوا ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَجَنَّاتٌ) قال : وما معها .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال المثني ، وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة (وَزَّرْعٌ وَنَخِيلٌ) بالخفض ، عطفًا بذلك على الأعناب ، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب

ومن زرع ونخيل . وقرأ ذلك بعض قرءاء أهل البصرة (وزرعٌ ونخيلٌ) بالرفع ، عطفاً بذلك على الجنات ، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وفيها أيضا زرع ونخيل .
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى . وقرأ بكل واحد منهما قرءاء مشهورون ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن الزرع والنخل إذا كانا في البساتين ، فهما في الأرض ، وإذا كانا في الأرض ، فالأرض التي هما فيها جنة ، فسواء وصفا بأيهما في بستان أو في أرض .
وأما قوله (ونخيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) فإن الصِنْوَان : جمع صِنْوٍ ، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد ، لا يفرق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب في النون ، وذلك أن تكون نونه في اثنيه مكسورة بكل حال ، وفي جميعه متصرفة في وجوه الإعراب ، ونظيره القِنْوَان : واحدها قِنْوٍ .
وبنحو الذي قلنا في معنى الصِنْوَان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء (صِنْوَانٌ) قال : المجتمع (وغيرُ صِنْوَانٍ) : المتفرق .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : (صِنْوَانٌ) : هي النخلة التي إلى جنبها نخلات إلى أصلها (وغيرُ صِنْوَانٍ) : النخلة وحدها .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أصلهما واحد (وغيرُ صِنْوَانٍ) النخلة والنخلتان المتفرقتان .
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية ، قال : النخلة يكون لها النخلات (وغيرُ صِنْوَانٍ) النخل المتفرق .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، ويحيى بن عباد وعفان ، واللفظ لفظ أبي قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، في قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلة إلى جنبها النخلات (وغيرُ صِنْوَانٍ) : المتفرق .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : الصنوان : النخلات الثلاث والأربع ، والثنتان أصلهن واحد ، وغير صنوان : المتفرق .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن البراء في قوله (صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ) قال : النخلتان يكون أصلهما واحد ، وغير صنوان : المتفرق .
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (صِنْوَانٌ) يقول : مجتمع .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) يعنى بالصنوان: النخلة يخرج من أصلها النخلات ، فيحمل بعضه ، ولا يحمل بعضه ، فيكون أصله واحدا ، ورعوسه متفرقة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) النخيل في أصل واحد ، وغير صنوان : النخيل المتفرق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال : : مجتمع ، وغير مجتمع .

حدثني المثني ، قال : ثنا النفيلي ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : الصنوان : ما كان أصله واحدا وهو متفرق ، وغير صنوان : الذي نبت وحده .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (صِنَوَانٌ) النخلتان وأكثر في أصل واحد (وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) وحدها .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (صِنَوَانٌ) : النخلتان أو أكثر في أصل واحد (وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) واحدة .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال : الصنوان : المجتمع أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرق أصله .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال : الصنوان : المجتمع الذي أصله واحد ، وغير صنوان : المتفرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) أما الصنوان : فالنخلتان والثلاث أصولهن واحدة ، وفروعهن شتى ، وغير صنوان : النخلة الواحدة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال : صنوان : النخلة التي يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله (وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ) قال : الصنوان : النخلتان أو الثلاث يكن في أصل واحد ، فذلك يعدّه الناس صنوانا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : حدثني رجل ، أنه كان بين عمر ابن الخطاب وبين العباس قول ، فأمرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول

الله ، ألم تر عباسا فعل بي وفعل ، فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت ، فقال « يَرْحَمُكَ اللهُ ، إنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنَوَانِيهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (صِنَوَانٌ) :

النخلة التي يكون في أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد ، قال : فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضى الله عنهما قول ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، ألم تر عباسا فعل بي وفعل ؟ فأردت أن أجيبه ، فذكرت مكانه منك ، فكففت عند ذلك ، فقال : « يَرَحْمُكَ اللهُ ، إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تُؤذُونِي فِي الْعَبَّاسِ ، فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ آبَائِي ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » . حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء وابن أبي مليكة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : يا عمرُ أما عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ » ،

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد (صِنُوَانٌ) قال : في أصل واحد ثلاث نخلات ، كمثل ثلاثة بني أم وأب يتفاضلون في العمل ، كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث في أصل واحد . قال ابن جريج : قال مجاهد : كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن الحسن ، قال : هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة ، فسَطَحَهَا وبَطَحَهَا ، فصارت الأرض قطعا متجاورات ، فينزل عليها الماء من السماء ، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها ، وتخرج نباتها ، وتحبي مواثها ، وتخرج هذه سَبَخَهَا ومِلْحَهَا وخَبَثُهَا ، وكلتاها تسقى بماء واحد ، فلو كان الماء مالحا ، قيل : إنما استسبخت هذه من قبل الماء ، كذلك الناس خلقوا من آدم ، فينزل عليهم من السماء تذكرة ، فترق قلوب ، فتخشع وتخضع ، وتقسو قلوب ، فتلهو وتسهو وتجفو ؛ قال الحسن : والله ما جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان ، قال الله (وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) .

وقوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَآحِدٍ) اختلفت القراء في قوله (تُسْقَى) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والعراق ، من أهل الكوفة والبصرة (تُسْقَى) بالتاء ، بمعنى : تسقى الجنات والزرع والنخيل . وقد كان بعضهم يقول : إنما قيل تسقى بالتاء لتأنيث الأعتاب . وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين (يُسْقَى) بالياء . وقد اختلف أهل العربية في وجه تذكيره إذا قرئ كذلك ، وإنما ذلك خبر عن الجنات والأعتاب والنخيل والزرع ، أنها تسقى بماء واحد ، فقال بعض نحوي البصرة : إذا قرئ ذلك بالتاء ، فذلك على الأعتاب كما ذكروا الأنعام في قوله (مَا فِي بُطُونِهِ) وأنت بعد فقال (وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) فن قال : (يُسْقَى) بالياء جعل الأعتاب مما تذكر وتؤنث ، مثل الأنعام . وقال بعض نحوي الكوفة : من

قال (تُسْقَى) ذهب إلى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ، ومن ذكر ذهب إلى أن ذلك كله يسقى بماء واحد ، وأكله مختلف ، حامض وحلو ، ففي هذا آية .

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها : قراءة من قرأ ذلك بالتاء (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ، على أن معناه : تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ، نجسيء تسقى بعد ما قد جرى ذكرها ، وهي جماع من غير بنى آدم ، وليس الوجه الآخر بمتنع ، على معنى يسقى ذلك بماء واحد : أى جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب ، دون المالح . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الصوفى ، عن الضحاك (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء المطر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قرأه ابن جريج ، عن مجاهد (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .
قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب (تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) قال : بماء السماء .

وقوله (وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء المكيين والمدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين ، ونفضل بالنون بمعنى ، ونفضل نحن بعضها على بعض فى الأكل . وقرأه عامة قراء الكوفيين : ويفضل بالياء ، ردا على قوله (يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ) ويفضل بعضها على بعض ، وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارىء فحسب ، غير أن الياء أعجبهما إلى فى القراءة ، لأنه فى سياق كلام ابتدأه (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ) فقرأته بالياء إذ كان كذلك أولى . ومعنى الكلام : أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل ، الصنوان وغير الصنوان ، تسقى بما واحد عذب لأملاح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضل بعضها على بعض فى الطعم ، فهذا حلو ، وهذا حامض . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الفارسيّ والدَّقْل والحلو والحامض .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى ، والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملا من بعض ، وبعضه حلو ، وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .
 حدثني المثني ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير (وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : بَرْنِي وكذا وكذا ، وهذا بعضه أفضل من بعض .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير . في قوله (وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : هذا حامض ، وهذا حلو ، وهذا مز .
 حدثني محمود بن خدّاش ، قال : ثنا سيف بن محمد بن أحمد ، عن سفيان الثوري ، قال : ثنا الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الدَّقْل والفارسيّ ، والحلو والحامض .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : ثنا سليمان بن عبد الله الرقي ، قال : ثنا عبيد الله بن عمر الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) قال : الدَّقْل والفارسيّ ، والحلو والحامض .
 وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبيننا ، لدليلا واضحا ، وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه ، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال ، وتوفيق وخذلان ، فوفق هذا ، وهدى هذا ، وأضلّ ذا ، ولو شاء لسوى بين جميعهم ، كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة ، التي تشرب شربا واحدا ، وتُسقى سقيا ، وهي متفاضلة في الأكل .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ : أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَنِي خَلَقَ جَدِيدًا ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ الْأَغْدَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)
 يقول تعالى ذكره : وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها من دوني ، فعجب قولهم (أئيدا كنا ترابا) وبلينا فعدمنا (أئيدا لسني خلقي جديد) : إنا لجدد إنشاؤنا

وإعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا؟ تكذيبا منهم بقدره الله ، وجحودا للثواب والعقاب ، والبعث بعد الممات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ) إن عجبت يا محمد فعجب (قَوْلُهُمْ أَيْدَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَسِنِي خَلَقِي جَدِيدٍ) عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا إبراهيم ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) قال : إن تعجب من تكذيبهم ، وهم قدرأوا من قدرة الله وأمره ، وما ضرب لهم من الأمثال ، فأراهم من حياة الموتى في الأرض الميتة ، إن تعجب من هذه ، فتعجب من قولهم : (أَيْدَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَسِنِي خَلَقِي جَدِيدٍ) أولا يرون أنا خلقناهم من نطفة ، فالخلق من نطفة أشد أم الخلق من تراب وعظام ؟ واختلف في وجه تكرير الاستفهام في قوله (أَيْنَا لَسِنِي خَلَقِي جَدِيدٍ) بعد الاستفهام الأول في قوله (أَيْدَا كُنَّا تُرَابًا) أهل العربية ، فقال بعض نحووي البصرة : الأول ظرف ، والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام ، كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق ؟ قال : ومن أوقع استفهاما آخر على قوله : أئذا متنا وكنا ترابا ؟ جعله ظرفا لشيء مذكور قبله ، كأنهم قيل لهم تبعثون ، فقالوا : أئذا كنا ترابا ؟ ثم جعل هذا استفهاما آخر ، قال : وهذا بعيد . قال : وإن شئت لم تجعل في قولك : أئذا استفهاما ، وجعلت الاستفهام في اللفظ على أننا كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ، وأضمر نفيه ، فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا ، وليس بكبير في الكلام لو قلت اليوم : أئن عبد الله منطلق لم يحسن ، وهو جائز ، وقد قالت العرب ما علمت إنه لصالح ، تريد : إنه لصالح ما علمت ، وقال غيره : أئذا جزاء وليست بوقت ، وما بعدها جواب لها إذا لم يكن في الثاني استفهام ، والمعنى له ، لأنه هو المطلوب ، وقال : ألا ترى أنك تقول : إن تقم يقوم زيد ويقم ، من جزم فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ، ومن رقع فلأن الاستفهام له ، واستشهد بقول الشاعر :

حَلَقْتُ لَهُ إِنْ تُدْ لِحِ اللَّيْلِ لَا يَنْزِلُ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بَيْسَوِي سَائِرُ ١

فجزم جواب اليمين ، لأنه وقع موقع جواب الجزاء ، والوجه الرفع ، قال : فهكذا هذه الآية ، قال : ومن أدخل الاستفهام ثانية ، فلأنه المعتمد عليه ، وترك الجزاء الأول .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث ، وجحدوا الثواب والعقاب (وَقَالُوا أَيْدَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَسِنِي خَلَقِي جَدِيدٍ) هم الذين جحدوا قدرة ربهم ، وكذبوا رسوله ، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم ، فأولئك أصحاب النار : يقول : هم سكان النار يوم القيامة ، هم فيها خالدون : يقول : هم فيها ما كثون أبدا ، لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها .

(١) البيت ينسب للراعي ، وقد تقدم الاستشهاد به في الجزء الرابع ص ١١٤ من هذه الطبعة ، فانظره ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)

يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك، بالبلاء والعقوبة، قبل الرخاء والعافية، فيقولون: (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ آبِ أَلِيمٍ) وهم يعلمون ما حلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها، وكذَّبت رسلها، من عقوبات الله، وعظيم بلائه، فمن بين أمة مُسيخت قيردة، وأخرى خنازير، ومن بين أمة أهلكت بالرَّجفة، وأخرى بالخسف، وذلك هو المثلات التي قال الله جل ثناؤه (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) والمثلات: العقوبات المنكّلات، والواحدة منها: مثلة. بفتح الميم، وضمّ التاء. ثم تجمع مثلات، كما واحدة الصدقات صدقة، ثم تجمع صدقات. وذكر أن تميا من بين العرب تضم الميم والتاء جميعا من المثلات، فالواحدة على لغتهم منها مثلة، ثم تجمع على مثلات، مثل غُرُفَة وغُرُفَات، والفعل منه: مثَلت به أمثل مثلا، بفتح الميم، وتسكين التاء، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره، قلت: أمثلته من صاحبه أمثله إمثالا، وذلك إذا أقصصته منه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ): وقائع الله في الأمم، فيمن خلا قبلكم. وقوله (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) وهم مشركو العرب، استعجلوا بالشر قبل الخير، وقالوا: (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَ آبِ أَلِيمٍ).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) قال: بالعقوبة قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ) قال: العقوبات.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (الْمَثَلَاتُ) قال: الأمثال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وحدثني المثنى قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ

المَثَلَاتُ) قال : المَثَلَاتُ : الذى مَثَّلَ الله فى الأمم ، من العذاب الذى عذبهم ، تولَّت المَثَلَاتُ من العذاب ، قد خَلَّت من قباهم ، وعرفوا ذلك ، وانتهى إليهم ما مَثَّلَ الله بهم ، حين عصوه وعصوا رسله . حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سليم ، قال : سمعت الشعبي يقول فى قوله (وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثَلَاتُ) قال : القردة والخنازير : هى المثلات .
 وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمِ) يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتارك فضيحتهم بها فى موقف القيامة ، وصافح له عن عقابه عليها ، عاجلا وأجلا . على ظلمهم : يقول : على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذن لهم بفعله ، (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن هلك مُصِيراً على معاصيه فى القيامة ، إن لم يُعْتَجِلْ له ذلك فى الدنيا ، أو يجمعهما له فى الدنيا والآخرة . وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر خبر ، فإنه وعيد من الله ، وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم ، قبل حلول نعمة الله بهم .
 حدثنى على بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ) يقول : ولكن ربك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ (٧)

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يا محمد من قومك (لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، يعنون : علامة وحجة له على نبوته ، وذلك قولهم (لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ !) يقول الله له : يا محمد (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) لهم ، تنذرهم بأمر الله أن يحيل بهم على شركهم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) يقول : ولكل قوم إمام يأتمون به ، وهادٍ يتقدمهم ، فيهديهم إما إلى خير ، وإما إلى شر ، وأصله من هادى الفرس ، وهو عنقه الذى يهدى سائر جسده .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنى بالهادى فى هذا الموضع ، فقال بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) هذا قول مشركى العرب ، قال الله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) : لكل قوم داعٍ يدعوهم إلى الله .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدى ، عن عكرمة ومنصور ، عن أبى الضحى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قالوا : محمد هو المنذر ، وهو الهاد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عكرمة ، مثله .
حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .
وقال آخرون : عني بالهادي في هذا الموضع : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : محمد المنذر ، والله الهادي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : محمد المنذر ، والله الهادي .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ) قال : أنت يا محمد منذر ، والله الهادي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : المنذر : النبي صلى الله عليه وسلم (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : الله هادي كل قوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) يقول : أنت يا محمد منذر ، وأنا هادي كل قوم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، والهادي : الله عز وجل .
وقال آخرون : الهادي في هذا الموضع ، معناه : نبي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المنذر : محمد صلى الله عليه وسلم ، (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : نبي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : نبي .

قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : لكل قوم نبي ، والمنذر : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قول الله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : نبي .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
يعنى : لكل قوم نبي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
قال : نبي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)
قال : نبي يدعوهم إلى الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال :
لكل قوم نبي ، الهادي : النبي صلى الله عليه وسلم ، والمنذر أيضا : النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (وَإِنْ
مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) وقال (نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى) قال : نبي من الأنبياء .
وقال آخرون : بل عيسى به : ولكل قوم قائد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : إنما أنت يا محمد منذر ، ولكل قوم قادة .

قال : ثنا الأشجعي ، قال : ثنا إسماعيل أو سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح :
(وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : لكل قوم قادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية
(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : الهادي : القائد ، والقائد : الإمام ، والإمام : العمل .

حدثني الحسن ، قال : ثنا محمد ، وهو ابن يزيد ، عن إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله (إِنَّمَا
أَنْتَ مُنذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال : قائد .

وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، قال : ثنا معاذ بن مسلم ، ثنا
الهروي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، فقال « أنا المنذر ، ولكل قوم هادي ،
وأوما بيده إلى منكب علي ، فقال : أنت الهادي يا علي ، بك يهتدي المهتدون بعدى » .

وقال آخرون : معناه : لكل قوم داع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِكُلِّ
قَوْمٍ هَادٍ) قال : داع . وقد بينت معنى الهداية ، وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم ، فإذا كان ذلك

كذلك ، فجائز أن يكون ذلك هو الله ، الذي يهدي خلقه ، وَيَتَّبِعُ خَلْقَهُ هِدَاةً ، وَيَأْتَمُونَ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته ، وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتم به ، ويتبع منهجته وطريقته أصحابه ، وجائز أن يكون داعيا من الدعاة إلى خير أو شر .

❦ وإذا كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى في ذلك بالصواب ، من أن يقال كما قال جل ثناؤه : إن محمدا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار ، وإن لكل قوم هاديا يهديهم ، فيتبعونه ويأتمون به .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)

❦ يقول تعالى ذكره : وإن تعجب فعجب قولهم : (أَيْدَا كُنَّا تَرَابًا أَيْنَا لَسِي خَلْقِي جَدِيدٍ) منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقا جديدا بعد فناهم وبلاهم ، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الأرحام ، وتديبرهم وتصريفهم فيها حالا بعد حال ، فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء ، والمعنى فيه ما وصف ، فقال جل ثناؤه (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) يقول : وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة ، بإرسالها دم الحيض ، وما تزداد في حملها على الأشهر التسعة ، تمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة ، بإرسالها دم الحيض (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره ، ولا يقصر أمر أراده ، فدبره عن تدبيره ، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل ، ولا يقصر عما حد له من القدر . والمقدار : مفعال من القدر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن ماهان ، قال : ثنا القاسم بن مالك ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة عن ابن عباس ، في قوله (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال : ما رأت المرأة من يوم دماً على حملها ، زاد في الحمل يوما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) يعني السقط (وَمَا تَزْدَادُ) يقول : ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت ، حتى ولدته تماما ، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ، ومنهن من تنقص ، فذلك الغيظ ، والزيادة التي ذكر الله ، وكل ذلك بعلمه .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا عبد السلام ، قال : ثنا خصيف ، عن مجاهد ، أو سعيد بن جبير في قول الله ، (وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) قال : غيضا : دون التسعة ، والزيادة : فوق التسعة .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أنه قال : الغيظ : ما رأت

الحامل من الدم في حملها ، فهو نقصان من الولد ، والزيادة : ما زاد على التسعة أشهر ، فهو تمام للنقصان ، وهو زيادة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله : (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : ما ترى من الدم ، وما تزداد على تسعة أشهر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، أنه قال (يَعْطَمُ مَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : ما زاد على التسعة الأشهر ؛ وما تغيض الأرحام : قال : الدم تراه المرأة في حملها .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال ، قالا : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، في قوله : (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : الغييض : الحامل ترى الدم في حملها ، فهو الغييض ، وهو نقصان من الولد ، وما زاد على تسعة أشهر ، فهو تمام لذلك النقصان ، وهي الزيادة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : إذا رأت دون التسعة ، زاد على التسعة مثل أيام الحيض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : خروج الدم (وَمَا تَزْدَادُ) قال : استمساك الدم .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) إرراق المرأة ، حتى يخس الولد (وَمَا تَزْدَادُ) قال : إن لم تهرق المرأة ثم الولد وعظم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن جعفر ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : المرأة ترى الدم ، وتحمل أكثر من تسعة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : هي المرأة ترى الدم في حملها .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) إهراق الدم ، حتى يخس الولد . وتزداد : إن لم تهرق المرأة ثم الولد وعظم .

قال : ثنا الحكم بن موسى ، قال : ثنا هقل ، عن عثمان بن الأسود ، قال : قلت لمجاهد : امرأتى رأت دما ، وأرجو أن تكون حاملا ، قال أبو جعفر : هكذا هو في الكتاب ، فقال مجاهد : ذلك غييض الأرحام ، (يَعْطَمُ مَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) الولد لا يزال يقع في النقصان ما رأت الدم ، فإذا انقطع الدم وقع في الزيادة ، فلا يزال حتى يتم ، فذلك قوله (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) .

قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا

تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : الغَيْضُ : الحامل ترى الدم في حملها ، وهو الغَيْضُ ، وهو نقصان من الولد ، فما زادت على التسعة الأشهر ، فهي الزيادة ، وهو تمام للولادة .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة في هذه الآية (الله يعلم ما تحمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : كلما غاضت بالدم ، زاد ذلك في الحمل .
قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن عاصم ، عن عكرمة (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : غيض الرحم : الدم على الحمل ، كلما غاض الرحم من الدم يوما ، زاد في الحمل يوما ، حتى تستكمل وهي طاهرة .

قال : ثنا عباد ، عن سعيد ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الوليد بن صالح ، قال : ثنا أبو يزيد ، عن عاصم ، عن عكرمة في هذه الآية (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : هو الحيض على الحمل (وَمَا تَزْدَادُ) قال : فلها بكل يوم حاضت على حملها ، يوم تزاده في طهرها ، حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، في قوله (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : ما رأت الدم في حملها ، زاد في حملها .
حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) ما تغيض أقل من تسعة ، وما تزداد : أكثر من تسعة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، قال : سمعت الضحاك يقول : قد يولد المولود لسنتين ، قد كان الضحاك وُلِدَ لسنتين ، والغَيْضُ : مادون التسعة ، وما تزداد : فوق تسعة أشهر .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) قال : دون التسعة ، وما تزداد : فوق التسعة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : وُلِدَتْ لسنتين .
حدثني المنثي ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، قال : ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين ، قال (وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : ماتت من التسعة (وَمَا تَزْدَادُ) قال : ما فوق التسعة .

قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (الله يعلم ما تحمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ) قال : كل أنثى من خلق الله .

قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، ومنصور عن الحسن ، قال : الغَيْضُ ما دون التسعة الأشهر .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة ، قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين ، قدر ما يتحوّل ظلّ ميغزل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى (وما تغييض الأرحام) قال : هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة (وما تزدد أد) قال : على التسعة .
قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن سعيد بن جبير (وما تغييض الأرحام) قال : حيض المرأة على ولدها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وما تغييض الأرحام وما تزدد أد) لى قال : الغيض : السقّط ، وما تزدد : فوق التسعة الأشهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن جبير : إذا رأت المرأة الدم على الحمل ، فهو الغيض للولد ، يقول : نقصان في غذاء الولد ، وهو زيادة في الحمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الله يعلم ما تحمّل كمل أنثى وما تغييض الأرحام وما تزدد أد) قال : كان الحسن يقول : الغيضة أن تضع المرأة لسته أشهر أو لسبعة أشهر ، أو لما دون الحدّ . قال قتادة : وأما الزيادة ، فما زاد على تسعة أشهر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : غيض الرحم : أن ترى الدم على حملها ، فكلّ شئ رأت فيه الدم على حملها ، ازدادت على حملها مثل ذلك .
قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : إذا رأت الحامل الدم كان أعظم للولد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وما تغييض الأرحام وما تزدد أد) الغيض : النقصان من الأجل ، والزيادة : ما زاد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدن لعدة واحدة ، يولد المولود لسته أشهر فيعيش ، ويولد لسنتين فيعيش ، وفيما بين ذلك . قال : وسمعت الضحاك يقول : ولدت لسنتين ، وقد نبئت ثنايا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وما تغييض الأرحام) قال : غيض الأرحام : الإهراق التي تأخذ النساء على الحمل ، وإذا جاءت تلك الإهراق ، لم يعتدّ بها من الحمل ، ونقص ذلك حملها ، حتى يرتفع ذلك ، وإذا ارتفع استقبلت عدة مستقبله تسعة أشهر ، وأما ما دامت ترى الدم ، فإن الأرحام تغييض وتنقص ، والولد يترقّ ، فإذا ارتفع ذلك الدم ، ربا الولد ، واعتدت حين يرتفع عنها ذلك الدم ، عدة الحمل تسعة أشهر ، وما كان قبله فلا تعتدّ به ، هو هراقه ، يبطل ذلك أجمع .
وقوله (وكلّ شئ عندّه بمقدار) حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وكلّ شئ عندّه بمقدار) إى والله ، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم ، وجعل لهم أجلا معلوما .

القول في تأويل قوله تعالى

عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (٩)

يقول تعالى ذكره : والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تَرَوْهُ ، وما شاهدتموه فعابتم بأبصاركم ؛ لا يخفى عليه شيء ، لأنهم خلقه وتدبيره . الكبير : الذي كل شيء دونه . المتعال : المستعلى على كل شيء بقدرته ، وهو المتفاعل ، من العلو ، مثل المتقارب من القرب ، والمتداني من الدنو .

القول في تأويل قوله تعالى

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَن أَسْرَأَ الْقَوْلَ ، وَمَن جَهَرَ بِهِ ، وَمَن هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

بِالنَّهَارِ (١٠)

يقول تعالى ذكره : معتدل عند الله منكم أيها الناس ، الذي أسر القول ، والذي جهر به ، والذي (هو) مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ (في ظلمته بمعصية الله (وسارِبٌ بِالنَّهَارِ) يقول : وظاهر بالنهار في ضوئه ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، سواء عنده سر خلقه وعلانياتهم ، لأنه لا يستسر عنده شيء ولا يخفى ، يقال منه : سَرَبَ يَسْرِبُ سُرُوبًا إذا ظهر ، كما قال قيس بن الخطيم :

أَتَى سَرَبَتٍ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرُ قَرِيبٍ

يقول : كيف سررت بالليل بعد هذا الطريق ، ولم تكوني تبرزين وتظهرين . وكان بعضهم يقول : هو السالك في سريره : أي في مذهبه ومكانه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في السرب ، فقال بعضهم : هو آمن في سريره ، بفتح السين ، وقال بعضهم : هو آمن في سريره بكسر السين .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَن أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ، وَمَن هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) يقول : هو صاحب ريبة مستخف بالليل ، وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من الإثم .

(١) البيت لقيس بن الخطيم (اللسان : سرب) قال : سررت الإبل سروبا : أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت . والسارِبُ : الذهاب على وجهه في الأرض . قال قيس بن الخطيم : أتى سررت ... الخ . قال ابن بري : رواه : ابن دريد : سررت بباء موحدة ، لقوله : وكنت غير سرروب . ومن رواه « سررت ، بالياء باثنتين ، فمعناه : كيف سررت ليلا ، وأنت لا تمر بين نهارا ؟ وقال أبو عبيدة (بجاء القرآن ١ : ٣٢٣) في قوله : وسارِبٌ بِالنَّهَارِ : مجازة : سالك في سريره ، أي في مذهبه ، وأبنا توجه . ومنه : انسرب فلان . وظاهر أن المؤلف وجه البيت على الرواية الثانية « سررت » بالياء ، ثم استدرك قوجه على الأولى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :
(وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) : ظاهر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، في قوله (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ
مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : إن الله أعلم
بهم ، سواء من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن عوف ، عن أبي رجاء (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ
أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : من هو مستخف
في بيته ، وسارب بالنهار : ذاهب على وجهه ، علمه فيهم واحد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ
مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) يقول : السر والجهر عنده سواء (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ،
وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) أما المستخفي في بيته ، وأما السارب : الخارج بالنهار ، حيثما كان المستخفي غيبه الذي يغيب
فيه ، والخارج عنده سواء .

قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، في قوله (مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) قال : ركب
رأسه في المعاصي (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : ظاهر بالنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ) كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء ، السر عنده علانية ، قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ
بِاللَّيْلِ ، وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) : أي في ظلمة الليل ، وسارب : أي ظاهر بالنهار .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد وعكرمة
(وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : ظاهر بالنهار ، ومن في قوله (مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ
هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) رفع الأولى منهن بقوله سواء ، والثانية معطوفة على الأولى ، والثالثة على الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)

✽ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لله تعالى ذكره معقبات ، قالوا الهاء في قوله :
« له » من ذكر اسم الله ، والمعقبات : التي تتعقب على العبد ، وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار ،
أعقبها ملائكة النهار ، فإذا انقضى النهار ، صعدت ملائكة النهار ، ثم أعقبها ملائكة الليل ، وقالوا : قيل
معقبات ، والملائكة : جمع ملك ، مذكر غير مونث ، وواحد الملائكة معقب ، وجماعتها معقبية ، ثم جمع

جمعه ، أعني جمع معقب بعد ما جمع معقبة . وقيل : معقبات ، كما قيل : أبناوات سعد ، ورجالات بني فلان ، جمع رجال .

وقوله (مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعني بقوله (مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من قدام هذا المستخفي بالليل ، والسارب بالنهار (وَمِنْ خَلْفِهِ) : من وراء ظهره .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، يعني ابن زاذان ، عن الحسن في هذه الآية (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري ، قال : ثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي ، قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا رسول الله ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : ملكٌ على يمينك ، على حسناتك ، وهو أميرٌ على الذي على الشمال ، فإذا عملت حسنةً كتبت عشرًا ، وإذا عملت سيئةً ، قال الذي على الشمال للذي على اليمين : اكتب ، قال : لا . لعله يستغفر الله ويتوب ، فإذا قال ثلاثا ، قال : نعم اكتب ، أراحنا الله منه ، فبئس القرين ، ما أقبل مراقبته الله ، وأقبل استحياءه منّا ، يقول الله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول الله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) . وملك قابض على ناصيتك ، فإذا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ ، وإذا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ قَصَمَكَ ؛ وملكان على شفقتك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ، وملك قائم على فيك ، لا يدع الحية تدخل في فيك ؛ وملكان على عينيك ، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي ، وإبليس بالنهار ، وولده بالليل .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) الملائكة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا عمرو بن عوف ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ) قال : مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فالمعقبات هن من أمر الله ، وهي الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدره خلّوا عنه ؛

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فإذا جاء القدر خسأوا عنه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الحَفِظَةُ :
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : ملائكة .
حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا يعلى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) قال : ملائكة الليل يعقبون ملائكة النهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ) هذه ملائكة الليل ، يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح ، وفي قراءة أبي بن كعب : له معقبات من بين يديه ، ورقيب من خلفه ، يحفظونه من أمر الله .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قال : ملائكة يتعاقبونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ) قال : الملائكة . قال ابن جريج : معقبات : قال : الملائكة تعاقب الليل والنهار ، وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح » وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ) قال ابن جريج : مثل قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) قال : الحسنات من بين يديه ، والسيئات من خلفه ، الذي عن يمينه يكتب الحسنات ، والذي عن شماله يكتب السيئات .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكَّل يحفظه نومه ويقظته ، من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال : وراءك ، إلا شيئا يأذن الله فيه ، فيصبيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ) قال : يعني الملائكة .
وقال آخرون : بل عنى بالمعقبات في هذا الموضع : الحرس الذي يتعاقب على الأمير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفِهِ) قال : ذلك ملك من ملوك الدنيا ، له حرس ، من دونه حرس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) يعنى : ولى السلطان يكون عليه الحرس .
 حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرِّقٍ : أنه سمع عكرمة يقول
 في هذه الآية (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : هؤلاء الأمراء .
 حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة يقول (لَهُ
 مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : المواكب من بين يديه ومن خلفه .
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
 الضحاك يقول ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) ،
 قال : هو السلطان المحروس من أمر الله ، وهم أهل الشرك .
 وَأُولَى التَّأْوِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ : قول من قال : الهاء في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) مَن ذكر من التي
 فِي قَوْلِهِ (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) وَأَنَّ الْمُعَقَّبَاتِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ ، هِيَ حَرَسُهُ وَجَسَلَاوِزَتُهُ
 كما قال ذلك من ذكرنا قوله .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب : لأن قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) أقرب إلى قوله (وَمَنْ هُوَ
 مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) منه إلى عالم الغيب ، فهي لقرابها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى
 بذلك هذا ، مع دلالة قول الله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدًّا لَهُ) على أنهم المعنيون بذلك ،
 وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة ، يستخفون بالليل ، ويظهرون بالنهار ،
 ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومنعنة تمنعهم من أهل طاعته ، أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من
 معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوء ألم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفيظهم .
 وقوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم
 في تأويل قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) فمن قال : المعقبات هي الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم
 أيضا الملائكة ؛ ومن قال : المعقبات هي الحرس والجلالوزة من بني آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر
 الله هم أولئك الحرس .

واختلفوا أيضا في معنى قوله (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فقال بعضهم : حفيظهم إياه من أمره . وقال بعضهم :
 يحفظونه من أمر الله بأمر الله .

ذكر من قال : الذين يحفظونه هم الملائكة ، ووجه قوله : بأمر الله ، إلى

معنى : أن حفظها إياه من أمر الله

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
 (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يقول : بإذن الله ، فالمعقبات : هي من أمر الله ، وهي الملائكة .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (يَحْفَظُونَهُ مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ) قال : الملائكة : الحفظة ، وحفيظهم إياه : من أمر الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنى عبد الملك ، عن ابن عبيد الله ، عن مجاهد ، في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الحَفَظَةُ : هم من أمر الله .

قال : ثنا علي ، يعني ابن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) رُقَبَاءُ (وَمِنْ خَلْفِهِ) من أمر الله (يَحْفَظُونَهُ) .

قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الجارود ، عن ابن عباس (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) رَقِيبٌ (وَمِنْ خَلْفِهِ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الملائكة من أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الحَفَظَةُ .

ذكر من قال : عَسَىٰ بِذَلِكَ : يحفظونه بأمر الله

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) : أى بأمر الله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) . وفي بعض القراءات : بأمر الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) قال : مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله .

ذكر من قال : تحفظه الحرس من بنى آدم من أمر الله

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يعني : ولى السلطان يكون عليه الحرس ، يحفظونه من بين يديه ومن

خلفه ، يقول الله عز وجل : يحفظونه من أمرى ، فإني إذا أردت بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

حدثني أبو هريرة الضبعي ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا سعيد ، عن شريقي ، عن عكرمة : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : الجلاوزة .

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله ، الجن ومن يبغى أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خسلوا بينه وبينه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو هريرة الضَّبَعِيُّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن منصور ، عن طلحة ، عن إبراهيم (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : من الجن .

حدثنا سَرَّارُ بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت ليثا يحدث عن مجاهد ، أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شيء يأتيه يريد ، إلا قال : وراءك ، إلا شيئاً يأذن الله فيصيبه .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن يزيد بن شريح ، عن كعب الأحبار ، قال : لو تجلَّى لابن آدم كلُّ سهلٍ وحزْنٌ ، لرأى على كلِّ شيء من ذلك شياطين ، لولا أن الله وكَّلَ بكم ملائكة يذُبُّونَ عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم ، إذنٌ لتُحْطَطَمَ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسَّية ، قال : ثنا عمارة بن أبي حفصة ، عن أبي مجلز ، قال : جاء رجل من مُرَادٍ إلى علي رضي الله عنه ، وهو يصلي ، فقال : احترس ، فإن ناساً من مُرَادٍ يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل رجل مسكين يحفظانه مما لم يقدر ، فإذا جاء القدر خلتا بينه وبينه ، وإن الأجل جنة حصينة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن الحسن بن ذكوان ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : ما من آدمي إلا ومعه ملك موكل بذنوبه عنه ، حتى يُسَلِّمَهُ للذي قُدرَ له . وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظون عليه من الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قال : يحفظون عليه ، من الله .

حدثني قال أبو جعفر : يعني ابن جريج بقوله : يحفظون عليه : الملائكة الموكلة بابن آدم ، يحفظ حسناته وسيئاته ، وهي المعقبات عندنا ، تحفظ على ابن آدم حسناته وسيئاته ، من أمر الله . وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله : (مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أن الحفظة من أمر الله ، أو تحفظ بأمر الله ، ويجب أن تكون الهاء التي في قوله (يَحْفَظُونَهُ) وُحِدَتْ وَذُكِّرَتْ ، وهي مراد بها الحسنات والسيئات ، لأنها كناية عن ذُكْرٍ مَنْ الذي هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ، وأن يكون المستخفي بالليل ، أقيم ذكره مقام الخبر عن سيئاته وحسناته ، كما قيل (وَاسْتَلَّ الْقَرِيئَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ، وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) . وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك خلاف هذه الأقوال كلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ، وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) قال : أتى عامر بن الطفيل ، وأربد بن ربيعة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر : ما تجعل لي إن أنا اتبعتك ؟ قال : أنت فارسٌ أُعْطِيكَ أَعْيُنَةَ الْحَيْلِ ، قال : لا ، قال : فَمَا تَبْغِي ؟ قال : لي الشرق ، ولك الغرب ، قال : لا ، قال : فلي الوبر ، ولك المدر ، قال : لا ، قال :

(١) أربد بن قيس : أخو لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور لأنه هلك قبل أخيه لبيد ، فبكاه بكاء شديداً .

لأملأها عليك إذن خيلاً ورجالا، قال: يَمْنَعُكَ اللهُ ذَاكَ، وَأَبْنَاءُ قَيْسِئِةٍ، يريد الأوس والخزرج. قال فخرجا، فقال عامر لأربد: إن كان الرجل لنا لممكنا، لو قتلناه ما انتطحت فيه عزان، ولرضوا بأن تعقله لهم، وأحبوا السلم، وكرهوا الحرب، إذا رأوا أمرا قد وقع. فقال الآخر: إن شئت. فتشاورا، وقال: ارجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة، وكن وراءه، فاضربه بالسيف ضربة واحدة، فكانا كذلك، واحد وراء النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر قال: اقضص علينا قصصك، قال: ما يقول قرآنك، فجعل يجادله ويستبطئه، حتى قال: مالك أحشمت؟ قال: وضعت يدي على قائم سيفي فبيست، فما قدرت على أن أحسب ولا أمير ولا أحر كها، قال: فخرجا؛ فلما كانا بالحرّة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير؛ فخرجا إليهما، على كل واحد منهما لأمته ورمحه بيده، وهو متقلد سيفه، فقالا: لعامر بن الطفيل: يا أعور يا خبيث، يا أمسخ، أنت الذي تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لولا أنك في أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، مارمت المنزل، حتى ضربت عنقك، ولكن لا تستبقيين، وكان أشدّ الرجلين عليه أسيد بن الحضير، فقال: لو كان أبوه حيا لم يفعل بي هذا، ثم قال لأربد: اخرج أنت يا أربد إلى ناحية عديّة، وأخرج أنا إلى نجد، فنجتمع الرجال، فنلتني عليه، فخرج أربد، حتى إذا كان بالرقم، بعث الله سخابة من الصيف فيها صاعقة فأحرقته. قال: وخرج عامر، حتى إذا كان بواد يقال له الجريز، أرسل الله عليه الطاعون، فجعل يصيح: يا آل عامر، أغدّة كعدّة البكر تقتلني، يا آل عامر أغدّة كعدّة البكر تقتلني، وموت أيضا في بيت سلوليه، وهي امرأة من قيس، فذلك قول الله (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) فقرأ حتى بلغ (يخفظونه) تلك المعقبات من أمر الله، هذا مقدم ومؤخر؛ ليرسل الله صلى الله عليه وسلم معقبات يخفظونه من بين يديه ومن خلفه، تلك المعقبات من أمر الله، وقال لزيد: (إن الله لا يُغسّر ما يقوم حتى يُغسّر ما يأنفسهم) فقرأ حتى بلغ (ويُرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) . . . الآية، فقرأ، حتى بلغ (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) قال: وقال لبيد في أخيه أربد، وهو يبكيه:

أحشني على أربد الحثوف ولا أرهب نوء السماء والأسد

فجعتني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد^٢

يقول أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية، قول بعيد من تأويل الآية، مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل، وذلك أنه جعل الهاء في قوله (له معقبات) من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجز له في الآية التي قبلها، ولا في التي قبل الأخرى ذكر، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله (إنما أنت مستدرّ وليكل قوم هاد، له معقبات) فإن كان أراد ذلك، فذلك

(١) إن (بسكون النون) مخفضة من إن (بتشديدها). وهي هنا غير عاملة يريد: إنه كان ممكنا لو أردنا قتله.

(٢) البيتان للبيد في رثاء أخيه أربد (اللسان: صقع). قال: يقال: أصعقت الصاعقة، تصعقه: إذا أصابته، وهي الصواعق والصواعق. ويقال للبرق إذا أحرق إنسانا أصابته صاعقة. وقال لبيد يذكر أخاه أربد: فجعتني . . . الخ. وقال أبو زيد: الصاعقة تسقط من السماء في رعد شديد. وفي سيرة ابن هشام (٤: ٢١٣ - ٢١٦) خبر هلاك أربد وعامر، وما قاله زيد بن أسلم في تأويل الآية، ورواه عنه بنوه.

بعيد لما بينهما من الآيات ، بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان كذلك ، فكونها عائدة على « مَنْ » التي في قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) أقرب ، لأنه قبلها والخبر بعدها عنه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : سواء منكم أيها الناس من أسر القول ومن جهر به ، عند ربكم ، ومن هو مستخف بفسقه وربته في ظلمة الليل ، وسارب : يذهب ويجيء في ضوء النهار ، ممتنعا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله ، أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك ، وأن يقيموا حداً لله عليه ، وذلك قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) وقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك ، بظلم بعضهم بعضاً ، واعتداء بعضهم على بعض ، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره . وقوله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) يقول : وإذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ، ويسربون بالنهار ، لهم جند ومسنعة من بين أيديهم ومن خلفهم ، يحفظونهم من أمر الله ، هلاكاً وخزياً في عاجل الدنيا ، فلا مرد له : يقول : فلا يقدر على رد ذلك عنهم أحد غير الله . يقول تعالى ذكره (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) يقول : وما لهؤلاء القوم - والهاء والميم في « لهم » من ذكر القوم الذين في قوله (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) - من دون الله من وال : يعني : من وال يلبسهم ، وبلى أمرهم وعقوبتهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : السوء : المهلكة ، ويقول : كل جندام وبرص ونمى وبلاء عظيم فهو سوء ، مضموم الأول ، وإذا فتح أوله فهو مصدر سؤت ، ومنه قولهم : رجل سوء .

واختلف أهل العربية في معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فقال بعض نحويي أهل البصرة : معنى قوله (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) : ومن هو ظاهر بالليل ، من قولهم : خفيت الشيء : إذا أظهرته ، وكما قال امرؤ القيس :

فإن تكتموا الداء لا تخفيه وإن تبعثوا الحرب لا تنقعدا

وقال : وقد قرئ (أكاد أخفيها) بمعنى : أظهرها . وقال في قوله (وساربٌ بالنهار) السارب : هو المتواري ، كأنه وجهه إلى أنه صار في السرب بالنهار مستخفياً . وقال بعض نحويي البصرة والكوفة : إنما معنى ذلك : ومن هو مستخف : أي مستر بالليل ، من الاستخفاء ، وساربٌ بالنهار : وذاهب بالنهار ،

(١) البيت لامرؤ القيس في شعره : مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (ص ١٣٢) وفيه : فإن تدفنوا الداء . . . الخ يقول : إن تركوا ما بيننا وبينكم من عداوة ، لا تخفه ، أي لا تظهره ، يقال : خفاء : إذا أظهره . وأخفاه إذا ستره . وإن تهيجوا الحرب من مرقدنا ، فإننا لانقعد عن حربكم ، جنبنا ولاخوفا . وفي (اللسان : خفا) : خفا البرق خفوا : لمع ، وخفى الشيء خفياً وخفياً (عل فعول) : أظهره واستخرجه . يقال : خفى المطر الفأر : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

ومن قولهم : سَرَبَتِ الإِبِلُ إِلَى المَرَاعِي ، وذلك ذهابها إلى المراعى ، وخروجها إليها . وقيل : إن السروب بالعشى ، والسروح بالغداة .

واختلفوا أيضا في تأنيث معقبات ، وهى صفة لغير الإناث ، فقال بعض نحوى البصرة : إنما أنثت لكثرة ذلك منها ، نحو : نَسَابَةٌ وعلامة ، ثم ذُكِرَ : لأن المعنى مذكر ، فقال : يحفظونه . وقال بعض نحوى الكوفة : إنما هى ملائكة مُعَقَّبَةٌ ، ثم جمعت معقبات ، فهو جمع جمع ، ثم قيل : يحفظونه ، لأنه للملائكة ، وقد تقدم قولنا فى معنى المستخنى بالليل ، والسارب بالنهار . وأما الذى ذكرناه عن نحوى البصريين فى ذلك فقول - وإن كان له فى كلام العرب وجه - خلاف لقول أهل التأويل ، وحسبته من الدلالة على فساده ، وخروجه عن قول جميعهم . وأما المعقبات ، فإن التعقيب فى كلام العرب العود بعد البدء ، والرجوع إلى الشئ بعد الانصراف عنه ، من قول الله تعالى (وَآلِ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) : أى لم يرجع ، وكما قال سلامة بن جندل :

وَكَّرْنَا الحَيْلَ فى آثَارِهَا رُجْعًا كَسَّ السَّنَائِكِ مِنِ بَدْءٍ وَتَعْقِيبِ ١

يعنى : فى غزو ثانٍ عَقَّبُوا ، وكما قال طرفة :

وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عَاتِبًا فَعَقَّبْتُمْ بِذُنُوبِ غَسِيرٍ مُرًّا ٢

يعنى بقوله : عَقَّبْتُمْ : رجعت ، وأتاهم التأنيث عندنا ، وهى من صفة الحرس الذى يحرسون المستخنى بالليل ، والسارب بالنهار ، لأنه عَنِي بها حرس معقبة ، ثم جمعت المعقبة ، فقيل : معقبات ، فذلك جمع جمع المعقَّب ، والمعقَّب : واحد المعقبة ، كما قال ليلى :

حَتَّى تَهْجَرَ فى الرِّوَا حِ وَهَاجَهَا طَلَبَ المُعَقَّبِ حَقَّهُ المُظْلُومُ ٣

والمعقبات جمعها ، ثم قال : يحفظونه ، فرد الخبر إلى تذكير الحرس والجند .

وأما قوله (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فإن أهل العربية اختلفوا فى معناه ، فقال بعض نحوى الكوفة : معناه : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وليس من أمره ، إنما هو تقديم وتأخير ، قال : ويكون

(١) البيت فى ديوانه (طبع بيروت سنة ١٩١٠ ص ٨) ورواية الشطر الأول فيه : « وكرنا خيلنا أدراجها رحما » . الخ وقوله أدراجها : أى رجوعها من حيث جاءت فى طريقها . وكس السنائك : جمع أكس ، وهو الذى تحاتت سنابكه وذفت ، فقصرت . والسنائك جمع سنبك ، بضم أوله : مقدم الحافر . والبدء : ابتداء الشئ . والتعقيب : الرجوع والمطف ، والبدء والتعقيب كالغدو والرواح .

(٢) البيت لطرفة بن العبد البكرى ، من رائيته المقيدة ، التى مطلعها : « أحسوت اليوم أم شاقتك حر » : (ديوانه طبع شالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ ص ٦٨ ، وطبع روسيا سنة ١٩٠٩ ص ٧٥ ، ومختار الشعر الجاهل طبعة الخليلى بالقاهرة ص ٣٣٤) . وقوله : عاتبا : أى واجدا . وعقبتم : عطفتم ورجعتم . والذنوب يفتح الذال : الدلو ، ضربها مثلا للحفظ الذى نال منهم ، وغير مر : أى لم يمتلوا به ولا متوا ، فىكون مرا ، أى عقبتم عقبى عليكم بعباء حلوا .

(٣) هذا البيت من شواهد النحاة (غزاة الأدب الكبرى للبغدادى ١ : ٣٣٤) قال : التجر : السير فى الهجرة ، وهى نصف النهار ، وحتى : بمعنى إلى . والرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدو . وهاجها : أزعجها . وطلب : مصدر تشبيهي ، أى هاج هذا المسجل أثناء طلب الماء طلبا حثيثا ، كطلب المعقب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقه بعد مرة ، أو هو الذى يطلب الدين من الغريم ، يقال : عقب فى الأمر : إذا تردد فى ملية مجدا .

(٤) أى : وليس يحفظونه من أمره ، بتعليق الجار والمجرور بالفعل .

يَحْفَظُونَهُ ذَلِكَ الْحَفِظَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَيَأْذَنَهُ ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ : أَجَبْتِكَ مِنْ دَعَائِكَ إِيَّايَ ، وَبِدَعَائِكَ إِيَّايَ .
وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرِيِّينَ : مَعْنَى ذَلِكَ : يَحْفَظُونَهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، كَمَا قَالُوا : أَطْعَمَنِي مِنْ جُوعٍ وَعَنْ جُوعٍ ،
وَكَسَانِي عَنْ عُرِّيٍّ وَمِنْ عُرِّيٍّ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيهَا مَضَى عَلَى أَنَّ أَوْلَى الْقَوْلِ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ : أَنَّ يَكُونُ قَوْلُهُ (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) مِنْ
صِفَةِ حَرَسٍ هَذَا الْمُسْتَحْفَى بِاللَّيْلِ ، وَهِيَ تَحْرَسُهُ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُ أَمْرَ اللَّهِ ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، أَنَّ حَرَسَهُ
ذَلِكَ لَا يَعْْنِي عَنْهُ شَيْئًا إِذَا جَاءَ أَمْرُهُ ، فَقَالَ (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا أَفَلَا مَرَدٌّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ
بِحَنْدِهِ وَالْمَلْسِكَةَ مِنْ خَيْفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ
فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ) يَعْنِي أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي يُرِي عِبَادَهُ الْبَرْقَ . وَقَوْلُهُ
(هُوَ) كِنَايَةٌ اسْمُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْبَرْقِ فِيهَا مَضَى ، وَذَكَرْنَا اخْتِلَافَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِيهِ ، بِمَا أَغْنَى
عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وَقَوْلُهُ (خَوْفًا) يَقُولُ : خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ مِنْ أَذَاهِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْبَرْقَ : الْمَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، قَالَ : ثَنَا حَمَادٌ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ سَالِمٍ أَبُو جَهْضَمٍ ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَتَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى أَبِي الْجَلْدِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْبَرْقِ ،
فَقَالَ : الْبَرْقُ : الْمَاءُ .

وقوله (وَطَمَعًا) يقول : وطمعا للمقيم أن يمطر فينتفع .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ)
خَوْفًا وَطَمَعًا) يَقُولُ : خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ فِي أَسْفَارِهِ ، يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ ، وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ ، يَرْجُو بَرَكَتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ ،
وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللَّهِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (خَوْفًا وَطَمَعًا) خَوْفًا
لِلْمَسَافِرِ ، وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ .

وقوله (وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) : وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ بِالْمَطَرِ ، وَيُبْدِئُهُ ، يُقَالُ مِنْهُ : أَنْشَأَ اللَّهُ
السَّحَابَ : إِذَا أَبْدَأَهُ ، وَنَشَأَ السَّحَابَ : إِذَا بَدَأَ ، يَنْشَأُ نَشْئًا ، وَالسَّحَابُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ،
فِيهَا جَمْعٌ ، وَاحِدَتُهَا سَحَابَةٌ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : الثَّقَالُ ، فَتَعْتَمِدُ بِنَعْتِ الْجَمْعِ ، وَلَوْ كَانَ جَاءَ : السَّحَابَ الثَّقِيلَ
كَانَ جَائِزًا ، وَكَانَ تَوْحِيدًا لِلْفِظِ السَّحَابِ ، كَمَا قِيلَ (جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ،

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ) قال : الذي فيه الماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ) قال : الذي فيه الماء .

وقوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) قال أبو جعفر : وقد بيئنا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد ، قال - كما حدثنا الحسن بن محمد ،

قال : ثنا كثير بن هشام . قال : ثنا جعفر ، قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت

الرعد الشديد ، قال « اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَدَايِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ » .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة ،

رفع الحديث « أنه كان إذا سمع الرعد قال : سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا مسعدة بن اليسع الباهلي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي

رضي الله عنه ، كان إذا سمع صوت الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

قال : ثنا إسماعيل بن علقمة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان إذا سمع

الرعد ، قال : سبحان الذي سبحت له .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا يعلى بن الحارث ، قال : سمعت أبا حمزة يحدث

عن الأسود بن يزيد ، أنه كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له ، أو سبحان الذي يسبح الرعد

بحمده ، والملائكة من خيفته .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن ابن طاوس ، عن عبد الكريم ، عن طاوس ، أنه

كان إذا سمع الرعد ، قال : سبحان من سبحت له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ميسرة ، عن الأوزاعي ، قال : كان ابن

أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : سبحان الله وبحمده ، لم تصبه صاعقة .

ومعنى قوله (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) ويعظم الله الرعد ويمجده ، فيثني عليه بصفاته ، وينزهه

مما أضاف إليه أهل الشرك به ، ومما وصفوه به ، من اتخاذ الصاحبة والولد ، تعالى ربنا وتقدس .

وقوله (مِنْ خِيفَتِهِ) يقول : وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبتة .

وأما قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) فقد بيننا معنى الصاعقة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ، بما فيه الكفاية من الشواهد ، وذكرنا ما فيها من الرواية .
وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية ؟ فقال بعضهم : نزلت في كافر من الكفار ، ذكّر الله تعالى وتقدس ، بغير ما ينبغي ذكره ، فأرسل عليه صاعقة أهلكته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبان بن يزيد ، قال : ثنا أبو عمران الجوني ، عن عبد الرحمن بن صخر العبدى ، أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبار يدعوه ، فقال : أرأيتم ربكم ، أذهب هو ، أم فضة هو ، أم لؤلؤ هو ؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سبحانه فرعدت ، فأرسل الله عليه صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله هذه الآية (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .

حدثني الثمني ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : « جاء يهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبرني عن ربك ، من أى شيء هو ؟ من لؤلؤ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .

حدثني الثمني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي ، قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد حدثني ، من هذا الذي تدعو إليه ؟ أياقوت هو ، أذهب هم ، أم ماهو ؟ قال : فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : ثنا علي بن أبي سارة الشيباني ، قال : ثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرة رجلا إلى رجل من فراعنة العرب : أن ادعه لي ، فقال : يا رسول الله ، إنه أعنى من ذلك ، قال : اذهب إليه فادعه ، قال : فأتاه ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال : فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه ، قال : فأتاه فأعاد عليه ، وردّ عليه مثل الجواب الأول ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه ، قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سبحانه بجبال رأسه ، فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .
وقال آخرون : نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن ، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن ، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته ، فأنزل الله عز وجل فيه (وَهُمُ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) .
وقال آخرون : نزلت في أربد أخى لبيد بن ربيعة ، وكان هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت ، يعنى قوله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) في أربد أخى لبيد بن ربيعة ، لأنه قدم أربد وعامر ابن الطفيل بن مالك بن جعفر ، على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عامر : يا محمد أأسلم وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا ، قال : فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر ؟ قال : لا ، قال : فماذا ؟ قال : أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس ، قال : أوليست أعنة الخيل بيدي ، أما والله لأملأها عليك خيلا ورجالا من بنى عامر ، وقال لأربد : إما أن تكفينيه وأضربه بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفيكه وأضربه ، فقال الطفيل : يا محمد إن لى إليك حاجة ، قال ادن ، فلم يزل يدنو ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ، ادن ، حتى وضع يديه على ركبتيه ، وحنى عليه ، واستل أربد السيف ، فاستل منه قليلا ؛ فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بريقه ، تعوذ بأية كان يتعوذ بها ، فبيست يد أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته ، فذلك قول أخيه :

أخشى لى أربد الخشوف ولا أرهب نوء السماء والأسد
فجععتنى السبرق والصواعق بال ففارس يوم الكريهة النجد^٢

وقد ذكرت قبل خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة .

وقوله (وَهُمُ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) يقول : وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق ، أصابهم في حال خصومتهم في الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) يقول تعالى ذكره : والله شديدة ماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتأ ، ونمادى في كفره ، والمحال : مصدر من قول القائل : ماحلت فلانا ، فأنا أماحله ماحلة ومحالا ، وقَعَلْتُ منه : تَحَلَّتْ أُمَّحَلٌ تَحَلًّا : إذا عَرَّضَ رَجُلٌ رَجُلًا لِمَا يَهْلِكُهُ ؛ ومنه قوله : « وماحيلٌ مُصَدِّقٌ »^٣ ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

(١) لعاه : أكفنيه ، كما تدل عليه بقية القصة .

(٢) البيتان للبيد ، وقد تقدم الاستشهاد بهما قريبا في هذا الجزء من التفسير .

(٣) هذا جزء من حديث رواء ابن عباس : « إن هذا القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق » . قال أبو عبيدة : جعله يحمل بصاحبه إذا لم يقع ما فيه ، أو إذا هو ضيمه . وقال ابن الأثير : أى خصم مجادل مصدق .

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ
 هكذا كان يُنشدُه مَعْمَرُ بنِ المَثْنِي ، فَمَا حَدَّثَتْ عَلِيَّ بنَ المَغِيرَةَ عَنْهُ . وَأَمَّا الرِّوَاةُ بَعْدَ فَيُنْشِدُونَهُ :
 فَرَعُ فَرَعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ كَثِيرُ النَّدَى عَظِيمُ الْمِحَالِ
 وَفَسَّرَ ذَلِكَ مَعْمَرُ بنِ المَثْنِي ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَنَى بِهِ العُقُوبَةَ وَالمَكْرَ وَالنِّكَالَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الآخِرِ :
 وَلَكَبَسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فُكُلًا أَعَدَّ لَهُ الشَّغَابَ وَالمِحَالَا^٢
 وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي روق ، عن
 أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه (وهو شديد المِحَالِ) قال : شديد الأخذ .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وهو
 شديد المِحَالِ) قال : شديد القوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وهو شديد المِحَالِ) أي القوة والحيلة .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (شديد المِحَالِ)
 يعني : المهلاك ، قال : إذا محل فهو شديد . وقال قتادة : شديد الحيلة^٣ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا رجل ، عن عكرمة (وهم يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ
 وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) قال : المِحَالُ : جدال أربد ، وهو شديد المِحَالِ ، قال : ما أصاب أربد من الصاعقة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وهو شديد المِحَالِ) قال :
 قال ابن عباس : شديد الحول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وهو شديد المِحَالِ)
 قال : شديد القوة . المِحَالُ : القوة . والقول الذي ذكرناه عن قتادة في تأويل المِحَالِ أنه الحيلة ، والقول الذي
 ذكره ابن جريج ، عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن (وهو شديد المِحَالِ)
 بفتح الميم ، لأن الحيلة لا يأتي مصدرها محالا بكسر الميم ، ولكن قد يأتي على تقدير المفعلة منها ، فيكون محالة ،

(١) البيت لأعشى بن ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه ص ٧ طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) وهو من لاميته المطولة
 التي مطلعها : « ما بكاه الكبير بالأطلال » يمدح بها الأسود بن المنذر البخمي . يقول إنه فرع في غصون المجد غزير الندى ، وهو مع
 ذلك شديد النكال بأعدائه . والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، ولمن أغصانه السهام ، ينبت في قتل الجبال . والمحال : العقوبة
 والمكر ، والنكال . ومعمر بن المثنى : هو أبو عبيدة البصرى . وعلى بن المغيرة : هو الأثرم .

(٢) البيت لذى الرمة (اللسان : محل) . قال : والمحال : المكر بالحق ، وفلان يماحل عن الإسلام : أي يماكر ويدافع
 والمماحلة : المماكرة والمكايدة ، ومنه قوله تعالى : « شديد المحال » . اهـ . وفي « اللسان : شغزب » : والشغزية : ضرب من
 الحيلة في الصراع ، وهي أن تلوى برجله رجلك ، تقول : شغزبته شغزبة ، وأخذته بالشغزية ، قال ذو الرمة : « ولبس بين
 أقوام فكل » . الخ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) والشغزية : الالتواء . اهـ .

(٣) قال ابن قتيبة : وأصل المحال الحيلة . ورد عليه أبو منصور الأزهرى فقال : قول القتيبي غلط فاحش ، وكأنه توهم
 أن ميم المحال : ميم مفعل (بالكسر) ، وأنها زائدة ، وليس كما توهمه . (اللسان : محل) .

ومن ذلك قولهم : المرء يعجز لا محالة ، والمحالة في هذا الموضع : المفصلة من الخيلة . فأما بكسر الميم ، فلا تكون إلا مصدرا ، من ما حلت فلانا أما حله محالا ، والمماثلة بعيدة المعنى من الخيلة ، ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم : فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل ذلك : ما قلنا من القول .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيفٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ ، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)

يقول تعالى ذكره : الله من خلقه الدعوة الحق ، والدعوة هي الحق ، كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله (وَكَذَلِكَ أُرِ الْآخِرَةَ) وقد بينا ذلك فيما مضى ، وإنما عنى بالدعوة الحق : توحيد الله ، وشهادة أن لا إله إلا الله :

وينحو الذى قلنا ، تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني المنثى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَهُ) دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : ثنا سيف ، عن أبي رَوْق ، عن أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : التوحيد :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : لا إله إلا الله :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) : لا إله إلا الله ، ليست تنبغى لأحد غيره ، لا ينبغي أن يقال : فلان إله بنى فلان .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره : والآلة التي يدعونها المشركون أربابا وآلة . وقوله (مِنْ دُونِهِ) يقول : من دون الله ، وإنما عنى بقوله (مِنْ دُونِهِ) الآلة ، أنها مقصرة عنه ، وأنها لا تكون إلها ، ولا يجوز أن يكون إلها إلا الله الواحد القهار ؛ ومنه قول الشاعر :

أَتُوْعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَّاحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي^١

يعنى : لتقصرن يداك عنى .

وقوله (لا يَسْتَجِيبُونَ لَكُمْ بِشَيْءٍ) يقول : لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة ، بشيء ، يريدونه ، من نفع أو دفع ضرر ، إلا كباسط كفيه إلى الماء : يقول : لا ينفع داعى الآلهة دعاؤه إياها ، إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء ، بسطه إياهما إليه ، من غير أن يرفعه إليه فى إناء ، ولكن ليرتفع إليه بدعاؤه إياه ، وإشارته إليه ، وقبضه عليه ، والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض على الماء : قال بعضهم :

فَلَمَّا تَى وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقَهُ أَنَامِلُهُ^٢

يعنى بذلك : أنه ليس فى يده من ذلك . إلا كما فى يد القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لاشئ فى يده . وقال آخر :

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ^٣

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على بن رضى الله عنه ، فى قوله (إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَسْبُلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) قال : كالرجل العطشان يمد يده إلى البئر ، ليرتفع الماء إليه ، وما هو ببالغه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شهابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قوله (كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتیه أبدا .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى الأعرج ، عن مجاهد (لِيَسْبُلُغَ فَاهُ) يدعوه ليأتیه ، وما هو بآتیه ، كذلك لا يستجيب من هو دونه .

(١) البيت لجرير (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٥١٧) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٦) قال فى شرح قوله تعالى : « والذين يدعون من دونه » مجازه : « والذين يدعون غيره من دونه ، أى يقصرون عنه . و « يدعون » من الدعاء . ومجاز « دونه » مجاز « عنه » . قال : أتوعدنى وراء . . . الخ البيت ، « دوفى » : أى عنى .

(٢) البيت لضبان بن الحارث البرجمي ، قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالى : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه » : مجازه : « إن الذى يبسط كفه ليقبض على الماء ، حتى يؤديه إلى فيه ، لا يتم له ذلك . ولم تسقه أنامله : أى تجمعمه . . . الخ . قال : يقول : ليس من يدي فى ذلك شئ ، كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شئ . ومعنى : لم تسقه : لم تحمله (اللسان : وسق) . وفى الخزانة (٤١ : ٨٠) لم تطلعه .

(٣) وهذا الشاهد أيضا من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٢٧) . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله . يقول : لم أظفر من حب هذه الحبيبة إلا بمثل ما يظفر به من يقبض على الماء بيده . أى أنه لم يئل من حبها شيئا ، كما أن القابض على الماء ، لا يجمع فى يده منه شيئا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ) يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، فلا يأتيه أبدا .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن ، عن حجاج ، قال ابن جريج : وقال الأعرج ، عن مجاهد (لِيَسْبُلُغَ فَاهُ) قال : يدعو له لأن يأتيه ، وما هو بآتيه ، فكذلك لا يستجيب من هو دونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) ، إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَسْبُلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) وليس بالغة حتى يتمزج عنقه ، ويهلك عطشا . قال الله تعالى (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) : هذا مَسْئَلٌ ضربه الله : أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوَثْنُ وهذا الحجر ، لا يستجيب له بشيء أبدا ، ولا يسوق إليه خيرا ، ولا يدفع عنه سوءا ، حتى يأتيه الموت ، كمثل هذا الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه . ولا يبلغ فاه ، ولا يصل إليه ذلك ، حتى يموت عطشا .

وقال آخرون : معنى ذلك : والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ ، ليتناول خياله فيه ، وما هو ببالغ ذلك :

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَسْبُلُغَ فَاهُ) فقال : هذا مثل المشرك مع الله غيره ، فمثل كمثل الرجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله ، ولا يقدر عليه .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) ... إلى (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : مَسْئَلُ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كمثل رجل قد بلغه العطش ، حتى كثر به الموت ، وكفاه في الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه . يقول الله : لا تستجيب الآلهة ، ولا تنفع الذين يعبدونها ، حتى يبلغ كفاه هذا فاه ، وما هما ببالغتين فاه أبدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَسْبُلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) قال : لا ينفعونهم بشيء إلا كما ينفع هذا بكفاه ، يعني بسطهما إلى ما لا ينال أبدا .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَسْبُلُغَ فَاهُ) وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطة كفيه لا يقبضهما (وَمَا

هُوَ بِبَالِغِهِ ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (قال : هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله إلهاً أنه غير نازعة ، ولا يدفع عنه سوءاً ، حتى يموت على ذلك .

وقوله (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة إلا في ضلال : يقول : إلا في غير استقامة ولا هُدًى ، لأنه يشرك بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمًا لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء ، من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له ، فله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ، ومن في الأرض من المؤمنين به طوعاً ، فأما الكافرون به ، فإلهم يسجدون له كرهاً حين يكرهون على السجود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) فأما المؤمن فيسجد طائعا ، وأما الكافر فيسجد كارها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : كان ربيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) قال : بلى يارباة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) قال : من دخل طائعا ، هذا طوعاً ، وكرهاً : من لم يدخل إلا بالسيف .

وقوله (وَظِلْمًا لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) يقول : ويسجد أيضا ظلال كل من سجد لله طوعاً وكرهاً ، بالغدوات والعشايا ، وذلك أن ظل كل شخص ، فإنه ينعى بالعشى ، كما قال جل ثناؤه (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيْضُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَظِلْمًا لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) يعني : حين ينعى ظل أحدهم عن يمينه أو شماله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال في تفسير مجاهد (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمًا لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) قال : ظل المؤمن يسجد طوعاً ، وهو طائع ، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَظِلْمًا لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) قال : ذكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له ، وقرأ « سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ » قال : تلك الظلال

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدارالكتب المصرية . وفي الدر المنثور عن مجاهد : يسجد كرها وهو كاره .

تسجد لله ، والآصال : جمع أُصْل ، والأصلُ : جمع أُصِيل ، والأصِيل : هو العشي ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ؛ قال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلَهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلْ : اللَّهُ ، قُلْ : أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؟ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ؟ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ؟ قُلْ : اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله : مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ومدبرها ، فإنهم سيقولون الله ، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : الله ، فقال له : قل يا محمد : رَبُّهَا الذي خلقها وأنشأها ، هو الذي لاتصلح العبادة إلا له ، وهو الله ، ثم قال : فإذا أجابوك بذلك ، فقل لهم : أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَوْلِيَاءَ ، لاتملك لأنفسها نفعاً تجلبه إلى نفسها ، ولا ضراً تدفعه عنها ، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها ، فمن ملكه لغيرها أبعده ، فعبدموها وتركتكم عبادة من بيده النفع والضرر ، والحياة والموت ، وتدبير الأشياء كلها ، ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلاً ، فقال (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلْ : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ .

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله ، الذي بيده نفعهم وضرهم ، ما لا ينفع ولا يضر ، هل يستوى الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ، ولا يهتدى لمِحْجَةِ يسلكها ، إلا بأن يهتدى ، والبصير الذي يهتدى الأعمى لمحجة الطريق الذي لا يبصر ، إنهما لاشك لتغير مستويين ، يقول : فكذلك لا يستوى المؤمن الذي يبصر الحق فينبهه ، ويعرف الهدى فيسلكه ؛ وأنتم أيها المشركون ، الذين لاتعرفون حقاً ، ولا تبصرون رشداً .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان: أصل) قال: الأصيل: العشي، والجمع: أصل وأصلان، مثل بعير وبعران، وأصال وأصائل، كأنه جمع أصيلة. وقال الزجاج: أصل: جمع أصل. فهو على هذا جمع الجمع، ويجوز أن يكون أصل واحداً كغلب. واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١: ٣٢٨) عند قوله تعالى «بالعشي والآصال» قال: واحداً: أصل، وواحد الأصل: أصيل، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس؛ وقال أبو ذؤيب... البيت.

وقوله (أم هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) يقول تعالى ذكره : وهل تستوي الظلمات التي لا تُرى فيها الْحَجَّةَ فَتَسْتَلِكُ ، ولا يُرى فيها السبيلُ فيركب ، والنور الذي يبصرُ به الأشياء ، ويجلو ضوءُه الظلام ؟ يقول : إن هذين لاشكَّ لتغير مستويين ، فكذلك الكفر بالله ، إنما صاحبه منه في حسيرة ، يضرب أبداً في عمرة ، لا يرجع منه إلى حقيقة ، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء ، يعمل على علم بربه ، ومعرفة منه بأن له مثيباً يثيبه على إحسانه ، ومعاقباً يعاقبه على إساءته ، ورازقاً يرزقه ، ونافعاً ينفعه .
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . أم هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) : أما الأعمى والبصير ، فالكافر والمؤمن ؛ وأما الظلمات والنور ، فالهتدي والضلالة .

وقوله (أم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهُؤُلاءِ المشركين : أخلق أوثانكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله ، كخلق الله ، فاشبهه عليكم أمرها فيما خلقت وخالق الله ، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك ، أم إنما بكم الجهل والذهاب عن الصواب ؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من الفعل جهل ، وأن العبادة إنما تصلح للذي يُرجى نفعه ، ويخشى ضرره ، كما أن ذلك غير مُشكَل خطؤه وجهل فاعله ، كذلك لا يُشكَل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويؤمنه ، من لا يقدر له على ضرر ولا نفع .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ) حملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) ، خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فحملهم ذلك على أن شكوا في الأوثان .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير : سمعت مجاهداً يقول : (أم جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) ضربت مثلاً .

وقوله (قُلْ : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهُؤُلاءِ

المشركين إذا أقروا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئا ، فالله خالقكم وخالق أوثانكم ، وخلق كل شيء ، فما وجه إشراككم ما لا تخلق ولا تنصر .
وقوله (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : وهو الفرد الذى لا تانى له ، القهار الذى يستحق الألوهة والعبادة ، لا الأصنام والأوثان ، التي لا تنصر ولا تنفع .

القول في تأويل قوله تعالى

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)

✽ قال أبو جعفر : وهذا مثل ضرب به الله للحق والباطل ، والإيمان به والكفر . يقول تعالى ذكره : مثل الحق في ثباته ، والباطل في اضمحلاله . مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) يقول : فاحتملت الأودية بملئها ، الكبير بكبره ، والصغير بصغره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : فاحتمل السيل الذى حدث عن ذلك الماء ، الذى أنزله الله من السماء ، زبدا عاليا فوق السيل ، فهذا أحد مشألى الحق والباطل ، فالحق هو الماء الباقى الذى أنزله الله من السماء ، والزبد الذى لا ينتفع به هو الباطل . والمثل الآخر (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ) يقول جل ثناؤه : ومثل آخر للحق والباطل ، مثل فضة أو ذهب يُوقد عليها الناس فى النار ، طلباً حليئة يتخذونها أومتاع ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد ، يُوقد عليه ، ليتخذ منه متاع ينتفع به (زَبَدٌ مِثْلُهٗ) يقول تعالى ذكره : ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله ، بمعنى : مثل زبد السيل ، لا ينتفع به ، ويذهب باطلا ، كما لا ينتفع بزبد السيل ، ويذهب باطلا . ورفع الزبد بقوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه فى النار زبد مثل زبد السيل فى بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة ، يقول الله تعالى (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) يقول : كما مثل الله الإيمان والكفر فى بطول الكفر ، وخيبة صاحبه عند مجازاة الله ، بالباقي النافع من ماء السيل ، وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) يقول : فأما الزبد الذى علا السيل ، والذهب والفضة والنحاس والرصاص ، عند الوقود عليها ، فيذهب بدفع الرياح ، وقذف الماء به ، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادى ، (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فالماء يمكث فى الأرض ، قنشره ، والذهب والفضة تمكث للناس ، (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) يقول : كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر ، كذلك يمثل الأمثال .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقيها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) ، وهو الشك (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُهُ فِي الْأَرْضِ) وهو اليقين ، كما يجعل الحلي في النار ، فيؤخذ خالصه ، ويترك خبثه في النار ، فكذلك يقبل الله اليقين ، ويترك الشك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمته . (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، وللنحاس والحديد خبث ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء (فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض ، فما شربت من الماء فأنبت ، فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبي لأهله ، والعمل السيئ يضمحل عن أهله ، كما يذهب هذا الزبد ، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله ، فمن عمل بالحق كان له ، وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض ، وكذلك الحديد لا يستطيع أن يجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار ، فتأكل خبثه ، فيخرج جوده ، فينتفع به ، فكذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة ، وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فبريغ الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق ، ثم قال (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) . . . إلى (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) فقال : ابتغاء حلية : الذهب والفضة ، أو متاع : الصنم والحديد ، قال : كما أوقد على الذهب والفضة والصنم والحديد ، فخلص خالصه ، قال (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُهُ فِي الْأَرْضِ) ، كذلك بقاء الحق لأهله فانتفعوا .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عبد الله ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) قال : ما أطاقت مآلها (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) قال : انقضى الكلام ، ثم استقبل فقال (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ) قال : المتاع : الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه . زَبَدٌ مِثْلَهُ ، قال : خبث ذلك مثل زبد السيل . قال (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْسِكُهُ فِي الْأَرْضِ) ، وَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) قال : فذلك مثل الحق والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن

(١) قرأ « يوقدون » بالياء : حميد ، وابن محيص ، والأعشى ، وحرزة ، والكسائي ، وحفص ؛ وقرأ الباقون بالتاء المثناة الفوقية .

مجاهد أنه سمعه يقول ، فذكر نحوه . وزاد فيه : قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : قوله (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) قال : جمودا في الأرض (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَسْكُهُ فِي الْأَرْضِ) يعني الماء وهما مثلان : مثل الحق والباطل .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (زَبَدًا رَابِيًا) السيل مثل خبث الحديد والحلية (فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) جمودا في الأرض (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه . وقوله (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَسْكُهُ فِي الْأَرْضِ) إنما هما مثلان للحق والباطل .

حدثني المنثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله : (فَسَأَلَتْ أُوْدِيَّةٌ بِقَدَرِهَا) قال : بملها (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) قال : الزبد : السيل (ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : خبث الحديد والحلية (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) قال : جمودا في الأرض (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَسْكُهُ فِي الْأَرْضِ) قال : الماء . وهما مثلان للحق والباطل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أُوْدِيَّةٌ بِقَدَرِهَا) الصغير بصغره ، والكبير بكبره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) ، أي عاليا . (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) والجفاء : ما يتعلق بالشجر (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَسْكُهُ فِي الْأَرْضِ) : هذه ثلاثة أمثال ، ضربها الله في مثل واحد . يقول : كما اضمحل هذا الزبد ، فصار جفأ لا ينتفع به ، ولا تُرجى بركته ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ، كما اضمحل هذا الزبد ، وكما مكث هذا الماء في الأرض ، فأمرعت هذه الأرض ، وأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحق لأهله ، كما بقي هذا الماء في الأرض ، فأخرج الله به ما أخرج من النبات . قوله (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) . . . الآية ، كما يبقى خالص الذهب والفضة ، حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله . قوله (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) يقول : هذا الحديد والصفير الذي ينتفع به ، فيه منافع : يقول : كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصفير ، حين أدخل النار وذهب خبثه ، كذلك يبقى الحق لأهله ، كما يبقى خالصهما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال ثنا : محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسَأَلَتْ أُوْدِيَّةٌ بِقَدَرِهَا) الكبير بقدره ، والصغير بقدره (زَبَدًا رَابِيًا) قال : ربا فوق الماء الزبد (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ) قال : هو الذهب إذا أدخل النار ، بقي صفوه ، ونقي ما كان من كدره ، وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذَرُ هَبًّا جُفَاءً) يتعلق بالشجر ، فلا يكون شيئا ، مثل الباطل . (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمَسْكُهُ فِي الْأَرْضِ) وهذا يخرج النبات ، وهو مثل الحق (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : المتاع : الصفير والحديد .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هُوَذَةُ بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، قال : بلغني في قوله (أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقُدْرِهَا) قال : إنما هو مثل ضربه الله للحقّ والباطل ، (فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقُدْرِهَا) الصغير على قدره ، والكبير على قدره ، وما بينهما على قدره (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) يقول : عظيمًا ، وحيث استقرّ الماء يذهب الزبد جُفَاءً ، ففتير به الريح ، فلا يكون شيئًا ، ويبقى صريح الماء ، الذي ينفع الناس ، منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) ومثل الزبد كل شيء يوقد عليه في النار ، الذهب والفضة والنحاس والحديد ، فيذهب خَبَثُهُ ، ويبقى ما ينفع في أيديهم ، وَآخِثٌ وَالزَّبَدُ مثل الباطل ، والذي ينفع الناس مما تحصل في أيديهم مما ينفعهم ، المال الذي في أيديهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِنَّ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) قال : هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل ، فقرأ (أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقُدْرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) هذا الزبد لا ينفع (أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) هذا لا ينفع أيضا ، قال : وبقى الماء في الأرض ، فنفع الناس ، وبقى الخلي الذي صلح من هذا ، فانتفع الناس به (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) وقال : هذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (أَوْدِيَةً بِقُدْرِهَا) قال : الصغير بصغره ، والكبير بكبره .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء : ضرب الله مثلا للحقّ والباطل ، فضرب مثل الحقّ ، كمثل السيل الذي يمكث في الأرض ، وضرب مثل الباطل ، كمثل الزَّبَدِ الذي لا ينفع الناس ، وعنى بقوله (رَابِيًا) : عاليًا منتفخًا ، من قولهم : ربا الشيء يربو رُبُوبًا فهو راب ، ومنه قيل للنشز من الأرض كههيئة الأكمة رابية ؛ ومنه قول الله تعالى (اهْسَزَّتْ وَرَبَّتْ) ، وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع : المتاع ، لأنه يُسْتَمْتَعُ به ، وكلّ ما يتمتع به الناس فهو متاع ؛ كما قال الشاعر :

تَمْتَعُ يَا مُشَعَّتُ إِنَّ شَيْئًا سَبَقَتْ بِهِ الْمَمَاتَ هُوَ الْمَتَاعُ

وأما الجُفَاءُ فإني حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : قال أبو عمرو بن العلاء ، يقال : قد أجمأت القيدر ، وذلك إذا غلّت فانصب زَبَدُهَا ، أو سكنت فلا يبقى منه شيء .^٢ وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أن معنى قوله (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) تَنْشَقُّهُ الْأَرْضُ ، وقال : يقال : جفا الوادي وأجفى في معنى تَشِيفٍ ، وأجفى الوادي : إذا جاء بذلك الغناء ، وغشبي الوادي ، فهو يَغْشِي غَشْيًا وَغَشْيَانًا ؛ وَذَكَرَ عَنْ

(١) البيت للمشعث العامري ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، في مقطوعة له يخاطب نفسه . وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٢٨) شاهدا على معنى المتاع في قوله تعالى « أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ » . وأورده صاحب (اللسان : متع) شاهدا على معنى المتاع ؛ قال : والمتاع : كل ما يتمتع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها . وكذلك أنشده صاحب تاج العروس : (متع) .
(٢) نقله في مجاز القرآن (١ : ٣٢٩) والقرطبي (٩ : ٣٠٥) .

العرب أنها تقول: جَفَنَاتُ القَدَرِ أَجْفَنُوهَا: إذا أخرجت جَفَاءَها، وهو الرِّبْدُ الذي يعلوها، وأَجْفَنَاتُهَا لِجَفْنَاءٍ لغة. قال: وقالوا: جَفَنَاتُ الرجل جَفْنًا: صرعته.

وقيل: (فَيَسَدُ هَبُّ جَفَاءٍ) بمعنى جَفْنًا، لأنه مصدر من قول القائل: جَفْنًا الوادى غُثَاءَهُ، فخرَجَ تَخْرَجُ الاسم وهو مصدر، كذلك تفعل العرب في مصدر كل ما كان من فعل شيء اجتمع بعضه إلى بعض كالقُمَاشِ والدُقَاقِ والحُطَامِ والغُثَاءِ، تخرجه على مذهب الاسم، كما فعلت ذلك في قولهم: أعطيته عطاءً، بمعنى الإعطاء، ولو أريد من القُمَاشِ المصدر على الصحة لقليل: قد قَمَشْتَهُ قَمَشًا.

القول في تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

* يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه، فاتبعوا رسوله وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنَى، وهى الجنة.

كذلك حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى) وهى الجنة.

وقوله (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ) يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا له حين دعاهم إلى توحيدهِ والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله، فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم مائى الأرض جميعاً من شيء، ومثله معه ملكاً لهم ثم مثل ذلك، وقبيل ذلك منهم بدلاً من العذاب الذى أعدّه الله لهم فى نار جهنم وعوضاً، لافْتَدَوْا به أنفسهم منه؛ يقول الله (أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئاً، ولكن يعدّهم على جميعها.

كما حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يونس بن محمد، قال: ثنا عون، عن فرقد السبّخى، قال: قال لنا شهر بن حوشب (سوءُ الحسابِ): أن لا يتجاوز لهم عن شيء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عسّية، قال: ثنا الحجاج بن أبى عثمان، قال: ثنا فرقد السبّخى، قال: قال إبراهيم النخعى: يافرقد، أتدرى ماسوء الحساب؟ قلت: لا، قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء.

وقوله (وَمَا أَوْاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول: ومسكنهم الذى يسكنونه يوم القيامة جهنم. (وَبِئْسَ الْمِهَادُ): يقول: وبئس الفيراش والوطاء جهنم، التى هى مأواهم يوم القيامة.

(١) هذا القول للفراء فى معانى القرآن (الصفحة ١٥٩). وفى (اللسان: جفاً).

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَمَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ (١٩)

يقول تعالى ذكره: أهدا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد حقاً، فيؤمن به ويصدق، ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى، فلا يعرف متوقع حجة الله عليه به، ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة في قوله (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَمَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ) قال: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله، وعقلوه ووعوه، قال الله (كَمَنْ هُوَ أَعْمَى) قال: عن الخبر فلا يبصره. وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) يقول: إنما يتعظ بآيات الله، ويعتبر بها ذوو العقول، وهي الألباب، واحداً: لُبٌّ.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)

يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب، الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم، (ولا ينقضون الميثاق) ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه، فيعملوا بغير ما أمرهم به، ويخالفوا إلى ما نهى عنه.

وقد بينا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهد، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة، قال (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)، فبين من هم، فقال (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ)، فعليكم بوفاء العهد، ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدّم فيه أشدّ التقدمة، فذكره في بضع وعشرين موضعاً، نصيحة لكم، وتقدمة إليكم، وحجّة عليكم، وإنما يعظم الأمر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظموا ما عظم الله. قال قتادة: وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

وقوله (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول تعالى ذكره : والذين يصلون إليهم التي أمرهم الله بوصولها ، فلا يقطعونها (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول : ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها ، فيعاقبهم على قطعها ، وعلى خلافهم أمره فيها . وقوله (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) يقول : ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب ، ثم لا يصفح لهم عن ذنب ، فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته ، محافظون على حدوده .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، في قوله (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) قال : المناقشة بالأعمال . قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، عن فرقد ، عن إبراهيم ، قال : سوء الحساب أن يحاسب من لا يغفر له . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) قال : فقال : وما سوء الحساب ؟ قال : الذي لا جواز فيه .

حدثني ابن سنان القرآزي ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الحجاج ، عن فرقد ، قال : قال لي إبراهيم : تدري ما سوء الحساب ؟ قلت : لأدرى ، قال : يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ،
وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء بعهد الله ، وترك نقض الميثاق ، وصلة الرحم (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) ويعني بقوله (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) طلب تعظيم الله ، وتنزيها له أن يخالف في أمره ، أو يأتي أمرا كره إتيانه فيعصيه به (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يقول : وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول : وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة : وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها ، سرا في خفاء ، وعلانية في الظاهر .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يعني الصلوات الخمس (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول الزكاة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الصبر الإقامة ، قال : وقال الصبر في هاتين ، فصبر الله على ما أحب وإن ثقل على الأنفس والأبدان ، وصبر عما يكره وإن نازعت إليه الأهواء ، فمن كان هكذا فهو من الصابرين ، وقرأ (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) . وقوله (وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) يقول : ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس ، بالإحسان إليهم .

(١) في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير (ج ١٣ ص ١٥٤ ط) أبي الحفنا ، وهو تحريف من الناسخ ، لأن عمرو بن مالك التكري ، بضم النون أبو يحيى البصرى ، يروى عن أبي الجوزاء ، لأبي الحفنا ، كما في خلاصة الخزرجي .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) قال : يدفعون الشرَّ بالخير ، لا يكافئون الشرَّ بالشرَّ ، ولكن يدفعونه بالخير .
وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَةُ الدَّارِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، هم الذين لهم عُقُوبَةُ الدَّارِ ، يقول : هم الذين أعقبهم الله دار الجنان ، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار ، فأعقبهم الله من تلك هذه . وقد قيل : معنى ذلك : أولئك الذين لهم عُقُوبَةُ طاعتهم ربهم في الدنيا دار الجنان .

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

يقول : جنات عدن ترجمة عن عُقْبَى الدَّارِ ، كما يقال : نعم الرجل عبد الله ، فعبد الله هو الرجل المقبول له : نعم الرجل ؛ وتأويل الكلام : أولئك لهم عقيب طاعتهم ربهم ، الدار التي هي جنات عدن . وقد بينا معنى قوله : عدن ، وأنه بمعنى الإقامة التي لا طَعْنُ معها .

وقوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، وهم الذين يوفون بعهد الله ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه في هذه الآيات الثلاث (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ) وهى نِسَاؤُهُمْ وأهلُوهم وذُرِّيَّاتِهِمْ ، وصلاحتهم لإيمانهم بالله ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .
كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) قال : من آمن في الدنيا .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وثنا إسحاق قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .

وقوله (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) يقول ، تعالى ذكره : وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث ، في جنات عدن ، من كل باب منها ، يقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم على طاعة ربكم في الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) . وذكر أن جنات عدن خمسة آلاف باب .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا علي بن جرير ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن

عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إن في الجنة قصرا يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حبرة ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد » .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغفراء ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (جَنَّاتِ عَدْنِ) قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدد الجنات حولها . وحذف من قوله (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) ، يقولون : اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما حذف ذلك من قوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ : رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد ، قال : ثنا أروطة ابن المنذر ، قال : سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبي أمامة ، فقال : « إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سباطان من خدم ، وعند طرف السماء سور ، فيقبل الملك يستأذن ، فيقول للذي يليه : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن ، فيقول : ائذنوا ، فيقول : أقر بهم إلى المؤمن ائذنوا ، ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا ، فكذاك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلم ثم ينصرف » .
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد ، عن سهل بن أبي صالح ، عن محمد بن إبراهيم ، قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول ، فيقول : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ، وأبو بكر وعمر وعثمان » .
وأما قوله (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) فإن أهل التأويل قالوا في ذلك ، نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني أنه تلا هذه الآية (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) قال : على دينكم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) قال : حين صبروا لله بما يحبه الله فقدّموه ، وقرأ (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) حتى بلغ (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) وصبروا عما كره الله ، وحرّم عليهم ، وصبروا على ما ثقل عليهم ، وأحبه الله ، فسلم عليهم بذلك ، وقرأ (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .
وأما قوله (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) فإن معناه : إن شاء الله كما حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر ، عن أبي عمران الجوني في قولهم (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) قال : الجنة من النار .

(١) من هنا : ليدل ، أي الجنة بدل النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَيُفْسِدُونَ

فِي الْأَرْضِ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره (وَ) أما (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ونقضهم ذلك ، خلافهم أمر الله ، وعملهم بمعصيته (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) يقول: من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله . أن يعملوا بما عهد إليهم ، (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) يقول : ويقطعون الرحم التي أمرهم الله بوصلها (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) فسادهم فيها : عملهم بمعاصي الله (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) يقول : فهؤلاء لهم اللعنة ، وهي البعد من رحمته ، والإقصاء من جنانته (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) يقول : ولهم ما يسوءهم في الدار الآخرة . حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال أكبر الكبار : الإشراف بالله ، لأن الله يقول (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم ، لأن الله تعالى يقول (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) : يعني : سوء العاقبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا لَمْ تَمْسُحْ إِلَى ذِي رَحِمِكَ بِرَجْلِكَ ، وَلَمْ تُعْطِهِ مِنْ مَالِكَ ، فَقَدْ قَطَعْتَهُ » .

حدثني محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب ابن سعد ، قال : سألت أبي عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أهم الحرورية ؟ قال : لا ، ولكن الحرورية (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، قال : كنت أمسك على سعد المصحف ، فأنى على هذه الآية ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : الله يُوسِّعُ على من يشاء من خلقه في رزقه ، فيبسط له منه ، لأن منهم من لا يصلحه

إلا ذلك (وَيَقْدِرُ) يقول : ويقدر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار (وَقَدَّرْ حُومًا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره : وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، بما بسط لهم فيها ، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته ، والإيمان به في الآخرة ، من الكرامة والنعم ، ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا ، فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة ، وأعلم عباده قلته ، فقال (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) يقول : وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة ، وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش ، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة ، إلا متاع قليل ، وشيء حقير ذاهب .

كما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : وثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) قال : قليل ذاهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأحنس ، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله (وَقَدَّرْ حُومًا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) قال : كزاد الراعي ، يزوده أهله الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق ، أو الشيء يشرب عليه اللبن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ: إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ،

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ويقول لك يا محمد مشركو قومك : هلا أنزل عليك آية من ربك ، إِمَّا مَسَلَتْكَ يَكُونُ معك نذيرا ، أو يُلْتَقَى إِلَيْكَ كَنْزٌ ، فقل : إن الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ مِنْ شِئَاءِ أَيُّهَا الْقَوْمُ ، فيخذله عن تصديقي ، والإيمان بما جئت به من عند ربي ، ويهدي إليه من أناب ، فرجع إلى التوبة من كفره ، والإيمان به ، فيوفقه لاتباعه وتصديقي به ، على ما جئت به من عند ربه ، وليس ضلال من يضل منكم ، بأن لم يُنَزَلْ عَلَى آيَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَلَا هِدَايَةٌ مِنْ يَهْدِي مَنْكُمْ بِأَنَّهَا أَنْزَلَتْ عَلَيَّ ، وإنما ذلك بيد الله ، يوفق من يشاء منكم للإيمان ، ويخذل من يشاء منكم ، فلا يؤمن . وقد بينت معنى الإنابة في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ) : أى من تاب وأقبل .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ويهدى إليه من أناب بالتوبة . الذين آمنوا ، والذين آمنوا في موضع نصب ، رد على من ، لأن الذين آمنوا هم من أناب ، ترجم بها عنها .

وقوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) يقول : وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) يقول : سكنت إلى ذكر الله ، واستأنست به .

وقوله (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) يقول : ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين ، وقيل : إنه عني بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) لمحمد وأصحابه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثنى قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) قال : لمحمد وأصحابه .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا سفيان بن عيينة في قوله (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الصالحات من الأعمال ، وذلك العمل بما أمرهم ربهم ، (طُوبَى لَهُمْ) وطوبى : في موضع رفع بلهزم . وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع ، كما يقال في الكلام : وَيَلِّ لَعْمَرُو ، وإنما أوتر الرفع في طوبى لحسن الإضافة فيه بغير لام ، وذلك أنه يقال فيه طوباك ، كما يقال : وَيَلِّكَ وَوَيْبَيْكَ ، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام ، لكان النصب فيه أحسن وأفصح ، كما النصب في قولهم : تَعَسَا لَزِيد ، وبعدها له ، وحقا ، أحسن إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لا تحسن . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طُوبَى لَهُمْ) فقال بعضهم : معناه : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثني جعفر بن محمد البروري^١ من أهل الكوفة ، قال : ثنا أبو زكريا الكلبي ، عن عمرو بن نافع ، قال : سئل عكرمة ، عن طوبى لهم ، قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .

(١) لم أعر على هذا الراوى ولا نسبه في تهذيب التهذيب ولا في الأنساب للسمعاني ، ولعل في لفظ النسبة تحريفا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، عن عكرمة ، في قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن نافع ، قال : سمعت عكرمة ، في قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال : نِعِمَّ مَا لَهُمْ .
وقال آخرون : معناه : غَيْبُطَةٌ لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (طُوبَى لَهُمْ) قال : غَيْبُطَةٌ لَهُمْ .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .
قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .
وقال آخرون : معناه : فَرَحٌ وَقَرَّةٌ عَيْنٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود والمثنى بن إبراهيم ، قالوا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (طُوبَى لَهُمْ) يقول : فَرَحٌ وَقَرَّةٌ عَيْنٍ .
وقال آخرون : معناه : حُسْنِي لَهُمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طُوبَى لَهُمْ) يقول : حُسْنِي لَهُمْ ، وهي كلمة من كلام العرب .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طُوبَى لَهُمْ) هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : طُوبَى لَكَ : أي أصبت خيرا .
وقال آخرون : معناه : خير لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : خير لهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (طُوبَى لَهُمْ) قال :
الخير والكرامة التي أعطاهم الله .
وقال آخرون (طُوبَى لَهُمْ) : اسم من أسماء الجنة ، ومعنى الكلام : الجنة لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (طُوبَى لَهُمْ) قال : اسم الجنة بالحِشْيَةِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن مشجوع في قوله (طُوبَى كَسُمٌ) قال طوبى : اسم الجنة بالهندية :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن مشجوع ، قال : اسم الجنة بالهندية : طُوبَى .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفیان ، عن السدي ، عن عكرمة (طُوبَى كَسُمٌ) قال : الجنة .

قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طُوبَى كَسُمٌ) قال : الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ) قال : لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ) وذلك حين أعجبتهم :

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (طُوبَى كَسُمٌ) قال الجنة . وقال آخرون : (طُوبَى كَسُمٌ) : شجرة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن موسى بن سالم ، قال : قال ابن عباس (طُوبَى كَسُمٌ) : شجرة في الجنة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة (طُوبَى كَسُمٌ) : شجرة في الجنة يقول لها : تفتقي لعبدي عما شاء ، فتفتقي له عن الخيل بسروجها وبلحمتها ، وعن الإبل بأزمستها ، وعما شاء من الكسوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب ، قال : طوبى : شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وراء سور الجنة .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، قال : في الجنة شجرة يقال لها طُوبَى ، يقول الله لها : تفتقي ، فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا العلاء ، عن شهر بن عطية ، في قوله (طُوبَى كَسُمٌ) قال : هي شجرة في الجنة يقال لها طوبى .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفیان ، عن منصور ، عن حسان أبي الأشرس ، عن مُعَيْثِ بْنِ سُمَيْيٍّ ، قال : طُوبَى : شجرة في الجنة ، ليس في الجنة دار إلا فيها غصن

منها، فيجىء الطائر فيقع، فيدعوه فيأكل من أحد جنبيه قد يدا، ومن الآخر شيوا، ثم يقول: طير فيطير، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن بعض أهل الشام، قال: إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه، ثم دملجها بين كفتيه، ثم غرسها وسط أهل الجنة، ثم قال لها: امتدى حتى تبلغى مرضاتى، ففعلت، فلما استوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة، وهى طوبى.

حدثنا الفضل بن الصَّبَّاح، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، قال: ثنى عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبا يقول: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، زهرها رباط، وورقها برود، وقضبانها عنبر، وبطنهاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهى مجلس لأهل الجنة، فينأى هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نجبا مزومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز المير عيزى من لينة، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس واستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم، لتزوروه وتسلموا عليه، قال: فيركبونها، قال: فهى أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نجبا من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لانتصب أذن راحلة منها أذن صاحبها، ولا يترك راحلة برك صاحبها، حتى إن الشجرة لتنتحى عن طرفهم، لثلا تفرق بين الرجل وأخيه. قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم، حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: أنا السلام، ومنى السلام، وعليكم حقت رحمتى ومحبتى، مرحبا بعبادى الذين خشوني بغيب، وأطاعوا أمرى، قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا بالسجود قد أمك، قال: فيقول الله: إنما ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار ملك ونعيم، وإنى قد رقت عنكم نصب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته، فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم، فتضايقوا فيها، رب فأتنى كل شئ كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله: لقد قصرت بك اليوم أميبتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك منى، وسأتحفك بمنزلتى، لأنه ليس فى عطائى نكند ولا تصريد، قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادى ما لم تبلغ أمانيتهم، ولم يخطر لهم على بال، قال: فيعرضون عليهم، حتى يقضوهم أمانيتهم التى فى أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب، مفرغة، فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظهرة، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جاريتة منهن ثوبان من ثياب الجنة، ليس فى الجنة لون إلا وهو فيها، ولا ريح طيبة إلا قد عبققتا به، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراها أنهما من دون القبة، يرى مخرجها من فوق سوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه، ويقولان له:

والله ماظننا أن الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله الملائكة، فيسيرون بهم صفا في الجنة، حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له .

حدثني المشي، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا علي بن جرير، عن حماد، قال: شجرة في الجنة دار كل مؤمن غصن منها .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن حسّان بن أبي الأشرس، عن مغيث بن سمي، قال: طوبى: شجرة في الجنة، لو أن رجلا ركب قنطوصا: جدّعا أو جدّعة، ثم دار بها، لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه، حتى يموت هراما، وما من أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة، متدلّ عليهم، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة، تدلى إليهم، فيأكلون منه ما شاءوا، ويحیی الطير، فيأكلون منه قديدا وشواء ما شاءوا، ثم يطير .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ما قال من قال: هي شجرة .

ذكر الرواية بذلك .

حدثني سليمان بن داود القومسي، قال: ثنا أبو توبة الربيع بن نافع، قال: ثنا معاوية بن سلام، عن زيد، أنه سمع أبا سلام، قال: ثنا عامر بن زيد البكالي، أنه سمع عتبة بن عبد السلام يقول: « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن في الجنة فاكهة؟ قال: نعم، فيها شجرة تدعى طوبى، هي تطابق الفردوس، قال: أي شجر أرضنا تشبهه؟ قال: ليست تشبه شيئا من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟ فقال: لا يا رسول الله، فقال: فلما تشبه شجرة تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحدة، ثم ينتشر أعلاها، قال: ما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جدّعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هراما .

حدثنا الحسن بن شبيب، قال: ثنا محمد بن زياد الحريري، عن فترات بن أبي الفرات، عن معاوية ابن قرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (طوبى لهم وحسن مآب) : شجرة غرسها الله بيده، وتفتح فيها من روحه بالخلي والحلل، وإن أغصانها كثرى من وراء سور الجنة .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن دراجا حدثه أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا قال له: يا رسول الله ما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة، مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » . فعلى هذا التأويل الذي ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به، يجب أن يكون القول في رفع قوله (طوبى لهم) خلاف القول الذي حكيناه عن أهل العربية فيه، وذلك أن الخبر عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، أن طُوبَى اسم شجرة في الجنة ، فإذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة ، كزيد وعمرو .
 وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن في قوله (وَحُسْنُ مَأْبٍ) إلا الرفع عطفًا به على طُوبَى .
 وأما قوله (وَحُسْنُ مَأْبٍ) فإنه يقول : وحسن منقلب .
 كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك :
 (وَحُسْنُ مَأْبٍ) قال : حسن منقلب .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ، قُلْ : هُوَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس ، يعنى إلى جماعة قد خلت من قبلها
 جماعات على مثل الذى هم عليه ، فضت (لَتَتْلُوا عَلَيهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول : لتبلغهم
 ما أرسلتك به إليهم ، من وحي الذى أوحىته إليك (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) يقول : وهم يجحدون
 وحدانية الله ، ويكذبون بها . (قُلْ هُوَ رَبِّي) يقول : إن كَفَر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم يا محمد بالرحمن ،
 فقل أنت : الله ربى (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ) يقول : وإليه مرجعى وأوبى ،
 وهو مصدر من قول القائل : تبت متابًا وتوبة .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) :
 ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمِنَ الْخُدَيْبِيَّةَ ، حِينَ صَالِحَ قَرِيشًا ، كَتَبَ : هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ
 رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ مُشْرِكُو قَرِيشٍ : لَنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلْنَاكَ ، لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : هَذَا
 مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَقَاتِلَهُمْ ،
 فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ ، إِيَّائِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . فَلَمَّا كَتَبَ الْكَاتِبُ : بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَتْ قَرِيشٌ : أَمَا الرَّحْمَنُ فَلَا نَعْرِفُهُ ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فَقَالَ
 أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنَا نَقَاتِلَهُمْ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قوله
 (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ) . . . الآية ، قال : هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قريشا في الخديبية ، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالوا : لانكتب الرحمن ، وما ندرى ما الرحمن ؟
 ولا نكتب إلا : باسمك اللهم ، قال الله : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ، قُلْ هُوَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)
 . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى، بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ الْآمُرُ
جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى
يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ أَلْمِيعًا (٣١)

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وهم يكفرون بالرحمن (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) أى يكفرون بالله ، ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن ، وقالوا : هو من المؤخر
الذى معناه التقديم ، وجعلوا جواب لو مقدما قبلها ، وذلك أن الكلام على معنى قبيلهم : ولو أن هذا القرآن
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، لكفروا بالرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) قال :
هم المشركون من قريش ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وَسَّعَتْ لَنَا أودية مكة ، وَسَّيَّرَتْ
جبالها ، فاحترناها ، وأحييت من مات منا ، أَوْ قُطِّعَ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، فقال الله تعالى (وَلَوْ
أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ الْآمُرُ جَمِيعًا) .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله
(وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) قول كفار قريش
لحمد : سير جبالنا ، تنسع لنا أرضنا ، فإنها ضيقة ، أو قرب لنا الشام ، فإننا نتجر إليها ، أو أخرج لنا آباءنا من
القبور نكلهم ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ
كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير ، قالوا : لو فَسَّحَّتْ عِنا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو
كلمت به الموتى ، فنزل ذلك . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : قالوا : سَيَّرَ بِالْقُرْءَانِ الْجِبَالَ ، قُطِّعَ
بِالْقُرْءَانِ الْأَرْضُ ، أخرج به موتانا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن كثير ، : قالوا : لو
فَسَّحَّتْ عِنا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمت به الموتى ، فنزل (أَفَلَمْ يَبَيِّنْ لِي الدِّينَ آمَنُوا) .
وقال آخرون : بل معناه (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) كلام مبتدأ ، منقطع عن قوله

(وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) قال : وجواب لو محذوف ، استغنى بمعرفة السامعين المراد من الكلام ،

عن ذكر جوابها ، قالوا : والعرب تفعل ذلك كثيرا ، ومنه قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسًا

وهو آخر بيت في القصيدة^٢ ، فترك الجواب ، اكتفاء بمعرفة سامعه مراده ، وكما قال الآخر :

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا^٣

ذكر من قال نحو معنى ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ
الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) : ذكر لنا أن قريشا قالوا : إن سرك يا محمد
اتباعك ، أو أن تبعك ، فسير لنا جبال تهامة ، أو زد لنا في حبرمنا ، حتى نتخذ قطائع نحترف فيها ،
أو أحصي لنا فلانا وفلانا ، ناسا ماتوا في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ،
أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) يقول : لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم ، لفعل بقرآنكم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن كنفار قريش قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم : أذهب عنا جبال تهامة ، حتى نتخذها زرعاً ، فتكون لنا أرضين ، أو أحصي لنا فلانا
وفلانا يخبروننا : حتى ما تقول ؟ فقال الله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ
الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ؛ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) يقول : لو كان فعل ذلك بشيء من الكتب فيما
مضى كان ذلك .

حدثت عن الحسين بن التمرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك يقول في قوله : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) الآية . . . قال : قال كفار قريش لمحمد
صلى الله عليه وسلم : سير لنا الجبال ، كما سُخِّرَتْ لداود ، أو قطع لنا الأرض ، كما قُطِعَتْ لسليمان ، فاعتدى

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٨٦) وفيه جمعة : في موضع
سريحة . والسريحة : المبهلة كما ، في اللسان ، والسريحة ، وقال شارحه : جمعة : قال في اللسان إنما أراد جميعا . فبالغ بإلحاق الهاء .
وحذف الجواب للعلم به ، كأنه قال : لغيت واستراحت . ويجوز أن تكون « لو » هنا للتمني ، فلا تحتاج إلى جواب . وروى :
سوية ، بدل جمعة ، يقول : لو أني أموت بدفعة لاسترحت ، ولكن نفسي لما بها من المرض تقلع شيئا فشيئا . وفي الديوان
أيضا : تساقط ، أي تساقطت ، في موضع : تقطع .

(٢) ليس البيت آخر بيت في القصيدة ، ولكن بعده ثلاثة أبيات . (انظر مختار الشعر) .

(٣) البيت لامرئ القيس (خزنة الأدب الكبرى للبغدادى : ٤ : ٢٢٧) شاهد على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب
القسم ، لا جواب لو ، عملا بمقتضى الضابط في اجتماع قسم وشرط . وتقدير الجواب كما ذكره الفراء وغيره : لو أننا رسول
سواك لدفنناه ، بدليل قوله « مدفعا » . وفيه أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده ، وهو : « إذن لرددناه ولو طال مكثه » ،
وعلى هذا يكون قوله : « ولكن لم نجد لك مدفعا » جملة اعتراضية . وعذرهم في تقدير الجواب ، أن هذا البيت ساقط أكثر
الروايات ، وقد ذكره الزجاجي في أماليه الصغرى والكبرى ، في جملة أبيات ثمانية رواها عن المبرد من قصيدة لامرئ القيس ،
ورواية البيت الخامس فيها :

وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

بها شهرا ، وراح بها شهرا ، أو كلم لنا الموتى ، كما كان عيسى يكلمهم ، يقول : لم أنزل بهذا كتابا ، ولكن كان شيئا أعطيته أنبيائي ورسلي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) . . . الآية ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقا فسير عنا هذه الجبال ، واجعلها حرونا ، كهيئة أرض الشام ومصر والبُلْدان ، أو ابعث موتانا فأخبرهم ، فإنهم قد ماتوا على الذي نحن عليه ، فقال الله تعالى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) : لم يصنع ذلك بقرآن قطُّ ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

(أَفَلَمْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا) :

اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله : (أَفَلَمْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا) فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلم ويتبين ، ويستشهد لقبله ذلك بيت سحيم بن وثيل الرياحي :

أَقُولُ حَسْمٌ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونِي أَلَمْ تَيَّأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدِمِ ١

ويُروى : ييسروني ، فن رواه : ييسروني فإنه أراد : يقسموني ، من الميسر ، كما يقسم الجوزور . ومن رواه : يأسروني ، فإنه أراد : الأسر . وقال : عني بقوله : ألم تيأسوا : ألم تعلموا . وأنشدوا أيضا في ذلك :

أَلَمْ يَتَّبِعُوا الْأَقْوَامَ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنِ الْأَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِبًا ٢

وفسروا قوله : ألم يأت : ألم يعلم ويتبين . وذُكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع ، يقال لهم :

(١) البيت : لسحيم بن وثيل الرياحي اليربوعي . وقيل إنه لولده جابر بن سحيم ، بدليل قوله فيه : « إني ابن فارس زهدم » ، وزهدم : فرس سحيم . قال : يشس ييشس وييأس (بكسر العين في الماضي ، وبكسرها أو فتحها في المضارع) : يقول : ألم تعلموا ، وعمل هذا استشهد به المؤلف هنا . وقوله ييسروني : من يأسر الجوزور ، أي يجزوني ويقسموني . ويروى يأسروني ، كرواية المؤلف ، من الأسر . وأما قوله ييسروني ، فإنما ذكر ذلك ، لأن كان قد وقع عليه سباء ، فصرخوا عليه بالميسر ، يتحاسبون على قسمة فدائه . وزهدم : فرس . ويروى أني ابن قاتل زهدم ، وهو رجل من عيس . فعل هذا يصح أن يكون الشعر لسحيم . قال صاحب اللسان : وقال القاسم بن معن : يشست بمعنى علمت : لغة هوازن . وقال الكلبي : هي لغة وهليل : حى من النخع ، وهم رهط شريك . وفي الصحاح : في لغة النخع ، وفي التنزيل « أفلم ييأس الذين آمنوا . . . » أي أفلم يعلم . وقال أهل اللغة : أفلم يعلم الذين آمنوا علما يتسوا معه ، أن يكون غير ما علموه . وقيل معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون . قال أبو عبيد : كان ابن عباس يقرأ : أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله هدى الناس جميعا . قال ابن عباس : كتب الكتاب : « أفلم ييشس الذين آمنوا » وهوناعس . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٥٩ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) : قال المفسرون : ييأس : يعلم ، وهو في المعنى على تفسيرهم ، لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لو يشاء الله هدى الناس جميعا ، فقال : أفلم ييشسوا علما ، يقول : يؤيدهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرا ، كما تقول في الكلام : قد يشست منك ألا تفلح علما ، كأنك قلت علمته علما . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : ييشس في معنى يعلم : لغة للنخع . قال : ولم تجدها في العربية إلا على ما فسرت . اه . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٣٢) : « أفلم ييشس الذين آمنوا » مجاز : ألم يعلم ويتبين ؟ (٢) هذا الشاهد في معنى الشاهد قبله ، على أن « ألم ييأس » : بمعنى ألم يعلم ويتبين . وفي الإتيقان (١ : ١٢٢) أن البيت لمالك ابن عوف ، وصدده فيه : « لقد يشس الأقوام أني أنا ابنه » .

وهبيل ، تقول : ألم تياس كذا ، بمعنى : ألم تعلمه . وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن ، وأنهم يقولون : يتكسيت كذا : علمت .

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ، ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول : يتست بمعنى : علمت ، ويقول : هو في المعنى وإن لم يكن مسموعا يتست بمعنى علمت ، يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين ، أنه لو شاء لهدى الناس جميعا ، فقال : أفلم يياسوا علما ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيه العلم مضمرا ، كما يقال : قد يتست منك ألا تفلح علما ؛ كأنه قيل : علمته علما ، قال : وقول الشاعر :

حتى إذا يتيس الرماة أرسلوا غصفا دواجين قافلا أعصاهها

معناه : حتى إذا يسوا من كل شيء مما يمكن ، إلا الذي ظهر لهم ، أرسلوا ، فهو في معنى ، حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا ، وانتهى علمهم ، فكان ماسوا ياسا .

وأما أهل التأويل ، فإنهم تأولوا ذلك بمعنى : أفلم يعلم ويتبين .

ذكر من قال ذلك منهم

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، عن موالي يخبر أن عليا رضي الله عنه كان يقول : أفلم يتبين الذين آمنوا .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس (أفلم يتبين) يقول : أفلم يتبين .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير ، بن حازم ، عن الزبير بن الحارث ، أو يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (أفلم يتبين الذين آمنوا) قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعس .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال في القراءة الأولى : زعم ابن كثير وغيره : أفلم يتبين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أفلم يتبين الذين آمنوا) يقول : ألم يتبين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : (أفلم يتبين الذين آمنوا) يقول : يعلم .

(١) البيت لليد في معلقته (شرح المعلقات السبع لزوزني ص ١٣٦) : قال : الغصف من الكلاب : المسترخية الآذان ، والغصف (بالتحريك) : استرخاء الآذن ، يقال : كلب أغصف ، وكلية غصفاء ، وهو مستعمل في غير الكلاب استعماله فيها . والدواجن : الملعقات . والقول : اليبس . وأعضامها : بطونها ، وقيل : بل سواجيرها ، وهي قلائدها من الحديد . يقول : حتى إذا يتس الرماة من البقرة ، وعلموا أن سهامهم لاتنالها ، وأرسلوا كلابا مسترخية الآذان معلمة ، ضوامر البعلون ، أو يابسة السواجير . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٥٩) معناه : حتى إذا يسوا من كل شيء مما يمكن ، إلا الذي ظهر لهم ، أرسلوا ، فهو معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا ، أرسلوا ، كان ماوراهه ياسا . اهـ .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، في قوله (أَفَلَمْ يَبَيِّنَّا سِ الدِّينِ آمَنُوا) قال : أفلم يتبين .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : (أَفَلَمْ يَبَيِّنَّا سِ الدِّينِ آمَنُوا)
 قال : ألم يتبين الذين آمنوا ؟
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَفَلَمْ يَبَيِّنَّا سِ الدِّينِ
 آمَنُوا) قال : ألم يعلم الذين آمنوا ؟
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَفَلَمْ يَبَيِّنَّا سِ الدِّينِ
 آمَنُوا) قال : ألم يعلم الذين آمنوا ؟
 ويتبين والصواب من القول في ذلك ، ما قاله أهل التأويل : إن تأويل ذلك : أفلم يتبين ويعلم ؟ لإجماع أهل
 التأويل على ذلك ، والأبيات التي أنشدناها فيه .

فتأويل الكلام إذن : ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن ، كان سُئِرَتْ به الجبال ، لسيّر بهذا القرآن ، أو
 قُطِعَتْ به الأرض ، لقطعت بهذا ، أو كُتِّمَ به الموتى ، لكتُِّمَ بهذا ، ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفعل
 بهذا . (يَسِّرُ اللَّهُ الْأُمُورَ جَمِيعًا) يقول : ذلك كله إليه وبيده ، يَهْدِي من يشاء إلى الإيمان ، فيوفقه له ، ويضل
 من يشاء ، فيخذله ، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله ، إذ طمعوا في إجابتي من سأل نبيهم ، من تسيير الجبال
 عنهم ، وتقريب أرض الشام عليهم ، وإحياء موتاهم ، أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا إلى الإيمان به ، من
 غير إيجاد آية ، ولا إحداث شيء مما سألوا إحدائه ؟ يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك ، مع علمهم
 بأن الهداية والإهلاك إلى ويدي ، أنزلت آية أو لم أنزلها ، أهدى من أشاء بغير إنزال آية ، وأُضِلَّ من أردت
 مع إنزالها .

القول في تأويل قوله تعالى

(وَلَا يَنْزَالُ الدِّينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً ، أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ ،
 حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ) .

يقول تعالى ذكره : ولا يزال يا محمد الذين كفروا من قومك ، تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا من كفرهم بالله ، وتكذيبهم
 لإياك ، وإخراجهم لك من بين أظهرهم ، قارعة ، وهي ما يَتَّقَرُّعُهُمْ من البلاء والعذاب والنقم ، بالقتل أحيانا ،
 وبالحراب أحيانا ، والقَحْطُ أحيانا ، أو تحل أنت يا محمد ، أو تنزل أنت قريبا من دارهم ، بجيشك
 وأصحابك ، حتى يأتي وعد الله ، الذي وعدك فيهم ، وذلك ظهورك عليهم ، وفتحك أرضهم ، وقهرك إياهم
 بالسيف . (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ) يقول : إن الله منجزك يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم ، لأنه
 لا يخلف وعده .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سَرِيَّةٌ (أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال محمد : حتى يأتي وعد الله ، قال : فتح مكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه لم يذكر سَرِيَّةً .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قَطَنٍ ، قال : ثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) : قال : القارعة : السَرِيَّةُ (أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) قال : فتح مكة .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير ، أن خصيفاً حدثهم ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) ، أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عريبي ، عن عكرمة (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) قال : سَرِيَّةٌ (أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) يقول : عذاب من السماء ، ينزل عليهم (أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ) يعني : نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقتاله لإياهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شِيبَةَ ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ) : تُصَابٌ مِنْهُمْ سَرِيَّةٌ ، أَوْ تُصَابٌ مِنْهُمْ مَصِيْبَةٌ ، أَوْ يَحُلُّ مُحَمَّدٌ قَرْيَبًا مِنْ دَارِهِمْ . وقوله (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) قال : الفتح .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عبد الله بن أبي نجيح (أَوْ تَحُلُّ قَرْيَبًا مِّنْ دَارِهِمْ) يعني : النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث الحسن عن شِيبَةَ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قارعة ، قال : السرايا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، عن منصور ، عن مجاهد ، (قَارِعَةٌ) قال : مَصِيْبَةٌ مِنْ

محمد (أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) قال : الفتح .
قال : ثنا إسرائيل ، عن خَصِيْف ، عن مجاهد (قَارِعَةٌ) قال : كتيبة .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبیر (تُصِيبُهُمْ بِمَا
صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : سرية (أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أنت يا محمد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) : أي بأعمالهم أعمال السوء ، وقوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ)
أنت يا محمد (حَسْبَى يَا قِيَّ وَعْدُ اللَّهِ) ووعد الله : فتح مكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَارِعَةٌ) قال : وقية
(أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : يعني : النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : أو تحل أنت قريبا من
دارهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن طلحة ، عن مجاهد
(تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : سرية .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : السرايا : كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ)
أنت يا محمد (حَسْبَى يَا قِيَّ وَعْدُ اللَّهِ) قال : فتح مكة .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا
قَارِعَةً) قال : كتيبة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً) قال : قارعة من العذاب .

وقال آخرون : معنى قوله (أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ) تحل القارعة قريبا من دارهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن
(أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحل القارعة قريبا من دارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال (أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا
مِّنْ دَارِهِمْ) قال : أو تحل القارعة .

وقال آخرون في قوله : (حَسْبَى يَا قِيَّ وَعْدُ اللَّهِ) هو يوم القيامة .
ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا معمر بن أسد ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، عن رجل قد سماه ، عن الحسن
في قوله (حَسْبَى يَا قِيَّ وَعْدُ اللَّهِ) قال : يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ، فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابٍ ؟ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ، ويطلبوا منك الآيات ، تكذيباً منهم ما جئتهم به ، فاصبر على أذاهم لك ، وامض لأمر ربك في إعدارهم ، والإعذار إليهم ، فلقد استهزأت أمم من قبلك ، قد خلعت فضت برسلي ، فأطلت لهم في المهمل ، ومددت لهم في الأجل ، ثم أحللت بهم عذابي ونقمتي ، حين تبادوا في غيبهم وضلالهم ، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم ، ألم أذقهم ألم العذاب ، وأجعلتهم عبرة لأولى الألباب . والإملاء في كلام العرب : الإطالة ، يقال منه : أمليت لفلان : إذا أطلت له في المهمل ، ومنه المألوة من الدهر ، ومنه قولهم : تملّيت حيناً ، ولذلك قيل لليل والنهار : المألوان ، لطولهما ، كما قال ابن مقبل :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسَّبعانِ أَلَحَّ عَلَيْهَا بالبلى المَلَوَانِ ١

وقيل للخرق الواسع من الأرض : ملاً ، كما قال الشاعر :

فاخْضَلَّ مِنْهَا كُتْلُ بَالٍ وَعَسَيْنِ وَجَفَّ الرِّوَايَا بِالْمَلَا الْمُتَبَاطِنِ ٢

لطول ما بين طرفيه وامتداده .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ : سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظِرُّ مِّنَ الْقَوْلِ ، بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ، وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك ، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق ، متضمن لها ، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال ، رقيب عليهم ، لا يعزب عنه شيء أينما كانوا ، كمن هو هالك بائد ، لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئاً ، ولا يدافع عن نفسه ، ولا عن يعبده ضرراً ، ولا يجلب إليهما نفعاً ،

(١) البيت لقيم بن أبي بن مقبل (اللسان : ملا) استشهد به على أن الملوان طرفا النهار . واحدهما : ملا ، مقصور ، يقال : لا أفعله ما اختلف الملوان ، واستشهد به المؤلف ، على أن الملوين : الليل والنهار . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٣٣) ويقال ليل والنهار الملوان ، لطولهما ، وقال ابن مقبل . . . البيت . ويقال للخرق الواسع من الأرض : ملا مقصور ، قال : « ملا لاخطاه العيون رقيب » .

(٢) البيت للطرماح بن حكيم (اللسان : عين) قال : وسقاء عين ، وعين (بفتح الياء المشددة وكسرهما) والكسر أكثر ، كلاهما إذا سال ماؤه ، عن المحياني . وقيل : الجديد ، طائفة ، قال الطرماح : فاخضل . . . البيت . واستشهد به المؤلف على أن الخرق الواسع من الأرض : يقال له ملا .

كلاهما سواء؟ وحذف الجواب في ذلك، فلم يقبل. وقد قيل: (أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ككذا وكذا؟ اكتفاء بعلم السامع بما ذكره عما ترك ذكره، وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) علم أن معنى الكلام كشركاؤهم التي اتخذوها آلهة، كما قال الشاعر:

تَحْصِيْرِي خُسَيْرَاتٍ أُمَّ عَالٍ بَيْنَ قَصِيْرٍ شَبْرُهُ تَنْبَالٍ
أَذَاكِ أُمَّ مُنْخَرِقِ السَّرْبَالِ وَلَا يَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِي
مُتَلْفٍ مَالٍ وَمُنْفِيْدٍ مَالٍ ١

ولم يقل وقد قال: «شبره تنبال»، وبين كذا وكذا، اكتفاء منه بقول: أذاك أم منخرق السربال، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال، على مراده في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ذلكم ربكم تبارك وتعالى، قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم، وحفظ عليهم - والله - أعمالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: (أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) ٢.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يعني بذلك نفسه. يقول: هو معكم أينما كنتم، فلا يعمل عامل إلا وهو حاضر. ويقال: هم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: (أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) على رزقهم، وعلى طعامهم، فأنا على ذلك قائم، وهم عبيدي، ثم جعلوا لي شركاء. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ): فهو الله قائم على كل نفس: برب وفاجر، يرزقهم ويكلؤهم، ثم يشرك به منهم من أشرك.

وقوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ) أم تُنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ، أم بظاهري

(١) هذا الرجز: رواه الفراء في معاني القرآن في الورتين (١٥٩، ١٦٠) شاهدا عند قوله تعالى: «أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» قال: ترك جوابه، ولم يقل ككذا وكذا، لأن المعنى معلوم، وقد بينه ما بعده، إذ قال: وجعلوا لله شركاء، كأنه في المعنى قال: شركائهم الذين اتخذوهم، ومثله قول الشاعر: تخيري... الخ (الآيات) كأنه قال: تخيري بين كذا وبين منخرق السربال. فلما أن أت به في الذكر، كفي من إعادة الإعراب عليه. ومعنى التنبال: القصير. والشبر بالفتح: قياس الشيء بالشبر. والسربال القميص. ومتلف مال: منفق. ومنفد مال: كاسبه.

(٢) أي إلى آخر ما رواه عنه بشر بن معاذ، في الحديث الأول.

مِنَ الْقَوْلِ) يقول تعالى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين ، والمدبر أمورهم ، والحافظ عليهم أعمالهم ، وجعلوا لى شركاء من خلقي ، يعبدونها دوني ، قل لهم : يا محمد : سموا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله ، فإنهم إن قالوا : آلهة ، فقد كذبوا ، لأنه لا إله إلا الواحد القهار ، لا شريك له . (أم تُنْبِئُونَهُ بِمِمَّا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) يقول : أنخبرونه بأن في الأرض لها ، ولا إله غيره في الأرض ولا في السماء . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ) ولو سمَّوهم آلهة لكذبوا ، وقالوا في ذلك غير الحق ، لأن الله واحد ليس له شريك ، قال الله (أم تُنْبِئُونَهُ بِمِمَّا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ، أم يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ)؟ يقول : لا يعلم الله في الأرض إلهاً غيره .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ، قُلْ سَمُّوهُمْ) والله خلقهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ : سَمُّوهُمْ) ولو سمَّوهم كذبوا ، وقالوا في ذلك ما لا يعلم الله من إله غير الله ، فذلك قوله (أم تُنْبِئُونَهُ بِمِمَّا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ، أم يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ) مسموع ، وهو في الحقيقة باطل لاصحة له . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم قالوا : أم بظاهر ، معناه : أم يبطل ، فأتوا بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة ، دون البيان عن حقيقة تأويلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ) بظن .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن قتادة ، قوله (أم يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ) والظاهر من القول : هو الباطل .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (أم يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ) يقول : أم يبطل من القول وكذب ، ولو قالوا ، قالوا الباطل والكذب .

وقوله (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) : يقول تعالى ذكره : مالله من شريك في السموات ولا في الأرض ، ولكن زين للمشركين الذين يدعون من دونه إلهاً مكرهم ، وذلك افتراءهم وكذبهم على الله ، وكان مجاهد يقول : معنى المكر ههنا : القول ، كأنه قال : قولهم بالشرك بالله :

حدثنا المنثي ، قال : ثنا إحقاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلِّغْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُهُمْ) قال : قولهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله : وأما قوله (وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء الكوفيين : (وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) بضم الصاد ، بمعنى : وصدَّهم الله عن سبيله ، لكفرهم به ، ثم جعلت الصاد مضمومة ، إذ لم يسم فاعله . وأما عامة قراء الحجاز والبصرة ، فقرءوه بفتح الصاد ، على معنى أن المشركين هم الذين صدَّوا الناس عن سبيل الله .

والصواب من القول في ذلك عندي : أن يُقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن المشركين بالله ، كانوا مصدودين عن الإيمان به ، وهم مع ذلك كانوا يصدِّون غيرهم ، كما وصمهم الله به بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ) .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن أضله الله عن إصابة الحق والهدى ، بخذلانه إياه ، فما له أحد يهتديه لإصابتهما ، لأن ذلك لا يُنال إلا بتوفيق الله ومعونته ، وذلك بيد الله وإليه ، دون كل أحد سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ، وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفَّار الذين وصف صفتهم في هذه السورة ، عذاب في الحياة الدنيا ، بالقتل والإسار والآفات ، التي يصيبهم الله بها ، (وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) يقول : ولتُعذِّب الله إياهم في الدار الآخرة ، أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا وأشق ، إنما هو أفعل من المشقة . وقوله (وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء الكفَّار من أحد يقبهم من عذاب الله إذا عذبهم ، لا حميم ولا ولي ولا نصير ، لأنه جل جلاله لا يعادها أحد فيقهره ، فيخلصه من عذابه بالقهر ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به ، فمات على كفره قبل التوبة منه .

القول في تأويل قوله تعالى

* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)

اختلف أهل العلم بكلام العرب في رافع المثل . فقال بعض نحوِّي الكوفيين : الرفع للمثل قوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) في المعنى ، وقال : هو كما تقول : حليمة فلان : أثمر كذا وكذا ، فليس الأثر بمرفوع

(١) في اللسان : العداد والبداد : المناعدة .

بالحلية ، إنما هو ابتداء : أى هو أسمى ، هو كذا . قال : ولو دخل أن فى مثل هذا كان صوابا . قال : ومثله فى الكلام : مَسَّلَكَ أَنْكَ كَذَا ، وَأَنْكَ كَذَا . وقوله (فَلْيَنْتَظِرِ الْإِنْسَانَ إِلَى طَعَامِهِ : أَنَا) من وجه : مَسَّلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ : فِيهَا . ومن قال : أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ ، أَظْهَرَ الْأَسْمَاءَ ، لِأَنَّهُ مَرْدُودٌ عَلَى الطَّعَامِ بِالْخَفْضِ ، وَمُسْتَأْنَفٌ : أَي طَعَامُهُ أَنَا صَبِينَا ، ثُمَّ فَعَلْنَا . وقال : معنى قوله (مَسَّلَ الْجَنَّةَ) : صِفَاتُ الْجَنَّةِ . وقال بعض نحوِّى البصريين : معنى ذلك : صِفَةُ الْجَنَّةِ ، قَالَ : وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) معناه : وَلِلَّهِ الصِّفَةُ الْعُلْيَا . قَالَ : فَعِنَى الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ (مَسَّلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ : تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَوْ فِيهَا أَنْهَارٌ . كَأَنَّهُ قَالَ : وَصَفَ الْجَنَّةَ : صِفَةُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، أَوْ صِفَةُ فِيهَا أَنْهَارٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ : وَوَجْهٌ آخَرَ ، كَأَنَّهُ إِذَا قِيلَ : مِثْلُ الْجَنَّةِ ، قِيلَ : الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ . قَالَ : وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، كَأَنَّهُ قَالَ : بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ : وَقَوْلُهُ : (عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) فِي ذَاتِ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ عِنْدَنَا قِيلَ : فِي اللَّهِ ، قَالَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (إِنَّمَا الْمَعْنَى : لَيْسَ كَشَيْءٍ ، وَلَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ ، لِأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ . قَالَ : وَلَيْسَ هَذَا كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ : لَيْسَ كَمِثْلِكَ أَحَدٌ ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ ، وَاللَّهُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمِثْلُهُ قَوْلُ لَبِيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

قَالَ : وَفُسِّرَ لَنَا : أَنَّهُ أَرَادَ : السَّلَامَ عَلَيْكُمَا ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَبَةَ :

وَقَتَلْتَنِي كِرَامًا كَمِثْلِ الْجُدُوعِ تَغَشَّاهُمْ سَبِيلٌ مُسْتَهْمِرٌ

قَالَ : وَالْمَعْنَى عِنْدَنَا : كَالْجُدُوعِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنْ يَجْعَلَ لِلْجُدُوعِ مِثْلًا ، ثُمَّ يُشَبِّهُ الْقَتْلَ بِهِ . قَالَ :

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أُمَيَّةَ :

زُحَلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى ، وَكَيْتٌ مُرْصَدٌ

(١) هذا شعر بيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ، وفي خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٣١٧ وما بعدها) من كلمة له يخاطب بها ابنتيه ، حين حضرته الوفاة ، قال :

تَمَى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعةٍ أَوْ مَضْرُ
فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي تَعْلَمَانِ وَلَا تَحْمَسَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ
وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا غَدْرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

ويستشهد النحويون بالبيت ، على أن لفظ « اسم » مقحم عند بعض النحاة . قال ابن جني في الخصائص : هذا قول أبي عبيدة ؛ وكذلك قال في باسم الله .

وقال السهيلي : لم يرد الشاعر إيقاع التسليم عليهما حينه ، وإنما أراد به الحول ، فلو قال : ثم السلام عليكما ، لكان مسلما في وقته ، الذي نطق به في البيت ، فلذا ذكر الاسم ، وانظر تفصيل الكلام على البيت في الخزانة . وقد استشهد به الطبري على زيادة لفظ « اسم » كما قال أبو عبيدة .

(٢) تغشاهم : غطاهم ، والسيل : المطر . والمنهمر : الغزير . والبيت شاهد على أن لفظ « مثل » زائد . يريد : وقتل كرام كالجذوع . ولم أجد البيت في شعراء النصرانية .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي (ديوانه طبعة ليبسج ص ٢٩) وقد أشار في هامشه إلى رواية الطبري هذه ، وفي متنه . « رجل » في موضع « زحل » .

قال : فقال تحت رجل يمينه ، كأنه قال : تحت رجله ، أو تحت رجله اليميني ؛ قال : وقول لبيد :
أضَلَّ صَوَارَهُ وَتَضَيَّعَتْهُ نَطُوفُ أَمْرُهَا بَيْدِ الشَّمَالِ ١
كأنه قال : أمرها بالشمال ، وإلى الشمال ؛ وقول لبيد أيضا :

حَتَّى إِذَا أَلْقَيْتُ يَدًا فِي كَافِرٍ ٢

فكأنه قال : حتى وقعت في كافر . وقال آخر منهم : هو من المكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل ذلك . قال : وله معنى آخر : للذين استجابوا لربهم الحسنی ، مَشَلُّ الجنة ، موصول صفة لها على الكلام الأول . قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال ذكر المثل ، فقال مَشَلُّ الجنة ، والمراد الجنة ، ثم وصفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مثلها إنما هو صفتها ، وليست صفتها شيئا غيرها . وإذا كان ذلك كذلك ، ثم ذكر المثل ، فقيل : مثل الجنة ، ومثلها صفتها وصفة الجنة ، فكان وصفها كوصف المثل ، وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة ، فقيل : الجنة تجرى من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر :

أَرَى مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنَ مِثِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْمَيْسَلِ ٣

فذكر المرء ، ورجع في الخبر إلى السنين .

وقوله (أُوْكُلُهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا) يعني : ما يؤكل فيها . يقول : هو دائم لأهلها ، لا ينقطع عنهم ، ولا يزول ، ولا يبيد ، ولكنه ثابت إلى غير نهاية . وظلها : يقول : وظلها أيضا دائم ، لأنه لا شمس فيها . (تِلْكَ عَمُقَسْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا) يقول : هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه ، عاقبة الذين اتقوا الله ، فاجتنبوا معاصيه ، وأدّوا فرائضه .

وقوله (وَعَمُقَسْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) يقول : وعاقبة الكافرين بالله النار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا السَّكِرَاتُ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ
بَعْضَهُ ، قُلْ : إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ، إِلَيْهِ أَدْعُوا ، وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٦)

(١) البيت للبيد في ديوانه (رواية الطوسي طبعة فينا سنة ١٨٨٠) قال في (١ : ١١٢) . أصل هذا الناشط بقرة . وتضيفته : نزلت به . ونطوف : سحابة تنطف بالماء ، أمرها بيد الشمال : أراد البرد والمطر . قال أبو عمرو : نطوف : سحابة تسيل قليلا قليلا . والصوار : قطع بقر الوحش . يقول : أصله فلم يدر كيف أخذ ، وبقى فردا . وقوله تضيفته نطوف : هذا مثل ، أي نزلت به منزل الضيف نطوف سائلة ، وهي سحابة تطر ، أمرها بيد الشمال ، بإذن الله .

(٢) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة ، من معلقته المشهورة (جمهرة أشعار العرب محمد بن أبي الخطاب القرشي ص ٧٢) وتمامه : « وأجن عورات الثغور ظلامها » . وقال الزوزني في شرحه للمعلقات السبع : الكافر : الليل ، سمى به لكفره الأشياء ، أي لستره ، والكافر : الستر . والإجنان الستر أيضا . والشعر : موضع الخافة ، والجمع : الثغور ، وهورته : أشد مخافة . يقول : حتى إذا ألتقت الشمس يدها في الليل ، أي ابتدأت في الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد ، لأن من ابتدأ بالشئ قيل ألقي يده فيه ، وستر الظلام مواضع الخافة . والضمير الذي بعد ظلامها : للعوام . وتحرير المعنى : حتى إذا غربت الشمس ، وأظلم الليل .

(٣) البيت سبق الاستشهاد به وشرحه ، في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة (١٢ : ١٥٧) .

يقول تعالى ذكره : والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) منه (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يقول : ومن أهل الملل المتحزبين عليك ، وهم أهل أديان شتى ، من ينكر بعض ما أنزل إليك ، فقل لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ) وحده ، دون ماسواه (وَلَا أُشْرِكَ بِهِ) : فأجعل له شريكا في عبادتي ، فأعبد معه الآلهة والأصنام ، بل أخلص له الدين حنيفا مسلما (إِلَيْهِ أَدْعُو) يقول : إلى طاعته ، وإخلاص العبادة له ، أَدْعُو النَّاسَ (وَإِلَيْهِ مَأْبٍ) يقول : وإليه مصيري ، وهو مفعَلٌ ، من قول القائل : آتَيْتُ أَبَا يَثُوبَ وَأَبَا مَأْبَا .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) أولئك أصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدقوا به . قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) يعني اليهود والنصارى .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : من أهل الكتاب .
حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) من أهل الكتاب ، والأحزاب : أهل الكُتُب ، تفريقهم لحزبهم . قوله (وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ) قال : لتحزبهم على النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جريج ، وقال عن مجاهد (يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : بعض القرآن .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِلَيْهِ مَأْبٍ) : وإليه مصير كل عبد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) قال : هذا ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فيفرحون بذلك ، وقرأ (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) ، وفي قوله (وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) قال : الأحزاب : الأمم اليهود والنصارى والمجوس ، منهم من آمن به ، ومنهم من أنكره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَنْ أَتَّبَعْتَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد ، فأنكره بعض الأحزاب ، كذلك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا ، وجعل ذلك عربيا ، ووصفه به ، لأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي ، فنسب الدين إليه ، إذ كان عليه أنزل ، فكذب به الأحزاب ، ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه ، واتباع الأحزاب ، وتهدده على ذلك إن فعله ، فقال : ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم ، أهواء هؤلاء الأحزاب ، ورضاهم ومحبتهم ، وانتقلت من دينك إلى دينهم ، مالك ممن يقيك عذاب الله إن عذبتك على اتباعك أهواءهم ، ومالك من ناصر ينصرك ، فيستنقذك من الله إن هو عاقبك ، يقول : فاحذر أن تتبع أهواءهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ) إلى أم قد خلعت من قبل أمتك ، فجعلناهم بشرًا مثلك ، لهم أزواج ينكحون ، وذرية : أنسلوهم ، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يستكحون ، فنجعل الرسول إلى قومك من الملائكة مثلهم ، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم ، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم . (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) : يقول تعالى ذكره : وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه ، أن يأتي أمته بآية وعلامة ، من تسيير الجبال ، ونقل بلدة من مكان إلى مكان آخر ، وإحياء الموتى ، ونحوها من الآيات ، إلا بإذن الله ، يقول : إلا بأمر الله الجبال بالسير ، والأرض بالانتقال ، والميت بأن يحيى (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يقول : لكل أجل : أمر قضاءه الله . كتاب : قد كتبه ، فهو عنده . وقد قيل : معناه : لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل .

أذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يقول : لكل كتاب ينزل من السماء أجل ، فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب . قال أبو جعفر : وهذا على هذا القول ، نظير قول الله : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ) ؛ وذلك أن سكرة الموت تأتي بالحق ، والحق يأتي بها ، فكذلك الأجل له كتاب ، وللكتاب أجل .

القول في تأويل قوله تعالى

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده ، فيغيره ، إلا الشقاء والسعادة ، فلينهما لا يغيران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بحر بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : يدبر الله أمر العباد ، فيمحو ما يشاء ، إلا الشقاء والسعادة والموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كل شيء غير السعادة والشقاء ، فإنهما قد فرغ منهما .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفیان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس يقول (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين وقيصة ، قالا : ثنا سفیان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : قال ابن عباس : إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : يقدر الله أمر السنة في ليلة القدر ، إلا الشقاء والسعادة ، والموت والحياة .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) قال : إلا الحياة والموت ، والسعادة والشقاوة ، فإنهما لا يتغيران .

حدثنا عمرو ، قال ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا معاذ بن عقبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد : إن كنت كتبتني سعيدا فأثبتني ، وإن كنت كتبتني شقيا فأحمني ، قال : الشقاء والسعادة قد فرغ منهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : ثنا سعيد بن سلمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) قال : ينزل الله كل شيء في السنة في ليلة القدر ، فيمحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والمقادير ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما ثابتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : سألت مجاهدا فقلت : أرأيت دعاء أحدنا

يقول : اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم ، وإن كان في الأشقياء فأحجه منهم ، واجعله في السعداء ، فقال : حسن . ثم أتيت بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك ، فسألته عن ذلك ، فقال (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ، إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال : يُقْضَى فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ رِزْقٍ أَوْ مَصِيبَةٍ ، ثُمَّ يَقْدَمُ مَا يَشَاءُ ، وَيُؤَخَّرُ مَا يَشَاءُ . فَأَمَّا كِتَابُ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ ، فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يُغَيَّرُ . وقال آخرون : معنى ذلك : أن الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتاب سوى أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قال في هذه الآية : (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كتابان : كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن عكرمة ، في قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الكتاب كتابان ، كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : الكتاب كتابان (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) . وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء ، ويثبت كل ما أراد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن الأعمش ، عن شقيق أنه قال يقول : اللهم إن كنت كتبنا أشقياء ، فاحمنا واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : كان مما يكسثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم إن كنت كتبنا أشقياء فاحمنا ، واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة . عن أبي عثمان النهدي ، أن عمر بن الخطاب قال : وهو يطوف بالبيت ويكي : اللهم إن كنت كتبنا على شقوة أو ذنبا فاحمه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة .

قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن أبي حنيفة ، عن أبي عثمان ، قال : وأحسبني قد سمعته من أبي عثمان ، مثله .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قُرَّة بن خالد ، عن عِصْمَةَ بن أبي حكيم ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عمر رضى الله عنه ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أبو حكيم ، قال : سمعت أبا عثمان النهدي ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة : اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة ، فأثبتني فيها ، وإن كنت كتبت على الذنب والشقوة ، فأحني وأثبتني في أهل السعادة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن خالد الخذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود ، أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فأحني ، وأثبتني في أهل السعادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله ، فيموت على ضلاله ، فهو الذي يَمْحُو . والذي يثبت : الرجل يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير ، حتى يموت وهو في طاعة الله ، فهو الذي يثبت .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن حكيم ، عن عبد الله ، أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في السعداء ، فأثبتني في السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، أن كعباً قال لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، لولا آية في كتاب الله ، لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قول الله (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) . . . الآية ، يقول (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ) يقول : أنسخ ما شئت ، وأصنع من الأفعال ما شئت ، إن شئت زدت فيها ، وإن شئت نقصت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا الكلبي ، قال (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : يَمْحَى من الرزق ويزيد فيه ، وَيَمْحَى من الأجل ، ويزيد فيه . قلت : من حدثك قال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم الكلبي بعد ، فسئل عن هذه الآية (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : يكتب القول كله ، حتى إذا كان يوم الخميس ، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ، ولا عليه عقاب ، مثل قولك : أكلت ، شربت ، دخلت ، خرجت ، ونحو ذلك من الكلام ، وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب ، وعليه العقاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : سمعت الكلبي ، عن أبي صالح نحوه ، ولم يجاوز أبا صالح . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ، ويثبت ما يشاء منها ، فلا ينسخه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ) قال : من القرآن ، يقول يبدل الله ما يشاء ، فينسخه ، ويثبت ما يشاء ، فلا يبدله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : وجلة ذلك عنده في أم الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يبدل وما يثبت ، كل ذلك في كتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) : هي مثل قوله (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) ، وقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) : أي جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) ما يشاء ، وهو الحكيم (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) وأصله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ) بما ينزل على الأنبياء . (وَيُثَبِّتُ) ما يشاء : مما ينزل على الأنبياء ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) لا يغير ولا يبدل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ) قال : ينسخ ، قال (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الذكر .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجيء أجله إلى أجله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : يمحو من جاء أجله فذهب ، والمثبت الذي هو حيّ يجري إلى أجله . حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عوف ، قال : سمعت الحسن (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ) قال : من جاء أجله (وَيُثَبِّتُ) قال : من لم يجيء أجله إلى أجله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا هُوَذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، نحو حديث ابن بشار ؛ قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) قال : آجال بني آدم في كتاب . (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ) من أجله ، (وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قالت قريش حين أنزل (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) ما نراك يا محمد تملك من شيء ، ولقد فرغ من الأمر ، فأنزلت هذه الآية . تخويفا ووعيدا لهم ، إنا إن شئنا أحدثنا له من

أمرنا ما شئنا ، ونحدث في كل رمضان ، فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم ، وما نعطيهم ، وما نقسم لهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
وقال آخرون : معنى ذلك : ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويرك ما يشاء فلا يغفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، في قوله (يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) قال : يُثَبِّتُ فِي الْبَطْنِ الشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ وَكُلَّ شَيْءٍ ، فَيَغْفِرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ .
وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية ، وأشبهها بالصواب : القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات ، بالعقوبة ، وتهددهم بها ، وقال لهم : (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) يُعَلِّمُهُمْ بِذَلِكَ أَنْ لِقَضَائِهِ فِيهِمْ أَجَلًا مَثْبُتًا فِي كِتَابٍ ، هُمْ مُؤَخَّرُونَ إِلَى وَقْتٍ يَجِيءُ ذَلِكَ الْأَجَلُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ ، يَجِيءُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ ، مِنْ قَدَرٍ أَجَلُهُ ، وَانْقِطَعَ رِزْقُهُ ، أَوْ حَانَ هَلَاكُهُ ، أَوْ اتَّضَاعُهُ مِنْ رِفْعَةٍ ، أَوْ هَلَاكٍ مَالٍ ، فَيَقْضَى ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ ، فَذَلِكَ مَحْوُهُ ؛ وَيُثَبِّتُ مَا شَاءَ مِنْ بَقِي أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَكَلِهِ ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَلَا يَمْحُوهُ ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ ، يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرَهُ ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ » ، ثم ذكر ما في الساعتين الآخريتين .

حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ، يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرَهُ ، يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ » .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إن لله لوحا محفوظا ، مسيرة خمسمائة عام ، من درة بيضاء ، لها دفتان من ياقوت ، والدفتان : لوحان لله ، كل يوم ثلاث مئة وستون لحظة ، يمحو ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد ، أنه قال : العاشر من رجب ، هو يوم يمحو الله فيه ما يشاء .

القول في تأويل قوله تعالى

(وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) :

اختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فقال بعضهم : معناه : وعنده الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سألت الحسن : قلت (أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الحلال والحرام ، قال : قلت : فما الحمد لله رب العالمين ؟ قال : هذه أم القرآن .

وقال آخرون : معناه : وعنده حملة الكتاب وأصله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : جملة الكتاب وأصله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : كتاب عند رب العالمين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن جوير ، عن الضحاک (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : جملة الكتاب وعلمه ، يعني بذلك ما ينسخ منه وما يثبت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) يقول : وجملة ذلك عنده في أم الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يبدل ، وما يثبت ، كل ذلك في كتاب .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن شيبان ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعبا عن أم الكتاب ، قال : علم الله ما هو خالقي ، وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه : كن كتابا ، فكان كتابا .

وقال آخرون : هو الذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . قال أبو جعفر : لأدرى فيه ابن جريج أم لا ،

قال : قال ابن عباس (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال : الذكر :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : وعنده أصل الكتاب وجملة ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه محو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء ، ثم عقب ذلك بقوله (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) فكان بيّنا أن معناه : وعنده أصل المثبت منه والمحو ، وجملة في كتاب لديه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَيُشَبِّتُ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة (وَيُشَبِّتُ) ، بتشديد الباء ، بمعنى : ويتركه ويقرّه على حاله ، فلا يمحوه . وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين ، وبعض الكوفيين (وَيُشَبِّتُ) بالتخفيف ، بمعنى : يكتب . وقد بينّا قبل أن معنى ذلك عندنا : إقراره مكتوباً ، وترك محوه على ما قد بينّا ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالتثبیت به أولى ، والتشديد أصوب من التخفيف ، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى إلى التشديد ، والتشديد إلى التخفيف ، لتقارب معنيهما .
وأما الخو ، فإن للعرب فيه لغتين : فأما مُضَرَّرٌ فلإنها تقول : محوت الكتاب أمحوه محوا ، وبه التنزيل ، ومحوته أمحاه محوا . وذُكِرَ عن بعض قبائل ربيعة : أنها تقول : سَحَبْتُ أحمي .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينَنَّكَ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما نريئك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله ، من العقاب على كفرهم ، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك ، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك ، فيما أمرك به من تبليغهم رسالته ، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم ، وعلينا محاسبهم ، فجازأتهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة ، الذين يسألون محمدا الآيات ، أنا نأتي الأرض ، فنفتحها له أرضاً بعد أرض ، حوالى أرضهم ، أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم ، كما فتحنا له غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني بذلك : ما فتح الله على محمد ، يقول : فذلك نقصانها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : ما تغلبت عليه من أرض العدو .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله : (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) فهو ظهور المسلمين على المشركين .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن ساهان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يُنقص له ماحوله من الأرضين ، ينظرون إلى ذلك ، فلا يعتبرون ، قال الله في سورة الأنبياء : (نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟) بل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون .

وقال آخرون : بل معناه : أو لم يروا أننا نأتي الأرض فنُخربها ، أو لا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك ، فهلكهم ، ونُخرب أرضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْقَرْيَةِ تَخْرَبُ ، حَتَّى يَكُونَ الْعِمْرَانُ فِي نَاحِيَةٍ .

قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، أنه سمع مجاهدا يقول (نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : خرابها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد ، مثله . قال : وقال ابن جريج : خرابها وهلاك الناس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي جعفر الفراء ، عن عكرمة ، قوله (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : نُخْرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا .
وقال آخرون : بل معناه : نقص من بركتها وثمرتها وأهلها ، بالموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يقول : نقصان أهلها وبركتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال : في الأنفس وفي الثمرات ، وفي خراب الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة القناد ، عن سمع الشعبي ، قال : لو كانت الأرض تنقص ، لضاق عليك حُشك ، ولكن تنقص الأنفس والثمرات .

وقال آخرون: معناه: أنا نأتى الأرض ننقصها من أهلها، فنتطرفهم، بأخذهم بالموت.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (ننقصها من أطرافها) قال: موت أهلها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: الموت.

حدثني المثنى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هارون النحوي، قال: ثنا الزبير بن الحارث عن عكرمة، في قوله (ننقصها من أطرافها) قال: هو الموت، ثم قال: لو كانت الأرض تنقص، لم نجد مكانا نجلس فيه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: كان عكرمة يقول: هو قبض الناس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: سئل عكرمة، عن نقص الأرض قال: قبض الناس.

حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، في قوله: (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: لو كان كما يقولون، لما وجد أحدكم جباً يخرأ فيه.

حدثنا الفضل بن الصباح، قال: ثنا إسماعيل بن علقمة، عن أبي رجاء، قال: سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) قال: الموت.

وقال آخرون: ننقصها من أطرافها: بذهاب فقهاؤها وخيارها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: ذهب علمائها وفقهاؤها وخيار أهلها.

قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عبد الوهاب، عن مجاهد، قال: موت العلماء.

بنيهم وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب: قول من قال (ألم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها): بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك، فيخافون ظهورهم على أرضهم، وقهرهم إياهم؟ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله (وإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ، فَلَا تَمَنَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، ثم وتجنهم تعالى ذكره، بسوء اعتبارهم، بما يعاينون من فعل الله بضرباً منهم من الكفار، وهم مع

ذلك يسألون الآيات ، فقال : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بقهر أهلها ، والغلبة عليها ، من أطرافها وجوانبها ، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك ؛
 وأما قوله (وَاللَّهُ يُحْكِمُ لِمُتَعَتِّبٍ لِحُكْمِهِ) يقول : والله هو الذي يحكم ، فينفذ حكمه ، ويقضى ، فيمضى قضاؤه ، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه ، لم يستطيعوا رده . ويعنى بقوله (لا مُتَعَتِّبٍ لِحُكْمِهِ) : لا راد لحكمه ، والمتعقب في كلام العرب : هو الذي يكرّر على الشيء ، وقوله (وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول : والله سريع الحساب ، يحصى أعمال هؤلاء المشركين ، لا يخفى عليه شيء وهو من وراء جزأهم عليها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ
 الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت ، بأنبياء الله ورسله ، فله المكر جميعا : يقول : فله أسباب المكر جميعا ، وبيده وإليه ، لا يضر مكر من مكر منهم أحدا ، إلا من أراد ضره به ، يقول : فلم يضر الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضره ذلك ، وإنما ضرّوا به أنفسهم ، لأنهم أخطأوا ربهم بذلك على أنفسهم ، حتى أهلكتهم ، ونجى رسله . يقول : فكذلك هؤلاء المشركون من قريش ، يمكرون بك يا محمد ، والله منجيك من مكرهم ، ومُلحق ضرّ مكرهم بهم دونك . . وقوله (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) يقول : يعلم ربك يا محمد ، ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، وما يتسعون فيه من المكر بك ، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم ، لا يخفى عليه شيء منها (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ) يقول : وسيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة ، لمن عاقبة الدار الآخرة ، حين يدخلون النار ، ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قرآء المدينة ، وبعض أهل البصرة (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ) على التوحيد . وأما قرآء الكوفة فلإنهم قرءوه (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ) على الجمع .

والصواب من القراءة في ذلك : القراءة على الجمع : « وسيعلم الكفار » ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جمعهم ، وأتبع بعده الخبر عنهم ، وذلك قوله (وَإِنَّمَا نُنزِّلُكَ بِبَعْضِ الدِّينِ نَعِدُهُمْ) أَوْ نَتَّوَفِّيَنَّكَ) وبعده قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) ، وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود (وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ) ، وفي قراءة أبي (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا، قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

يقول تعالى ذكره (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من قومك يا محمد: (لَسْتَ مُرْسَلًا)، تكذيباً
منهم لك، وجحوداً لنبوتك، فقل لهم إذا قالوا ذلك: (كَفَىٰ بِاللَّهِ)، يقول: قل حسبى الله. (شَهِيدًا)،
يعنى شاهداً بيني وبينكم، علىّ وعليكم، بصدق وكذبكم. (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فمن إذا قرئ
كذلك: في موضع خفض، عطفاً به على اسم الله، وكذلك قرأ به قرآناً الأمصار، بمعنى: والذين عندهم علم
الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل. وعلى هذه القراءة، فسّر ذلك المفسرون.

ذكر الرواية بذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي، قال: ثنا أبو عميرة يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن
أخي عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام: نزلت في (كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)،
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ).

حدثنا الحسين بن علي الصدائي، قال: ثنا أبو داود الطيالسي، قال: ثنا شعيب بن صفوان، قال:
ثنا عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام: أنزل
في (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس،
قوله (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فالذين عندهم علم
الكتاب: هم أهل الكتاب، من اليهود والنصارى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ) قال: هو عبد الله بن سلام.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح،
في قوله (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: رجل من الإنس، ولم يسمه.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله
(وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ): عبد الله بن سلام.

قال: ثنا يحيى بن عباد، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) ١.
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَسْتَ
مُرْسَلًا) قال: قول مشركي قريش (قُلْ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

(١) كذا في الأصل رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية، ولم يذكر لفظ الحديث.

الكتاب) أناس من أهل الكتاب، كانوا يشهدون بالحق، ويقرّون به، ويعلمون أن محمداً رسول الله، كما يحدث أن منهم عبد الله بن سلام.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ): قال كان منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري.

حدثنا الحسن، قال: ثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال هو عبد الله بن سلام.

وقد ذكر عن جماعة من المتقدمين، أنهم كانوا يقرءونه (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) بمعنى: من عند الله علم الكتاب.

ذكر من ذكر ذلك عنه

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن هارون، عن جعفر بن أبي وحشية، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب. حدثني محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله.

قال: ثنا ابن أبي عدى، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب.

وقد حدثنا هذا الحديث الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: هو الله، هكذا قرأ الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ).

قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن، مثله.

قال: ثنا علي، يعني ابن الجعد، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: الله. قال شعبة: فذكرت ذلك للحكم، فقال: قال مجاهد مثله.

حدثنا ابن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت منصور بن زاذان يحدث عن الحسن، أنه قال في هذه الآية (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله.

قال: ثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا هوزة، قال: ثنا عوف، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) قال: من عند الله علم الكتاب، هكذا قال ابن عبد الأعلى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقرؤها (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتِكُمْ، وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) يقول: من عند الله علم الكتاب، وجملته

هكذا ، حدثنا به بشر : علم الكتاب ، وأنا أحسبه وهم فيه ، وأنه (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) لأن قوله وجملته اسم ، لا يعطف باسم على فعل ماض .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) يقول : من عند الله علم الكتاب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : قلت لسعيد ابن جبير (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام ؟ قال : وكان يقرأها (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) يقول : من عند الله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد ابن جبير ، عن قول الله (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) أهو عبد الله بن سلام ، قال : فكيف وهذه السورة مكية ، وكان سعيد يقرأها (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد ، عن عوف ، عن الحسن وجويبر ، عن الضحاک ابن مزاحم ، قال (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) قال : من عند الله .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل ، غير أن في إسناده نظرا . وذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن هارون الأعور ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابِ) عند الله علم الكتاب ، وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت قرآء الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى ، وهي : (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) : كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قرآء الأمصار : أولى بالصواب من خالفه ، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب .

آخر تفسير سورة الرعد ، والحمد لله صادق الوعد .

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)

قال أبو جعفر الطبري: قد تقدم منا البيان عن معنى قوله (الرَّ) فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) فإن معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد: يعني القرآن. (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ): يقول: لتهدبهم به من ظلمات الضلالة والكفر، إلى نور الإيمان وضياؤه، وتبصر به أهل الجهل والعمى، سبل الرشاد والهدى. وقوله (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) يعني: بتوفيق ربهم لهم بذلك، ولطفه بهم (إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ) يعني: إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه، وشرعه خلقه. والحميد: فعيل، صُرف من مفعول إلى فاعيل، ومعناه: الحمود بالآله، وأضاف تعالى ذكره: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم لهم بذلك، إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو الهادي خلقه، والموفق من أحبّ منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهم ما لهم فيه وعليهم، فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات، الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبا، وإلى الله جل ثناؤه إنشاء وتدبيراً، وفساد قول أهل القدر، الذين أنكروا أن يكون لله في ذلك صنع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ): أي من الضلالة إلى الهدى.

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والشام: (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ): يرفع اسم الله على الابتداء، وتصيير قوله (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ) خبره، وقراءته عامة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة (اللَّهُ الَّذِي): بخفض اسم الله، على إتيان ذلك (العزيز الحميد)، وهما خفض: وقد اختلف أهل العربية في تأويله إذا قرئ كذلك، فذكر عن أبي عمرو بن العلاء، أنه كان يقرؤه

بالخفض، ويقول: معناه: بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي له ما في السموات، ويقول: هو من المؤخر الذي معناه التقديم، ويمثله بقول القائل: مررت بالظريف عبد الله، والكلام الذي يوضع مكان الاسم النعت، ثم يجعل الاسم مكان النعت، فيتبع إعرابه إعراب النعت الذي وضع موضع الاسم، كما قال بعض الشعراء:

لَوْ كُنْتُ ذَا نَبَلٍ وَذَا شَرِيبٍ مَا خَفِضْتُ شَدَاتِ الْحَيِّثِ الذَّيْبِ

وأما الكسائي فإنه كان يقول فيما ذكر عنه: من خفض: أراد أن يجعله كلاماً واحداً، وأتبع الخفض الخفض، وبالخفض كان يقرأ.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء، معانها واحد، فبأيهما قرأ القارئ فصيب. وقد يجوز أن يكون الذي قرأه بالرفع، أراد معنى من خفض في إتباع الكلام بعضه بعضاً، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التي قبله، كما قال جل ثناؤه (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ... إلى آخر الآية؛ ثم قال (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ) . ومعنى قوله (اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) الله الذي يملك جميع ما في السموات وما في الأرض، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أنزلنا إليك هذا الكتاب، لتدعوا عبادي إلى عبادة من هذه صفته، ويدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً، من الآلهة والأوثان، ثم توعد جل ثناؤه من كفر به، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى مادعاه إليه، من إخلاص التوحيد له، فقال (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم، لمن جحد وحدانيته، وعبد معه غيره، من عذاب الله الشديد.

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا،

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)

يعنى جل ثناؤه بقوله (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ): الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها، ومعاصي الله فيها، على طاعة الله، وما يقربهم إلى رضاه، من الأعمال النافعة في الآخرة. (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول: ويمنعون من أراد الإيمان بالله، واتباع رسوله، على ما جاء به من عند الله، من الإيمان به واتباعه. (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول: ويلتمسون سبيل الله، وهي دينه الذي ابتعث، به رسوله. عوجاً: تحريفاً وتديلاً بالكذب والزور. والعوج، بكسر العين وفتح الواو: في الدين والأرض

(١) الشريب: التقصيب من الشجر قبل أن يصلح، وجمعه: شروب، حكاه أبو حنيفة (اللسان: شرب). والبيت شاهد للنعت الذي يتقدم على المنعوت، فيعرب الاسم الذي بعده حينئذ بدلاً. وقد مثل النحاة لذلك بهذه الآية: (إلى صراط العزيز الحميد الله) بـخفض لفظ الله على البدل. قالوا: والأصل صراط الله العزيز الحميد. والله أعلم.

وكل ما لم يكن قائما ، فأما في كل ما كان قائما كالحائط والرمح والسن ، فإنه يقال : بفتح العين والواو جميعا : عَوَج . يقول الله عز ذكره (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يعني : هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة . يقول : هم في ذهاب عن الحق بعيد ، وأخذ على غير هدى ، وجور عن قصد السبيل .

وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول «على» في قوله (على الآخرة) . فكان بعض نحويي البصرة يقول أوصل الفعَل بعلَى ، كما قيل في ضربوه «في» السيف ، يريد بالسيف ، وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها ، وتحذف ، نحو قول العرب : نزلت زيدا ، ومررت زيدا ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه . وقال بعضهم : إنما أدخل ذلك ، لأن الفعل يؤدي عن معناه^١ من الأفعال ، ففي قوله (يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) ولذلك أدخلت على . وقد بينت هذا ونظائره في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الإعادة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ، فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)

يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا إلى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ، ومن قبل قومك ، رسولا إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم ، ليبين لهم : يقول : ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ، ليثبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيق والخذلان بيد الله ، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ، ويوفق لقبوله من شاء ، ولذلك رفع فيضل^٢ ، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله ، كما قيل : لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء ، وهو العزيز الذي لا يمتنع مما أراه من ضلال أو هداية من أراد ذلك به ، والحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفي إضلاله من أضل عنه ، وفي غير ذلك من تدبيره .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) : أي بلغة قومه ما كانت ، قال الله عز وجل (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) الذي أرسل إليهم ليتخذ بذلك الحجة ، قال الله عز وجل (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ، وهو العزيز الحكيم .

(١) يريد أن الفعل يتضمن معنى فعل آخر بمعناه ، فيكون مثله تعديا ولزوما ، والفعل «يستحبون» هنا : مضمن معنى «يختارون» كما قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٣٥) أو معنى «يؤثرون» الحياة الدنيا على الآخرة . ولذلك عدى بعل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَذَكَّرَهُمْ
بِأَيِّمِ اللَّهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك يا محمد ، كما أرسلناك إلى قومك
بمثلها من الأدلة والحجج .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح « ح » ؛
وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح » ؛
وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول
الله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) قال : بالبينات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) قال : التسع الآيات : الطوفان وما معه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد
(أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) قال : التسع البينات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وقوله (أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) كما أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب ، لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) . ويعنى بقوله (أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ) : أى ادعهم من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أنى ، قال : ثني عمى ، قال : ثني أنى ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا : أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يقول : من الضلالة
إلى الهدى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .
وقوله (وَذَكَّرَهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ) يقول عز وجل : وعظهم بما سلف من نعمى عليهم فى الأيام التى
خلت ، فاجتريء بذكر الأيام من ذكر النعم التى عنها ، لأنها أيام كانت معلومة عندهم ، أنعم الله عليهم
فيها نعماً جليلاً ، أنقذهم فيها من آل فرعون ، بعد ما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين ، وغرق عدوهم
فرعون وقومه ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وكان بعض أهل العربية يقول : معناه : خوفهم بما
نزل بعاد وثمود وأشباهم من العذاب ، وبالغفو عن الآخرين . قال : وهو فى المعنى كقولك : خذهم
بالشدّة واللين . وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النعم بالأيام ، شاهداً فى كلامهم ، ثم استشهد لذلك
بقول عمرو بن كلثوم .

(١) « ح » : رمز عند المحدثين إلى تحويل الإسناد من راو إلى آخر ، لجمع الروايات المختلفة على أصل واحد .

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَّالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وقال : فقد يكون إنما جعلها غراً طوالاً لإنعامهم على الناس فيها . وقال : فهذا شاهد لمن قال (وَذَكَرَهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ) بنعم الله . ثم قال : وقد يكون تسميتها غراً ، لعلوهم على الملك وامتناعهم منه ، فأيامهم غراً
لحم ، وطوال على أعدائهم .

وقال أبو جعفر : وليس للذي قال هذا القول ، من أن في هذا البيت دليلاً على أن الأيام معناها : النعم
وجه ، لأن عمرو بن كلثوم إنما وصف ما وصف من الأيام بأنها غراً ، لعزّ عشرته فيها ، وامتناعهم على
الملك ، من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : ما كان لفلان قطّ يوم أبيض ، يعنون بذلك : أنه
لم يكن له يوم مذكور بخير ، وأما وصفه إياها بالطول ، فإنها لا توصف بالطول إلا في حال شدة ، كما
قال النابغة :

كَلَيْتِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَاكِبِ^٢

فإنما وصفها عمرو بالطول لشدة مكروهاها على أعداء قومه ، ولا وجه لذلك غير ما قلت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد (وَذَكَرَهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بأنعم الله .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن عبيد المكتب
عن مجاهد (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبث ، عن حصين ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا
الحسين ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) البيت لعمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته (انظر شرح المعلقات السبع للزوزني) قال : يقول : تخبرك بوقائع لنا مشاهير ،
كالفر من الخيل ، عصينا الملك فيها ، كراهية أن نطيعه وننذله له . والأيام : الوقائع هنا ، والفر : بمعنى المشاهير ، كالخيل الفر ،
يأشتهر بها فيما بين الخيل ، وقوله أن ندين : كراهية أن ندين ، فحذف المضاف . فلما على قول البصريين . وقال الكوفيون :
تقديره : أن لاندئين ، فحذف لا : والبيت شاهد على أن الأيام المراد بها : النعم لا الشدائد . وقال التبريزي : إنما سمي الأيام غراً طوالاً ،
لعلوهم على الملك ، وامتناعهم منه ، لعزمهم ، فأيامهم غرهم ، طوال على أعدائهم .

(٢) البيت للتابعة الذيباني في ديوانه (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا طبعه الخليلي ص ١٥٩) . وكليني : دعيني ،
وأمية بالفتح ، والأحسن بالضم . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم ، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن)
أجراها على لفظها مرخمة ، وأقربها بالفتح . وناصب : متعب . وبطى الكواكب : لا تغور كواكبه . وإنما كان الليل طويلاً بطى
الكواكب ، لأن الشاعر كان في حال كرب وشدّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المنثي ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَذَكَرَهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بالنعم التي أنعم بها عليهم : أنجاهم من آل فرعون ، وفلق لهم البحر ، وظللل عليهم
الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن سعيد بن جبير (وَذَكَرَهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) ، يقول : ذكرهم
بنعم الله عليهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ
اللَّهِ) قال : بنعم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) :
قال : أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم ، خرقهم بها ، وحذرهم إياها ، وذكّرهم أن يصيبهم
ما أصاب الذين من قبلهم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس ، عن أبي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : نعم الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن عبيد الله أو غيره ، عن مجاهد :
(وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) قال : بنعم الله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول : إن
في الأيام التي سلفت بنعمي عليهم ، يعني على قوم موسى لآيات ، يعني : لعبرا ومواعظ . لكل صبار
شكور : يقول : لكل ذي صبر على طاعة الله ، وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه .

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله
عز وجل (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) قال : نِعَمُ الْعَبْدِ عَبْدٌ إِذَا ابْتَلَى صَبْرًا ، وَإِذَا
أُعْطِيَ شُكْرًا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوءُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ ، وَيَذَّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَظِيمٌ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لقومه من

بنى إسرائيل (اذكروا نعمة الله عليكم) التي أنعم بها عليكم (إذ أنجاكم من آل فرعون) يقول: حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته. (يسومونكم سوء العذاب): أي يذيقونكم شديد العذاب. (ويذبحون أبناءكم) ، وأدخلت الواو في هذا الموضع ، لأنه أريد بقوله (ويذبحون أبناءكم) الخبر عن آل فرعون ، كانوا يعدون بني إسرائيل بأنواع من العذاب ، غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضع آخر من القرآن ، فإنه جاء بغير الواو: (يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم) في موضع ؛ وفي موضع (يقتلون أبناءكم) ، ولم تدخل الواو في الموضع التي لم تدخل فيها ، لأنه أريد بقوله (يذبحون) وبقوله (يقتلون) تبينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم ، وكذلك العمل في كل جملة أريد تفصيلها ، فبغير الواو تفصيلها . وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فالواو .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، في قوله (وإذ قال موسى ليقوم به اذكروا نعمة الله عليكم) : أي أيدى الله عندكم وأيامه . وقوله (ويستحيون نساءكم) : يقول : ويقون نساءكم ، فيتركون قتلهن ، وذلك استحياءهم كان إياهن . وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، ومعناه : يتركونهم ، والحياة هي الترك . ومنه الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «اقتلوا شيوخ المشركين ، وأستحيوا شرخهم» بمعنى : استبقوهم فلا تقتلوهم . (وفي ذليكم بلاء من ربكم عظيم) : يقول تعالى : وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب ، بلاء لكم من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم . وقد يكون البلاء في هذا الموضع نعاء ، وقد يكون معناه : من البلاء الذي قد يصيب الناس في الشدائد وغيرها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ، آتَيْنَاكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَآتَيْنَاكُمْ إِنْ عَذَابِي شَدِيدٌ (٧)

يقول جل ثناؤه : واذكروا أيضا حين آذنتكم ربكم . وتأذَّن : تفعلل من آذن ، والعرب ربما وضعت تفعلل موضع أفعل ، كما قالوا : أوعدته : وتوعدته بمعنى واحد ، وآذن : أعلم ، كما قال الحارث بن حنيفة : آذنتنا ببينيتها أسماء ربنا أو يميل منه الشواء^١

يعنى بقوله : آذنتنا : أعلمتنا .

وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه كان يقرأ (وإذ تأذَّن ربكم) : وإذ قال ربكم .

(١) البيت مطلع معلقة الحارث بن حنيفة اليشكري : انظر شرح الزوزني للمعلقات السبع ، قال : الإيدان الإعلام (وهو محل الشاهد في البيت) والبين : الفراق . والشواء والشوى : الإقامة ، والفعل : ثوى يثوى (كضرب يضرب) . يقول : أعلمتنا أسماء بفراقها إيانا ، أي بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم يمل إقامته ، ولم تكن أسماء منهم . يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أملها .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش عنه ؛ حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) : وإذ قال ربكم ذلك التأذّن .

وقوله (لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) يقول : لئن شكرتم ربكم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، لأزيدنكم في أياديه عندكم ، ونعمه عليكم . على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون ، والخلص من عذابهم .

وقيل في ذلك قول غيره ، وهو ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا الحسين بن الحسن ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علي بن صالح ، يقول في قول الله عز وجل (لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) : قال : أي من طاعتي .

حدثني المثني ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت علي بن صالح ، فذكر نحوه . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفیان (لئن شكرتم لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مالك بن ميعول ، عن أبان بن أبي عياش ، عن الحسن ، في قوله (لَسَيْنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) قال : من طاعتي . ولا وجه لهذا القول يفهم ، لأنه لم يجر للطاعة في هذا الموضع ذكر ، فيقال : إن شكرتموني عليها زدتمكم منها ، وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى ، بقوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) ، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم ، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام : زادهم من نعمه ، لا لما لم يجر له ذكر من الطاعة ، إلا أن يكون أريد به : لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر ، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجها .

وقوله (وَلَسَيْنُ كَفَرْنَا إِنْ عَدَّآبِي لَشَدِيدٌ) يقول : ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله ، فجددتموها ، بترك شكره عليها ، وخلافه في أمره ونهيه ، وركوبكم معاصيته (إِنْ عَدَّآبِي لَشَدِيدٌ) : أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي . وكان بعض البصريين يقول في معنى قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) وتأذّن ربكم . ويقول : إذ من حروف الزوائد ، وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَبِيٍّ حَمِيدٌ (٨)

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ مُوسَىٰ) لقومه (إِنَّ تَكْفُرُوا) أيها القوم ، فجددوا نعمة الله التي أنعمها عليكم أنتم ، ويفعل في ذلك مثل فعلكم (مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنَبِيٍّ) عنكم وعنهم

من جميع خلقه ، لاحاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم (حميداً) ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم .

كما حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف ، عن أبي روق عن أبي أيوب ، عن عليّ (فإن الله لغنيّ) قال : غني عن خلقه . (حميداً) قال : مستحميد إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل موسى لقومه : يا قوم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) : يقول : خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم . (قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ) وقوم عاد ، فبين بهم عن الذين ، وعاد معطوف بها على قوم نوح (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني : من بعد قوم نوح وعاد وثمود (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) يقول : لا يُحصي عددهم ، ولا يعلم مبلغهم إلا الله .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) قال : كذب النسابون . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، بمثل ذلك .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : ثنا ابن مسعود ، أنه كان يقرؤها (وعاداً و ثموداً والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) ثم يقول : كذب النسابون .

حدثني ابن المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عيسى بن جعفر ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، مثله .

وقوله (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم ، بدعائهم إلى إخلاص العبادة له ، بالبينات : يعني بالحجج الواضحات ، والدلالات البينات الظاهرات ، على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات .

وقوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فعضوا على أصابعهم ، تغيطا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه .

(١) قوله قوم عاد - لعله زائد من قلم و الناسخ لأن عاداً مذكورة في الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنثي ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوا عَلَيْهَا تَغِيظًا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : غِيظًا هَكَذَا (وعَضَّ يَدَهُ) .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوْهَا .

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قول الله عز وجل (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوا على أصابعهم .

حدثني المنثي ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوا على أطراف أصابعهم .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أن يجعل إصبعه في فيه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد الله في قول الله عز وجل (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) ، ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن هبيرة ، قال : قال عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : هكذا ، وأدخل أصابعه في فيه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، قال أبو إسحاق : أنبأنا عن هبيرة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال أبو علي : وأرانا عفان ، وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه ، وذكر أن شعبة أراه كذلك .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : عَضُّوا على أناملهم . وقال سفيان : عضوا غيظًا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) ، فقراً (عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) قال : ومعنى (رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : أدخلوا أصابعهم في أفواههم ، وقال : إذا اغتاظ الإنسان عض يده .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : لما سمعوا كتاب الله عجبوا ، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كذبوهم بأفواههم . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « ح » . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردوا عليهم قولهم وكذبوهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) يقول : قومهم كذبوا رسلهم ، وردوا عليهم ما جاءوا به من البيِّنات ، وردوا عليهم بأفواههم ، وقالوا : (إِنَّا لَنَبِيِّنَا شَكٌّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) قال : ردوا على الرسل ما جاءتهم به ، وكأن مجاهدا وجه قوله (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : ردوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أيادي ونعما عندهم ، فلم يقبلوها . ووجه قوله (فِي أَفْوَاهِهِمْ) إلى معنى : بأفواههم ، يعني : بألسنتهم التي في أفواههم . وقد ذكر عن بعض العرب سماعا : أدخلك الله بالجنة ، يعنون في الجنة ، وينشد هذا البيت :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَن لَقِيْطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَن سِنْدِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ^١

يريد : وأرغب فيها : يعني «أرغب بها» عن لقيط ، ولا أرغب بها عن قبيلتي .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ، ردوا عليهم قولهم ، وتكذبا لهم . وقال آخرون : هذا مثل ، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ، ولم يؤمنوا به ، ولم يسلموا ، وقال : يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب ، فلم يجب : ردّ يده في فمه . وذكر بعضهم أن العرب تقول : كلمت فلانا في حاجة ، فردّ يده في فيه : إذا سكت عنه ، فلم يجب ، وهذا أيضا قول لاوجه له ، لأن الله عزّ وجلّ ذكره ، قد أخبر عنهم أنهم قالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به ، فقد أجابوا بالكذب . وأشبّه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية : القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود : أنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، فعضوا عليها غيظا على الرسل ، كما وصف الله عزّ وجلّ به إخوانهم من

(١) هذا البيت من شواهد القراء أنشده إياه بعضهم (معاني القرآن مصورة جامعة القاهرة الورقة ١٦١) قال في قوله تعالى : «فردوا أيديهم في أفواههم» ، حاكيا قول بعض المفسرين : يقول : ردوا ما لو قبلوه لكان نعما وأيادي من الله . في أفواههم : يقول : بأفواههم أي بألسنتهم . وقد وجدنا من العرب من يجعل «في» في موضع «الباء» ، فيقول : أدخلك الله بالجنة ، يريد : في الجنة . قال : وأنشدني بعضهم : وأرغب فيها . . . البيت . فقال : أرغب فيها ، يعني بنتا له ، أي إني أرغب بها عن لقيط .

المنافقين ، فقال (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) فهذا هو الكلام المعروف ، والمعنى المفهوم من ردّ اليد إلى الفم .

وقوله (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) : يقول عزّ وجلّ : وقالوا لرسولهم : إنا كفرنا بما أرسلكم به منّ أرسلكم ، من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام ، وإنا لنرى شكّ من حقيقة ماتدعوننا إليه ، من توحيد الله . مريب : يقول : يربينا ذلك الشكّ : أى يوجب لنا الريبة والتهمة فيه ، يقال منه : أراب الرجل : إذا أتى بريبة ، يُرِيب إرابة .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالَتْ رُسُلُهُمْ: أَلِىَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ أَسْأَلَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُوَخِّرَ كُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا: إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ، تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠)

يقول تعالى ذكره : قالت رسل الأمم التى أتتها رسلها : ألى الله أنه المستحقّ عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة ، دون جميع خلقه ، شكّ ؟ وقوله (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : يقول : خالق السموات والأرض . (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ أَسْأَلَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : يدعوكم إلى توحيدى وطاعته ، (لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها ، فلا يعاقبكم عليها . (وَيُوَخِّرَ كُمْ) يقول : ويؤخّر فى آجالكم ، فلا يعاقبكم فى العاجل فيهلككم ، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذى كتب فى أمّ الكتاب أنه يقبضكم فيه ، وهو الأجل الذى ستمّى لكم ، فقالت الأمم لهم : (إِنَّا أَنْتُمْ) أيها القوم (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) فى الصورة والهيئة ، ولستم ملائكة ، وإنما تريدون بقولكم هذا الذى تقولون لنا : (أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) يقول : إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم ، عن عبادة ما كان يعبد من الأوثان أبائنا . (فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) يقول : فأتونا بحجّة على ماتقولون ، تبين لنا حقيقته وصحته ، فنعلم أنكم فيما تقولون مُحَقَّقُونَ .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ: إِنَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : قال الأمم التى أتتها الرسل لرسولهم : (إِنَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) : صدقتم فى قولكم (إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) ، فما نحن إلا بشر من بنى آدم إنس مثلكم ، (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ

(١ - ١) كذا فى النسخ ، ولعل الأصل : قالت الرسل للأمم التى أرسلوا إليها : إن نحن . . . الخ .

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه ، فيهديه ويوفقه للحق ، ويفضله على كثير من خلقه (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ) يقول : وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) : يقول : إلا بأمر الله لنا بذلك . (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول : وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه ، فإننا به نشق ، وعليه نتوكل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) قال : السلطان المبين : البرهان والبينة . وقوله (مَا كُمْ يُنَزَّلُ بِهِ سُلْطَانًا) قال : بينة وبرهاننا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ؟ وَلَنَصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُونَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الرسل لأممها : (وَمَا لَنَا أَنْ لَانْتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ) فنثق به ، وبكفايته ودفاعه إياكم عنا . (وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا) : يقول : وقد بصّرنا طريق النجاة من عذابه ، فبين لنا . (وَلَنَصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا) في الله ، وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه ، بسبب دعائنا إليكم إلى ما ندعوكم إليه ، من البراءة من الأوثان والأصنام ، وإخلاص العبادة له . (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) : يقول : وعلى الله فليتوكل من كان به واثقاً من خلقه ، فأما من كان به كافراً ، فإن وليه الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ، أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ إِلِهِمْ رَبُّهُمْ : لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . (١٣) وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)

يقول عز ذكره : وقال الذين كفروا بالله ، لرسولهم الذين أرسلوا إليهم ، حين دعوهم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وفراق عبادة الآلهة والأوثان : (لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا) يعنون : من بلادنا ، فنطردكم عنها . (أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا) : يعنون : إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام . وأدخلت في قوله (لَتَعُوذُنَّ) لام ، وهو في معنى شرط ، كأنه جواب لليمين .

وإنما معنى الكلام : : لنخرجنكم من أرضنا ، أو تعودن في ملتنا ، ومعنى « أو » ههنا معنى « إلا » أو معنى « حتى » كما يقال في الكلام : لأضربنك أو تقر لي ، فمن العرب من يجعل ما بعد « أو » في مثل هذا الموضع عطفاً على ما قبله : إن كان ما قبله جزماً جزموه ، وإن كان نصباً نصبوه ، وإن كان فيه لام ، جعلوا فيه

لأما ، إذ كانت «أو» حرف نَسَقٍ . ومنهم من ينصب ما بعد «أو» بكل حال ، ليعلم بنصبه أنه عن الأول منقطع عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَ

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكْ عَيْنُكَ إِتْمَا نَحْوَلُ مُلُكَا أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذِرَا

فنصب تموت فعذرا ، وقد رفع نحاول ، لأنه أراد معنى : إلا أن تموت ، أو حتى تموت ، ومنه قول الآخر :

لَا أَسْتَطِيعُ نَزُوعًا عَن مَوَدَّتِهَا أَوْ يَصْنَعُ الحُبُّ لِي غَيْرَ اللِّدِي صَنَعَا

وقوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم ، فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم ، وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون ، لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة ، فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها ، إذ كان ظلما ، سموا بذلك ظالمين .

وقوله (وَكَانُوا يُسْكِنُكُمْ الْأَرْضَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ) : هذا وعد من الله من وعد من أنبيائه النصر على الكفرة به من قومه . يقول : لما تبادت أمم الرسل في الكفر ، وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم ، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ، ووعدهم النصر ، وكل ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على كفرهم به ، وجراعتهم على نبيه ، وتثبيتنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا له بالصبر على ما لي من المكروه فيه ، من مشركي قومه ، كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله ، ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك ، وعاقبته النصر عليهم (سنة الله في الذين خالوا من قبل) . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَانُوا يُسْكِنُكُمْ الْأَرْضَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ) : قال : وعدهم النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة .

وقوله (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِي) يقول جل ثناؤه : هكذا فعل لمن خاف مقامه بين يدي ، وخاف وعيدي ، فاتقاني بطاعته ، وتجنب بخطي ، أنصره على من أراد به سوءا ، وبغاه مكروها من أعدائي ، أهلك عدوه ، وأخزيه وأورثه أرضه ودياره ، وقال (لِمَنْ خَافَ مَقَامِي) ومعناه : ماقلت ، من أنه لمن خاف مقامه بين يدي ، بحيث أقيمه هنالك للحساب ، كما قال (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

(١) البيتان لامرئ القيس ، يخاطب بهما صاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ، وكان رحل معه إلى قيصر ، يستعين به على حرب بني أسد ، الذين قتلوا أباه . (انظر مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفي السقا طبعة الحلبي ص ٥٨) والدرب : المدخل بين جبلين ، والمراد الطريق بين بلاد العرب وبلاد الروم . يقول : لما رأى صاحبي أننا نسير في الدرب الموصل إلى بلاد الروم ، (وكان امرؤ القيس طوى عنه خبر رحلته إلى قيصر) حن إلى بلاده وبكى ، إشفافا من طول الرحلة .

والشاهد هنا في البيت الثاني : أن الفعل «تموت» منصوب بأن بعد أو ، لأنها هنا بمعنى إلا . وهو ما قرره النحاة ، واستشهدوا عليه بهذا البيت وغيره . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦١-١٦٢) بعد أن أنشد البيتين ، ونسبهما إلى امرئ القيس ، فنصب آخره : تموت ، ورفع نحاول ، على معنى «إلا» . وفي إحدى القراءتين : «تقاتلونهم أو يسلموا» . والمعنى والله أعلم - تقاتلونهم حتى يسلموا .

(٢) وهذا البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن للفراء مصورة الجامعة الورقة ١٦٢) قال : وقال الشاعر : لا أستطيع . الخ ثم قال بعده : وأنت قائل في الكلام : لست لأبي إن لم أقتلك أو تسبقني في الأرض ، فنصب «تسبقني» ونجزها .

أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ) معناه : وتجعلون رزقي إياكم أنكم تكذبون ، وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : قد سررت برؤيتك ، وبرؤيتي إياك ، فكذلك ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَفْتَحُوا، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥)

يقول تعالى ذكره : واستفتحت الرسل على قومها : أي استنصرت الله عليها . (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : هلك كل متكبر جائر ، حائد عن الإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له . والعنيد والعاند والعنود : بمعنى واحد ، ومن الجبار تقول : هو جبار بين الجبورية والجبورية والخبيرة والخبيرة . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها ، يقول : استنصروا على أعدائهم ومعانديهم : أي على من عاند عن اتباع الحق وتجنبه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَسْتَفْتَحُوا) قال : الرسل كلها استنصروا (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : معاند للحق مجانبه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال ابن جريج : استفتحوا على قومهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ، ويقهروهم ، ويكذبونهم ، ويدعونهم إلى أن يعودوا في ملتهم ، فأبى الله عز وجل لرسله وللمؤمنين ، أن يعودوا في ملّة الكفر ، وأمرهم أن يتوكلوا على الله ، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ، ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم ، فأنجز الله لهم ما وعدهم ، واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا ، (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : هو الناكب عن الحق : أي الحائد عن اتباع طريق الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا مطرف ، عن بشر ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الناكب عن الحق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) يقول : استنصرت الرسل على قومها . قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) والجبار العنيد : الذي أُنِيَ أن يقول : لا إله إلا الله . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استنصرت الرسل على قومها (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يقول : بعيد عن الحق مُعْرِضٌ عنه . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وزاد فيه : معرض عنه : أي أن يقول : لا إله إلا الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : العنيد عن الحق ، الذي يَعْنُدُ عن الطريق ، قال : والعرب تقول : شرّ الإبل العنيد ، الذي يخرج عن الطريق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) قال : الجبار : هو المتجبر . وكان ابن زيد يقول في معنى قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) خلاف قول هؤلاء ، ويقول : إنما استفتحت الأمم ، فأجيب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاسْتَفْتَحُوا) قال : استفتاحهم بالبلاء ، قالوا : اللهم إن كان هذا الذي أتى به محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، كما أمطرتنا على قوم لوط ، أو اثنا بعذاب أليم ، قال : كان استفتاحهم بالبلاء ، كما استفتح قوم هود (ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : فلا استفتاح : العذاب . قال : قيل لهم : إن لهذا أجلا ، حين سألوها الله أن ينزل عليهم ، فقال : بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، فقالوا : لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة ، ربنا عَجَّلْ لنا قِطْعًا : عذابنا ، قبل يوم الحساب . وقرأ (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى بِلَهَاءِ هُمْ الْعَذَابُ) حتى بلغ (وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) ويقول : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ وَّرَاٰ نِهٖ جَهَنَّمَ وَيُسْقٰى مِنْ مَّآءٍ صَدِيْدٍ ، (١٦) يَتَجَرَّعُهُ ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَّرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

يقول عز ذكره (مِنْ وَّرَآئِهِ) من أمام كل جبار (جَهَنَّمَ) يردونها . ووراء في هذا الموضع : بمعنى أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك : أي قدامك ، وكما قال الشاعر :

أَتُوْعِدُنِي وَّرَآءَ بَيْتِي رِيَا حُ كَدَبْتُ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي

(١) البيت لجرير في ديوانه ، وفي (مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٣٧) وقد استشهد به المؤلف في هذا الجزء . ص ١٢٩ على أن « دوفى » بمعنى « عنى » . والشاهد هنا أن قوله « وراء بيتي رياح » بمعنى أمامهم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « من ورائه جهنم » قال : مجازه : قدامه وأمامه ؛ يقال : إن الموت من ورائك ، أي قدامك . وقال : أتوعدني . . . البيت .

يعنى : وراء بنى رباح : قدّام بنى رباح وأمامهم .

وكان بعض نحويّ أهل البصرة يقول : إنما يعنى بقوله (مِينٌ وَرَائِهِ) : أى من أمامه ، لأنه وراء ما هو فيه ، كما يقول لك : وكلّ هذا من ورائك : أى سيأتى عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ؛ لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك ، وهو من ورائه . وقال : (وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَضْبًا) : من هذا المعنى : أى كان وراء ما هم فيه : أمامهم . وكان بعض نحويّ أهل الكوفة يقول : أكثر ما يجوز هذا فى الأوقات ، لأن الوقت يمرّ عليك ، فيصير خلفك إذا جزّته ، وكذلك كان وراءهم ملك ، لأنهم يجوزونه ، فيصير وراءهم . وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد ، يعنى وراء : يكون قدّاماً وخلفاً . وقوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) يقول : ويسقى من ماء ، ثم بين ذلك الماء جلّ ثناؤه ، وما هو ، فقال : هو صديد ، ولذلك ردّ الصديد فى إعرابه على الماء ، لأنه بيان عنه ، والصديد : هو القيح والدم . وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِينٌ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : قَيْحٌ ودم . حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) والصديد : ما يسيل من دمه ولحمه وجلده . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن ذكره ، عن الضحاك (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) قال : يعنى بالصديد : ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القيح والدم . وقوله (يَتَجَرَّعُهُ) يتحسّاه (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) يقول : ولا يكاد يزدريه من شدة كراهته ، وهو يسيفه من شدة العطش . والعرب تجعل « لا يكاد » فيما قد فُعل ، وفيما لم يُفعل . فأما ما قد فعل ، فنه هذا ، لأن الله جلّ ثناؤه جعل لم ذلك شراباً ؛ وأمّا ما لم يُفعل ، وقد دخلت فيه « كاد » ، فقوله (حَتَّى إِذَا أَخْرَجَ بِدَهْرِهِ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا) ، فهو لا يراها . وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) وهو يسيفه ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن صفوان

ابن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) فإذا شربه قطع أمعاءه ، حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ، فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) ، ويقول (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْرِبِي الوجوه ، بِئْسَ الشَّرَابُ) .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا معمر ، عن ابن المبارك ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) فذكر مثله ، إلا أنه قال : (سُقُوا مَاءً حَمِيمًا) .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا حيوة بن شريح الحمصي ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان بن عمرو ، قال : ثنا عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله سواء . وقوله (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) فإنه يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن كل موضع من أعضاء جسده (وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) ، لأنه لا يخرج نفسه ، فيموت فيستريح ، ولا يجيا ، لتعلق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) قال : تعلق نفسه عند حنجرتة ، فلا يخرج من فيه فيموت ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه ، فيجد لذلك راحة ، فتنفعه الحياة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قوله (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) : قال : من تحت كل شعرة في جسده . وقوله (وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) يقول : ومن وراء ما هو فيه من العذاب ، يعني أمامة وقدامه ، عذاب غليظ .

القول في تأويل قوله تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ، لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ (١٨)

✽ تختلف أهل العربية في رافع مَثَلُ ، فقال بعض نحوِّي البصرة : إنما هو كأنه قال : ومما نقص عليكم (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، ثم أقبل يفسر كما قال : (مَثَلُ الْحَسَنَةِ) ، وهذا كثير . وقال بعض نحوِّي الكوفيين : إنما المَثَلُ للأعمال ، ولكن العرب تُقَدِّمُ الأسماء ، لأنها أعرف ، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه . ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا برَبِّهم كرماد ، كما قيل : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ) ومعنى الكلام : ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ، قال : ولو خفف الأعمال جاز ، كما قال : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ

قَتَالَ فِيهِ) . . . الآية . وقوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُشْتَقُونَ : تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) قال : فتجري هو في موضع الخبر ، كأنه قال : أن تجرى ، وأن يكون كذا وكذا ، فلو أدخل « أن » جاز ، قال : ومنه قول الشاعر :

ذَرِينِي إِنِّ أَمْرَكَ لَسَنُ يُطَاعَا وَمَا أُنْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا

قال : فالحلم منصوب بألفيت على التكرير ، قال : ولو رفعه كان صوابا ، قال : وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفَّار ، فقال : مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة ، التي كانوا يعملونها في الدنيا ، يزعمون أنهم يريدون الله بها ، مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ربح عاصف ، فسفته ، وذهبت به ، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة ، لا يجدون منها شيئا ينفعهم عند الله ، فينجيهم من عذابه ، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا ، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام ، يقول الله عز وجل (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ) : يعنى أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ، التي يشركون فيها مع الله شركاء ، هي أعمال عملت على غير هدى واستقامة ، بل على جور عن الهدى بعيد ، وأخذ على غير استقامة شديد . وقيل (في يومٍ عاصفٍ) : فوصف بالعصوف ، وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه ، كما يقال : يوم بارد ، ويوم حار ، لأن البرد والحرارة يكونان فيه ؛ وكما قال الشاعر :

يَوْمَيْنِ غَيْمَتَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسًا

فوصف اليومين بالغيمةين ، وإنما يكون الغيم فيهما ، وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح ، فحذفت الريح ، لأنها قد ذكرت قبل ذلك ، فيكون ذلك نظير قول الشاعر :

إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسِ كَاسِفٌ

يريد : كاسف الشمس ، وقيل : هو من نعت الريح خاصة ، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه ، وذلك أن العرب تتبع الحفص الحفص في النعوت ، كما قال الشاعر :

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي على الصحيح . كما قاله الفراء والزجاج وصاحب الحماسة البصرية . ونسبه سيويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وهو شاهد عند النحاة على أن قوله « حلمي » بدل اشتغال من الياء في « ألفتيني » . قال ابن جني في إعراب الحماسة : إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب : إذا كان بدل البعض ، أو بدل الاشتغال . نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦٣) فالحلم منصوب بالإلقاء على التكرير (البدل) ولو رفعته كان صوابا . قلت : وإنما يكون ذلك إذا رفع لفظ « مضاع » على أن الجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب مفعول ثان لألفتيني . ولكن قواني القصيدة مرفوعة ، فلا يجوز إذن غير القول الأول في البيت .

(٢) البيت من الرجز أشده الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٦٣) عند قوله تعالى : « في يوم عاصف » ، قال : فجعل العصف تابعا لليوم في إعرابه ، وإنما العصف للريح ، وذلك جائز على جهتين : أحدهما : أن العصف وإن كان للريح ، فإن اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم بارد ويوم حار . وقد أشدني بعضهم : « يومين غيمين ويوما شمسا » ، فوصف اليومين بالغيمةين ، وإنما يكون الغيم فيهما . والوجه الآخر : أن يريد في يوم عاصف الريح ، فتحذفت الريح ، لأنها قد ذكرت في أول الكلمة ، كما قال الشاعر :

وَيُضْحِكُ عِرْفَانُ الدَّرُوعِ جُلُودَنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسِ كَاسِفٌ

يريد : كاسف الشمس .

(٣) هذا عجز بيت ، استشهد به الفراء على أن معناه : كاسف الشمس ، وذكرنا البيت كله في الكلام على الشاهد الذي قبله .

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهِهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ^١
فخفف «غير» إبتاعاً لإعراب الوجه، وإنما هي من نعت السُنَّةِ، والمعنى: سُنَّةٌ وَجْهِهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ، وكما قالوا:
هذا جُحْرٌ ضَبُّ خَرَبٍ^٢.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، في قوله (كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) قال: حملته الريح في يوم عاصف.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كِرْمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ): يقول: الذين كفروا بربهم، وعبدوا غيره، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدر على شيء من أعمالهم ينفعهم، كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف. وقوله (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ): أي الخطأ البين، البعيد عن طريق الحق.

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ

جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

يقول عز ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن الله أنشأ السموات والأرض بالحق، منفرداً بإنشائها، بغير ظهير ولا معين. (إن يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ): يقول: إن الذي تفرّد بخلق ذلك وإنشائه، من غير معين ولا شريك، إن هو شاء أن يُذْهِبْكُمْ فَيُنشِئْكُمْ، أذْهِبْكُمْ وَأَفْنِكُمْ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ، فيجدد خلقهم (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) يقول: وما إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم، على الله بممتنع ولا متعذر، لأنه القادر على ما يشاء. واختلفت القراء في قراءة قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ): فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: خَلَقَ: على فَعَلَ. وقراءته عامة قراء أهل الكوفة: «خالق» على فاعل، وهما قراءتان مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربين المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب.

(١) البيت من شواهد الفراء. في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٣ على) الخفف على المجاورة. قال في الآية «ريح عاصف»: وإن نويت أن تجعل «عاصف» من نعت الريح خاصة، فلما جاء بعد اليوم أتبعته بإعراب اليوم، وذلك من كلام العرب: أن يتبعوا الخفف الخفف إذا أشبهه، قال الشاعر: تريك سنة وجه. البيت اه. وقال بعضهم سمعت الفراء قال: قلت لأبي ثروان وقد أنشدني هذا البيت بخفف: كيف تقول: تريك سنة وجه غير مقرفة قال: تريك سنة وجه غير مقرفة. (بجر غير) قلت: فأنشد، فخفف غير، فأعدت القول عليه، فقال: الذي تقول أنت أجود مما أقول أنا. وكان إنشاده على الخفف.

(٢) يذهب ابن جني في تخريج هذا المثال. مذهبا لعله استمده من كلام الفراء، فيجعل خرب نعتا سبباً لضرب المجرور، وفاعله محذوف، والتقدير: خرب جحره؛ وعليه فلا شذوذ فيه، كما قال في الخصائص (طبعة جديدة بدار الكتب ١: ١٩١ - ١٩٢).

القول في تأويل قوله تعالى

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ، فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ، سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ (٢١)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم ، فصاروا بالبراز من الأرض جميعا ، يعنى كلهم . (فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) : يقول : فقال التَّبَاعُ منهم للمتبوعين ، وهم الذين كانوا يستكبرون في الدنيا عن إخلاص العبادة لله ، واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم : (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) في الدنيا ، والتَّبَعُ : جمع تابع ، كما الغَيْبُ جمع غائب ، وإنما عَنَّا بقولهم : إنا كنا لكم تبعا ، أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا ، يأتون لما يأمرونهم به ، من عبادة الأوثان ، والكفر بالله ، وينتهون عما نهوهم عنه ، من اتباع رسل الله . (فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) ؟ يعنون : فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شيء . وكان ابن جريج يقول نحو ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقَالَ الضُّعَفَاءُ) قال : الأتباع . (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) : قال : للقادة .

وقوله (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ) : يقول عز ذكره : قالت القادة على الكفر بالله لتباعها (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ) يعنون : لو بين لنا شيئا ندفع به عذابه عنا اليوم . (لَهَدَيْنَاكُمْ) : لبيئنا ذلك لكم ، حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ، ولكننا قد جزعنا من العذاب ، فلم ينفعنا جزعنا منه ، وصبرنا عليه . (سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ) يعنون : ما لهم من مزاغ يزوغون عنه ، يقال منه : حاص عن كذا : إذا زاغ عنه ، يَحْيِصُ حَيْصًا وَحَيْصًا وَحَيْصَانًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِيَّ يقول : بلغني ، أو ذكر لي ، أن أهل النار قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون ، فهلم فلنصبر ، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، فنفعهم الصبر إذ صبروا ، قال : فيجمعون رأيهم على الصبر ، قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : (سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ) : أى مَنجى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلْنَا أَمْ صَبَرْنَا ، مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ) : قال : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكأهم وتضرعهم إلى الله ، فتعالوا نبكى ونتضرع إلى الله ، قال : فبَكَرُوا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم

قالوا: تعالوا، فأدرك أهل الجنة الجنة إلا بالصبر، تعالوا نصبر فصبروا صبراً لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ).

انقول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره: وقال إبليس لما قضي الأمر، يعني لما أُدخِل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقر بكل فريق منهم قرارهم: إن الله وعَدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النُصرة، فأخلفتكم وعدى، ووفى الله لكم بوعده. (وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النُصرة، من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي. (إلا أن دعوتكم)، وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، كما تقول: ما ضربته إلا أنه أحمق، ومعناه: ولكن دعوتكم (فاستجبتم لي) يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله، فاستجبتم لدعائي (فلا تَلُمُونِي) على إجابتيكم إياي (وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ): عليها. (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ): يقول: ما أنا بمغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) ولا أنتم بمغيثي من عذاب الله، فمنجيتي منه. (إني كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ): يقول: إني جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم من قبل في الدنيا. (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): يقول: إن الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله، مَوْجَع، يقال: أصرخت الرجل: إذا أغتته، إصراخاً، وقد صرخ الصارخ يَصْرُخُ، وَيَصْرُخُ قَلِيلًا، وهو الصرِيخ والصارخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية (ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس، وعيسى بن مريم؛ فأما إبليس فيقوم في حزيه، فيقول: هذا القول؛ وأما عيسى عليه السلام فيقول (ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ: أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

(١) لعله يريد أن الفعل يصرخ بضم الراء، وأن فيه لغة قليلة بفتحها. ولم أجدها في المعاجم التي بين أيدينا، ولا في معاني القرآن للفراء، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة : أحدهما عيسى ، والآخر إبليس ؛ فأما إبليس فيقوم في حزيه فيقول : (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ) ، فتلا داود حتى بلغ (بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) فلا أدري أتم الآية أم لا ؛ وأما عيسى عليه السلام فيقال له : (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْسِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ؟ فتلا حتى بلغ (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : يقوم خطيبان يوم القيامة على رعوس الناس ، يقول الله عز وجل : يا عيسى بن مريم (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْسِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ؟ . . . إلى قوله (هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) قال : ويقوم إبليس فيقول : (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثي .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن الشعبي ، في قوله (ما أنا بمُصْرِخِكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) قال : خطيبان يقومان يوم القيامة ؛ فأما إبليس فيقول هذا ؛ وأما عيسى فيقول : (مَا قُلْتُ لَكُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن زياد ، عن دُحَيْنِ الْحَجْرِيِّ ، عن عتبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحديث ، قال (يقول عيسى : ذَلِكَمُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ، فَيَأْتُونَنِي ، فَيَبْأُذُنُ اللَّهِ لِي أَنْ أَقُومَ ، فَيَشُورُ مِنْ مَجْلِسِي مِنْ أَطْيَبِ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ ، حَتَّى آتَى رَبِّي ، فَيَشْفَعَنِي ، وَيَجْعَلُ لِي نُورًا إِلَى نُورٍ ، مِنْ شَعْرِ رَأْسِي إِلَى ظَهْرِي قَدَمِي ، ثُمَّ يَقُولُ الْكَافِرُونَ قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ ، فَتَقسم أَنْتَ فَاشْفَعْ لَنَا ، فَإِنَّكَ أَنْتَ أَضَلَلْتَنَا ، فَيَقُومُ ، فَيَشُورُ مِنْ مَجْلِسِي أَنْتَنْ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ ، ثُمَّ يَعْظُمُ نَحْيِيهِمْ ، وَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ . . . الآية) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال : إذا كان يوم القيامة ، قام إبليس خطيبا على منبر من نار ، فقال (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي) قال : بناصري (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال : بطاعتكم إياي في الدنيا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك عن ذكره ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : في قوله (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ) قال : قام إبليس يخطبهم ، فقال : (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ) . . . إلى قوله (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) يقول : بمغن عنكم شيئا (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) قال :

فلما سمعوا مقالته فقتلوا أنفسهم ، قال : فَنُودُوا : (لَمَقَّتْ اللهُ أَكْثَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ) ... الآية
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما أنا بمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُصْرِحِي) : ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثي .

وقوله (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ) يقول : عصيت الله قبلكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَمَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ) قال :
هذا قول إبليس يوم القيامة ، يقول : ما أنتم بنافعي ، وما أنا بنافعكم ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ،
قال : شَرِكْتَهُ : عبادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بِمُصْرِحِي) قال : بمغيثي .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ،

قال : ما أنا بمنجيكم ، وما أنتم بمنجي .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال خطيب السوء إبليس الصادق ،
أفأنتم صادقاً لم ينفعه صدقه : (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ ، وَعَوَّدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ
لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أقهركم به (إِلَّا أَنْ دَعَوْتُمْكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي) قال : أطعموني (فَلَا
تَلُومُونِي وَكُومُوا أَنْفُسَكُمْ) حين أطعموني (مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ) ما أنا بناصركم ولا مغيثكم (وَمَا
أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي) : وما أنتم بناصري ولا مغيثي لما بي (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ ،
إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد
بنى عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) قال : قام
إبليس عند ذلك ، يعني : حين قال أهل جهنم : (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) ،
فخطبهم فقال : (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ ، وَعَوَّدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) . . . إلى قوله (ما
أنا بمُصْرِحِكُمْ) يقول : بمعن عنكم شيئا (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ
مِنْ قَبْلُ) قال : فلما سمعوا مقالته مقتلوا أنفسهم ، قال : فَنُودُوا : (لَمَقَّتْ اللهُ أَكْثَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ)
... الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، تَحْيِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)

يقول عزّ ذكره : وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقروا بوحداية الله ، وبرسالة رسله ، وأن ماجأت به من عند الله حقّ (وعملوا الصّالحات) يقول : وعملوا بطاعة الله ، فانتسبوا إلى أمر الله ونبيه . (جنّات تجري من تحتها الأنهار) : بساكن تجري من تحتها الأنهار (خالدون فيها بإذن ربهم) : يقول : ادخلوها بأمر الله لهم بالدخول (تحييتهم فيها سلام) وذلك إن شاء الله ، كما حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله (تحييتهم فيها سلام) قال : الملائكة يسلمون عليهم في الجنة .

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) : يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم كيف مثل الله مثلاً ، وشبهه شئبها : كلمة طيبة ، ويعنى بالطيبة : الإيمان به جلّ ثناؤه ، كشجرة طيبة الثمرة ، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة . وقوله (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول عزّ ذكره : أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض ، وفرعها ، وهو أعلاها في السماء : يقول : مرتفع علوا نحو السماء . وقوله (تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : يقول : تُطْعِم ما يؤكل منها من ثمرها ، كُلَّ حِينٍ بأمر ربها (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) يقول : ويمثل الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم الأشباه (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا حجة الله عليهم ، فيعتبروا بها ويتعظوا ، فينزعوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة ، فقال بعضهم : عنى بها : إيمان المؤمن :

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلِمَةً طَيِّبَةً) : شهادة أن لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو المؤمن . (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) يقول : لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس

(كَلِمَةً طَيِّبَةً) قال: هذا مثل الإيمان ، فالإيمان : الشجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذي لا يزول الإخلاص لله ، وفرعه في السماء ، وفرعه : خشية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : كنخلة .
قال ابن جريج : وقال آخرون : الكلمة الطيبة أصلها ثابت في ذات أصل في القلب (وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ) تعرج فلا تحجب ، حتى تنتهي إلى الله .
وقال آخرون : بل عني بها المؤمن نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أصلها ثابت وفروعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) ، يعنى بالشجرة الطيبة : المؤمن ، ويعنى بالأصل الثابت : في الأرض ، وبالفرع في السماء : يكون المؤمن يعمل في الأرض ، ويتكلم ، فيبلغ عمله وقوله السماء ، وهو في الأرض .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : ذلك مثل المؤمن ، لا يزال يخرج منه كلام طيب ، وعمل صالح يصعد إليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : أصلها ثابت في الأرض ، وكذلك كان يقرؤها ، قال : ذلك المؤمن ضرب مثله ، قال : الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ، قال : (أصلها ثابت) قال : أصل عمله ثابت في الأرض (وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ) قال : ذكره في السماء .

واختلفوا في هذه الشجرة التي جعلت للكلمة الطيبة مثلاً ، فقال بعضهم : هي النخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال : سمعت أنس ابن مالك في هذا الحرف (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : هي النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، عن أنس ، مثله .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا شهاب ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قررة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال : النخل .

حدثني يعقوب والحسن بن محمد ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا شعيب ، قال : قال : خرجت مع أبي العالية ، نريد أنس بن مالك ، قال : فأتيناه ، فدعا لنا بقنود عليه رطب ، فقال : كلوا من هذه الشجرة ،

التي قال الله عز وجل (ضرب الله مثلاً كليمه طيبه كسجرة طيبه ، أصلها ثابت ، وفرعها في السماء) وقال الحسن في حديثه : بقناع .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع بسر ، فقال : مثل (كليمه طيبه كسجرة طيبه) قال : هي النخلة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقناع فيه بسر ، فقال : « مثل كليمه طيبه كسجرة طيبه » قال : هي النخلة ، قال شعيب ، فأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : كنا عند أنس ، فأتينا بطبق أو قنوع عليه رطب ، فقال : كل يا أبا العالية ، فإن هذا من الشجرة التي ذكر الله عز وجل في كتابه (ضرب الله مثلاً كليمه طيبه كسجرة طيبه ، أصلها ثابت) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : كان أبو العالية يأتيني ، فأتاني يوماً في منزلي بعد ما صليت الفجر ، فانطلقت معه إلى أنس بن مالك ، فدخلنا معه إلى أنس بن مالك ، فجاء بطبق عليه رطب ، فقال أنس لأبي العالية : كل يا أبا العالية ، فإن هذه من الشجرة التي قال الله في كتابه : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كليمه طيبه كسجرة طيبه أصلها ثابت) قال : هكذا قرأها يومئذ أنس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله . حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار بن القاسم ، عن جامع بن أبي راشد ، عن مرة بن شراحيل الهمداني ، عن مسروق (كسجرة طيبه) قال : النخلة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى «ح» ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء «ح» ، وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل جميعاً ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله . حدثني المثني ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، في قوله (كسجرة طيبه) قال : هي النخلة ، لا تزال فيها منفعة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (كسجرة طيبه) قال : ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة : تؤتي أكلها كل حين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مثلاً كليمه طيبه كسجرة طيبه) : كنا نحدث أنها النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَشَجَرَةَ طَيِّبَةٍ)
قال : يزعمون أنها النخلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تُوِّتِي أُمَّكُلَّهَا كُؤْلٌ
حِينَ) قال : هي النخلة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَقَرَّعُهَا فِي السَّمَاءِ) قال : النخلة .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة (تُوِّتِي
أُمَّكُلَّهَا كُؤْلٌ حِينَ) قال : هي النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال شعيب بن الحبجاب ،
عن أنس بن مالك : الشجرة الطيبة : النخلة .

وقال آخرون : بل هي شجرة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس بن أبي ظبيان ، عن
أبيه ، عن ابن عباس ، في قول الله عز وجل (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَيْلِمَةَ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ،
أَصْلُهَا ثَابِتٌ ، وَقَرَّعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُوِّتِي أُمَّكُلَّهَا كُؤْلٌ حِينَ يَأْذُنُ رَبُّهَا) قال : هي شجرة في الجنة .
وأولى القولين بالصواب في ذلك : قول من قال : هي النخلة . لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفیان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال :
صحبت ابن عمر إلى المدينة ، فلم أسمع يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثنا واحدا ، قال :
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى بجُمُار ، فقال : « مِّنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مِّثْلُهَا مِثْلُ الرَّجُلِ
المُسْلِمِ » فأردت أن أقول : هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، فسكت .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سليمان ، عن يوسف بن سريح ، عن رجل ،
عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَدْرُونَ مَا الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ » قال ابن
عمر : فأردت أن أقول : هي النخلة ، فنعني مكان عمر ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « هِيَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الله بن دينار ، عن
ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « إِنَّ شَجَرَةَ مَنْ الشَّجَرِ لَا يُطْرَحُ
وَرَقُّهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ » قال : فوقع الناس في شجر البدو ، ووقع في قلبي أنها النخلة ، فاستحييت ، حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ النَّخْلَةُ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القيسملي^١ ، قال : ثنا عبد الله

(١) بتقديم الميم على اللام ، كما في تاج العروس (تسمل : كزيرج) ، وفي الخلاصة ، بتقديم اللام على الميم ، ولعله خطأ مطبعي .

ابن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِيَ مِثْلُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ ؟ » فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا نافع ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْبِرُونِي بِشَجْرَةٍ كَمِثْلِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ، تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا ، قَالَ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمُوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ النَّخْلَةُ . »

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

واختلف أهل التأويل في معنى الحين ، الذي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع . فقال (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) فقال بعضهم : معناه : تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ غَدَاةٍ وَعَشِيَةٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : الحين : قد يكون غدوة وعشية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : غُدْوَةٌ وَعَشِيَةٌ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طائفة ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله . حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن الجعد ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : بكرة وعشيا .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : بكرة وعشية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يُذَكَّرُ اللَّهُ كُلَّ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : قال : غُدْوَةٌ وَعَشِيَةٌ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جوبير ، عن الضحاك ، في قوله :
(تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : المؤمن يطبع الله بالليل والنهار ، وفي كل حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس :
(تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) يصعد عمله أول النهار وآخره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (تَوَوَّئِي
أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يصعد عمله غدوة وعشية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله : (تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : تُخْرِجُ ثَمَرَهَا كُلَّ حِينٍ ، وهذا مثل المؤمن
يعمل كل حين كل ساعة من النهار ، وكل ساعة من الليل ، وبالشقاء والصيف ، بطاعة الله .
وقال آخرون : معنى ذلك : تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا كُلَّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، من بين صيرامها إلى حملها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن
جبير ، عن ابن عباس ، قال : الحين : ستة أشهر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن رجل حلف
أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حيناً يدرك ، ومن الحين حيناً لا يدرك ، فالحين الذي
لا يدرك قوله (وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) والحين ، الذي يُدْرِكُ (تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
رَبِّهَا) قال : وذلك من حين تُصْرَمُ النخلة إلى حين تطلع ، وذلك ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن عكرمة ، قال : الحين :
ستة أشهر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا خالد ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، في قوله
(تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هي النخلة ، والحين : ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا عكرمة (تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هو ما بين حمل النخلة إلى أن تُخْزَرَأ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال عكرمة : الحين : ستة أشهر .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس ، أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلم أخاه حيناً ، قال : الحين : ستة أشهر ، ثم ذكر النخلة
ما بين حملها إلى صيرامها ستة أشهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سعيد بن جبير (تَوَوَّئِي أَكُلَّهَا
كُلَّ حِينٍ) قال : ستة أشهر .

(١) تحرز ، بتقديم الزاي على الراء : أي يقدر ما عليها من الثمر بالنظر إليها والحدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (تُوِّرَتِي أُكُلْتُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) والحين : ما بين السبعة والستة ، وهي توكل شتاء وصيفا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : ما بين الستة الأشهر والسبعة : يعنى الحين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن عكرمة ، قال : الحين : ستة أشهر .

وقال آخرون : بل الحين ههنا سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي مكين ، عن عكرمة ، إن نذَرَ أن يقطع يد غلامه أو يجبسه حيناً ، قال : فسألني عمر بن عبد العزيز ، فقلت : لاتقطع يده ، ويجبسه سنة ، والحين : سنة ، ثم قرأ (لَيْسَ جُنُنُهُ حَتَّى حِينٍ) ، وقرأ (تُوِّرَتِي أُكُلْتُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : وزاد أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الحين حينان : حين لا يعرف ، وحين لا يعرف ؛ فأما الحين الذي لا يعرف : (وَكَتَعَلَمُنَّ نَبِيَّاهُ بَعْدَ حِينٍ) . وأما الحين الذي يُعْرَفُ ، فقوله (تُوِّرَتِي أُكُلْتُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت حمادا والحكمم ، عن رجل حلف ألا يكلم رجلا إلى حين ، قال : الحين : سنة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء « ح » ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلَّ حِينٍ) قال : كل سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تُوِّرَتِي أُكُلْتُهَا كُلَّ حِينٍ) قال : كل سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل منهم ، أنه سأل ابن عباس ، فقال : حلفت ألا أكلم رجلا حيناً ، فقرأ ابن عباس : (تُوِّرَتِي أُكُلْتُهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحين : سنة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عسيل ، عن عكرمة ، قال : أرسل إلى عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا مولى ابن عباس ، إني حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حيناً ، فما الحين الذي يعرف به ؟ قلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حين يدرك ؛ فأما الحين الذي لا يدرك ، فقول الله : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّدْكُورًا) ، والله ما يدرككم أنى له إلى أن خلقتي . وأما الذي

يدرك فقوله (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) ، فهو ما بين العام إلى العام المقبل ، فقال : أصبت يا مولى ابن عباس : ما أحسن ما قلت !

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : إني نذرت أن لا أكلم رجلا حيننا ، فقال ابن عباس (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) ، فالحين : سنة .
وقال آخرون : بل الحين في هذا الموضع : شهران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب ، فقال : إني حلفت أن لا أكلم فلانا حيننا ، فقال : قال الله تعالى : (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : هي النخلة ، لا يكون منها أكلها إلا شهرين : فالحين شهران .
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عني بالحين في هذا الموضع : غُدوة وعشية ، وكل ساعة ، لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تَوَوَّيْتُ هذه الشجرة كل حِينٍ من الأكل ، لعمل المؤمن وكلامه مثلا ، ولا شك أن المؤمن يُرْفَعُ له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا شك أن المثل لا يكون خيلافا للمُمَثَّل به في المعنى . وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيِّنا صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأى نخلة تَوَوَّيْتُ في كل وقت أكلا صيفا وشتاء ؟ قيل : أما في الشتاء فإن الطلع من أكلها . وأما في الصيف فالبلح والبُسْر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكلها .

وقوله (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا) : فإنه كما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) قال : يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) قال : هي تؤكل شتاء وصيفا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس (تَوَوَّيْتُ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) : يصعد عمله ، يعنى عمل المؤمن من أول النهار وآخره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ومثل الشرك بالله ، وهي الكلمة الخبيثة ، كشجرة خبيثة .

اختلف أهل التأويل فيها أى شجرة هي ؟ فقال أكثرهم : هي الحنظل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال :

سمعت أنس بن مالك ، قال في هذا الحرف (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الشَّريان ، فقلت : ما الشَّريان ؟ قال رجل عنده : الحنظل ، فأقرَّ به معاوية .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شُبابة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن معاوية بن قره ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الحنظل .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن معاوية بن قره ، عن أنس بن مالك ، قال : الشَّريان : يعنى الحنظل .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج ، عن الأعمش ، عن حبان بن شعبة ، عن أنس بن مالك ، في قوله (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : الشَّريان ، قلت لأنس : ما الشَّريان ؟ قال : الحنظل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عدلية قال : ثنا شعيب ، قال : خرجت مع أبي العالية ، نريد أنس ابن مالك ، فأتيناه ، فقال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) : تلکم الحنظل .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، مثله .
حدثنا المثني قال ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إياس ، عن أنس بن مالك ، قال : الشجرة الخبيثة : الشَّريان ، فقلت : وما الشريان ؟ قال : الحنظل .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن شعيب ، عن أنس ، قال : تلکم الحنظل .
حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، عن شعيب ، قال : قال أنس : (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) . . . الآية ، قال : تلکم الحنظل ، ألم تروا إلى الرياح كيف تُصَفِّقُهَا يَمِينًا وَشِمَالًا ؟

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) : الحنظلة .

وقال آخرون : هذه الشجرة لم تخلق على الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو كدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : هذا مثل ضربه الله ، ولم تخلق هذه الشجرة على وجه الأرض .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال : هي الحنظلة ، خبر ، فإن صح فلا قول يجوز أن يقال غيره ، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها .

ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن

أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : هي الحنظلة » قال شعيب : وأخبرت بذلك أبا العالية ، فقال : كذلك كانوا يقولون . وقوله (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) يقول : استؤصلت ، يقال منه : اجتثت الشيء اجتثته اجثنثا : إذا استأصلته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) قال : استؤصلت من فوق الأرض (ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : مالهذه الشجرة من قرار ، ولا أصل في الأرض تنبت عليه وتقوم ، وإنما ضربت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا ، يقول : ليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله في الأرض ثبات ، ولا له في السماء مَصْعَدٌ ، لأنه لا يصعد إلى الله منه شيء .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر ، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار : يقول : الكافر لا يقبل عمله ، ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء . يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ، ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال قتادة : إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم ، فقال : ما تقول في الكلمة الخبيثة ؟ فقال : ما أعلم لها في الأرض مستقرا ، ولا في السماء مَصْعَدًا ، إلا أن تلزم عتق صاحبها ، حتى يوافي بها يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، أن رجلا خالجت الريحُ رداءه ، فلعبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَلْعَنَنَّهَا فَلِئَلاَّ يَأْتِيَهَا مَا مَوْرَةٌ » ، وإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ ، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَى صَاحِبِهَا » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : هذا الكافر ليس له عمل في الأرض ، ولا ذكر في السماء . (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَهَا مِنْ قَرَارٍ) قال : لا يصعد عمله إلى السماء ، ولا يقوم على الأرض . فقيل : فأين تكون أعمالهم ، قال : يحملون أوزارهم على ظهورهم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ) قال : مثل الكافر : لا يصعد له قول طيب ، ولا عمل صالح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) وهي الشرك (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) يعني الكافر ، قال (اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ، مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) يقول : الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ، ولا برهان ، ولا يقبل الله مع الشرك عملاً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) قال : مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ، ولا قوله ولا عمله يستقر على الأرض ، ولا يصعد إلى السماء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول : ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار : يقول : ليس لها أصل ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليست فيها منفعة ، كذلك الكافر ليس بعمل خيرا ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة .

القول في تأويل قوله تعالى

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)

يعني تعالى ذكره بقوله (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يحقق الله أعمالهم وإيمانهم (بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) يقول : بالقول الحق ، وهو فما قيل : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . وأما قوله (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : : عنى بذلك أن الله يثبتهم في قبورهم قبل قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، في قوله (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : التثبيت في الحياة الدنيا إذا أتاه الملكان في القبر ، فقالا له : من ربك ؟ فقال : ربي الله ، فقالا له : ما دينك ؟ قال : ديني الإسلام ، فقالا له : من نبيك ؟ قال : نبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك التثبيت في الحياة الدنيا . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، بنحو منه في المعنى .

حدثني عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر ، فقال : « إن المؤمن إذا سُئِلَ في قَبْرِهِ قال : رَبِّيَ اللهُ ، فذلك قوله (يَشْبَبُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) » .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني علقمة بن مرثد قال : سمعت سعد بن عبيدة ، عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ بِشَهْدِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ » قال : فذلك قوله (يَشْبَبُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) » .

حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة ، ومحمد بن معمر البحراني ، واللفظ لحديث بن أبي كبشة ، قال : ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نصر ، عن أبي سعيد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فقال : « يا أيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، جَاءَهُ مَلَكَ بِيَدِهِ مِطْرَاقٌ ، فَأَقْعَدَهُ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَسْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ، فَأَمَّا إِذَا آمَنْتَ بِهِ ، فَإِنَّ اللهُ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ لَهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : اسْكُنْ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، فَيُقَالُ لَهُ : لَا دَرِيَّةَ وَلَا تَلَكِّيَّةَ وَلَا اهْتِدَاءَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا كَانَ مَسْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ ، فَأَمَّا إِذَا كَفَرْتَ ، فَإِنَّ اللهُ أَبْدَلَكَ هَذَا ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمِطْرَاقِ قَمْعَةً يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » قال بعض أصحابه : يارسول الله ، ما منا أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق ، إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَشْبَبُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فَيَقُولَانِ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ دِينِي الإسلامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ ، فَيَقُولَانِ : مَا يَدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ ، فَأَمَنْتُ بِهِ ،

وَصَدَّقْتُ ، فَيَسُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَّقَ عَبْدِي ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
(يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان ،
عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن يونس بن خبيب ، عن
المنهال ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن محمد ، قال :
ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا مهدي بن ميمون جميعا ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ،

عن زاذان ، عن البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ ،
قَالَ : فَيَأْتِيهِ آتٌ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ، وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ،

وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَنْتَهَرُهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ رَبُّكَ ،
وَمَا دِينُكَ ؟ فَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

(يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ، فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ،
وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُقَالُ لَهُ : صَدَّقْتُ .

واللفظ لحديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سامة ، عن محمد بن عمرو ، عن
أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُشَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قَالَ : ذَلِكَ إِذَا قِيلَ فِي الْقَبْرِ : مَنْ رَبُّكَ ، وَمَا دِينُكَ ؟
فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ ، فَأَمَّنْتُ بِهِ رَصَدَقْتُ . فَيُقَالُ لَهُ : صَدَّقْتُ ، عَلَى هَذَا عِشْتُ ، وَعَلَيْهِ مِتُّ ،
وَعَلَيْهِ تَبِعْتُ .

حدثنا مجاهد بن موسى ، والحسن بن محمد ، قالا : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن
أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : « إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَكَّلُونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ،

فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا ، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَسَارِهِ ،
وَكَانَ فِعْلُ الْحَسَنَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّاتَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ،

فَيُؤْتَى مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبِيلِي مَدَّخَلٌ ، فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَتَقُولُ
الزُّكَاةُ : مَا قَبِيلِي مَدَّخَلٌ ، فَيُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ ، فَتَقُولُ الصِّيَامُ مَا قَبِيلِي مَدَّخَلٌ ، فَيُؤْتَى
مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ ، فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ حُسَانٌ إِلَى
النَّاسِ : مَا قَبِيلِي مَدَّخَلٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ ، قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ
دَنَتْ لِلْغُرُوبِ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ ، فَيَقُولُ : دَعَوْنِي حَتَّى أُصَلِّيَ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ
سَتَفْعَلُ ، فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : وَعَمَّ تَسْأَلُونَ ؟ فَيُقَالُ : أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ
الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ، مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَحْمَدُ ؟ فَيُقَالُ لَهُ :
نَعَمْ ، فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَصَدَّقْنَاهُ .
فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّيتَ ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ ، وَعَلَى ذَلِكَ تَبَعْتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَفْتَسَحُ لَهُ
فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُسَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يَفْتَسَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : انظُرْ إِلَى
مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يَفْتَسَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ :
انظُرْ مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ لَوْ عَصَيْتَهُ ، فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا ، ثُمَّ يَجْعَلُ نَسَمَهُ فِي
النَّسَمِ الطَّيِّبِ ، وَهِيَ طَيْرٌ خَضِرٌ تَعْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ ، وَيُعَادُ جَسَدُهُ إِلَى مَا بَدَى مِنْهُ مِنَ
الْبُرْتَابِ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا المسعودي ، عن عبد الله بن مخرق ، عن أبيه ،
عن عبد الله ، قال : إن المؤمن إذا مات أُجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟
فيثبته الله ، فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ؛ قال : فقرأ عبد الله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، عن سفيان ، عن أبيه ؛ وحدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ،
قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء ، في قوله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : عذاب القبر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن
البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله تعالى (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال شعبة شيئا لم أحفظه ، قال : في القبر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) . . . إلى قوله (وَيُنْزِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) قال : إن
المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة ، فسلموا عليه ، وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا في جنازته ، ثم

صَلَّوْا عَلَيْهِ مَعَ النَّاسِ ، فَإِذَا دُفِنَ أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، وَيَقَالُ لَهُ : مَنْ رَسُولُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقَالُ لَهُ : مَا شَهَادَتُكَ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَيُوسَعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصْرَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا حِجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ : سَمِعْتُ ابْنَ طَاوُسٍ يُخْبِرُ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : هِيَ فِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ فِي قَوْلِهِ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا جَرِيرٌ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) : هِيَ فِي صَاحِبِ الْقَبْرِ .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هَشِيمٌ ، عَنِ الْعَوَامِ ، عَنِ الْمُسَيْبِ بْنِ رَافِعٍ : (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قَالَ : نَزَلَتْ فِي صَاحِبِ الْقَبْرِ

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَامِ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، عَنْ أَبِيهِ الْمُسَيْبِ ابْنَ رَافِعٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ ، عَنِ الرَّبِيعِ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُسْأَلُ فِي قُبُورِهَا ، فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ حِينَ يُسْأَلُ .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو رَيْبَعَةَ فَهْدٌ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ الْمُهَالِ بْنِ عَمْرٍو ،

عَنْ زَادَانَ ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ ، قَالَ : فَتَرْتَجِعُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَبْتَعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَتَيْنِ شَدِيدَتَا يَدَيْ الْإِنْتِهَارِ ، فَيَجْلِسَانِيهِ وَيَنْتَهِرَانِيهِ ، يَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : اللَّهُ ، وَمَا دِينُكَ ؟ قَالَ : الْإِسْلَامُ ، قَالَ :

فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ أَوْ النَّبِيُّ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ :

فَيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) : قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْمَيِّتِ الَّذِي يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنِ مَعْمَرٍ ، عَنِ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُسْأَلُ فِي قُبُورِهَا ، فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ حَيْثُ يُسْأَلُ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا شَرِيكٌ ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهَاجِرٍ ، عَنِ مَجَاهِدٍ (يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قَالَ : هَذَا فِي الْقَبْرِ مَخَاطَبَتُهُ ، وَفِي الْآخِرَةِ مِثْلُ ذَلِكَ .

وقال آخرون : معنى ذلك : يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا ، وهو القول الثابت ، وفي الآخرة : المسألة في القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : لا إله إلا الله (وفي الآخرة) : المسألة في القبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أما الحياة الدنيا ، فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وقوله (وفي الآخرة) : أى في القبر .

والصواب من القول في ذلك : ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وهو أن معناه : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا ، بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الآخرة : بمثل الذى تثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذى هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم .
وأما قوله (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) فإنه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة : عند المسألة في القبر ، لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أما الكافر فتنزّل الملائكة إذا حضره الموت ، فيبسطون أيديهم ، والبسط : هو الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت ، فإذا أدخل قبره أقعد ، فثقل له : من ربك ، فلم يرجع إليهم شيئا ، وأنساه الله ذكر ذلك ، وإذا قيل له : من الرسول الذى بعث إليك ، لم يهتد له ، ولم يرجع إليه شيئا ، يقول : (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وذكر الكافر حين تُقبض روحه ، قال : فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، قال : فَيَبْتَغِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ ، فَيَجْلِسَانِيهِ فَيَسْتَهْرَبَانِيهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي . قال : فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، قال : فَيَقَالُ لَهُ : مَا هَذَا النَّسْبُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ ؟ قال : فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ ، لَا أَدْرِي ، قال : فَيَقُولَانِ : لَا دَرَيْتَ ! قال : وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) . »

وقوله (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) يعني تعالى ذكره بذلك : ويبد الله الهداية والإضلال ، فلا تنكروا أيها الناس قُدْرته ، ولا اهتداء من كان منكم ضالا ، ولا ضلال من كان منكم مهتديا ، فإن بيده تصريف خلقه ، وتقليب قلوبهم ، يفعل فيهم ما يشاء .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا
وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ألم تنظر يا محمد (إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا) يقول : غيروا ما أنعم الله به عليكم من نعمه ، فجعلوها كُفْرًا به ، وكان تبدلهم نعمة الله كُفْرًا في نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله به على قريش ، فأخرجه منهم ، وابتعثه فيهم رسولا ، رحمة لهم ، ونعمة منه عليهم ، فكفروا به ، وكذبوه ، فبدلوا نعمه الله عليهم به كُفْرًا . وقوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) يقول : وأنزلوا قومهم من مُشْرِكِي قريش دار البوار ، وهي دار الهلاك ، يقال منه : بار الشيء يُبور بَزْرًا : إذا هلك وبطل ؛ ومنه قول ابن الزبَيْرِ ، وقد قيل إنه لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

يا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ ١

ثم ترجم عن دار البوار ، وما هي ؟ فقيل (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) يقول : وبئس المستقر هي جهنم لمن صلاحها . وقيل : إن الذين بدلوا نعمة الله كُفْرًا : بنو أمية ، وبنو مخزوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمر بن الخطاب ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ) قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة ، وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية ففتعوا إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : أخبرنا حمزة الزيات ، عن عمرو بن مرة ، قال : قال ابن عباس لعمر رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ! هذه الآية (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم الأفجران من قريش : أخوالى وأعمامك ، فأما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر ، وأما أعمامك ، فأملى الله لهم إلى حين .

(١) البيت (في اللسان : بور) منسوب إلى عبد الله بن الزبيري السهمي . قال : رجل بور ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، وأنشد البيت شاهدا عليه . وفي سيرة ابن هشام : أنشد البيت ونسبه إلى ابن الزبيري ، قاله من أبيات حين قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان هاربا منه في نجران . والراتق : الذي يصلح ما بلى أو تمزق من الثوب . وفتقت : يعني : ما أحدث في الدين من مقاومة النبي وهجائه بشعره ، وهو إثم يشبه الفتق في الثوب ، والتوبة رتق له . وبور : هالك ، يقال رجل بور وبائر . وهو محل الشاهد =

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مرة ، عن عليّ (وأحلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : الأفجران من قريش .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مرة ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان وشريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذي مرة ، عن عليّ ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : بنو المغيرة وبنو أمية ؛ فأما بنو المغيرة ، فقطع الله دابرتهم يوم بدر ؛ وأما بنو أمية ، فمُتَّعُوا إلى حين .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرا ذا مرة ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : الأفجران من بني أسد وبني مخزوم .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال : هم كفار قريش ، يعني في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ) .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، أنه سمع عليّ بن أبي طالب ، وسأله ابن الكواء عن هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن أبي أرطاة ، عن عليّ في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم كفار قريش . هكذا قال أبو السائب مسلم البطين ، عن أبي أرطاة .

حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، قال : ثنا أبو معاوية الضريير ، قال : ثنا إسماعيل بن سميع ، عن مسلم بن أرطاة ، عن عليّ ، في قوله تعالى (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ ، قال في قول الله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

= عند المؤلف . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : « دار البوار » : أي الهلاك والفناء ، ويقال منه : بار يبور ، ومنه قول عبد الله ابن الزبير . . . البيت .

(١) لعله هو عمرو بن مرة ، كما في ابن كثير في هذا الأثر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، قال : سمعت
أبا الطفيل يحدث ، قال : سمعت عليا يقول في هذه الآية : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : كفار قريش يوم بدر .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا بسام الصيرفي ، قال : ثنا أبو الطفيل عامر بن
وائلة ، ذكر أن عليا قام على المنبر ، فقال : سلوني قبل ألاّ تسألوني ، ولن تسألوا بعدى مثلي ، فقام ابن
الكواء فقال : من (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال :
منافقو قريش .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا بسام ، عن رجل قد سماه الطنافسي ، قال : جاء
رجل إلى عليّ ، فقال : يا أمير المؤمنين : من (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبَوَارِ) ؟ قال : في قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا بسام الصيرفي ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ أنه
سئل عن هذه الآية (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : منافقو قريش .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا عمرو بن دينار ، أن ابن عباس
قال في قوله : (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الجبار ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، قال : سمعت عطاء
يقول : سمعت ابن عباس يقول : هم والله أهل مكة (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا
قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا صالح بن عمر ، عن مطرف بن طريف ، عن أبي إسحاق
قال : سمعت عمرا إذا مرّ يقول : سمعت عليا يقول على المنبر : وتلا هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هما الأفجران من قريش ؛ فأما أحدهما :
فقطعت الله دابرتهم يوم بدر ؛ وأما الآخر : فمُتَّعُوا إلى حين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
قوله (بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : كفار قريش .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : كفار قريش .
حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَدَلُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ كُفْرًا) : كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يقول : هم والله (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قريش ، أو قال : أهل مكة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قالوا : ثنا غنندر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : قتلى يوم بدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم كفار قريش .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالوا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، قالوا : هم قتلى بدر من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس في (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم والله أهل مكة ، قال أبو كريب : قال سفيان : يعنى كفارهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم المشركون من أهل بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحاب عليّ ، عن عليّ ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم الأفجران من قريش من بني مخزوم وبني أمية ، أما بنو مخزوم ، فإن الله قطع دابرتهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فقتلوا إلى حين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : أخبرنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قول الله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) قال : هم القادة من المشركين يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك وسعيد ابن جبير ، قالوا : هم كفار قريش ، من قُتِلَ ببدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : هم كفار قريش ، من قُتِلَ ببدر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، يقول : في قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) .. الآية ، قال : هم مشركو أهل مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : أخبرني محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن

عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآية في الذين قُتِلوا من قريش (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) . . . الآية .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) : كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ : أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ اللَّهُ : (جَهَنَّمَ يَصَلُّوْنَ بِهَا وَيَبِئْسَ الْقَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هم قادة المشركين يوم بدر ، أحلوا قومهم دار البوار (جَهَنَّمَ يَصَلُّوْنَ بِهَا) . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : هؤلاء المشركون من أهل بدر .

وقال آخرون في ذلك ، بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصَلُّوْنَ بِهَا) فهو جبلة بن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب ، فلحقوا بالروم . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : أحلوا من أطاعهم من قومهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (دَارَ الْبَوَارِ) قال : الهلاك ، قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) قال : أصحاب بدر . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (دَارَ الْبَوَارِ) النار ، قال وقد بين الله ذلك وأخبرك به ، فقال (جَهَنَّمَ يَصَلُّوْنَ بِهَا وَيَبِئْسَ الْقَرَارُ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّوْنَ بِهَا) : هي دارهم في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، قُلْ تَمَتَّعُوا ، فَإِنْ وَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا ، وهي جماع زيد ، وقد بينت معنى النداء ، فيما مضى بشواهد ، بما أغنى عن إعادته ، وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) ، والأنداد : الشركاء . وقوله (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) : اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرآته عامة قرآء

الكوفيين (لِيُضِلُّوْا) بمعنى: كى يضلوا الناس عن سبيل الله، بما فعلوا من ذلك. وقرأته عامة قراء أهل البصرة (لِيُضِلُّوْا) بمعنى: كى يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله. وقوله (قُلْ تَمَتَّعُوا) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم: تمتعوا في الحياة الدنيا، وعيدا من الله لهم، لا لإباحة لهم التمتع بها، ولا أمرا على وجه العبادة، ولكن توبيخا وتهديدا ووعدا، وقد بين ذلك بقوله: (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) يقول: استمتعوا في الحياة الدنيا، فإنها سريعة الزوال عنكم، وإلى النار تصيرون عن قريب، فتعلمون هنالك غب تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله، وكفركم فيها به.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) بك، وصدقوا أن ما جنتهم به من عندي (يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول: قل لهم: فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها، ولينفقوا مما رزقناهم، فحولناهم من فضلنا. (سِرًّا وَعَلَانِيَةً): فليؤدوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سِرًّا وإعلانا. (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ) يقول: لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله، بما كان منها من معصية ربه في الدنيا، فيقبل منها الفدية، وتترك فلا تعاقب، فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضا، إذ كان أخذ عوض من معترض منه. وقوله (وَلَا خِلَالٌ): يقول: وليس هناك مخالفة خليل، فيصفح عن استوجب العقوبة عن العقاب لخالفته، بل هنالك العدل والقسط، فالحلال مصدر من قول القائل: خاللت فلانا، فأنا أخاله مخالفة وخلالا؛ ومنه قول امرئ القيس: صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقبلي الخلال ولا قالي وجزم قوله (يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) بتأويل الجزاء، ومعناه: الأمر، يراد قل لهم ليقيموا الصلاة. حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يعني الصلوات الخمس. (وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً): يقول: زكاة أموالهم.

حدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة، في قوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) قال قتادة: إن الله تبارك وتعالى قد علم أن في الدنيا (١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطلق السقا، طبعة الخليلي ص ٤٠) قال: الرد هنا: الفضيحة، أي لم أنصرف عنهن لأني قليت، ولا لأنهن قلياتي، ولكن خشية الفضيحة والعار. والخلال هنا: مصدر خاله يخاله خلالا ومخالفة، بمعنى المصادقة، وبه استشهد المؤلف على هذا المعنى. وفي (اللسان: خلل) وقوله تعالى: «لا يبيع فيه ولا خللال» قيل: هو مصدر خاللت، وقيل: هو جمع خلة (بضم الحاء) كجلة وجلال. وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة: مجازة: مبايعة فدية، ولا مخالفة خليل. وله موضع آخر أيضا، يجعله جمع خلة بمنزلة جلة، والجمع: جلال، وقلة، والجمع: قلال.

بيوعا وخيالا يتخالفون بها في الدنيا ، فينظر رجل من يخال ، وعلام يصاحب ؟ فإن كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله ، فإنها ستقطع .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : الله الذي أنشأ السموات والأرض من غير شيء أيها الناس ، وأنزل من السماء غيثا أحيا به الشجر والزرع ، فأمرت رزقا لكم تأكلونه (وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) : وهي السفن . (لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) لكم تركبونها ، وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد . (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ) : ماؤها شراب لكم . يقول تعالى ذكره : الذي يستحق عليكم العباد ، وإخلاص الطاعة له ، مَنْ هذه صفته ، لا يمن لا يقدر على ضرر ولا نفع ، لنفسه ولا لغيره ، من أوثانكم ، أيها المشركون ، وآلهتكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، يعني الزعفراني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسماعيل ، قال : ثنا عبد الله ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ) قال : بكل بلدة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : الله الذي خلق السموات والأرض ، وفعل الأفعال التي وصف . (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) : يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار ، لصلاح أنفسكم ومعاشكم . (دَائِبَيْنِ) في اختلافهما عليكم . وقيل : معناه : أنهما دائبان في طاعة الله .

حدثنا خلف بن واصل ، عن رجل ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ) قال : دءُ وبهما : في طاعة الله . وقوله (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) يختلفان عليكم باعتقاب ، إذا ذهب هذا ، جاء هذا بمنافعكم ، وصلاح أسبابكم ، فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم ، وهذا لكم للسكن ، تسكنون فيه ، ورحمة منه بكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأٍ لُتْمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ، إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم، من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم، والرزق الذي رزقكم، من نبات الأرض وغروسيها، من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه، شيئا، وحذف الشيء الثاني، اكتفاء بما التي أضيفت إليها كل، وإنما جاز حذفه، لأن من تبعض ما بعدها، فكفت بدلالها على التبعض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء في زمانها شيئا؛ وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثر، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء، وأتاه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك قوله (فتحننا علىهم أبواب كل شيء). وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي قد أتى بعضكم منه شيئا، وأتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويي أهل البصرة. وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كل سؤالكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل: لم يسألك شيئا، والله لأعطينك سؤالك ما بلغت مسألتك، وإن لم يسأل.

فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كل ما رغبت إليه فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني الحسن بن محمد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (من كل ما سألتموه)، ورغبتم إليه فيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد؛ وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: (وآتاكم من كل ما سألتموه) قال: من كل الذي سألتموه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه، والذي لم تسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا خلف، يعني ابن هشام، قال: ثنا محبوب، عن داود بن أبي هند، عن ركانة بن هاشم (من كل ما سألتموه) قال: ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ ذلك آخرون (وآتاكم من كل ما سألتموه) بتنوين كل وترك إضافتها إلى «ما» بمعنى: وآتاكم من كل شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه، وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار، وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه.

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حُصَيْن ، عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا بَرِيْع ، عن الضحاك بن مُزَاحِم ، في هذه الآية : (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) قال : ما لم تسألوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك : أنه كان يقرأ (مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) ويفسره : أعطاكم أشياء ما سألتموها ولم تلتمسوها ، ولكن أعطيتكم برحمتي وسعتي . قال الضحاك : فكم من شيء أعطانا الله ، ما سألناه ولا طلبناه .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) يقول : أعطاكم أشياء ما طلبتموها ، ولا سألتموها ، صدق الله ، كم من شيء أعطانا الله ما سألناه إياه ، ولا خطر لنا على بال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) قال : لم تسألوه من كل الذي آتاكم .

والصواب من القول في ذلك عندنا : القراءة التي عليها قرأ الأمصار ، وذلك إضافة « كل » إلى « ما » ، بمعنى : وآتاكم من سؤلكم شيئاً ، على ما قد بيننا قبل ، لإجماع الحجة من القرآن عليها ، ورفضهم القراءة الأخرى .

القول في تأويل قوله تعالى

(وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) :

يقول تعالى ذكره : وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم ، لا تطبقوا إحصاء عددها ، والقيام بشكرها ، إلا بعون الله لكم عليها . (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) يقول : إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً لظلوم ؛ يقول : لشاكر غير من أنعم عليه ، فهو بذلك من فعله ، واضع الشكر في غير موضعه ، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم ، واستحق عليه إخلاص العبادة له ، فعبد غيره ، وجعل له أندادا ، ليضل عن سبيله ، وذلك هو ظلمه . وقوله (كَفَّارٌ) يقول : هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه ، لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه ، وتركه طاعة من أنعم عليه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا مسعّر ، عن سعد بن إبراهيم ، عن طلح بن حبيب ، قال : إن حق الله أثقل من أن تقوم به العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ، ولكن أصبغوا توأبين ، وأمسوا توأبين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّ هَذَا أَشْلَانٌ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد (إذ قال إبراهيم رَّبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا): يعني الحرم، بلدا آمنا أهله وسكانه (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) يقال منه: جَنَّبْتَهُ الشَّرَّ فَأَنَا أَجْنُبُهُ جَنَّبًا، وَجَنَّبْتَهُ الشَّرَّ، فَأَنَا أَجْنُبُهُ تَجْنِيًا، وَأَجْنَبْتَهُ ذَلِكَ، فَأَنَا أَجْنِبُهُ إِجْنَابًا. ومن جَنَّبْتُ قول الشاعر:

وَتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ وَتَجْنِبُهُ قَلَاتِصًا الصَّعَابَا

ومعنى ذلك: أبعثني وبني من عبادة الأصنام، والأصنام: جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصوّر، كما قال رؤبة بن العجاج في صفة امرأة:

وَهَنَانَةٌ كَالزُّونِ يُجَلِّي صَنَمُهُ تَضْحَكُ عَنْ أَشْنَبِ عَدَبٍ مَلَكَمُهُ^٢

وكذلك كان مجاهد يقول: حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)، قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده، قال: فلم يعبد أحد من ولده صنمًا بعد دعوته. والصنم: التمثال المصوّر، ما لم يكن صنمًا فهو وثن. قال: واستجاب الله له، وجعل هذا البلد آمنا، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماما، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة، وتقبل دعاءه، فأراه مناسكته، وتاب عليه. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، قال: كان إبراهيم التيمي يقص ويقول في قصصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: (رَبِّ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ). وقوله (رَبِّ إِنهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) يقول: يارب إن الأصنام أضلن: يقول: أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهدى، وسبيل الحق، حتى عبدوهن، وكفروا بك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (لَإِنَّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) يعني: الأوثان.

حدثني المثني، قال: ثنا إسماعيل، قال: ثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة (لَإِنَّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) قال: الأصنام.

وقوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهٗ مِنِّي) يقول: فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك، وإخلاص العبادة لك، وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستن بسنتي، وعامل بمثل عملي. (وَمَنْ عَصَانِي

(١) البيت في (جواز القرآن لأبي عبيدة ١: ٣٤٢) قال: جنبت الرجل الأمر، وهو يوجب أخاه الشر، وجنبته (بتشديد التون) واحد. وأنشد البيت. وشدده ذو الرمة فقال:

وشعر قد أرققت له ليليل أجنيه المساند والمخلا

يريد أن المرأة تشفق على طفلها، فتنفض فراشه، خوفا عليه مما يؤذيه، ولا تترك به التوق الفتية، وهي القلائص، لأن نشاطها في السير يؤذيه. وقال الفراء في معاني القرآن: (الورقة ١٦٤) أهل الحجاز يقولون: جنبني، خفيفة، وأهل نجد يقولون: أجنبني شره، وجنبني شره.

(٢) البيت لرؤبة من أرجوزة له مطلعها: «قلت لزرير لم تصله مريمه». وقوله «وهنانة»: صفة لأروى في البيت قبله، وهو «إذ حب أروى هم وسدمه». والزون: الصنم. وملشمه: مقبله. وقد شبه أروى بالصنم المجلو، في البهاه والحسن. والوهنانة: كما في اللسان: الكسل عن العمل تنعما. قال أبو عبيدة: الوهانة التي فيها فترة.

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: ومن خالف أمري، فلم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنك غفور لذنوب المذنبين الخطّائين بفضلك، رحيم بعبادك، تعفو عن تشاء منهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ): اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم، لا والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين، وكان يقال: إن من أشرك عباد الله كل طعّان لعّان، قال نبي الله ابن مريم عليه السلام: (إِنْ تُعَدِّبْهُمْ فَلْيَنْهَهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

حدثني المثنى، قال: ثنا أصبغ بن الفرّج، قال: أخبرني ابن وهب، قال: ثنا عمرو بن الحارث، أن بكر بن سّودة، حدثه عن عبد الرحمن بن جبّير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم: (رَبِّ إِنِّي لَأَمْلَأُ أَرْضِي مِنَ الْبَشَرِ نَافِلًا، وَمِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وقال عيسى (إِنْ تُعَدِّبْهُمْ فَلْيَنْهَهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، فرفع يديه، ثم قال: اللَّهُمَّ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ أُمَّتِي، وبكى، فقال الله تعالى: يا جبرئيل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فأسأله ما يبكيه؟ فأناه جبرئيل، فأسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، قال: فقال الله: يا جبرئيل، اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمّتك ولا نسوءك.

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ هَوِيًّا إِلَيْهِمْ، وَاَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)

وقال إبراهيم خليل الرحمن هذا القول، حين أسكن إسماعيل وأمه هاجر - فيما ذكر - مكة.

كما حدثني يعقوب بن إبراهيم، والحسن بن محمد، قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، قال: نبئت عن سعيد بن جبّير، أنه حدث عن ابن عباس، قال: إن أول من سعى بين الصفا والمروة لأمّ إسماعيل، وإن أول ما أحدث نساء العرب جرّ الذبول، لمن أمّ إسماعيل، قال: لما فرّت من سارة، أرخت من ذيلها، لتعني أثرها، فجاء بها إبراهيم، ومعها إسماعيل، حتى انتهى بهما إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع، فاتبعته، فقالت: إلى أي شيء تكلّمنا؟ إلى طعام تكلّمنا؟ إلى شراب تكلّمنا؟ فجعل لا يردّ عليها شيئاً، فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. قال: فرجعت ومضى، حتى إذا استوى على ثنية كدّاء، أقبل على الوادي فدعا، فقال: (رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ هَوِيًّا إِلَيْهِمْ، وَاَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). قال: ومع الإنسان سنة فيها ماء، فنفيد الماء، فعضت

وانقطع لبنها ، فعطش الصبي ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض ، فصعدت بالصفاء ، فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فلم تسمع ، فأنحدرت ، فلما أتت على الوادى سعت ، وما تريد السعى ، كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أى الجبال أدنى من الأرض ، فصعدت المروة ، فتسمعت هل تسمع صوتا ، أو ترى أنيسا ؟ فسمعت صوتا ، فقالت : كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ، حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأعثنى ، فقد هلكت وهلك من معى ، فجاء الملك ، فجاء بها ، حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ، فقارت عينا ، فعجلت الإنسانية ، فجعلت فى شئها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَحِيمَ اللَّهِ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْلَا أَنَّهَا عَجَلَتْ ، لَكَانَتْ زَمْرَمُ عَيْنًا مَعِينًا» ١ . وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فإنما هى عين لشرب ضيفان الله ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجىء ، فيبنيان الله بيتا هذا موضعه ، قال : ومررت رفقة من جرهم تريد الشام ، فأروا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا ، فإذا هم بالإنسان ، فأتوها ، فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت ، وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم ، فسأل عن منزل إسماعيل ، حتى دل عليه ، فلم يجده ، ووجد امرأة له ، فظة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك ، فقولى له : جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : إني لا أرضى لك عتبة بابك ، فحوّلها ، وانطلق ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، فقال : ذلك أبى ، وأنت عتبة بابى ، فطلقها وتزوج امرأة أخرى منهم ، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل ، فلم يجده ، ووجد امرأة له ، سهلة طليقة ، فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء . قال : اللهم بارك لهم فى لحمهم ومأثمهم ، اللهم بارك لهم فى لحمهم ومأثمهم ، ثلاثا ، وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ، قولى : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضيت لك عتبة بابك ، فأثبتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته . قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنى يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جاء نبي الله إبراهيم بإسماعيل وهاجر ، فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما أسألك ثلاث مرات : من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضرع ولا زرع ، ولا أنيس ، ولا زاد ، ولا ماء ؟ قال : ربى أمرنى ، قالت : فإنه لن يضيعنا . قال : فلما قفا إبراهيم قال : (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نَخْفَى وَمَا نَعْلَمُ) (يعنى من الحزن) (وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) . فلما ظمئ إسماعيل ، جعل يد حوض الأرض بعقبه ، فذهبت هاجر . حتى علت الصفا ، والوادى يومئذ لآخ ، يعنى : عميق ، فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ؟ فأنحدرت ، فبلغت الوادى ، فسعت فيه ، حتى خرجت منه ، فأنت المروة ، فصعدت ، فاستشرفت هل ترى شيئا ؟ فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يد حوض

(١) معينا : جارية سائحة على وجه الأرض .

الأرض بعقبه، وقد نبعت العين، وهي زمزم، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها، وأفرغته في سيقانها، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَرَحْمُهَا اللهُ لَوْ تَرَكَتْهَا لَكَانَتْ عَيْنًا سَائِحَةً تَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قال: وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة؛ قال: ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء؛ فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي، قالوا: ما لزمته إلا وفيه ماء، فجعوا إلى هاجر، فقالوا: إن شئت كنا معك وأنسناك، والماء ماؤك، قالت: نعم. فكانوا معها، حتى شب إسماعيل، ومات هاجر، فتزوج إسماعيل امرأة منهم؛ قال: فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل، فقدم إبراهيم وقد مات هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس هاهنا، ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد، ثم يرجع، فقال إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي، وما عندي أحد. فقال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: فليغسّر عتبة بابي. وذهب إبراهيم، وجاء إسماعيل، فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخفة بشأته، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي: أقرئي زوجك السلام، وقولي له: فليغير عتبة بابي، فطلقها وتزوج أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل، فجعوا إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يصيد، وهو يجيء الآن إن شاء الله، فانزل يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال: هل عندك خبز أو بر أو تمر أو شعير، قالت: لا، فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر، لكانت أكثر أرض الله برًا وشعيرًا وتمرًا، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام، فوضعت عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حوّلت المقام إلى شقه الأيسر، فغسلت شقه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك؛ فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجهًا، وأطيبه ريحًا، فقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسل رأسه، وهذا موضع قدمه على المقام؛ قال: وما قال لك؟ قالت: قال لي: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، قال: ذلك إبراهيم. فلبث ماشاء الله أن يلبث، وأمره الله ببناء البيت، فبناه هو وإسماعيل؛ فلما بنياه قيل: أذن في الناس بالحج، فجعل لا يمر بقوم إلا قال: أيها الناس إنه قد بُني لكم بيت فحجّوه، فجعل لا يسمعه أحد، صخرة ولا شجرة ولا شيء، إلا قال: لبيك اللهم لبيك. قال: وكان بين قوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وبين قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) كذا وكذا عامًا، لم يحفظ عطاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي

بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) ، وإنه بيت طهره الله من السوء ، وجعله قبلة ، وجعله حرامه ، اختاره نبي الله إبراهيم لولده .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غير ذِي زَرْعٍ) قال : مكة لم يكن بها زرع يومئذ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير ، قال القاسم في حديثه : قال أخبرني عمرو بن كثير « قال أبو جعفر » : فغيرته أنا فجعلته : قال أخبرني ابن كثير ، وأسقطت عمرا ، لأنني لأعرف إنسانا يقال له عمرو بن كثير حدث عنه ابن جريج ، وقد حدث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ، وأحشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير بن كثير ، قال : كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان في أناس ، مع سعيد بن جبيرة ليلا ، فقال سعيد بن جبيرة للقوم : سلوني قبل ألا تسألوني ، فسأله القوم فأكثروا ، وكان فيما سئل عنه أن قيل له : أحق ما سمعنا في المقام ، فقال سعيد : ماذا سمعتم ؟ قالوا : سمعنا أن إبراهيم رسول الله حين جاء من الشام ، كان حلف لامرأته ألا ينزل مكة حتى يرجع ، فقرب له المقام ، فنزل عليه ، فقال سعيد : ليس كذلك حدثنا ابن عباس ، ولكنه حدثنا حين كان بين أم إسماعيل وسارة ما كان ، أقبل إسماعيل ، ثم ذكر مثل حديث أيوب ، غير أنه زاد في حديثه ، قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « وكذلك طاف الناس بين الصفا والمروة » . ثم حدث وقال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « طَلَبُوا السُّزُولَ مَعَهَا وَقَدَّ أَحَبَّتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ الْأَنْسَ ، فَزَلُّوا وَبَعَثُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَقَدِمُوا ، وَطَعَامُهُمُ الصَّيْدُ ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَرَمِ وَيَخْرُجُ إِسْمَاعِيلُ مَعَهُمْ يَتَصَيَّدُ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَنْكَحُوهُ ، وَقَدَّ تَوَفَّيَتْ أُمُّهُ قَبْلَ ذَلِكَ » . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا دَعَا لَهَا أَنْ يُبَارَكَ لَهَا فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ ، قَالَ : لَهَا هَلْ مِنْ حَبِّ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الطَّعَامِ ؟ قَالَتْ : لَا ، وَلَوْ وَجَدَ يَوْمَئِذٍ لَهَا حَبًّا لَدَعَا لَهَا بِالْبُرْكَ فِيهِ » . قال ابن عباس : ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ، ثم جاء فوجد إسماعيل قاعدا تحت دوحه ، إلى ناحية البئر ، يبرئ نبتلا له ، فسلم عليه ، ونزل إليه ، فقعد معه وقال : يا إسماعيل ، إن الله قد أمرني بأمر ، قال إسماعيل : فأطع ، بك فيما أمرك ، قال إبراهيم : أمرني أن أبني له بيتا ، قال إسماعيل ابن . قال ابن عباس : فأشار له إبراهيم إلى أكمة بين يديه ، مرتفعة على ماحولها ، يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها ، قال : فقاما يخفزان عن القواعد ، يرفعانها ويقولان : (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) : ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء ، وإسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ، والشيخ إبراهيم يبني ، فلما ارتفع البنيان وشق على الشيخ تناوله ، قرب إليه إسماعيل هذا الحجر ، فجعل يقوم عليه ويبني ، ويحوله في نواحي البيت ، حتى انتهى . يقول ابن عباس : فذلك مقام إبراهيم وقيامه عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) قال : أسكن إسماعيل وأمه مكة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : (إِنِّي أُسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) قال : حين وضع إسماعيل .
قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : ربنا إني أسكنت بعض ولدي بواد غير ذي زرع ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء ، لأنه لو كان هنالك ماء ، لم يصفه بأنه غير ذي زرع ، عند بيتك الذي حرّمته على جميع خلقك أن يستحلّوه .

وكان تحريمه إياه فيما ذكر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في خطبته : إن هذا البيت أول من وليه أناس من طسّم ، فعصوا ربهم ، واستحلوا حرّمته ، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله : ثم وليهم أناس من جرهم ، فعصوا ربهم ، واستحلوا حرّمته ، واستخفوا بحقه ، فأهلكهم الله ، ثم وليتموه معاشر قريش ، فلا تعصوا ربه ، ولا تستحلّوا حرّمته ، ولا تستخفوا بحقه ، فوالله لصلاة فيه أحبّ إلىّ من مئة صلاة بغيره ، واعلموا أن المعاصي فيه على نحو من ذلك .
وقال (إِنِّي أُسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) ولم يأت بما وقع عليه الفعل ، وذلك أن حظّ الكلام أن يقال : إني أسكنت من ذريتي جماعة ، أو رجلا ، أو قوما ، وذلك غير جائز مع « مِنْ » ، لدلالته على المراد من الكلام ، والعرب تفعل ذلك معها كثيرا ، فتقول : قتلنا من بني فلان ، وطعمنا من الكأ ، وشربنا من الماء ؛ ومنه قول الله تعالى (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) .
فإن قال قائل : وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة : (إِنِّي أُسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) وقد رويت في الأخبار التي ذكرتها : أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة ؟ قيل : قد قيل في ذلك أقوال ، قد ذكرتها في سورة البقرة ، منها أن معناه : عند بيتك المحرم ، الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض ، حين رفعت أيام الطوفان ؛ ومنها عند بيتك المحرم الذي قد مضى في سابق علمك أنه يحدث في هذا البلد . وقوله (الْمُحَرَّمِ) على ما قاله قتادة : معناه : المحرم : من استحلال حرّامات الله فيه ، والاستخفاف بحقه . وقوله (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يقول : فعلت ذلك ياربنا ، كي تؤدّي فرائضك ، من الصلاة التي أوجبها عليهم في بيتك المحرم . وقوله (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم ، أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته ، الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع ، عند بيته المحرم ، وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجّ بيته الحرام .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : (أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) ولو قال : أفئدة الناس تهوى إليهم ، لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فهم المسلمون .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَاجْعَلْ

(١) يريد أن من إذا كان معناها التبعيض ، كما في الآية ، لم يجز ذكر المفعول بعدها ، لأنها حيثئذ بمعنى المفعول ، أي أسكنت

بعض ذريتي بواد غير ذي زرع .

أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو كانت أفئدة الناس ، لازدحمت عليه فارس والروم ، ولكنه أفئدة من الناس .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : لو قال أفئدة الناس تهوى إليهم ، لازدحمت عليهم فارس والروم .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت عكرمة عن هذه الآية : (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فقال : قلوبهم تهوى إلى البيت .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن عكرمة وعطاء وطاوس (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) البيت ، تهوى إليه قلوبهم : يأتونه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا سعيد ، عن الحكم ، قال : سألت عطاء وطاوسا وعكرمة ، عن قوله (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قالوا : الحج .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة وعلي بن الجعد ، قالوا : أخبرنا سعيد ، عن الحكم ، عن عطاء وطاوس وعكرمة ، في قوله (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : هواهم إلى مكة : أن يحجوا .
حدثني المثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سألت طاوسا وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح ، عن قوله (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) فقالوا : اجعل هواهم الحج .
حدثنا الحسن ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو كان إبراهيم قال : فاجعل أفئدة الناس تهوى إليهم لحججه اليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكنه قال : (أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : تنزع إليهم .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .
وقال آخرون : إنما دعاهم أن يهتروا السكنى بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاجْعَلْ أَفْشِدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قال : إن إبراهيم خليل الرحمن ، سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهتروا سكنى أو ساكن مكة .

وقوله (وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) يقول تعالى ذكره : وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار

ما رزقت سكان الأرياف والقرى، التي هي ذوات المياه والأنهار، وإن كنت أسكنهم واديا غير ذي زرع ولا ماء، فَرَزَقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ .

كما حدثنا المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : قرأت على محمد بن مسلم الطائفي أن إبراهيم لما دعا للحرم (وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ) نقل الله الطائف من فلسطين .
وقوله (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) يقول : ليشكروك على ما رزقتهم ، وتنعم به عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا إِنَّا أَلَمَّا نَلَّمْ مَا نَخْفَى وَمَا نَعْلَمُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ (٣٨)

و هذا خبر من الله تعالى ذكره، عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على مانوى وقصد، بدعائه وقيله: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) . . . الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه، في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له، على مثل الذى هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به، وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء، يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك، متجلّ باد، لأنك مدبره وخالقه، فكيف يخفى عليك .

القول في تأويل قوله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)

يقول: الحمد لله الذى رزقنى على كبر من السن ولدا: إسماعيل وإسحاق . (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) :
يقول: إن ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به، وقولى (اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى، وجميع ما نطق به ناطق، لا يخفى عليه منه شيء .

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن ضرار بن مرة، قال: سمعت شيخا يحدث سعيد بن جبير، قال: بُشِّرَ إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤٠)

يقول: رب اجعلنى مؤديا ما ألزمتنى من فريضتك التى فرضتها على، من الصلاة . (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) :
يقول: واجعل أيضا من ذريتي مقيمي الصلاة لك (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ) يقول: ربنا وتقبل عملى الذى أعمله لك، وعبادتى إياك، وهذا نظير الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن

الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)

وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة، واستغفار منه لهما، وقد أخبر الله عز ذكره، أنه لم يكن (استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه) ، فلما تبسّين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم .
وقد بينا وقت تبرّئه منه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وللمؤمنين) يقول : وللمؤمنين بك ، ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه ، فأطاعك في أمرك ونهيك . وقوله (يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) يعني : يقوم الناس للحساب ، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس ، إذ كان مفهوما معناه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تحسبن الله يا محمد غافلا ، ساهيا عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو عالم بهم وبأعمالهم . محصيا عليهم ، ليجزاهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران في قوله (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) قال : هي وعيد للظالم ، وتعزية للمظلوم

القول في تأويل قوله تعالى

(إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) :

يقول تعالى ذكره : إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك ، ويحسدون نبوتك ، ليوم تشخص فيه الأبصار . يقول : إنما يؤخر عقابهم ، وإنزال العذاب بهم ، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق ، وذلك يوم القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) شَخِصَتْ فِيهِ وَاللَّهُ أَبْصَارَهُمْ ، فَلَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ .

وأما قوله (مُهْطِعِينَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم : معناه : مسرعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدّب ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : (مُهْطِعِينَ) قال : النَّسْلَان ، وهو الحَبَب ، أو ما دون الخبب ، شكّ أبو سعيد ، يخبثون وهم ينظرون . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) قال : مسرعين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُهْطِعِينَ) يقول : منطلقين عامدين إلى الداعي .

وقال آخرون : معنى ذلك : مديهي النظر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُهْطِعِينَ) يعني بالإهطاع : النظر من غير أن يَطْرُف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج الدائم الذي لا يَطْرُف .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن أبي الخير بن تميم بن حذلم ، عن أبيه ، في قوله (مُهْطِعِينَ) قال : الإهطاع : التحميج .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (مُهْطِعِينَ) قال : شدة النظر الذي لا يطرّف .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله : (مُهْطِعِينَ) قال : شدة النظر في غير طرّف .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مُهْطِعِينَ) الإهطاع : شدة النظر في غير طرّف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مُهْطِعِينَ) قال : مديهي النظر . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا يرفع رأسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُهْطِعِينَ) قال : المهطع الذي لا يرفع رأسه . والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع : أشهر منه بمعنى إدامة النظر ، ومن الإهطاع بمعنى الإسراع ، قول الشاعر :

وَبِمُهْطِيعٍ سُرْحٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ فِي رَأْسٍ جِدْعٍ مِّنْ أَوَالٍ مُّشَدَّبٍ^١
وقول الآخر :

بِمُسْتَهْطِيعٍ رَسَلٍ كَأَنَّ جَدِيلَهُ بِقَيْدٍ وَمِ رَعْنٍ مِّنْ صَوَامٍ مُّتَمَّعٍ^٢
وقوله (مُتَمَّعِي رُءُوسِهِمْ) يعني رافعي : رُءُوسِهِمْ . وإقناع الرأس : رفعه ؛ ومنه قول الشماخ :
يُبَاكِرُنَ الْعِضَاهَةَ بِمُقْسَعَاتٍ نُّوْاجِدُهُنَّ كَالْحَدَائِمِ الْوَقِيعِ^٣
يعني : أنهن يباكرن العضاه برؤوسهن مرفوعات إليها لتتناول منها ، ومنه أيضا قول الراجز :
أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ،
قوله (مُتَمَّعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رؤوسهم .

(١) البيت أنشده ابن بري في (اللسان : أول) ونسبه لأنيف بن جبلة . وروايته فيه :

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ لِلْعَيْنِ جِدْعٌ مِّنْ أَوَالٍ مُّشَدَّبٍ

وفي معجم ما استعجم للبكري : أول قرية بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السيف (بكسر السين) ؛ يشهد لذلك
قول ابن مقبل . وكأنها سفن بسيف أو ال . والمهطع : (كما في اللسان) ، الذي يديم النظر مع فتح العينين . وقيل : الذي يقبل على الشيء
ببصره ، فلا يرفعه عنه ؛ والمهطع أيضا : المرع الخائف ، لا يكون إلا مع خوف . وقد فسر بالوجهين جميعا قوله تعالى : مهطعين
إلى الداع . اه . وقال في سرح : خيل سرح ، وناقاة سرح في سيرها : أي سريعة . وأورده المؤلف وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١) :
(٣٤٢) شاهدا على أن المهطع : المرع .

(٢) أورده صاحب أساس البلاغة (هطع) قال : وهو في صفة ثور . وجمع : بالهاء ، أي طويل ، من الممتع . وفيه « رضام »
في جبل : صوام . وفي (اللسان : قدم) قال : وقيدوم الجبل : أنف يتقدم منه ، وأنشد البيت وقال : صوام (كسحاب) اسم جبل .
وقيدوم كل شيء : مقدمه وصدوره . والمهطع : كالمهطع ، وهو المرع . ورسل : سهل فيه لين . والجديل : جبل مفتول من آدم
أو شعر ، يكون في عنق البعير أو الناقة ، والجمع : جدل . والجديل أيضا : الزمام المجدول من آدم . والرعن : أنف الجبل . وصوام
(كسحاب) : جبل قاله البكري وصاحب اللسان . والمنع بالنون : المرتفع الذي لا يرتق . وفي مجاز القرآن : الرسل : الذي لا يكلفك
شيئا . بقيدوم : قدام . ورعن الجبل : أنفه ، وصوام (بضم الصاد وهمز الواو) لم أجده كذلك ، وإنما هو صوام ، يفتح
الصاد وبالواو ، بوزن سحاب .

(٣) البيت للشماخ بن ضرار (ديوانه ص ٥٦) والرواية فيه : يبادرن في موضع يباكرن ، وهما بمعنى . قال شارحه : يبادرن
من المبادرة ، والعضاه : جمع عضاهة . وهي أعظم الشجر . والمقنعات : جمع مقنع : يريد أفواه الإبل . والنواجذ : أنص الأضراس .
والحدأ : جمع حدأة ، وهي فأس ذات رأسين . والوقيع : المحدد بالميقعة ، وهي المطرقة التي يحدد بها . شبه أسنانها بقشوس قد حددت .
والبيت في وصف إبل حداد الأسنان . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٤٣) في تفسير « مقنعي رؤوسهم » مجازة : رافعي رؤوسهم .
وأنشد بيت الشماخ ، ثم قال : أي رؤوس مرفوعة إلى العضاه ، ليتناولن منه . والعضاه : كل شجرة ذات شوك . ونواجذهن : أضراسهن .
والحدأ : الفأس ، وأراء الذي ليس له خلف ، وجمعها : حدأ . والوقيع : المرققة المحددة ، يقال : وقع حديدتك . والمطرقة يقال لها
ميقعة . وفي (اللسان : حدأ) الحدأ : شبه فأس تنقر به الحجارة ، وهو يحدد الطرف . والحدأة : الفأس ذات الرأسين ، والجمع
حدأ ، كقصة وقصب . وقال : شبه أسنانها بقشوس قد حددت .

(٤) أنفض رأسه : حركه كالمتعب . وأقنعه : رفعه . يقول : هز رأسه نحوى ، ورفعته يتأملني ، كما يتأمل شيئا فيه مطمع له .
وهو كالذي قبله شاهد على أن الإقناع : هو الرفع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ، وقال الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبي سعد ، قال : قال الحسن : وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء ، لا ينظر أحد إلى أحد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عثمان بن الأسود ، لأنه سمع مجاهدا يقول في قوله (مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافع رأسه هكذا ، لا يرتد إليهم طرفهم . حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رؤوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : الإقناع : رفع رؤوسهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : المُقْنَع : الذي يرفع رأسه ، شاخصا بصره ، لا يطرف . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : المقنع الذي يرفع رأسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن جوير ، عن الضحاك (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رؤوسهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد (مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ) قال : رافعي رؤوسهم .

وقوله (لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) يقول : لا ترجع إليهم ، لشدة النظر ، أبصارهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) ، وأفئدتهم هواء) قال : شاخصا أبصارهم .

وقوله (وأفئدتهم هواء) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : متخرقة ، لانعي من الخير شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، في قوله (وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ هَوَاءٌ) قال : متخرقة لاتعى شيئا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك بن ميعول ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، بمثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .
حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مرة (وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ هَوَاءٌ) قال : متخرقة ، لاتعى شيئا من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا مالك ، يعني ابن ميعول ، قال : سمعت أبا إسحاق ، عن مرة ، إلا أنه قال : لاتعى شيئا ، ولم يقل من الخير .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، مثله .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مالك بن ميعول ، وإسرائيل عن أبي إسحاق ، عن

مرة (وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ هَوَاءٌ) قال أحدهما : خربة ، وقال الآخر : متخرقة ، لاتعى شيئا .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ هَوَاءٌ) قال : ليس فيها شيء من الخير ، فهي كالخربة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ليس

من الخير شيء في أفئدتهم ، كقولك للبيت الذي ليس فيه شيء : إنما هو هواء .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال : ابن زيد في قوله (وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ هَوَاءٌ) قال :

الأفئدة : القلوب . هواء ، كما قال الله ، ليس فيها عقل ولا منفعة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي بكرة ، عن أبي صالح (وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ

هَوَاءٌ) قال : ليس فيها شيء من الخير .
وقال آخرون : إنها لاتستقر في مكان ، تتردد في أجوافهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَأَفْسِدَتْ لَهُمْ هَوَاءٌ) قال : تمر في أجوافهم ، ليس لها مكان تستقر فيه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد ، عن سالم ، عن سعيد بنحوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها خرجت من أممائها ، فنشبت بالخلوق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِيُّ ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن أبي الضحى : (وَأَفْشِدْ تَهُمْ هَوَاءً) قال : قد بلغت حناجرهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَأَفْشِدْ تَهُمْ هَوَاءً) قال : هواء : ليس فيها شيء ، خرجت من صدورهم ، فنشيت في حلوقهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَفْشِدْ تَهُمْ هَوَاءً) انزعرت ، حتى صارت في حناجرهم ، لا تخرج من أفواههم ، ولا تعود إلى أمكنتها .

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، في تأويل ذلك : قول من قال : معناه : أنها خالية ، ليس فيها شيء من الخير ، ولا تعقل شيئاً ؛ وذلك أن العرب تسمى كل أجوف خاو : هواء ؛ ومنه قول حسان بن ثابت :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف تخب هواءاً^١

ومنه قول الآخر :

ولا تك من أخدان كل براعة هواء كسقب البان جوف مكاسره^٢

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ، فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ ،

نَجِبْ دَعْوَتَكَ ، وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ ، أُولَٰئِكَ تَكُونُوا آفَئِسْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتكم إليهم داعياً إلى الإسلام ، ما هو نازل بهم ، يوم يأتيهم عذاب الله في القيامة . (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : فيقول الذين كفروا بربهم ، فظلموا بذلك أنفسهم : (رَبَّنَا آخِرْنَا) : أي آخِرنا عذابك ، وأمهلنا (إلى آجلٍ قريبٍ ، نَجِبْ دَعْوَتَكَ) الحق ، فنؤمن بك ، ولا نشرك بك شيئاً (وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ) يقولون : ونصدق رسلك ، فنطيعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك ، واتباع أمرك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) البيت لحسان ، كما في (الديوان ص ٧) . وأبوسفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يهجو النبي قبل أن يسلم . والمجوف : الخالي الجوف ، يريد به الجبان ، وكذلك النخب والهواء . وقال في اللسان : النخب : الجبان ، كأنه منتزع الفؤاد ، أي لافؤاد له . وقال في (هوى) : والهواء والخواء : واحد . وأورد البيت كرواية المؤلف . (٢) البيت في (اللسان : ر ع) كرواية المؤلف . ونسبه ابن بري لكعب الأمثال (؟) وقال قبله : البراعة والبراع : الجبان الذي لا عقل له ولا رأي ، مشتق من القصب . اهـ . أي على التشبيه بالقصب الأجوف . والهواء : الجبان المنتزع الفؤاد . والبان : شجر يسمو ويعطول في استواء ، وليس خشبه صلابة ، والسقب : عمود الخباء ، وإذا اتخذ من شجر البان ، فإنه لا يحمّل ، لقلة صلابته . وجوف : جمع أجوف ؛ والمكاسر : مواضع الكسر ، أي إذا كسر بان أنه أجوف ضعيف الاحتمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) قال : يوم القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) قال : مدة يعملون فيها من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) : يقول : أنذرهم في الدنيا ، قبل أن يأتيهم العذاب .

وقوله (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) رفع عطفًا على قوله (يَأْتِيهِمُ) في قوله (يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) وليس بجواب للأمر ، ولو كان جوابًا لقوله (وأُنذِرِ النَّاسَ) جاز فيه الرفع والنصب ، أما النصب فكما قال الشاعر :

يا ناقَ سيرى عنقاً فسيبيحاً إلى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحاً

والرفع على الاستئناف . وذكر عن العلاء بن سيبا ، أنه كان ينكر النصب في جواب الأمر بالفاء ، قال الفراء وكان العلاء هو الذي علم معاذًا وأصحابه .

القول في تأويل قوله تعالى

(أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ) :

وهذا تقرير من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش ، بعد أن دخلوا النار بإنكارهم في الدنيا البعث بعد الموت ، يقول لهم : إذ سألوه رفع العذاب عنهم ، وتأخيرهم ، لينبؤوا ويتوبوا . (أَوْ لَمْ تَكُونُوا) في الدنيا (أَقْسَمْتُمْ مِمَّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ) يقول : ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة ، وإنكم إنما تموتون ، ثم لا تتبعون .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال (أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِمَّنْ قَبْلُ) كقوله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَيَبْغِثَ اللَّهُ مِمَّنْ يَمُوتُ بَلَى) ثم قال (مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ) قال : الانتقال من الدنيا إلى الآخرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا

(١) هذا البيت من شواهد التحوين ، وهو لأبي النجم العجل ، يخاطب ناقته في سيره إلى سليمان بن عبد الملك . وناق : منادى مرخم ، أي يا ناق ، وعنقا : منصوب على أنه نائب عن المصدر ، أي صفة مصدر محذوف ، أي سيرا عنقا ، وهو ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسطر . قال أبو النجم . . . وأنشد البيت . والفسيح : الواسع . نعت . والشاهد في « فَنَسْتَرِيحاً » حيث نصب ، لأنه جواب الأمر بالفاء ، وهذا بلا خلاف ، إلا ما نقل عن العلاء بن سيبا ، أنه كان لا يجوز ذلك ، وهو محجوج به . (انظر فرائد القلائد للعيني : باب إعراب الفعل) . وقال الفراء في معاني القرآن : (الورقة ١٦٤) ، وقوله « يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ » فيقول : رفع ، تابع ليأتيهم ، وليس بجواب الأمر ، ولو كان جوابًا لجاز نصبه ورفعه ، كما قال الشاعر : « يا ناق . . . البيت » والرفع على الاستئناف ، والانتئناف بالفاء في جواب الأمر حسن . وكان شيخ لنا يقال له العلاء بن سيبا ، وهو الذي علم معاذًا الهراء وأصحابه ، يقول : لا أنصب بالأمر .

أبو حذيفة ، قال : ثنا سلمة ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لكم من زوال) قال : لآتموتون ، لقريش .
حدثني القاسم ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عمرو بن أبي ليلى ، أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني ، أو ذكر لي ، أن أهل النار ينادون : (ربنا أخرنا إلى أجل قريب ، نجيب دعوتك ، وتبسع الرسل) فرد عليهم (أولم تكفونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ، وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) . . . إلى قوله (ليتزول منه الجبال) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين كفروا بالله ، فظلموا بذلك أنفسهم ، من الأمم التي كانت قبلكم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم : يقول : وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم ، وتمادوا في طغيانهم وكفرهم . (وضرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) يقول : ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين : الأشباه ، فلم تنيبوا ولم تتوبوا من كفركم ، فالآن تسألون التأخير للتوبة ، حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب ، إن ذلك لغير كائن .

وينجو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : سكن الناس في مساكن قوم نوح وعاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثيرة ، ممن هلك من الأمم . (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) قد والله بعث رسله ، وأنزل كتبه ، ضرب لكم الأمثال ، فلا يصم فيها إلا أصم ، ولا يخيب فيها إلا الخائب ، فاعقبوا عن الله أمره .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ) قال : سكنوا في قراهم مدن الحجر والقرى التي عذب الله أهلها ، وتبين لكم كيف فعل الله بهم ، وضرب لهم الأمثال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْأَمْثَالَ) قال : الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ

الْجِبَالُ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فسكنتم من بعدهم في مساكنهم ، مكرهم . وكان مكرهم الذي مكروا : ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفیان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبان^١ ، قال : سمعت عليا يقرأ (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : كان ملك فبره^٢ أخذ فروخ النسور ، فعلقها اللحم ، حتى شبتت واستعلجت واستغلظت ، فقعد هو وصاحبه في التابوت ، وربطوا التابوت بأرجل النسور ، وعلقوا اللحم فوق التابوت ، فكانت كلما نظرت إلى اللحم ، صعدت وصعدت ، فقال لصاحبه ما ترى؟ قال : أرى الجبال مثل الدخان ، قال : ماترى؟ قال : ما أرى شيئا ، قال : ويحك صوب صوب ، قال : فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن واصل^١ ، عن علي بن أبي طالب ، مثل حديث يحيى بن سعيد ، وزاد فيه : وكان عبد الله بن مسعود يقرأها (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن واصل^١ : أن عليا قال في هذه الآية : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : أخذ ذلك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين ، فرباهما ، ثم استغلظا واستعلجا وشببا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد إلى تابوت ، وجوعهما ، وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب العصا ، فصوبها فهبطا ، قال : فهو قول الله تعالى : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال أبو إسحاق : وكذلك في قراءة عبد الله : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) : مكر فارس . وزعم أن يختنصر خرج بنسور ، وجعل له تابوتا يدخله ، وجعل رماحا في أطرافها ، واللحم فوقها ، أراه قال : فعتلت تذهب نحو اللحم ، حتى انقطع بصره من الأرض وأهلها ، فنودي : أيها الطاغية أين تريد؟ ففرق ، ثم سمع الصوت فوقه ، فصوب الرماح ، فتصوبت النسور ، ففزع الجبال من هدهدها ، وكادت الجبال أن تزول منه من حس ذلك ، فذلك قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

(١) سيأتي (ص ٢٤٥) أن اسمه عبد الرحمن بن دانييل ، وقد نقل هذا الاسم القرطبي في تفسيره (٩ : ٣٨٠) ولم أجده في أسماء الرواة ولعل لفظي «أبان» وواصل «هنا تحريف عن «دانييل» .
(٢) القره : البطر الأشر المتأدى في غيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ ، وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ) كذا قرأها مجاهد (كَادَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) وقال : إن بعض من مضى جوع نسورا ، ثم جعل عليها تابوتا فدخله ، ثم جعل رماحا في أطرافها لحم ، فجعلت ترى اللحم ، فتذهب ، حتى انتهى بصره ، فنودي : أيها الطاغية : أين تريد ، فصوب الرماح ، فتصوبت النسور ، ففزعت الجبال ، وظننت أن الساعة قد قامت ، فكادت أن تزول ، فذلك قوله تعالى (وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

قال ابن جريج ، أخبرني عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن عمر بن الخطاب ، أنه كان يقرأ (وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) .

حدثني هذا الحديث أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه كان يقرأ على نحو (لِيَنْزُولَ) بفتح اللام الأولى ، ورفع الثانية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانييل^١ قال : سمعت عليا يقول ((وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن دانييل^١ ، قال : سمعت عليا يقول : (وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قال : ثم أنشأ على يحدث فقال : نزلت في جبّار من الجبابرة ، قال : لأنتهى حتى أعلم ما في السماء ، ثم اتخذ نسورا ، فجعل يطعمها اللحم ، حتى غلظت واستعلجت واشتدت ، وذكر مثل حديث شعبة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الخضر^٢ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد أو جعفر ، عن سعيد بن جبير ((وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) قال : ثم روى صاحب النسور ، أمر بتابوت فجعل ، وجعل معه رجلا ، ثم أمر بالنسور فاحتمل ، فلما صعد قال لصاحبه : أي شيء ترى ؟ قال : أرى الماء وجزيرة ، يعنى الدنيا ، ثم صعد فقال لصاحبه : أي شيء ترى ؟ قال : ما نرصد من السماء إلا بوعدا ، قال : اهبط ، وقال غيره : نودي : أيها الطاغية أين تريد ؟ قال : فسمعت الجبال حفيف النسور ، فكانت ترى أنها أمر من السماء ، فكادت تزول ، فهو قوله ((وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، أن أنسا كان يقرأ ((وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) .

وقال آخرون : كان مكرهم : شركهم بالله ، وافتراءهم عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنفى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ((وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) يقول : شركهم ، كقوله (تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) .

(١) تقدمت الإشارة إليه في (ص ٢٤٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك : (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) قال : هو كقوله (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) .
 حديثي المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ) ثم ذكر مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن كان يقول : كان أهون على الله ، وأصغر من أن تزول منه الجبال ، يصفهم بذلك . قال قتادة : وفي مصحف عبد الله بن مسعود (وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) ، وكان قتادة يقول عند ذلك : (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) : أي لكلامهم ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) قال ذلك حين دعوا لله ولدا . وقال في آية أخرى (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) في حرف ابن مسعود (وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) هو مثل قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائي (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) بكسر اللام الأولى ، وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ . وقرأه الكسائي : (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) بفتح اللام الأولى ، ورفع الثانية ، على تأويل قراءة من قرأ ذلك (وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى : اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال ، أو كادت تزول منه . وكان الكسائي يحدث عن حمزة ، عن شبل عن مجاهد ، أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) : برفع تزول .

حدثني بذلك الحارث ، عن القاسم ، عنه .

والصواب من القراءة عندنا : قراءة من قرأه (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ) بكسر اللام الأولى ، وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لَسَبَّزُولُ مِنْهُ الْجِبَالِ .

ولمّا قلنا : ذلك هو الصواب ، لأن اللام الأولى إذا فتحت ، فمعنى الكلام : وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل . وأخرى : إجماع الحجة من القراء على ذلك ، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها ، وفساد غيرها بغيره .

فإن ظنَّ ظانَّ أن ذلك ليس بإجماع من الحجّة، إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك، فإن الأمر بخلاف ما ظنَّ في ذلك، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، قرءوا: «وإنَّ كادَ مَكْرُهُمْ» (بالدال، وهي إذا قرئت كذلك، فالصحيح من القراءة مع (وإنَّ كادَ) فتح اللام الأولى، ورفع الثانية، على ما قرءوا، وغير جائز عندنا القراءة كذلك، لأن مصاحفنا بخلاف ذلك، وإنما خطَّ مصاحفنا: «وإنَّ كان»، بالنون لا بالدال، وإذا كانت كذلك، فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين، وإذا لم يجز ذلك، لم يكن الصَّحاح من القراءة، إلا ما عليه قرء الأماص، دون من شدَّ بقراءته عنهم.

وبنحو ما قلنا معنى (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ) قال: جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ، وَعَيْنِدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ، وَإِنَّ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

حدثني الحرث، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن يونس وعمرو، عن الحسن (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) قالوا: وكان الحسن يقول: وإن كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال.

قال: قال هارون: وأخبرني يونس، عن الحسن قال: أربع في القرآن (وإنَّ كانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ): ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وقوله (لَا تَخْتَدُّ نَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ): ما كنا فاعلين وقوله (إِنَّ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدُّ قَانَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ): ما كان للرحمن ولد، وقوله (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فَمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ): ما مكناكم فيه.

قال هارون: وحدثني بهن عمرو بن أسباط، عن الحسن، وزاد فيهن واحدة (فإنَّ كُنْتُ فِي شَكِّ): ما كنت في شك (مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ).

فالأولى من القول بالصواب في تأويل الآية، إذ كانت القراءة التي ذكَّرت هي الصواب، لما بيدها من الدلالة في قوله (وَقَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ، وَعَيْنِدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ، وَإِنَّ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)، وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم، وافترَّوا عليه فيريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به، وافترَّاهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها، وما كان شركهم وفيريتهم على الله، لتزول منه الجبال، بل ماضروا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم.

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، قال : ثنا الأعمش ، عن شمر ، عن علي ، قال :
الغدر : مكر ، والمكر : كفر .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : (فلا تحسبن الله مخالفاً وعده) الذي وعدهم من كذبهم ، وجحد ما أتوهم به من عنده . وإنما قاله تعالى ذكره لنبية ، تثبيتها وتشديدا لعزيمته ، ومعرفة أنه منزل من سُخطيه بمن كذبه ، وجحد نبوته ، ورد عليه ما أتاه به من عند الله ، مثال ما أنزل بمن سلكوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل منبهاجهم ، من تكذيب رسلهم ، وجحود نبوتهم ، ورد ما جاء وهم به من عند الله عليهم .

وقوله (إن الله عزيزٌ ذو انتقام) يعني بقوله (إن الله عزيزٌ) : لا يمتنع منه شيء أراد عقوبته ، قادر على كل من طلبه ، لا يفوته بالتراب منه . (ذو انتقام) ممن كفر برسله وكذبهم ، وجحد نبوتهم ، وأشرك به ، واتخذ معه لها غيره ، وأضيف قوله (مخلف) إلى الوعد ، وهو مصدر ، لأنه وقع موقع الاسم ، ونصب قوله (رسله) بالمعنى ، وذلك أن المعنى : فلا تحسبن الله مخالفاً رسله وعده ، فالوعد وإن كان مخفوضاً بإضافة مخلف إليه ، ففي معنى النصب ، وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين ، كقول القائل : كسوت عبد الله ثوبا ، وأدخلته دارا ؛ وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين ، جاز تقديم أيهما قدّم ، وخفض ما ولى الفعل الذى هو في صورة الأسماء ، ونصب الثانى ، فيقال : أنا مدخلُ عبد الله الدار ، وأنا مدخلُ الدار عبد الله ، إن قدّمت الدار إلى المدخل ، وأخرت عبد الله ، خفضت الدار ، إذ أضيف مدخل إليها ، ونصب عبد الله ، وإن قدّم عبد الله إليه ، وأخرت الدار ، خفض عبد الله بإضافة مدخل إليه ، ونصب الدار ؛ وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن الفعل ، أعنى مدخل ، يعمل في كل واحد منهما نصبا ، نحو عمله في الآخر ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ^١

أضاف مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس ؛ وإنما معنى الكلام : مدخل رأسه الظل . ومنه قول الآخر :

فَرَشَيْتَنِي بِخَسِيرٍ لَا أَكُونُ وَمِدْحَتِي كِنَاحَتِ يَوْمٍ صَخْرَةَ بَعْسِيلٍ^٢

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٦٥) كما استشهد به المؤلف ، ولم ينسبه . قال : وقوله « فلا تحسبن الله مخالفاً وعده رسله » أضفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسل على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كسوتك الثوب ، وأدخلتك الدار ، فابدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول : هو كاسى عبد الله ثوبا ، ومدخله الدار ؛ ويجوز هو كاسى الثوب عبد الله ، ومدخل الدار زيدا . . . ومثله قول الشاعر : « ترى الثور . . . البيت » ، فأضاف مدخل إلى الظل ، وكان الوجه أن يضيف مدخل إلى الرأس .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء (الورقة ١٦٥) عطفه على آخر قبله ، وعطفهما على الأول . ومحل الشاهد فيه : أن الشاعر أضاف ناحته ، وهو وصف مشبه للفعل ، إلى يوم ، ونصب الصخرة ، والأولى إضافة الوصف إلى الصخرة ، ونصب يوما ، على مقاله الفراء .

والعسيل : الريشةُ أُجمع بها الطيب . وإنما معنى الكلام : كناحيتِ صخرةٍ يوماً بعسيل . وكذلك قول الآخر :
رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لَيْسَ لِيَسْمَعِي مُشْمَعِيلٌ طَبَّاحِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِيلُ^١
وإنما معنى الكلام : طبَّاحِ زَادِ الْكَسِيلِ سَاعَاتِ الْكَرَى .

فأما من قرأ ذلك (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلِهِ) فقد بيننا وجه بُعْدِهِ من الصحة في كلام العرب ، في سورة الأنعام ، عند قوله (وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ) ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : إن الله ذو انتقام (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) من مشركي قومك يا محمد من قريش ، وسائر من كفر بالله ، وجحد نبوتك ونبوة رسله من قبلك ، فيوم : من صلة الانتقام . واختلف في معنى قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : يوم تبدل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا ، غير هذه الأرض ، فتصير أرضاً بيضاء كالفضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يحدث ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : أرض كالفضة نقية ، لم يسيل فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عراة قياما ، أحسب قال : كما خلِقُوا ، حتى يلجمهم العرق قياما وحداً .
قال شعبة : ثم سمعته يقول : سمعت عمرو بن ميمون ، ولم يذكر عبد الله ، ثم عاودته فيه ، قال : حدثني هبيرة ، عن عبد الله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، قال : سمعت عمرو بن ميمون وربما قال : قال عبد الله : وربما لم يقل ، فقلت له : عن عبد الله ، قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يسيل فيها دم ، ولم يعمل فيها خطيئة ، فينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلِقُوا ، قال : أراه قال : قياما حتى يلجمهم العرق .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٦٥) على أن طبَّاحِ كان حقه أن يضاف إلى « زاد الكسل » ، فأضافه الشاعر إلى الساعات . والمشمعل : الخفيف الماضي في الأمر . المرع . والكرى : النوم .

مسعود ، في قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : تبدل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة ، لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثني المثني ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، في قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض الجنة بيضاء نقية ، لم يُعمل فيها خطيئة ، يسمعون الداعي ، وينفذهم البصر ، حفاة عرُاة قياما ، يلجمهم العرق .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض بيضاء كالفضة ، لم يُسْفَك فيها دم حرام ، ولم يُعمل فيها خطيئة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يحيى بن عباد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : أخبرنا عاصم بن بهدلة ، عن زرار بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود : أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَيَرْرَرُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) قال : يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة ، لم يُسْفَك فيها دم ، ولم يُعمل عليها خطيئة ، قال : فأول ما يحكم بين الناس فيه في الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جبيرة ، عن زيد ، قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فقال : « هَلْ تَدْرُونَ لِمَ أُرْسِلْتُ إِلَيْهِمْ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإني أُرْسِلْتُ إِلَيْهِمْ أَسْأَلُهُمْ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) لِمَا تَكُونُ يَوْمَئِذٍ بِيَضَاءَ مِثْلِ الْفِضَّةِ ، فلما جاءوا سألتهم ، فقالوا : تكون بيضاء مثل النسيء^١ . »

حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك ، أنه تلا هذه الآية (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة ، لم يُعمل عليها الخطايا ، ينزلها الجبار تبارك وتعالى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، زاد الحسن في حديثه عن شبابة ، والسموات كذلك أيضا ، كأنها الفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرض كأنها الفضة ، والسموات كذلك أيضا .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، قال : ثني أبو حازم ، قال : سمعت سهيل بن سعد يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) في اللسان : وفي الحديث : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ، كقرصة النقي » قال أبو عبيد : النقي الخبز الحواري .

على أرض بيضاء عَفْرَاءَ كَقَرُصَةِ النَّقِيِّ » ، قال سهل أو غيره : ليس فيها معلّمٌ لغيره .
وقال آخرون : تبدّل نارا ،

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكّن ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورأها ترى ، أكوابها وكواعبها ، والذي نفس عبد الله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقا ، حتى يرشّح في الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ، وما مسه الحساب ، فقالوا : مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويلتقون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : قال عبد الله : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورأها ، ترى كواعبها وأكوابها ، ويلتجيمُ الناس العرق ، أو يبلغُ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .
وقال آخرون : بل تبدّل الأرض أرضا من فضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت المغيرة بن مالك يحدث عن الجاشع أو الجاشعي ، شكّ أبو موسى ، عن سمع عليا يقول في هذه الآية : (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حمّاج ، عن شعبة ، عن المغيرة بن مالك ، قال : ثنا رجل من بني مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو ابن عبد الكريم ، قال : ثنا هذا الرجل أراه بسمرقند ، أنه سمع عليّ بن أبي طالب قرأ هذه الآية (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : الأرض من فضة ، والجنة من ذهب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن مغيرة بن مالك ، عن رجل من بني مجاشع ، يقال له عبد الكريم ، أو يكنى أبا عبد الكريم ، قال : أقامني على رجل بخراسان ، فقال : حدثني هذا ، أنه سمع عليّ بن أبي طالب ، فذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) . . . الآية ، فزعم أنها تكون فضة .

حدثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : يبدّلها الله يوم القيامة بأرض من فضة .
وقال آخرون : يبدّلها خُبيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو سعد سعيد بن دلّ من صغانيان ، قال : ثنا الجارود بن معاذ الترميذي ،

قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن عمر بن بشر الهَمْدَانِيّ ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : تُبَدَّلُ خُبْزَةٌ بِيَضَاءٍ ، يَأْكُلُ الْمُؤْمِنُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ ، أو عن محمد بن قيس (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : خُبْزَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ .

وقال آخرون : تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ بن سهيل ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب في قوله (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : تصير السموات جِنَانًا ، وبصير مكان البحر النار ، قال : وتبدل الأرض غيرها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُبَدَّلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، فَيُبَسِّطُهَا وَيَسْطِطُحُهَا وَيَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، ثُمَّ يُزَجِّرُ اللَّهُ الْخَلْقَ زَجْرَةً ، فإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمُبَدَّلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الْأُولَى : مَا كَانَ فِي بَطْنِهَا فَتَنِي بَطْنِهَا ، وَمَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَذَلِكَ حِينَ يَطْوِي السَّمَوَاتِ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ ، ثُمَّ يَدْحُو بِهِمَا ، ثُمَّ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأودي ، قال : يجمع الناس يوم القيامة في أرض بيضاء ، لم يعمل فيها خطيئة ، مقدار أربعين سنة ، يُلْجَمُهُمُ الْعَرَقُ .

وقالت عائشة في ذلك : ما حدثنا ابن أبي الشوارب وحيد بن مسعدة وابن بزيع ، قالوا : ثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، إذا بدلت الأرض غير الأرض ، وبرزوا لله الواحد القهار ، أين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا حميد بن مسعدة وابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : نحوه .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : يا أمّ المؤمنين أرايت قول الله : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) : أين الناس يومئذ ؟ فقالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « عَلَى الصِّرَاطِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحسن بن عنبسة الوراق ، قال : ثنا عبد الرحيم ، يعني ابن سليمان الرازي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قلت : يا رسول الله ، إذا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، أين يكون الناس ؟ قال : « عَلَى الصَّرَاطِ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا إسماعيل بن زكريا ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة أم المؤمنين ، قالت : أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا ربيع بن إبراهيم الأسدي ، أخو إسماعيل بن إبراهيم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، قال : قالت عائشة : يا رسول الله ، أرايت إذا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، أين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلَى الصَّرَاطِ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا علي بن الجعد ، قال : أخبرني القاسم ، قال : سمعت الحسن ، قال : قالت عائشة : يا رسول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ ، قَالَ : عَلَى الصَّرَاطِ يَا عَائِشَةَ » .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا الوليد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن حسان بن بلال المزني ، عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) قال : قالت : يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِّنْ أُمَّتِي ، ذَلِكَ إِذَا النَّاسُ عَلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) ذكر لنا أن عائشة قالت : « يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ فقال : لَقَدْ سَأَلْتِ عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِّنْ أُمَّتِي قَبْلَكَ ، قَالَ : هُمْ يَوْمئِذٍ عَلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : « عَلَى الصَّرَاطِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أسماء ، عن ثوبان ، قال : سألت حبراً من اليهود ، قال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ قال : « هُمْ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْجَسْرِ » .

حدثني محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا سعيد بن ثوبان الكلابي ، عن أبي أيوب الأنصاري ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبراً من اليهود ، وقال : أرايت

(١) في تاج العروس : الجسر ، بالفتح ، الذي يعبر عليه كالكالفة ونحوها ، ويكثر ، لغتان .

إذ يقول الله في كتابه (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال :
« أَضْيَافُ اللَّهِ ، فَلَنْ يَعْجِزَهُمْ مَا لَدَيْهِ » .

﴿ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم
يوم القيامة غيرها ، وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها ، كما قال جل ثناؤه : وجائز أن تكون المبدلة
أرضا أخرى من فضة ، وجائز أن تكون نارا ، وجائز أن تكون خبزا ، وجائز أن تكون غير ذلك ،
ولا يخبر في ذلك عمدنا ، من الوجه الذي يجب التسليم له ، أي ذلك يكون ، فلا قول في ذلك بصح ، إلا
ما دل عليه ظاهر التنزيل .

وينحو ما قلنا في معنى قوله (وَالسَّمَوَاتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ تَبْدَلُ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ) قال : أرضا كأنها الفضة (وَالسَّمَوَاتُ) كذلك أيضا .
وقوله (وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) يقول : وظهروا لله المنفرد بالربوبية ، الذي يقهر كل شيء
فيغلبه ، ويصرفه لما يشاء ، كيف يشاء ، فيحیی خلقه إذا شاء ، ويميتهم إذا شاء ، لا يغلبه شيء ولا يقهره ، من
قبورهم أحياء ، لموقف القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَّائِلِهِمْ مِّنْ قَطِرَانٍ، وَتَعْشَىٰ وُجُوهَهُمْ

النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١)

﴿ يقول تعالى ذكره : وتعابن الذين كفروا بالله ، فاجترموا في الدنيا الشرك يومئذ ، يعني : يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات (مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) يقول : مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم
بالأصفاد ، وهي الوثاق من غُلٍّ وسلسلة ، واحدها : صَفْدٌ ، يقال منه : صَفَدْتُهُ فِي الصَّفْدِ صَفْدًا
وَصِفَادًا ، والصفاد : القيد ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

ومن جعل الواحد من ذلك صفادا ، جمعه : صَفْدًا لا أصفادا . وأما من العطاء ، فإنه يقال منه : أصفدته
إصفادا ، كما قال الأعشى :

(١) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته : وآبوا : رجعوا . والنهَابُ : جمع نهب . والمصفدون : المغلون بالأصفاد ، الواحد :
صفد ، وهو الغل . يقول : ظفرتنا بهم ، فلم نلتفت إلى أسلابهم ، ولا أموالهم ، وعمدنا إلى ملوكهم ، فصفدناهم في الحديد . وفي
(اللسان : صفد) : الصفاد : حبل يوثق به أو غل . وهو الصفد ، والصفد (بتسكين الفاء وتحريكها) . والجمع : الأصفاد . قال
ابن سيده : لانعلمه كسر على غير ذلك . وفي التنزيل « مقرنين في الأصفاد » . قيل : هي الأغلال . وقيل : القيود . واحدها صفد .
وانظر شرح المعلقات السبع للزوزني ، وشرح القصائد العشر للبريزي .

تَضَيَّقَتْهُ يَوْمًا فَأَكْرَمَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمَانَةِ قَائِدًا ١
وقد قيل في العطاء أيضا : صَفَدَنِي صَفْدًا ، كما قال النابغة الذبياني :
هَذَا الشَّاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ لِقَائِلِهِ فَمَا عَرَّضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنِ بِالصَّفْدِ ٢
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ ،) قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنى عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله
(مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ) يقول : في وثاق .

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال :
الأصفاذ : السلاسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ)
قال : مقررين في القيود والأغلال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم بن البريد ، قال : سمعت الأعمش ، يقول :
الصَّفْدُ : القيود .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ)
قال : صَفِدَتْ فِيهَا أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَرَقَابَهُمْ ، وَالْأَصْفَادُ : الْأَغْلَالُ .

وقوله (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانَ) يقول : قُمُصَهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا ، وَاحِدُهَا : سِرْبَالٌ ، كَمَا قَالَ
أَمْرُو الْقَيْسِ :
لَعُوبٌ تُدَسِّسِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي ٣

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَرَّابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانَ)
قال : السرابيل : القمُصُ . وقوله (مِّنْ قَطِرَانَ) : يقول : مِنَ الْقَطِرَانِ الَّذِي يُهَيَّنُ بِهِ الْإِبِلُ ، وَفِيهِ لُغَاتُ

(١) البيت للأعشى (اللسان : صغد ، وديوان الأعشى طبع القاهرة ص ٦٥) من قصيدة يمدح بها هودبة بن علي الخنق ، ويذم
الحارث بن ولة بن مجالد الرقاشي . وتضيفته نزلت عنده ضيفا ، وأصفدني : أعطاني ، من الصغد بمعنى العطية هنا . يقول : لما زرت هودبة في
«جو» أكرم وفادق عليه ، وقرئني من مجلسه ، وأعطاني قائدا يقودني ، لما رأى من آثار الضمف والكلال وسوء البصر . ورواية الديوان :
«عل» في موضع «عند» .

(٢) هذا البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا طبعة الحلبي ص ١٥٥) . والصغد هنا : بمعنى العطاء ، كالذي
قبله . وفي الشعر الثاني منه : فلم أعرض ، في مكان : فما عرضت .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر ، من لاميته المطولة (٥٤ بيتا) ، وصدره «ومثلك يفضاء العوارض طفلة» . (انظر
مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا طبعة الحلبي ص ٣٧) . وهذا البيت ساقط من نسخة الديوان بشرح الوزير أبي بكر عاصم
ابن أيوب البطليوسي ، وثابت في نسخة الأعمى الشنتمري ، وفيما نقله البغدادي في خزنة الأدب الكبرى من أبيات القصيدة (ج ١ :
١٩٧) أوردته بعد قول امرئ القيس : «وأمنع عرسي أن يزن بها الخالي» . والواو في البيت : واو رب . والمخاطب لبسامة .
والعارض والعارضة : صفحة الخلد ، وصفحة العنق ، وجانب الوجه ، وما يستقبلك من الشيء ، ومن الوجه ما يبدو عند الضحك . والطفلة
(بالفتح) : الناعمة البدن . والمعوب : الحسنة الذل . والسربال : القميص . يريد : تذهب بفؤادي ، حتى أنسى قميصي . والشاهد فيه
عند الطبري : أن السربال : هو القميص عند العرب .

ثلاث : يقال : قَطِرَانٌ ، وَقَطْرَانٌ ، بفتح القاف ، وتسكين الطاء منه . وقيل : إن عيسى بن عمر كان يقرأ
 (مِنْ قِطْرَانٍ) بكسر القاف ، وتسكين الطاء ؛ ومنه قول أبي النجم :
 جَوْنٌ كَأَنَّ الْعَبْرَقَ الْمَنْتُوْحَا لَبَّسَهُ الْقِطْرَانَ الْمَسُوْحَا
 بكسر القاف ، وقال أيضا :
 كَأَنَّ قِطْرَانَا إِذَا تَلَاهَا تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ إِلَى مَجْرَاهَا
 بالكسر .

وبنحو ما قلناه في ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (مِنْ قِطْرَانٍ)
 يعني : الحَضْحَضِ ، هِنَاءِ الْإِبِلِ .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (مِنْ قِطْرَانٍ) قال :
 قطران الإبل .
 وقال بعضهم : الْقَطْرَانُ : النُّحَاسُ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قِطْرَانٌ :
 نحاس ، قال ابن جريج : قال ابن عباس (مِنْ قِطْرَانٍ) : نحاس .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ قِطْرَانٍ) قال :
 هي نحاس ، وبهذه القراءة : أعني بفتح القاف وكسر الطاء ، وتصيير ذلك كله كلمة واحدة ، قرأ ذلك
 جميع قرآء الأمصار ، وبها نقرأ ، لإجماع الحجة من القرآء عليه .
 وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك (مِنْ قِطْرَانٍ) بفتح القاف ، وتسكين الطاء ، وتنوين
 الراء ، وتصيير « آن » من نعته ، وتوجيه معنى القَطْرُ ، إلى أنه النحاس ، ومعنى « الآن » ، إلى أنه الذي قد
 انتهى حره في الشدة .
 وممن كان يقرأ ذلك كذلك ، فيما ذكر لنا ، عكرمة مولى ابن عباس ، حدثني بذلك أحمد بن يوسف ،
 قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَيْنٌ عنه .

(١) البيت في (لسان العرب : نتج) قال : النتج : خروج العرق من الجلد ، والدم من النحي ، والندى من الثرى . نتج ينتج
 نتحا ونتاجا . وقال الجوهري : النتج : الرشح . ونتاج العرق : بخارجه من الجلد . وأنشد : جون . . . الخ . والقطران (بالفتح
 وبالكسر وكظربان) : عصارة الأرز ، وهو الصنوبر ، يطبخ ، ثم تهنا به الإبل ، وإنما جعلت سرايلهم منه ، لأنه يبالغ في اشتعال
 النار في الجلود (عن تاج العروس) . والمسوح : جمع مسح ، بكسر الميم ، وهو الكساء من الشعر ، جمعه : أمساح ، ومسوح .
 (٢) هذا الشاهد كالذي قبله ، على أن القطران ، بكسر القاف .

ذكر من تأول ذلك على هذه القراءة ، التأويل الذي ذكرت فيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : قَطْرٌ ، والآن : الذي قد انتهى حرّه .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا داود بن مهران ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير نحوه . حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، قال : سمعت الحسن يقول : كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حرّه : قد أتى حرّه هذا : قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت ، فأُتِيَ حرّها . حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس في قوله (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : القَطْرُ : النُّحَاسُ ، والآن : يقول : قد أتى حرّه ، وذلك أنه يقول : حميمٌ آن .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في هذه الآية (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : من نحاس ، قال : آن : أتى لهم أن يعدّوا به .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، في قوله (مِنْ قَطْرِ آنٍ) قال : الآن : الذي قد انتهى حرّه .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ قَطْرِ آنٍ) قال : هو النحاس المذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة (مِنْ قَطْرِ آنٍ) يعني : الصُّفْرُ المذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة (سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرِ آنٍ) قال : من نحاس .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا أبو حفص ، عن هارون ، عن قتادة أنه كان يقرأ (مِنْ قَطْرِ آنٍ) قال : من صُفْرٍ قد انتهى حرّه .

وكان الحسن يقرأها : (مِنْ قَطْرِ آنٍ) .

وقوله (وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ) يقول : وتلفح وجوههم النار ، فتحرقها (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) يقول : فعل الله ذلك بهم ، جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا ، كما يثيب

كل نفس بما كسبت، من خير وشر، فيجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. (إن الله سريع الحساب) يقول: إن الله عالم بعمل كل عامل، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقْد كَفٍّ ولا معاناة، وهو سريع حسابه لأعمالهم، قد أحاط بها علماً، لا يعزب عنه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك: صغيره وكبيره.

القول في تأويل قوله تعالى

هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ، وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَلِيَذْكُرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْآلِهَةِ (٥٣).

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم، في الحجّة عليهم، وأعذر إليهم، بما أنزل فيه من مواعظه وعبره (وَلِيُنذَرُوا بِهِ) يقول: وليُنذَرُوا عقاب الله، ويحذَرُوا به نَقِيمَاتِهِ، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ) يقول: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه، أنما هو إله واحد، لا آلهة شتى، كما يقوله المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو، الذي له ما في السموات وما في الأرض، الذي سخر لهم الشمس والقمر، والليل والنهار، وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لهم، وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لهم الأنهار. (وَلِيَذْكُرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْآلِهَةِ) يقول: وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه، من حججه التي في هذا القرآن، فينجزر عن أن يجعل معه إلهاً غيره، ويُسْرِك في عبادته شيئاً سواه أهل الحجي والعقول، فإنهم أهل الإعتبار والادّكار، دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ): قال: القرآن. (وَلِيُنذَرُوا بِهِ): قال: بالقرآن. (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَلِيَذْكُرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْآلِهَةِ).

آخر تفسير سورة إبراهيم، صلى الله عليه وآله وسلم، والحمد لله رب العالمين.

تمّ الجزء الثالث عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

وبليه الجزء الرابع عشر

وأوله: القول في تأويل قوله تعالى (الر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

نَافِلَاتِ آيِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .
قرآن كريم

« ما أعلم على آدم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المنوفى ٣١٠ سنة

الجزء الرابع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الرابع عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثاني : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافي .

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				<u>سورة الحجر</u>	
١	الرَّ ، تلك آيات الكتاب ...	١	٢٣	وإنا لنحن نحيي ونميت ...	٢٣
٢	رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...	١	٢٤	ولقد عَلَّمْنَا المستقدمين منكم ...	٢٣
٣	ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ...	٥	٢٥	وإن ربك هو يَحْشُرُهُمْ ...	٢٣
٤	وما أَهْلَكْنَا من قرية ...	٥	٢٦	ولقد خلقنا الإنسان ...	٢٧
٥	ما تَسْبِيحٍ من أمة أَجْلَهَا ...	٦	٢٧	والجانَّ خلقناه من قبل ...	٣٠
٦	وقالوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ ...	٦	٢٨	وإذ قال ربك للملائكة ...	٣١
٧	لو ما تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ ...	٦	٢٩	فإذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ ...	٣١
٨	ما نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ...	٦	٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون ...	٣١
٩	إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ ...	٧	٣١	إلا إبليس أباي ...	٣١
١٠	ولقد أرسلنا من قبلك ...	٨	٣٢	قال يا إبليس مالك ...	٣١
١١	وما يَأْتِيهِمْ من رسول ...	٨	٣٣	قال لم أكن أسجدُ لبشر ...	٣٢
١٢	كذلك نَسَلْنَاكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ...	٩	٣٤	قال فاخرج منها فإنك رجيم ...	٣٢
١٣	لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ...	٩	٣٥	وإنَّ عَلَيْكَ الْاِعْتَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ...	٣٢
١٤	ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ...	١٠	٣٦	قال ربَّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ...	٣٢
١٥	لقالوا إِنَّمَا سَكَّرْت أَبْصَارَنَا ...	١٠	٣٧	قال فإنك من المنظرين ...	٣٢
١٦	ولقد جعلنا في السماء بروجا ...	١٣	٣٨	إلى يوم الوقت المعلوم ...	٣٢
١٧	وحفظناها من كل شيطان رجيم ...	١٤	٣٩	قال رب بما أغويتني ...	٣٢
١٨	إلا من استرق السمع ...	١٤	٤٠	إلا عبادك منهم المخلصين ...	٣٢
١٩	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ...	١٥	٤١	قال هذا صراط على مستقيم ...	٣٣
٢٠	وجعلنا لكم فيها معاش ...	١٧	٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ...	٣٣
٢١	وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ...	١٨	٤٣	وإن جهنم لموعدهم أجمعين ...	٣٥
٢٢	وأرسلنا الرياح لواقح ...	١٨	٤٤	لها سبعة أبواب ...	٣٥
		١٩	٤٥	إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونَ ...	٣٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	أدخلوها بسلام آمنين . . .	٣٦	٧٣	فأخذتهم الصيحة مُشْرِقِينَ . . .	٤٣
٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ . . .	٣٦	٧٤	فجعلنا عاليها سافلها . . .	٤٥
٤٨	لا يمسه فيها نصَبٌ . . .	٣٨	٧٥	إن في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين . . .	٤٥
٤٩	نبيّ عبادي أني أنا الغفور الرحيم . . .	٣٨	٧٦	وإنها لبسيل مُقِيمٌ . . .	٤٧
٥٠	وأنّ عذابي هو العذاب الأليم . . .	٣٨	٧٧	إن في ذلك لآيةٌ للمؤمنين . . .	٤٧
٥١	ونبئهم عن ضيف إبراهيم . . .	٣٩	٧٨	وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين . . .	٤٨
٥٢	إذ دخلوا عليه فقالوا . . .	٣٩	٧٩	فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مُبِينٌ . . .	٤٨
٥٣	قالوا لا تتوجَّلْ إنا نبشرك بغلام . . .	٣٩	٨٠	ولقد كذَّب أصحاب الحجر المرسلين . . .	٤٩
٥٤	قال أبشِّرْتموني على أن مسني . . .	٣٩	٨١	وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . . .	٤٩
٥٥	قالوا بشرناك بالحق . . .	٤٠	٨٢	وكانوا يستحيون من الجبال بيوتاً . . .	٥٠
٥٦	قال ومن يقنط من رحمة ربه . . .	٤٠	٨٣	فأخذتهم الصيحة مُصْبِحِينَ . . .	٥٠
٥٧	قال فما خطبكم أيها المرسلون . . .	٤١	٨٤	فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . . .	٥٠
٥٨	قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . . .	٤١	٨٥	وما خلقنا السموات والأرض . . .	٥٠
٥٩	إلا آل لوط إنا لمنجّوهم أجمعين . . .	٤١	٨٦	إن ربك هو الخلاق العليم . . .	٥٠
٦٠	إلا أمرأته قدرنا إنها لمن الغابرين . . .	٤١	٨٧	ولقد آتيناك سبعا من المثاني . . .	٥١
٦١	فلما جاء آل لوط المرسلون . . .	٤١	٨٨	لا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به . . .	٦٠
٦٢	قال إنكم قوم منكرون . . .	٤١	٨٩	وقل إني أنا النذير المبين . . .	٦١
٦٣	قالوا بل جئناك بما كانوا . . .	٤١	٩٠	كما أنزلنا على المقتسمين . . .	٦١
٦٤	وآتيناك بالحق وإنا لصادقون . . .	٤١	٩١	الذين جعلوا القرآن عضين . . .	٦١
٦٥	فأسرّ بأهلك بقطّاع من الليل . . .	٤١	٩٢	فوربك لنستلنهم أجمعين . . .	٦٦
٦٦	وقضينا إليه ذلك الأمر . . .	٤٢	٩٣	عما كانوا يعملون . . .	٦٦
٦٧	وجاء أهل المدينة يستبشرون . . .	٤٢	٩٤	فاصدع بما تؤمر . . .	٦٦
٦٨	قال إن هؤلاء ضيبي فلا تفضحون . . .	٤٣	٩٥	إنا كفيناك المستهزئين . . .	٦٩
٦٩	واتقوا الله ولا تحزون . . .	٤٣	٩٦	الذين يجعلون مع الله لها آخر . . .	٦٩
٧٠	قالوا أو لم تنهك عن العالمين . . .	٤٣	٩٧	ولقد نعلم أنك يضيق صدرك . . .	٧٣
٧١	قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين . . .	٤٣	٩٨	فسبّح بحمد ربك . . .	٧٣
٧٢	لممرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون . . .	٤٣	٩٩	واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . . .	٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	ثم يوم القيامة يُخزِرُهُمْ . . .	٩٨	سورة النحل		
٢٨	الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى . . .	٩٩	١	أتى أمر الله فلا تستعجلوه . . .	٧٥
٢٩	فادخلوا أبواب جهنم خالدين . . .	٩٩	٢	ينزل الملائكة بالروح من أمره . . .	٧٦
٣٠	وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم . . .	٩٩	٣	خلق السموات والأرض بالحق . . .	٧٨
٣١	جنّات عدن يدخلونها . . .	١٠٠	٤	خلق الإنسان من نُطْفَةٍ . . .	٧٨
٣٢	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين . . .	١٠١	٥	والأنعام خلقها لكم . . .	٧٨
٣٣	هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة . . .	١٠٢	٦	ولكم فيها جمال حين تريحون . . .	٧٩
٣٤	فأصابهم سيئات ما عملوا . . .	١٠٢	٧	وتحمل أثقالكم إلى بلد . . .	٧٩
٣٥	وقال الذين أشركوا لو شاء الله . . .	١٠٢	٨	والخيل والبغال والحمير لتركبوها . . .	٨١
٣٦	ولقد بعثنا في كل أمة رسولا . . .	١٠٣	٩	وعلى الله قصد السبيل . . .	٨٣
٣٧	إن تحرّص على هداهم . . .	١٠٣	١٠	هو الذى أنزل من السماء ماء . . .	٨٥
٣٨	وأقسموا بالله جهنّد أيمانهم . . .	١٠٤	١١	ينبت لكم به الزرع والزيتون . . .	٨٧
٣٩	ليبين لهم الذى يختلفون فيه . . .	١٠٥	١٢	وتخسّر لكم الليل والنهار . . .	٨٧
٤٠	إنما قولنا لشيء إذا أردناه . . .	١٠٦	١٣	وما ذرأ لكم فى الأرض . . .	٨٧
٤١	والذين هاجروا فى الله . . .	١٠٦	١٤	وهو الذى تخسّر البحر . . .	٨٨
٤٢	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	١٠٨	١٥	وألقى فى الأرض روائى . . .	٨٩
٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا . . .	١٠٨	١٦	وعلامات وبالنجم هم يهتدون . . .	٩١
٤٤	بالبينات والزبُر . . .	١٠٩	١٧	أفن يخلق كمن لا يخلق . . .	٩٢
٤٥	أفأمن الذين مكروا السيئات . . .	١١١	١٨	وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها . . .	٩٢
٤٦	أو يأخذهم فى تقلبهم . . .	١١٢	١٩	والله يعلم ما تُسرّون وما تعلنون . . .	٩٣
٤٧	أو يأخذهم على تخوّف . . .	١١٢	٢٠	والذين تدعون من دون الله . . .	٩٣
٤٨	أو لم يروا إلى ما خلق الله . . .	١١٤	٢١	أموات غير أحياء . . .	٩٣
٤٩	ولله يسجد ما فى السموات . . .	١١٧	٢٢	ولهم إله واحد . . .	٩٤
٥٠	يخافون ربهم من فوقهم . . .	١١٧	٢٣	لاجرم أنّ الله يعلم . . .	٩٤
٥١	وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين . . .	١١٨	٢٤	وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم . . .	٩٤
٥٢	وله ما فى السموات والأرض . . .	١١٨	٢٥	ليحملوا أوزارهم كاملة . . .	٩٥
٥٣	وما بكم من نعمة فمن الله . . .	١٢٠	٢٦	قد مكر الذين من قبلهم . . .	٩٦
٥٤	ثم إذا كشف الضّر عنكم . . .	١٢١			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	ليكفروا بما آتيناكم . . .	١٢١	٨٣	يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها . . .	١٥٧
٥٦	ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا . . .	١٢٢	٨٤	ويوم نبعث من كل أمة شهيدا . . .	١٥٨
٥٧	ويجعلون لله البنات سبحانه . . .	١٢٣	٨٥	وإذا رأى الذين ظلموا العذاب . . .	١٥٩
٥٨	وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى . . .	١٢٣	٨٦	وإذا رأى الذين أشركوا . . .	١٥٩
٥٩	يتواري من القوم من سوء . . .	١٢٤	٨٧	وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ . . .	١٥٩
٦٠	للذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	١٢٥	٨٨	الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله . . .	١٦٠
٦١	ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم . . .	١٢٥	٨٩	ويوم نبعث في كل أمة شهيدا . . .	١٦١
٦٢	ويجعلون لله ما يكرهون . . .	١٢٦	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . .	١٦٢
٦٣	تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك . . .	١٢٩	٩١	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . . .	١٦٣
٦٤	وما أنزلنا عليك الكتاب . . .	١٣٠	٩٢	ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها . . .	١٦٥
٦٥	والله أنزل من السماء ماء . . .	١٣٠	٩٣	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة . . .	١٦٨
٦٦	وإن لكم في الأنعام لعبرة . . .	١٣٠	٩٤	ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم . . .	١٦٨
٦٧	ومن ثمرات النخيل والأعناب . . .	١٣٣	٩٥	ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا . . .	١٦٩
٦٨	وأوحى ربك إلى النحل . . .	١٣٩	٩٦	ما عندكم ينفد وما عند الله باق . . .	١٦٩
٦٩	ثم كُتِبَ من كل الثمرات . . .	١٣٩	٩٧	من عمل صالحا من ذكر أو أنثى . . .	١٧٠
٧٠	والله خلقكم ثم يتوفاكم . . .	١٤١	٩٨	فلذا قرأت القرآن فاستعذ بالله . . .	١٧٣
٧١	والله فضل بعضكم على بعض . . .	١٤٢	٩٩	إنه ليس له سلطان . . .	١٧٣
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا . . .	١٤٣	١٠٠	إنما سلطانه على الذين يتولونه . . .	١٧٣
٧٣	ويعبدون من دون الله . . .	١٤٧	١٠١	وإذا بدلنا آية مكان آية . . .	١٧٦
٧٤	فلا تضربوا لله الأمثال . . .	١٤٧	١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك . . .	١٧٦
٧٥	ضرب الله مثلا عبدا مملوكا . . .	١٤٨	١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون . . .	١٧٧
٧٦	وضرب الله مثلا رجلين . . .	١٤٩	١٠٤	إن الذين لا يؤمنون بآيات الله . . .	١٨٠
٧٧	والله غيب السموات والأرض . . .	١٥١	١٠٥	إنما يفتري الكذب . . .	١٨٠
٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم . . .	١٥٢	١٠٦	من كفر بالله من بعد إيمانه . . .	١٨٠
٧٩	ألم يروا إلى الطير مسخرات . . .	١٥٢	١٠٧	ذلك بأنهم استحَبُّوا الحياة الدنيا . . .	١٨٢
٨٠	والله جعل لكم من بيوتكم سكنا . . .	١٥٣	١٠٨	أولئك الذين طبع الله على قلوبهم . . .	١٨٢
٨١	والله جعل لكم مما خلق ظللا . . .	١٥٥	١٠٩	لاجرم أنهم في الآخرة . . .	١٨٢
٨٢	فإن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . . .	١٥٧	١١٠	ثم إن ربك للذين هاجروا . . .	١٨٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١١	يوم تأتي كل نفس تجادل . . .	١٨٥	١٢٠	إن إبراهيم كان أمةً قانتا لله . . .	١٩٠
١١٢	وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة . . .	١٨٥	١٢١	شاكرا لأنعمه اجتباه . . .	١٩٠
١١٣	ولقد جاءهم رسول منهم . . .	١٨٧	١٢٢	وآتيناه في الدنيا حسنة . . .	١٩٢
١١٤	فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا . . .	١٨٧	١٢٣	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة . . .	١٩٣
١١٥	إنما حرم عليكم الميتة والدم . . .	١٨٨	١٢٤	إنما جعل السب على الذين . . .	١٩٣
١١٦	ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم . . .	١٨٨	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة . . .	١٩٤
١١٧	متاع قليل ولهم عذاب أليم . . .	١٨٨	١٢٦	وإن عاقبتهم فعاقبوا . . .	١٩٥
١١٨	وعلى الذين هادوا حرمنا . . .	١٨٩	١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله . . .	١٩٧
١١٩	ثم إن ربك للذين عملوا السوء . . .	١٩٠	١٢٨	إن الله مع الذين اتقوا . . .	١٩٨

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧٥	١
تفسير سورة النحل	تفسير سورة الحجر
٧٧	٢
بيان أن الملك لا ينزل إلا ومعه روح .	تعبير الكفار لمن يدخل النار من المسلمين .
٧٩	٧
فوائد الأنعام .	تأويل قوله « إنا نحن نزلنا الذكر » . . . الآية
٨٢	١٠
الدليل على تحريم لحم الخيل والبغال والحمير .	وبيان المحفوظ أهو النبي أم القرآن .
٨٨	١٤
الدليل على أن الخلى لا صدقة فيه .	الآيات مهما بلغت في الظهور لا تنفع عند
٩٦	١٤
قصة نمرود .	إفقال الله القلوب .
١٠٤	١٤
تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم »	تأويل قوله « ولقد جعلنا في السماء بروجا » .
. . . الآية ، وبيان من أقسم .	١٤
١١٨	١٩
تأويل قوله « وله ما في السموات والأرض »	انقطاع الشياطين عن استراق السمع .
. . . الآية ، ومعنى الواصب .	١٩
١٢٣	٢٣
ما كان يعتقد المشركون من أن الملائكة	تأويل قوله « ولقد علمنا المستقدمين » . . . الآية
بنات الله مع كراهتهم للبنات .	٢٧
١٢٦	٢٧
تأويل قوله « ويجعلون لله ما يكرهون » .	كيفية خلق آدم .
١٢٨	٣٠
الشواهد على معنى الإفراط .	كيفية خلق الجن .
١٣١	٣٦
تأويل قوله « وإن لكم في الأنعام » ، والشواهد	تأويل قوله « إن المتقين في جنات وعيون »
على ما فيها من المباحث اللغوية الآية .
١٣٣	٣٩
تأويل قوله « ومن ثمرات النخيل » . . .	دخول الملائكة على إبراهيم وبشارتهم له .
وبيان أنها نزلت قبل تحريم الخمر .	٤٧
١٣٩	٤٨
ما في العسل والنحل من الآيات والعبر .	أصحاب الأيكة وما تم لهم .
١٤٢	٤٩
تأويل قوله « والله فضل بعضكم » . . . الآية	أصحاب الحجر هم ثمود .
وبيان ما رد به على النصارى .	٥٠
١٤٣	٥١
معنى البنين والحفدة .	الخلاف في معنى السبع المشأني .
١٥٢	٦٠
تأويل قوله « ألم يروا إلى الطير » ، والشواهد	ما نهى عنه النبي من التطلع لزينة الدنيا .
على معنى الجوّ .	٦٣
	الصواب في المراد بالملتسمين .
	٦٩
	المستهزئون بالنبي ، وكيف فعل بهم .

الصفحة	الصفحة
١٧٧ من كان يتردد على النبي صلى الله عليه وسلم من العجم ، وادعى المشركون أنه يعلم النبي .	١٥٣ يخاطب الله العرب بحسب ما تعرف .
١٨١ ما فعله المشركون بعمار بن ياسر ، وفعله معهم .	١٦٤ تأويل قوله « وأوفوا بعهد الله » .
١٨٣ ما حصل بين المشركين ، وبين من أراد الهجرة من المؤمنين .	١٦٥ الصواب في المراد منه .
١٨٥ تأويل قوله « وضرب الله مثلا قرية . . . » .	١٦٥ خبر الحمقاء التي كانت بمكة ، وضرب الله بفعلها المثل .
وبيان أن القرية مكة أو المدينة .	١٧٠ تأويل قوله « من عمل صالحا » . . . الآية .
١٩١ ما ورد في فضل معاذ بن جبل .	وبيان الحياة الطيبة الموعود بها :
١٩٣ خلاف اليهود والنصارى في أفضل الأيام .	١٧٤ من استعاذ من الشيطان سيّلم من شره .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٦٧	العشْرِ				ا
١١٠	بالتَّابِ		د		
٦	عَوْرِي	١٣١	والكَتْدُ	٦٥	بالمُعْضَى
٦٥	فَعَسِيرًا	١٣١	وَبَرْدُ		
١٣٨	سُكْرًا	١١٠	عَضْدُ		ب
٩٠	صَوْرًا	١٤٧	حَفْدُوا	١١٨	وَاصِبُ
٩٠	بَوْرًا	٨٣	القاصِدِ	٢٢	وَأَخَاطِبُهُ
١٢١	وَصَارًا	١٧٩	المُلْحَدِ	٢٢	ومَلَاعِيْهُ
١٢١	جَوَارًا	١٢٨	لِوَرَادِ	٢١	الكَوَاكِبِ
		١٣٢	سَوَادِي	٩	عَصِيبِ
	س	٩	الشَّرْدَا	١٥٢	مَطْلُوبِ
١١٧	الجَوَامِيسِ			٨١	وَدُهُوْبِ
			ر	١١٨	وَاصِبًا
	ع			١١٠	الْمُتَعَبِيَّا
٦٧	وَيَصْدَعُ	١٣	يَسْكُرُ		
		١٣	الْقَسِيرُ		ث
	ف	١٣	تَطْهَرُ	١٥٤	الأَثَاثِ
		١٣	تَسْكُرُ		
١٣٣	مُسَاعِفُ	١٣٨	تَسْكُرُ		ح
		١١٩	الصَّفْرُ	١٩٨	وَقَسَحَ
	ق	١٢٤	حَافِرُهُ	٤٨	الجَوَانِحُ
١٩	التَّوَاقُ	٢	المِهَارُ	٨٠	سَارِحُ
٨٥	المَسَاقُ	١١٦	جَحْرُ	٢١	الطَّوَانِحُ
١٨	المُخْرِقِ	١٢٠	لِلصَّبْرِ	١٣٢	الوَاضِحِ

الجزء الرابع عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ن		م	٨١	شِقَا
					ل
١١٣	السَّقَنُ	١٠٦	فَيُعْجِمُهُ		
١٥٧	يَلِينِ	١١٧	الضَّرَّاعِمِ	١١٣	صَلِيلُ
١٣٣	المُتَوَانِي	١٨٦	بِأَنْعَمِ	١٣٢	حَوَاصِلُهُ
١٦٩	التَّعْلَانِ	١١	سَلَمِ	١٣١	هَلَالِ
١٨٠	تَحِينَا	٦٩	نَادِمَا	٨٧	الأَجْمَالِ
١٣٢	وَتَلْتَجُونَهُ	٦٥	زَمَزَمَةَ	١٤٤ ، ١٤٦	الأَجْمَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١)

بِسْمِ اللَّهِ أما قوله جل ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه (الرَّ) ، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل . وأما قوله (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) فإنه يعنى : هذه الآيات ، آيات الكتاب التى كانت قبل القرآن ، كالتوراة والإنجيل . (وَقُرْآنٍ) يقول : وآيات قرآن (مُّبِينٍ) يقول : يُبَيِّنُ من تأمله وتدبّره رشده وهداه . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) قال : تُبَيِّنُ والله هداه ورشده وخيره .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجاهد (الرَّ) فواتح يفتح بها كلامه (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) قال : التوراة والإنجيل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (الرَّ) تلك آيات الكتاب) قال : الكتاب التى كانت قبل القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢)

اختلفت القراء فى قراءة قوله (رُبَّمَا) فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين (رُبَّمَا) بتخفيف الباء ، وقراءته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديد الباء .

بِسْمِ اللَّهِ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فهو مصيب .

واختلف أهل العربية في معنى « ما » التي مع « رب » ، فقال بعض نحوبي البصرة : أدخل مع رب « ما » ليتكلم بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت « ما » بمنزلة شيء ، فكأنك قلت : رب شيء يود : أي ربّ ودّ يودّه الذين كفروا . وقد أنكّر ذلك من قوله بعض نحوبي الكوفة . وقال : المصدر لا يحتاج إلى عائد ، والودّ قد وقع على « لو » ، ربما يودون لو كانوا : أن يكونوا ، قال : وإذا أضمر الهاء في « لو » فليس بمفعول ، وهو موضع المفعول ، ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشيء ، وقد ترجمه بشيء ، ثم جعله ودّاً ، ثم أعاد عليه عائداً . فكان الكسائي والفرّاء يقولان : لا تكاد العرب توقع « ربّ » على مستقبل ، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل ، كقولهم : ربما فعلت كذا ، وربما جاءني أخوك ، قالوا : وجاء في القرآن مع المستقبل : ربما يودّ ، وإنما جاز ذلك ، لأن ما كان في القرآن من وعد ووعد وما فيه فهو حقّ ، كأنه عيان ، فجرى الكلام فيما لم يكن بعد منه ، مجراه فيما كان ، كما قيل : (وَلَوْ تَسَرَّى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، وقوله (وَلَوْ تَسَرَّى إِذْ فَبَزَعُوا فَلَآ فَبُوتَ) كأنه ماض وهو منتظر لصدقه في المعنى ، وأنه لا مكذب له ، وإن القائل ليقول إذا انتهى أو أمر فعصاه المأمور يقول : أما والله لربّ ندامة لك تذكر قولي فيها ، لعلمه بأنه سيندم ، والله ووعدّه أصدق من قول المخلوقين . وقد يجوز أن يصحب ربما الدائم ، وإن كان في لفظ يفعل ، يقال : ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن ، وإن أوليت الأسماء ، كان معها ضمير كان ، كما قال أبو دؤاد :

رُبَّمَا الْجَامِلُ الْمُؤَبَّلُ فِيهِمْ وَعَنَّاجِيحُ بَيْتِنَهُنَّ الْمِهْتَارُ

فتأويل الكلام : ربما يودّ الذين كفروا بالله ، فجحداً وحادانته ، لو كانوا في دار الدنيا مسلمين . كما حدثنا عليّ بن سعيد بن مسروق الكندي ، قال : ثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة ، واجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة : ألسم مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم ، وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب ، فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا ، فأمر بكلّ من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا ، فقال من في النار من الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرّتك آياتُ الكتابِ وقُرآنٍ مُبينٍ ، رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي (خزانة الأدب : ٤ : ١٨٨) وهو شاهد على أن رب المكفوفة بما لا تدخل إلا على الفعل عند سيبويه ، وهذا البيت شاذ عنده ، لدخول رب المكفوفة فيه على الجملة الاسمية ، فإن الجامل مبتدأ ، والمؤبل صفة ، وفيهم هو الخبر . وتكون رب كما قال أبوحيان من حروف الابتداء ، تدخل على الجملة فعلية أو اسمية ، للقصد إلى تقليل النسبة المفهومة من الجملة ، فإذا قلت : ربما قام زيد فكأنك قلت النسبة المفهومة من قيام زيد . وكذلك إذا قلت ربما زيد شاعر ، قلت نسبة شعر زيد . وعن بعضهم أن رب المكفوفة نقلت من معنى التقليل إلى معنى التحقيق ، كما نقلت قد الداخلة على المضارع في نحو قوله تعالى « قد يعلم ما أنتم عليه » من معنى التقليل إلى معنى التحقيق . ودخولها على الجملة الاسمية مذهب المبرد والزمخشري وابن مالك . والجامل : الجماعة من الإبل ، لا الواحد لها من لفظها . ويقال إبل مؤبلة : إذا كانت للقتية . والعناجيج : الخيل الطوال الأعناق . واحداً : عنجوج ، والمهاز : جمع مهر ، وهو ولد الفرس ، والأثني مهرة .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القُطَيْمِيّ ، وروح القيسيّ ، وعفان بن مسلم واللفظ لأبي قطن ، قالوا : ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جرّوة ، قال : كان ابن عباس وأنس ابن مالك يتأولان هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قالوا : ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار . وقال عفان : حين يجبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين ، فيقول المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، زاد أبو قطن : قد جُيعنا وإياكم ؛ وقال أبو قطن وعفان : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، ولم يقله روح بن عبادة ، وقالوا جميعا : فيخرجهم الله ، وذلك حين يقول الله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا أبو عوانة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَيَرْحَمُ حَتَّى يَقُولَ فِي آخِرِ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، قال : فذلك قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ذلك يوم القيامة ، يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد الله ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : هذا في الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبي فَرَوَةَ العبديّ ، أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ، يتأولانها : يوم يجبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار ، قال : فيقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا ، قال : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، فيخرجهم ، فذلك حين يقول (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ، ويرحمهم ويشفع ، حتى يقول : من كان من المسلمين ، فليدخل الجنة ، فذلك قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن عُلَيْبِيَّةَ ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا حماد ، قال : سألت إبراهيم عن هذه الآية (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون . قال : فيغضب الله لهم ، فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا ، فيشفعون ، فيخرجون من النار ، حتى إن إبليس ليتناول ، رجاء أن يخرج معهم ، قال : فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، أنه قال في قول الله عز وجل :
(رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يقول من في النار من المشركين للمسلمين :
ما أغنت عنكم لإله إلا الله . قال : فيغضب الله لهم ، فيقول : من كان مسلما فليخرج من النار ؛ قال :
فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن حماد ، عن إبراهيم في قوله
(رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : إن أهل النار يقولون : كنا أهل شرك وكفر ،
فما شأن هؤلاء الموحدين ؟ ما أغنى عنهم عبادتهم إياه . قال : فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين ،
قال : فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حماد ، عن إبراهيم ،
عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : يقول أهل النار للموحدين : ما أغنى عنكم إيمانكم . قال : فإذا قالوا
ذلك ، قال : أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا هشام ، عن حماد ، قال : سألت إبراهيم ، عن قول الله عز
وجل (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : الكفار يُعَسِّرُونَ أهل التوحيد : ما أغنى
عنكم لإله إلا الله ، فيغضب الله لهم ، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون ، فيخرج أهل التوحيد ، حتى إن
إبليس ليتناول ، رجاء أن يخرج ، فذلك قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : هذا
في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار : (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ،
قال : إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، قال : من كان مسلما فليدخل الجنة ، فعند ذلك (يَوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا
أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ
كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله (رُبَّمَا
يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوُ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : فيها وجهان اثنان ، يقولون : إذا حضر الكافر الموت
ودّ لو كان مسلما . ويقول آخرون : بل يعذب الله ناسا من أهل التوحيد في النار بذنوبهم ، فيعرفهم

المشركون، فيقولون: ما أغنت عنكم عبادة ربكم ، وقد ألقاكم في النار . فيغضب لهم ، فيخرجهم ، فيقول :
(رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ) قال : نزلت في الذين يخرجون من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ) وذلك والله يوم القيامة ، ودوا لو كانوا في الدنيا مسلمين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ١ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ما يزال الله يدخل الجنة ويشفع ، حتى يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة ، فذلك حين يقول (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه ، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها ، إلى أجلهم الذي أجلت لهم ، ويلهيمهم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها ، وتزودهم لمعادهم منها ، بما يقربهم من ربهم ، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم ، حين يُعابنون عذاب الله ، أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات ، كانوا في خسار وتباب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)

يقول تعالى ذكره (وَمَا أَهْلَكْنَا) يا محمد (مِنْ) أهل (قَرْيَةٍ) من أهل القرى التي أهلكتنا أهلها فيما مضى (إِلَّا) وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) يقول : إلا ولها أجل مؤقت ، ومدة معروفة ، لأنها لهم حتى يبلغوها ، فإذا بلغوها أهلكتناهم عند ذلك ، فيقول لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة ، لأنها مشركي أهلها ، إلا بعد بلوغ كتابهم أجله ، لأن مِنْ قَضَائِي أَلَا أَهْلَكَ أَهْل قَرْيَةٍ ، إلا بعد بلوغ كتابهم أجله .

(١) أي بمثل حديث بشر قبله ، لأن كلا الإسنادين ينتهي إلى قتادة .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا ، وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لها ، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي جعل لها أجلا .

كما حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، في قوله (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا ، وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله ، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم . وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ، ويقدم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأْسِكَةِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء : المشركون لك من قومك يا محمد : (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) في دعائك إيانا إلى أن نتبعك ، ونذركمنا . (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأْسِكَةِ) قالوا : هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول ؟ (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) يعني : إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتابا ، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك ، لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك ، حجة لك علينا ، وآية لك على نبوتك ، وصدق مقاتلك ، والعرب تضع موضع لوما : لولا ، وموضع لولا : لوما ، من ذلك قول ابن مقبل :
لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عَيْشُكُمْ
بِبَعْضِ مَا فِيكُمْ إِذْ عَيْشُكُمْ عَوْرِي
يريد : لولا الحياء .

وبنحو الذي قلنا في معنى الذكر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) قال : القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا نُنَزِّلُ الْمَلَأْسِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (٨)

(١) البيت لابن مقبل من كلمة له ، من أولها أبيات في الحماسة (٤ : ١١٣) وهو شاهد على أن (لوما) تستعمل بمعنى لولا : في امتناع الشيء لوجود غيره ، وهي في الآية : بمعنى التحضيض . قال أبو عبيدة في معاني القرآن : « لوما » مجازها ومجاز « لولا » واحد . واستشهد بيت ابن مقبل . وعنه أخذ المؤلف .

اختلفت القراء في قراءة قوله (ما نُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة (ما تَسَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) بالتاء من نزل ، وفتحها ، ورفع الملائكة ، بمعنى : ما تَسَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ، على أن الفعل للملائكة . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (ما نُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالنون في نزل ، وتشديد الزاي ، ونصب الملائكة ، بمعنى : ما نزلنا نحن ، والملائكة حينئذ : منصوب بوقوع نزل عليها . وقرأه بعض قراء أهل الكوفة : (ما تَسَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) برفع الملائكة ، والتاء في تَسَزَّلُ ، وضمها ، على وجه ما لم يسم فاعله .

قال أبو جعفر : وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، وذلك أن الملائكة إذا نزلها الله على رسول من رسله ، تَسَزَّلَتْ إليه ، وإذا نزلت إليه ، فإنما تَسَزَّلُ بإنزال الله إياها إليه ، فبأى هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ ، فصيب الصواب في ذلك ، وإن كنت أحب لقارئة أن لا يعدو في قراءته ، إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة ، والأخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في العامة ، والأخرى : أعنى قراءة من قرأ ذلك (ما تُسَزَّلُ) بضم التاء من نزل ورفع الملائكة ، شاذة قليل من قراء بها .

فتأويل الكلام : ما تُسَزَّلُ ملائكتنا إلا بالحق ، يعني بالرسالة إلى رسلنا ، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ، ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسلهم معك آية ، فكفروا ، ولم يَسْظُرُوا فيؤخروا بالعذاب ، بل عوجوا به ، كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم ، حين سألوا الآيات ، فكفروا حين أتتهم الآيات ، فعاجلناهم بالعقوبة . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (ما تُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ما تُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) قال : بالرسالة والعذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : وإنا للقرآن لحافظون ، من أن يزداد فيه باطل مآ ليس منه ، أو ينقص منه ما هو منه ، من أحكامه وحدوده وفرائضه ، والهاء في قوله (لَهُ) من ذكر الذكر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال : عندنا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَحْنُ نَرَبُّكُمَا الذِّكْرَ وَوَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال في آية أخرى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ) والباطل : إبليس (مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِثْلُ خَلْفِهِ) ، فأنزله الله ثم حفظه ، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ، ولا ينتقص منه حقا ، حفظه الله من ذلك .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) : قال : حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا ، أو ينقص منه حقا ، وقيل : الهاء في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، بمعنى : وإنا محمد حافظون من أراد به سوء من أعدائه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأولين رسلا ، وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) عليه ، وعني بشيع الأولين : أمم الأولين ؛ واحدها شيعته ، ويقال أيضا لأولياء الرجل : شيعته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ) يقول : أمم الأولين .
حدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ) قال : في الأمم .
وقوله (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يقول : وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله ، يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيد ، والإذعان بطاعته ، (إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) : يقول : إلا كانوا يستخفرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم ، عتوا منهم ، وتمردوا على ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَاتَمَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره: كما سلطنا الكفر في قلوب شيع الأولين، بالاستهزاء بالرسول، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك، الذين أجرموا بالكفر بالله، (لا يؤمنون به)، يقول: لا يصدقون بالذکر الذي أنزل إليك، والهاء في قوله (نَسْأَلُكَ) من ذكر الاستهزاء بالرسول والتكذيب بهم.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: التكذيب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لا يُؤْمِنُونَ بِهِ)، قال: إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم ألا يؤمنوا به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن حميد، عن الحسن، في قوله (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: الشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن حميد، قال: قرأت القرآن كله على الحسن في بيت أبي خليفة، ففسره أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) قال: أعمال سيعملونها لم يعملونها.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، قال: قرأت القرآن كله على الحسن، فما كان يفسره إلا على الإثبات، قال: وقفته على (نسلكه)، قال: الشرك. قال ابن المبارك: سمعت سفیان يقول في قوله (نَسْأَلُكَ) قال: نجعله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (كذلك نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ) قال: هم كما قال الله، هو أصلهم ومنعهم الإيمان، يقال منه: سَلَكَه يَسْأَلُكَ سَلَكَه وسَلُّوكَا، وأسَلَّكَ يَسْأَلُكَ إسلاكا؛ ومن السلوك قول عدى بن زيد:

وَكُنْتُ لِرِزَازِ خَصْمِكَ كَمْ أَعْرَدْتُ وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ

ومن الإسلاك قول الآخر:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي، وقد تقدم استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى في سورة هود «وقال هذا يوم عصيب» فراجعه في الجزء الثاني عشر صفحة ٨٢. والشاهد فيه هنا: أنه اشتق سلوك من المصدر الثلاثي (السلك).

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي (اللسان: جبل). استشهد به المؤلف على أن «أسلكوهم» بالهمزة في أوله لغة مثل سلكوهم التي وردت في البيت السابق من شعر عدي بن زيد. والبيت أيضا في (خزانة الأدب للبغدادي ٣: ١٧٠) شاهد على أن جواب إذا عند الرضي شارح كافية ابن الحاجب محذوف، لتفخيم الأمر، والتقدير: بلغوا أمهم، أو أدركوا ما أحبوا، ونحو ذلك. وقيل فيه وجهان آخران. قال البغدادي وأسلك: لغة في سلك، يقال أسلكت الشيء في الشيء. مثل سلكته فيه، بمعنى أدخلته فيه. وقناة: ثنية، وقال البكري: جبل بين المنصرف والروحاء. والشل: الطرد. والجمالة: فاعل تطرد، وهم أصحاب الجمال، كما يقال الجمارة لأصحاب الحمير. والشرد: جمع شروود، أي من الجمال.

وقوله (وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ) يقول تعالى ذكره : لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب (حتى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) أخذنا منهم سنة أسلافهم، من المشركين قبلهم، من قوم عاد وثمود وضربناهم من الأمم التي كذبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله، حتى حلَّ بها سخط الله فهلكت .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ) : وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الأمم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَهْبَاطُنَا،
بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)

اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فقال بعضهم : معنى الكلام : ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) بابا من السماء، فظلت الملائكة تعرج فيه ، وهم يرونهم عيانا ، لقالوا : (لَا تَمَّا سُكَّرَتْ أَهْبَاطُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) يقول : لو فتحنا عليهم بابا من السماء ، فظلت الملائكة تعرج فيه ، لقال أهل الشرك : إنما أخذ أبصارنا ، وشببه علينا ، وإنما سحرنا ، فذلك قولهم : (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَهْبَاطُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْذِكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) . لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) . قال : ما بين ذلك إلى قوله (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : رجع إلى قوله (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ) ما بين ذلك ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : فظلت الملائكة تعرج ، فنظروا إليهم ، (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَهْبَاطُنَا) قال : قرش نقوله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

باباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : قال ابن عباس : لو فتح الله عليهم من السماء باباً ، فظلت الملائكة تعرج فيه ، يقول : يختلفون فيه جائين وذاهيين (لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَكَوَّ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) يعني : الملائكة : يقول : لو فتحت على المشركين باباً من السماء ، فنظروا إلى الملائكة تعرج بين السماء والأرض ، لقال المشركون (نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) : نُحِيزُنَا ، وليس هذا بالحق ، ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية : (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا هشام ، عن عمر ، عن نصر ، عن الضحاك ، في قوله (وَكَوَّ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : لو أتى فتحت باباً من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والأرض ، لقال المشركون (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) ، ألا ترى أنهم قالوا (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) .

وقال آخرون : إنما عَسَىٰ بذلك : بنو آدم .

ومعنى الكلام عندهم : ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد باباً من السماء ، فظلوا هم فيه يعرجون (لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَوَّ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال قتادة ، كان الحسن يقول : لو فُتِحَ لهذا بنى آدم ، فظلوا فيه يعرجون ، أى يختلفون ، (لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

وأما قوله (يَعْرُجُونَ) فإن معناه : يرقون فيه ويصعدون ، يقال منه : عَرَجَ يَعْرُجُ عُرُوجاً : إذا رَقِيَ وصعد . وواحدة المعارج : معرج ومعراج ؛ ومنه قول كثير :

إلى حَسَبِ عَوْدِ بِنَا الْمَرْءِ قَبْلَهُ أَبُوهُ لَهُ فِيهِ مَعَارِجٌ سُلَّمٌ ١

وقد حكى عرج يعرج ، بكسر الراء في الاستقبال . وقوله (لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جعل ثناؤه صفتهم : ما هذا بحق ، إنما سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (سَكَّرَتْ) فقرأ أهل المدينة والعراق (سَكَّرَتْ) بتشديد الكاف ، بمعنى : غَشِيَتْ و غَطِيَتْ . هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء ، فيما ذكر لي عنه . وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ (لِقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ) .

حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يحدث عن حمزة ، عن شبيل ، عن

(١) لم أجد البيت في ديوان كثير طبع الجزائر . والحسب : الشرف الثابت في الآباء . والعود : القديم . وبنو (بالالف) يبنو ، لأنه من بناء الشرف والمجد . والمعارج : جمع معرج (بكسر الميم وفتحها) وهو ما يعرج فيه ، أى يصعد .

مجاهد أنه قرأها (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) خفيفة ، وذهب مجاهد في قراءته ذلك كذلك إلى : حُبِسَتْ أَبْصَارُنَا عن الرؤية والنظر ، من سَكُورِ الرِّيحِ ، وذلك سَكُونُهَا وركودها ، يقال منه : سَكَّرَتْ الرِّيحُ : إذا سَكُنَتْ وركدت . وقد حكى عن أبي عمرو بن العلاء ، أنه كان يقول : هو مأخوذ من سَكَّرَ الشَّرَابَ ، وأن معناه : قد غَشِيَتْ أَبْصَارُنَا السُّكْرَ .

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى (سُكِّرَتْ) : سُدَّتْ .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ؛ قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) قال : سُدَّتْ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، يعني ابن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير قال : سُدَّتْ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يعني : سُدَّتْ ، فكان مجاهدا ذهب في قوله ، وتأويله ذلك بمعنى سُدَّتْ ، إلى أنه بمعنى : مُنِعَتْ النَّظْرَ ، كما يُسَكَّرُ الْمَاءُ ، فَيُمَسَّعُ مِنَ الْجَرَى ، بِحَبْسِهِ فِي مَكَانٍ ، بِالسُّكْرِ الَّذِي يُسَكَّرُ بِهِ .
وقال آخرون : معنى سُكِّرَتْ : أَخَذَتْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس :
(لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : أَخَذَتْ أَبْصَارُنَا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي . قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
إِنَّمَا أَخَذَتْ أَبْصَارُنَا ، وَشَبَّهَ عَلَيْنَا ، وَإِنَّمَا سَحَرْنَا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) يقول : سُحِرَتْ أَبْصَارُنَا : يقول : أَخَذَتْ أَبْصَارُنَا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قال : من قرأ (سُكِّرَتْ) مشددة : يعني سُدَّتْ . ومن قرأ (سُكِّرَتْ) مخففة ، فإنه يعني سُحِرَتْ ، وكان هؤلاء وجهوا معنى قوله (سُكِّرَتْ) إلى أن أبصارهم سُحِرَتْ ، فشَبَّهَ عَلَيْهِمْ مَا يُبْصَرُونَ ، فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره ، من قول العرب : سُكَّرَ عَلَى فُلَانٍ رَأْيُهُ : إذا اخلط عليه رأيه فيما يريد ، فلم يدر الصواب فيه من غيره ، فإذا عزم على الرأي ، قالوا : ذهب عنه التسكير .

وقال آخرون: هو مأخوذ من السُّكْر، ومعناه: غُشِيَ على أبصارنا فلا نبصر، كما يفعل السُّكْر بصاحبه، فذلك إذا دِيرَ به وغُشِيَ بَصَرَهُ كالسَّهَادِيرِ، فلم يبصر.
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا) قال: سَكَّرَتْ، السكران الذي لا يعقل.
وقال آخرون: معنى ذلك: عميت.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن الكلبي (سَكَّرَتْ) قال: عميت.
وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي: قول من قال: معنى ذلك: أُخِذَتْ أَبْصَارُنَا وَنُحِرَتْ، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حدّ إبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحار إذا ذهب فَمُورَتَهُ، وسكن حدّ حرّه، قد سَكَّرَ يَسْكُرُ. قال المثنى بن جندل الطهوي:
جاءَ الشتاءُ واجشأَلَ القَسْبُ واستخفَّت الأفعى وكانت تنظهُرُ
وجعلت عين الحُرور تسكُرُ
أى تسكن وتذهب وتنظف؛ وقال ذو الرمة:

قَبْلَ انصِدَاعِ الفَجْرِ والتَّهَجُّرِ وخَوْضِهنَّ اللَّيْلَ حينَ يَسْكُرُ

يعنى: حين تسكن فورته. وذكر عن قيس أنها تقول: سَكَّرَتْ الرِّيحُ تَسْكُرُ سُكُورًا، بمعنى: سكنت، وإن كان ذلك عنها صحيحًا، فإن معنى سَكَّرَتْ وسَكَّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان، غير أن القراءة التي لا أستجيز غيرها في القرآن: (سَكَّرَتْ) بالتشديد، لإجماع الحجة من القراء عليها، وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْدَمَ جَمَلَنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا، وَزَيَّنَّا لِلنَّظَرِ (١٦)

(١) هذه ثلاثة أبيات لجندل بن المثنى الطهوي. واجشأ: اجتمع وتقبض، والقبر كالتنبر: ضرب من الطير كالصافير، واحده: قبرة وقنبرة. والحُرور: الحر. ويقال سكرت عينه تسكر: إذا تحيرت وسكنت عن النظر، وسكر الحر يسكر: سكن وخبا وقد استشهد بها أبو عبيدة في مجاز القرآن (١: ٣٣٧، ٣٣٨) عند قوله تعالى «سكرت أبصارنا»: قال: أي غشيت شمادير، فذهبت وخبا نظرها. قال: جاء الشتاء... الخ وزاد فيها بيتا قبل الآخر، وهو: «وطلعت شمس عليها مغفر». وفسر البيت الأخير وهو الشاهد بقوله: أي يذهب حرها ويخبو. وقال أبو عمر بن العلاء: «سكرت أبصارنا»: مأخوذ من سكر الشراب، كأن العين لحقها ما يلحق شراب المسكر إذا سكر. وقال القراء: معناه: حبست ومنعت عن النظر.
(٢) البيت في ديوان ذي الرمة (طبعة كيمبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٠٢) وقبلة:

أَتَتُّكَ بِالْقَوْمِ مَهَارٍ ضَمَّرٌ خُوصٌ بَرَّيْ أَسْرَافَهَا التَّبَكُّرُ

خوص: غائرات العيون. وأشرفها: أسنمها. والتبكر: سير البكرة. والتبجر: سير المهاجرة، ويسكر: يتسكر الأبصار بظلامه. وقوله: والتبجر، بالرفع: معطوف على قوله التبكر، في البيت السابق عليه.

يقول تعالى ذكره : ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر ، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر (وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) يقول : وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : كواكب .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) وبروجها : نجومها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بُرُوجًا) قال : الكواكب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ، فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين ، قد رجمه الله ولعنه (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول : لكن قد يسترق من الشياطين السمع ، مما يحدث في السماء ، بعضها ، فيتبعه شهاب من النار مبین ، يبين أثره فيه ، إما بإخباله وإفساده ، أو بإحراقه .
وكان بعض نحوِّي أهل البصرة يقول في قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) : هو استثناء خارج ، كما قال : ما أشتكى إلا خيرا ، يريد لتكن^١ : أذكر خيرا ، وكان ينكر ذلك من قبله بعضهم ، ويقول : إذا كانت إلا بمعنى « لكن » عملت عمل لكن ، ولا يحتاج إلى إضمار أذكر ، ويقول : لو احتاج الأمر كذلك إلى إضمار أذكر ، احتاج قول القائل : قام زيد لا عمرو إلى إضمار أذكر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الأعمش عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع ، قال : فينفرد المارد منها فيعلو ، فيرمى بالشهاب ، فيصيب جبهته أو جنبه ، أو حيث شاء الله منه ، فيلتهب ، فيأتى أصحابه وهو يلهب ، فيقول : إنه كان من الأمر كذا وكذا ، قال : فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة ، فيزيدون عليه أضعافه من الكذب ، فيخبرونهم به ، فإذا رأوا شيئا مما قالوا ، قد كان صدقهم بما جاءوهم به من الكذب .

(١) لكن : ساقطة من الأصل ، ولكن السياق بعدها يقتضيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أني ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : أراد أن يخطف السمع ، وهو كقوله (إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطْفَةِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) وهو نحو قوله (إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطْفَةِ ، فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) قال : خَطِيفَ الْخَطْفَةِ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) هو كقوله (إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطْفَةِ ، فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) كان ابن عباس يقول : إن الشَّهْبَ لا تقتل ، ولكن تُحْرِقُ وتُخَبِّلُ وتجرح ، من غير أن تقتل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) قال : الرجيم : الملعون ، قال : وقال القاسم عن الكسائي : إنه قال : الرجم في جميع القرآن : الشتم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)

يعني تعالى ذكره بقوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) : والأرض دحوناها فبسطناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) يقول : وألقينا في ظهورها رواسي ، يعني جبالا ثابتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) . وقال في آية أخرى (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) . وذو كبر لنا أن أم القرى مكة ، منها دحيت الأرض . قوله (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) رواسيها : جبالها . وقد بيئنا معنى الرسو فيما مضى ، بشواهد المغنية عن إعادته . وقوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : وأنبتنا في الأرض من كل شيء : يقول : من كل شيء مقدر ، وبحد معلوم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

(١) الخيل والتخيل : إفساد الأعضاء ، حتى لا يدرى كيف يمضي ، فهو متخيل خبل . (اللسان) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، أو عن أبي مالك ، في قوله (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح أو عن أبي مالك ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، يعني ابن الجعد ، قال : أخبرنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال بقدر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبیر (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال :

معلوم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم ، عن قوله (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : من كل شيء مقدور .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عبد الله بن يونس ، قال : سمعت الحكم ، وسأله أبو عمرو ، عن قول الله عز وجل (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : من كل شيء مقدور ، هكذا قال الحسن ، وسأله أبو عمرو .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : مقدور بقدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : مقدور بقدر .

حدثني المثني ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مقدور بقدر .

حدثنا المثني ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) قال : بقدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْبَسْنَا فِيهَا مِمَّنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) بقول : معلوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) يقول : معلوم .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : وأثبتنا في الجبال من كل شيء موزون : يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك من الأشياء التي توزن .

ذكر من قال ذلك

حدثني بونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَثْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) قال : الأشياء التي توزن .

❦ وأولى القولين عندنا بالصواب : القول الأول ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا ، وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)

❦ يقول تعالى ذكره : وجعلنا لكم أيها الناس في الأرض معيشة ، وهي جمع مَعِيشَةٍ (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) .

اختلف أهل التأويل في المعنى في قوله (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) ، فقال بعضهم عَسَىٰ به الدواب والأنعام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله جميعا ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) الدواب والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : عنى بذلك : الوحش خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ^١ في هذه الآية (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) : قال الوحش ؛ فتأويل « مَنْ » في : (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) على هذا التأويل : بمعنى « ما » ، وذلك قليل في كلام العرب .

(١) منصور الذي يروي عنه شعبة بن الحجاج : هو منصور بن عبد الرحمن التميمي الغدافي (يضم الغين) عن الشعبي . وعنه شعبة وابن علي . وثقه ابن معين وأحمد وأبو داود . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال النسائي : ليس بقوي . وفي كلام الفراء الذي نقلناه تحت الشاهد « هلا سألت » إشارة إلى روايته هنا ، بقوله « وقد جاء أنهم الوحوش . . الخ » . (وانظر خلاصة الخزرجي) .

﴿ وَأُولَىٰ ذَٰلِكَ بِالصَّوَابِ ، وَأَحْسَنُ : أَنْ يُقَالَ : عَسَىٰ بِقَوْلِهِ (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَالِدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ . فَعَنَى ذَٰلِكَ : وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، وَالْعَبِيدَ وَالْإِمَاءَ وَالِدَوَابِّ وَالْأَنْعَامَ : وَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ ، حَسَنٌ أَنْ تَوْضِعَ حِينَئِذٍ مَكَانَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَالِدَوَابِّ « مَنْ » ، وَذَٰلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَفْعَلُ ذَٰلِكَ إِذَا أَرَادَتْ الْخَبَرَ عَنِ الْبِهَائِمِ مَعَ بَنِي آدَمَ . وَهَٰذَا التَّأْوِيلُ عَلَىٰ مَا قُلْنَا ، وَصَرَفْنَا إِلَيْهِ مَعْنَى الْكَلَامِ ، إِذَا كَانَتْ « مَنْ » فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ ، عَطْفًا بِهِ عَلَىٰ مَعَايِشَ ، بِمَعْنَى : وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَقِيلَ : إِنَّ « مَنْ » فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ عَطْفًا بِهِ عَلَى الْكَافِ وَالْمِيمِ ، فِي قَوْلِهِ (وَجَعَلْنَا لَكُمْ) بِمَعْنَى : وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) وَأَحْسَبُ أَنَّ مَنْصُورًا فِي قَوْلِهِ هُوَ الْوَحْشُ ، قَصِدَ هَٰذَا الْمَعْنَى ، وَإِيَّاهُ أَرَادَ ، وَذَٰلِكَ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، فَبَعِيدٌ قَلِيلٌ ، لِأَنَّهَا لَا تَكَادُ تَظَاهَرُ عَلَىٰ مَعْنَى فِي حَالِ الْخَفْضِ ، وَرَبَّمَا جَاءَ فِي شِعْرٍ بَعْضُهُمْ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

هَلَا سَأَلْتِ بَدِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبِي نَعِيمٍ ذِي النَّوَاءِ الْمُخْرَقِ ؟

فَرَدَّ أَبَا نَعِيمٍ عَلَى الْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي عَنْهُمْ . وَقَدْ بَيَّنَّتْ قَبْحَ ذَٰلِكَ فِي كَلَامِهِمْ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَمْطَارِ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ لِكُلِّ أَرْضٍ ، مَعْلُومٍ عِنْدَنَا حِدَّةً وَمَبْلَغَةً .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَٰلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَٰلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا ابن إدريس ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : مَا مِنْ أَرْضٍ أَمْطَرَ مِنْ أَرْضٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقْدُرُهُ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَرَأَ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جرير ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ :

(١) أنظر الكلام عليه في هامش ص ١٧ .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٦٧ من مصورة الجامعة) . قال : وقوله « وجعلنا لكم فيها معاش » : أراد الأرض . « ومن لستم له برازقين » : فن في موضع نصب . يقول جعلنا لكم فيها معاش والعبيد والإماء ، وقد جاء أنهم الوحوش والبهائم ، ومن لا يفرد بها البهائم ، ولا ما سوى الناس ، فإن يكن ذلك على ما روي ، فترى أن أدخل فيهم المماليك ، على أنا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، مجاز ذلك . وقد يقال إن « من » في موضع خفض ، يراد جعلنا لكم فيها معاش ولن . وما أقل ما ترد العرب لخفض قد كنى عنه ، وقد قال الشاعر :

فعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفسائف

فرد الكعب على بيئها . وقال الآخر : هلا سألت . . . البيت ، فرد « أبي نعيم » على الهاء في عنهم .

قلت : وهذا الموضع الذي أشار إليه الفراء ، وهو عطف اسم مخفوض على ضمير ، هو قوله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) من سورة النساء .

ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يصرفه عن يشاء، ثم قال (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ).

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، قال: ثنا علي بن مسهر، عن يزيد ابن أبي زياد، عن أبي جحيفة، عن عبد الله بن مسعود: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه حيث شاء، عاما ههنا، وعاما ههنا، ثم قرأ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) قال: المطر خاصة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم، عن الحكم بن عتيبة، في قوله (وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) قال: ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل، ولكنه يُمَطَّر قوم، ويحرم آخرون، وربما كان في البحر، قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم، يحصون كل قطرة حيث تقع، وما تنبت.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

بِحَزْنٍ نِينَ (٢٢)

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ)، وقرأه بعض قراء أهل الكوفة (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) فوحّد الريح، وهي موصوفة بالجمع: أعني بقوله: لواقح. وينبغي أن يكون معنى ذلك: أن الريح وإن كان لفظها واحدا، فعناها الجمع، لأنه يقال: جاءت الريح من كل وجه، وهبت من كل مكان، فقيل: لواقح لذلك، فيكون معنى جمعهم نعتها، وهي في اللفظ واحدة معنى قولهم: أرض سباسب، وأرض أغفال، وثوب أخلاق، كما قال الشاعر:

جاءَ الشَّتَاءُ وَقَمِيصِي أَخْلَاقٌ شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقُ^١

وكذلك تفعل العرب في كل شيء اتسع.

(١) هذا الرجز، أورده الفراء في معاني القرآن (ص ١٦٧) قال: وقوله «وأرسلنا الرياح لواقح» وقرئ الريح، قرأ حمزة. فن قال: «الريح لواقح» فجمع اللواقح والريح واحدة، لأن الريح في معنى جمع، ألا ترى أنك تقول: جاءت الريح من كل مكان، فقيل لواقح لذلك، كما قيل: تركته في أرض أغفال وسباسب، ومهارق، وثوب أخلاق، ومنه قول الشاعر: جاء الشتاء... الخ البيت. وأما من قال: الرياح لواقح، فهو بين. ولكن يقال: إنما الريح ملقحة، تلقح الشجر، فكيف قيل: لواقح؟ في ذلك معنيان: أحدهما أن تجعل الريح هي التي يمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللقاح، فيقال ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح؛ ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال: «عليهم الريح العقيم»، فجعلها عقيما إذ لم تلقح. والوجه الآخر: أن يكون وصفها باللقح، وإن كانت تلقح (بضم التاء) كما قيل: ليل نائم، والنوم فيه، ومركبته.

واختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح، وإنما هي مُلْقِحَةٌ لِأَنَّهَا لِقَاحَةٌ، وذلك أنها تُلْقِحُ السحاب والشجر، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقه لاقح. وكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لَمُقِحَتٌ، لأن فيها خيرا، فقد لَمُقِحَتٌ بخير. قال: وقال بعضهم: الرياح تُلْقِحُ السحاب، فهذا يدل على ذلك المعنى. لأنها إذا أنشأتها وفيها خير وصل ذلك إليه. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: في ذلك معنيان: أحدهما أن يجعل الريح هي التي تُلْقِحُ بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقه لاقح، قال: ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب، فقال (عليهم الرِّيحُ العقيم) ، فجعلها عقيبا إذا لم تُلْقِحْ. قال: والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح، وإن كانت تلقح، كما قيل: ليل نائم والنوم فيه، وسرّ كاتم. وكما قيل المبروز والختموم، فجعل مبروزا بناه على غير فعله: أي أن ذلك من صفاته، فجاز مفعول مُلْقِعِيلٌ، كما جاز فاعل لمفعول، إذا لم يرد البناء على الفعل، كما قيل: ماء دافق.

والصواب من القول في ذلك عندى: أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تُلْقِحُ السحاب والأشجار، فهي لاقحة مُلْقِحَةٌ، ولَمُقِحَةٌ: حملها الماء، ولِقَاحُهَا السحاب والشجر: عملها فيه، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا الحارثي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن سكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الله الرياح، فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدُرُّ كما تدُرُّ اللَّقْحَةُ ثم تمطر.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن قيس بن سكن، عن عبد الله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال: يبعث الله الريح فتلقح السحاب، ثم تمر به، فتدُرُّ كما تدُرُّ اللَّقْحَةُ، ثم تمطر.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس ابن السكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال: يرسل الرياح، فتحمل الماء من السماء، ثم تمرى السحاب، فتدُرُّ كما تدُرُّ اللَّقْحَةُ، فقد بين عبد الله بقوله: يرسل الرياح، فتحمل الماء، أنها هي اللقحة، بحملها الماء، وإن كانت ملقحة، بلقاحها السحاب والشجر.

وأما جماعة أخصر من أهل التأويل، فإنهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح، إلى أنه بمعنى ملقحة، وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح، كما قال تَهَشُّلُ بْنُ حَسْرَى:

«وفى لسان العرب: (خلق) : وقد يقال: ثوب أخلاق، يصفون به الواحد، إذا كانت الخلقة فيه كله، كما قالوا برمة أخلاق، وثوب أكباش (ضرب من نسج الثمن) وحبل أرمام، وأرض سباب. وهذا النحو كثير، وكذلك: ملاءة أخلاق وبرمة أخلاق (من اللحياني) أي نواحيها أخلاق. قال: وهو من الواحد الذي فرق ثم جمع. قال: وكذلك: حبل أخلاق وقربة أخلاق، عن ابن الأعرابي. التهذيب: يقال ثوب أخلاق: يجمع بما حوله، وقال الرازي: جاء الشتاء... الخ. والتوافق إنبه. قلت: والرواية عند الفراء وفي اللسان: يضحك منه «وعند المؤلف: «يضحك مني» ، والمعنى قريب بعضه من بعض.

لِيُبْسِكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِيَصْرَاعَةَ وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ^١
 يريد المطاوح ؛ وكما قال النابغة :
 كَلَيْتِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْتِلْ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^٢
 بمعنى : مُنْصَبٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ابراهيم في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال : تلحق السحاب .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ابراهيم ، مثله .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ابراهيم ، مثله :
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسلىة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) قال : لواقح للشجر ، قلت : أو للسحاب ، قال : وللسحاب ، تمر به حتى يمطر .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد بن عمير ، قال : يبعث الله المبرشة فتقسم الأرض قسمًا ، ثم يبعث الله المبرشة فتشير السحاب ، ثم يبعث الله المؤلفعة فتؤلف السحاب ، ثم يبعث الله اللواقح ، فتلقح الشجر ، ثم تلا عبيد (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ) يقول : لواقح للسحاب ، وإن من الريح عذابا ، وإن منها رحمة .

(١) البيت لنشهل بن حري على الأصح ، شاعر مخضرم ، وقد ينسب إلى غيره ، وصوب البغدادي نسبه إلى نشهل . وقد استشهد به أبو عبيدة بهذه الرواية نفسها عند تفسير قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ » قال : مجازها مجاز : ملاقح ، لأن الريح ملقحة السحاب للعرب . وقد تفعل هذا ، فتلق الميم ، لأنها تعيده إلى أصل الكلام ، كقول نشهل بن حري يرقى أخاه « لبيك يزيد » . . . الخ البيت ، فحذف الميم ، لأنها المطاوح . وأورد البيت صاحب (اللسان : طبع) باختلاف في بعض الألفاظ ، قال : وأنشد سيبويه :
 لِيُبْسِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطَيِّحُ الطَّوَائِحُ
 وقال (سيبويه) : الطوائح : على حذف الزائد ، أو على النسب قال ابن جنى : أول البيت مبنى على أطراح ذكر الفاعل ، فإن آخره (كذا في اللسان) قد عوود فيه الحديث على الفاعل ، لأن تقديره فيما بعد : لبيك مختبط مما تطيح الطوائح ، فدل قوله : لبيك (بالبناء للمفعول) على ما أراد من قوله « لبيك » (أى بالبناء للفاعل) . اهـ . واختبط : الذى يسلك من يسلك من غير معرفة ولا وسيلة بيكنا . وانظر خزانة الأدب للبغدادي (١ : ١٤٧ - ١٥٢) ففيها كلام كثير في معنى البيت ، وروايته ، وقائله .
 (٢) البيت للنابغة الذبياني ، وهو مطلع قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج ، بن الحارث الأكبر ، بن أبي شمر ، حين هرب من النعمان بن المنذر . وقد مر شرحنا له في غير هذا الموضع من التفسير . والشاهد هنا في قوله « ناصب » أنه بمعنى المنصب . قال في (اللسان : نصبت) : النصب : الإعياء من العناء . والفعل : نصب الرجل بالكف : أعيا وتعب . وأنصبه هو ، وأنصبني هذا الأمر ، وهم ناصب : منصوب ، ذو نصب ، مثل تامر ولا بن ، وهو فاعل بمعنى مفعول ، لأنه ينصب فيه ويتعب . قال النابغة : « كليتني لم يا أعيمة ناصب » قال : ناصب : بمعنى منصوب . وقال الأصمعي : ناصب : ذى نصب ، مثل : ليل : نائم ذو نوم ينام فيه ، ورجل دارع : ذو درع . وقال سيبويه : هم ناصب : هو على النسب . وحكى أبو عل الفارسي نصبه لهم ، فناصرب إذن على الفعل . اهـ . قلت : أيريد بوعل الفارسي : أنه اسم فاعل قياسي : جار على فعله ، فليس على النسب إذن ، ولا على التجوز في الإسناد ، مثل ليل نائم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوَّاحِحَ) قال : تُلْقِحُ الماء في السحاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس (لَوَّاحِحَ) قال : تُلْقِحُ الشجر وتمررى السحاب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحِحَ) الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه ، فيمتلي ماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبيس بن ميمون ، قال : ثنا أبو المهزّم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرِّيحُ الجَنُوبُ مِّنَ الجَنَّةِ ، وَهِيَ الرِّيحُ اللُّوَّاحِحُ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ (وَفِيهَا مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ) » .

حدثني أبو الجماهر الحمصيّ أو الحضرمي : محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد العزيز بن موسى ، قال : ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة ، عن أبي المهزّم ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء .

وقوله (فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَا كَمَوْهَ) يقول تعالى ذكره : فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا فَاسْقَيْنَاكُمْ ذلك المطر ، لشرّب أرضكم ومواشيتكم ، ولو كان معناه : أَنْزَلْنَاهُ لَتَشْرَبُوهُ ، لقليل : فسقينا كموه . وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماء شربه ، أو لبنا ، أو غيره : سقيته بغير ألف ، إذا كان لسقيه ، وإذا جعلوا له ماء لشرّب أرضه أو ماشيته ، قالوا : أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته ، وكذلك إذا استسقت له ، قالوا : أسقيته ، واستسقيته . كما قال ذو الرمة :

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيْتَةٍ نَاقِيَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُحَاطِطِيهِ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُثُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِيْبُهُ^١

وكذلك إذا وهبت لرجل إهابا ليجمعه سقاء ، قالت : أسقيته إياه .

وقوله (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) يقول : ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقينا كموه ، فتمنعوه من أسقيه ، لأن ذلك بيدي وإلى ، أسقيه من أشياء ، وأمنعه من أشياء .

كما حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال سفيان (وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) قال : بمانعين .

(١) البيتان في ديوان ذي الرمة (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٨) وأسقيه : أذعوله بالسقيا ، أقول : سقاك الله . وأبته : أشكو إليه . وقد استشهد بهذين البيتين أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٥٠) على أن يقال : سقيت الرجل ماء ، وشرابا من لبن ، وغير ذلك ، وليس فيه إلا لغة واحدة ، بغير ألف ، إذا كان في الشفة . وإذا جعلت له شرابا (بكسر الشين ، أي ماء لشرّب دوابه) فهو : أسقيته ، وأسقيت أرضه وإبله ، لا يكون غير هذا ، وكذلك إذا استسقيت له ، كقول ذي الرمة . . . البيتين ، وهو قريب من كلام المؤلف هنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي) من كان ميتا إذا أردنا (وَنُمِيتُ) من كان حيا إذا شئنا (وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) يقول : ونحن نرث الأرض ومن عليها ، بأن نميت جميعهم ، فلا يبقى حتى سوانا ، إذا جاء ذلك الأجل . وقوله (وَآمَرْنَا عَلِيمَنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) . اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم ، فتقدم هلاكهم ، ومن قد خُلق وهو حي ، ومن لم يُخلق بعد ممن سيُخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون : من قد خُلق ومن خلا من الأمم ؛ والمستأخرون : من لم يُخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : هم خلق الله كلهم ، قد علم من خُلق منهم إلى اليوم ، وقد علم من هو خالقه بعد اليوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : إن الله خلق الخلق ، ففرغ منهم ، فالمستقدمون : من خُرج من الخلق ، والمستأخرون : من بقي في أصلاب الرجال لم يُخرج .

حدثني محمد بن أبي معشر ، قال : أخبرني أبو معشر ، قال : سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، يذاكر محمد بن كعب ، في قول الله : (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : خير صفوف الرجال المقدم ، وشر صفوف الرجال المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشر صفوف النساء المقدم ؛ فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ، ولقد علمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول ، والمستأخرين : من يلحق بهم من بعد ، وإن ربك هو يحشرهم ، إنه حكيم عليم ، فقال عون بن عبد الله : وفقك الله ، وجزاك خيرا !

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : المستقدمين : من مضى والمستأخرين : من بقي في أصلاب الرجال .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا أبو الأحوص ، قال : ثنا سعيد بن

مسروق ، عن عكرمة وخصيف ، عن مجاهد ، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ،
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قالوا : من مات ومن بقي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ) قال : كان ابن عباس يقول : آدم صلى الله عليه وسلم ، ومن منى من ذريته (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا
الْمُسْتَأْخِرِينَ) : من بقي في أصلاب الرجال .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا
الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون آدم ومن بعده ، حتى نزلت
هذه الآية . والمستأخرون : قال : كل من كان من ذريته .

قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : ما لم يُخلَقْ ، وما هو مخلوق .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : المستقدمون :
ماخرج من أصلاب الرجال . والمستأخرون : ما لم يخرج . ثم قرأ (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ، إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وقال آخرون : عني بالمستقدمين : الذين قد هلكوا ، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) يعني بالمستقدمين : من
مات ، ويعني بالمستأخرين : من هو حي لم يموت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) يعني : الأموات منكم ، (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) :
بقيتهم ، وهم الأحياء ، يقول : علمنا من مات ومن بقي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المستقدمون منكم : الذين مضوا في أول الأمم ،
والمستأخرون : الباقيون .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المتقدمين في أول الخلق ، والمستأخرين في آخرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية (وَلَقَدْ
عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : قال : أول الخلق وآخره .
حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن عدى ، عن داود ، عن الشعبي ، في قوله (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا

المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) : ما استقدم في أول الخلق ، وما استأخر في آخر الخلق .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، في قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) قال : في العصر ، والمستأخرين منكم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المتقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : أخبرنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : المتقدمين منكم ، قال : القرون الأول ، والمستأخرين : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : المتقدمون : ما مضى من الأمم ، والمستأخرون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم . حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ، ولم يذكر قيسا .

وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المتقدمين منكم في الخير ، والمستأخرين عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) قال : كان الحسن يقول : المتقدمون في طاعة الله ، والمستأخرون في معصية الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : المتقدمين في الخير ، والمستأخرين : يقول : المبطلين عنه . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المتقدمين منكم في الصلوة ، والمستأخرين فيها ، بسبب النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم ، أنه قال : كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء ، قال : فأنزل الله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرني عمرو بن مالك ، قال : سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ،

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ . قال : المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين . حدثني محمد بن موسى الحرسي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء

عن ابن عباس ، قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ، قال ابن عباس : لا والله ما إن رأيت مثلها قط ، فكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا ، وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل الله : (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ،

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ، وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس

قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس ، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول ، لثلا يراها ، ويستأخر بعضهم ، حتى يكون في الصف المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه في الصف ، فأنزل الله في شأنها (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) ،

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ . قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى في ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم ، فتقدم موته ، ولقد علمنا المستأخرين ، الذين استأخر موتهم ، ممن هو حي ، ومن هو حادث منكم ،

من لم يحدث بعد ، للدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ، وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) ، وما بعده ، وهو قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) ، على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم

يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ، ولا جاء بعد ، وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف ، لشأن النساء ، والمستأخرين فيه لذلك ، ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق ، فقال جل ثناؤه لهم : قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم ، وما كانوا يعملون ، ومن هو حي منكم ،

ومن هو حادث بعدكم أيها الناس ، وأعمال جميعكم خيرها وشرها ، وأحصينا جميع ذلك ، ونحن نحشر جميعهم ، فنجازى كلا بأعماله ، إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشيئا ، فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ، ولكل من تعدى حد الله ، وعمل بغير ما أذن له به ، ووعدا لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء ، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها .

وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن ربك يا محمد هو يجمع جميع الأولين

والآخرين عنده يوم القيامة، أهل الطاعة منهم والمعصية، وكلّ أحد من خلقه: المتقدمين منهم والمستأخرين، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : أي الأول والآخر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، في قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : هذا من هاهنا ، وهذا من هاهنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : وكلهم ميت ، ثم يحشرهم ربهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) قال : يجمعهم الله يوم القيامة جميعا ، قال الحسن : قال علي : قال داود : سمعت عامرا يفسر قوله (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) يقول : إن ربك حكيم في تدبيره خلقه في إحيائهم إذا أحياهم ، وفي إمامتهم إذا أماتهم ، عليم بعددهم وأعمالهم ، وبالحي منهم والميت ، والمستقدم منهم والمستأخر .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كل أولئك قد علمهم الله ، يعنى المتقدمين والمستأخرين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال . واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال ، فقال بعضهم : هو الطين اليابس لم تصبه نار ، فإذا نقرته صلّ ، فسمعت له صلصلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب ، وأما اللازب : فالجيد ، وأما الحمأ : فالحمأة . وأما الصلصال : فالتراب المرقق ، وإنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ) قال : والصلصال : التراب اليابس ، الذي يسمع له صلصلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ) قال : الصلصال : الطين اليابس ، يسمع له صلصلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مِينٌ صَلِّصَالٌ) قال : الصلصال : الماء يقع على الأرض الطيبة ، ثم يحسِرُ عنها ، فتشقق ، ثم تصير مثل الحزَفِ الرقاق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خُلِقَ الإنسان من ثلاثة : من طين لازب ، وصلصال ، وحما مسنون . والطين اللازب : اللازق الجيد ، والصلصال : المرقق الذي يصنع منه الفخار ، والمسنون : الطين فيه الحُمأة . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلِّصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) قال : هو التراب اليابس ، الذي يُسْبَلُ بعد يُبْسِه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال : الصلصال : الذي يصلصل ، مثل الحزَفِ من الطين الطيب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول : الصلصال : طين صُلب يخالطه الكثيب .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِينٌ صَلِّصَالٌ) قال : التراب اليابس .

وقال آخرون : الصلصال : المُسْتَنِين . وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنه من قولهم : صَلَّ اللحم وَأَصَلَّ : إذا أتت ، يقال ذلك باللغتين كليهما : بِنَفْعَلٍ ، وَأَفْعَلٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنا الحسن ، قال : ثنا شبابه ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثني قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مِينٌ صَلِّصَالٌ) الصلصال : المُسْتَنِين .

بَيِّنُ والذي هو أولى بتأويل الآية : أن يكون الصلصال في هذا الموضع : الذي له صوت ، من الصلصلة ، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر ، فقال : (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلِّصَالٍ كَالْفَخَّارِ) ، فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخار في يُبْسِه ، ولو كان معناه في ذلك المُسْتَنِين ، لم يشبهه بالفخار ، لأن الفخار ليس بمستن ، فيشبهه به في المُسْتَنِين غيره .

وأما قوله (مِينٌ حَمَإٍ مُسْنُونٌ) فإن الحَمَاءَ : جمع حَمَاءة ، وهو الطين المتغسير إلى السواد . وقوله (مَسْنُونٌ) يعني : المتغير .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله (مَسْنُونٌ) ، فكان بعض نحوِّي البصريين يقول : عنى

به: حمًا مصور تامّ. وذكر عن العرب أنهم قالوا: سننّ، على مثال سننة الوجه: أي صورته. قال: وكان سننة الشيء من ذلك: أي مثاله الذي وُضع عليه. قال: وليس من الآسن المتغير، لأنه من سنن مضاعف. وقال آخر منهم: هو الحمّا المصبوب. قال: والمصبوب: المسنون، وهو من قولهم: سننت الماء على الوجه وغيره: إذا صببته.

وكان بعض أهل الكوفة يقول: هو المتغير، قال: كأنه أخذ من سننت الحجر على الحجر، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر، يقال منه: سنته أسنه سنّاً فهو مسنون. قال: ويقال للذي يخرج من بينهما: سنين، ويكون ذلك مننتنا، وقال منه: سُمّي الميسنّ، لأن الحديد يسنّ عليه. وأما أهل التأويل، فإنهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري، قال: ثنا محمد بن كثير، قال: ثنا مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: الحمّا: المنتنة.

حدثني يحيى بن إبراهيم السعدي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مسلم، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: الذي قد أنتن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاک عن ابن عباس (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: مننتين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: هو التراب المبتل المننّ، فجعل صلصالاً كالفسخار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، وحدثنا الحسن، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء، وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا شبل جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: مننّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) والحمّا المسنون: الذي قد تغير وأنتن.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: قد أنتن، قال: منتنة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاک، في قوله (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: من طين لازب، وهو اللازق من الكثيب: وهو الرمل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (مِنْ حَمًّا مَسْنُونٍ) قال: الحمّا المننّ،

وقال آخرون منهم في ذلك: هو الطين الرطّب.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ حَمًا مَسْنُونٍ) يقول : من طين رطب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧)

يقول تعالى ذكره (والجان) وقد بينا فيما مضى معنى الجان ، ولم قيل له جان . وعنى بالجان ههنا : إبليس أبا الجن ، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والجان خلقناه من قبل) وهو إبليس خلق قبل آدم ، وإنما خلق آدم آخر الخلق ، فحسده عدو الله إبليس ، على ما أعطاه الله من الكرامة ، فقال : أنا نارى ، وهذا طينى ، فكانت السجدة لآدم ، والطاعة لله تعالى ذكره ، فقال (اخرج منها فإنك رجيم) .

واختلف أهل التأويل في معنى (نار السموم) فقال بعضهم : هى السموم الحارة التى تقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التيمي ، عن ابن عباس في قوله (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) ، قال : السموم : الحارة التى تقتل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق التيمي ، عن ابن عباس (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) قال : هى السموم التى تقتل ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، قال : هى السموم التى تقتل .

وقال آخرون : يعنى بذلك من لهب النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جوير ، عن الضحاک ، في قوله (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) قال : من كسب من نار السموم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، عن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاک عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة ، يقال لهم الجن ، خلقوا من نار السموم ، من بين الملائكة ، قال : وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : دخلت على عمرو بن الأصم أعوده ، فقال : ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله ؟ سمعت عبد الله يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التى خرج منها الجان . قال : وتلا (والجان خلقناه من قبل من)

نَارِ السَّمُومِ) . وكان بعض أهل العربية يقول : السموم بالليل والنهار . وقال بعضهم : الحُرُورُ : بالنهار ، والسموم : بالليل ، يقال : سَمَّ يَوْمُنَا يَسْتَمُّ سَمُومًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ، وسئل عن الجنّ ماهم ، وهل يأكلون أو يشربون ، أو يموتون ، أو يتناكحون ؟ قال : هم أجناس ، فأما خالص الجنّ ، فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يموتون ولا يتوالدون ؛ ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون ، وهي هذه التي منها السعال والغرول وأشباه ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ، إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ، فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) يقول : فإذا صورته فعدلت صورته (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) فصار بشرا حيا (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجدوا تحية وتكرمة ، لاسجدوا . وقد حدثني جعفر بن مكرم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال : إني خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فقالوا : لا نفعل ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ، وخلق ملائكة أخرى ، فقال : إني خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فأبوا ؛ قال : فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة أخرى ، فقال : إني خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فأبوا ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ؛ ثم خلق ملائكة ، فقال : إني خالق بشرا من طين ، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَسْجُدَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ، قَالَ : يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : فلما خلق الله ذلك البشر ، ونفخ فيه الروح بعد أن سواه ، سجد الملائكة كلهم جميعا ، إلا إبليس ، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين ، في سجودهم لآدم حين سجدوا ، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا

وبغيا ، فقال الله تعالى ذكره : يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين : يقول : ما منعك من أن تكون مع الساجدين ؛ فأَن في قول بعض نحوي الكوفة خفض ، وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الحافض .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا

فَأِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)

يقول تعالى ذكره (قال) إبليس (لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) وهو من طين وأنا من نار ، والنار تأكل الطين . وقوله (فأخرج منها) يقول الله تعالى ذكره لإبليس : (فأخرج منها ، فَأِنَّكَ رَجِيمٌ)

والرجيم المرجوم ، صرف من مفعول إلى فعيل وهو المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأِنَّكَ رَجِيمٌ) والرجيم : الملعون . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فأخرج منها فَأِنَّكَ رَجِيمٌ) قال : ملعون . والرجيم في القرآن : الشتم . وقوله (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) يقول : وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات ، وطردك عنها : إلى يوم المحازاة ، وذلك يوم القيامة . وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ

الْمَعْلُومِ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : قال إبليس : رب فأذ أخرجتني من السموات ولعنتني ، فأخترني إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم ، فتحشرهم لموقف القيامة ، قال الله له : فإنك ممن أخصر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي ، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديار .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : قال إبليس (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) بإغوائك (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) ،
 وكأن قوله (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) خرج مخرج القسم ، كما يقال : بالله ، أو بعزة الله لأغوينهم . وعنى بقوله
 (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) : لأحسنن لهم معاصيك ، ولأحببنا إليهم في الأرض (وَلَا غُورِيَنَّهُمْ
 أَجْمَعِينَ) يقول : (ولأضلنهم) عن سبيل الرشاد (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ) يقول : إلا من أخلصته
 بتوفيقك فهديته ، فإن ذلك ممن لاسلطان لي عليه ولا طاقة لي به . وقد قرئ (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ) فمن قرأ ذلك كذلك ، فإنه يعنى به : إلا من أخلص طاعتك ، فإنه لاسبيل لي عليه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِلَّا عِبَادَكَ
 مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) يعنى : المؤمنين .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة (إِلَّا
 عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) قال قتادة : هذه تذيئة الله تعالى ذكره .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ ، هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله (قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة
 والكوفة والبصرة (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) بمعنى : هذا طريق إلى مستقيم .
 فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلى ، فأجازى كلاً بأعمالهم ، كما قال الله تعالى ذكره (إِنَّ
 رَبَّكَ لَبَالِغٌ صَادٌ) ، وذلك نظير قول القائل لمن يتوعدده ويتهدده : طريقك على ، وأنا على طريقك ،
 فكذلك قوله : (هَذَا صِرَاطٌ) معناه : هذا طريق على ، وهذا طريق إلى ، وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيابة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال :
 ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ،
 جميعاً عن ابن نجيح ، عن مجاهد . قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) قال : الحق يرجع إلى الله ،
 وعليه طريقه ، لا يعرج على شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا مروان بن شجاع ، عن خصيف ، عن زياد بن أبي مریم ، وعبد الله بن كثير : أنهما قرآها (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) وقالوا : عليٌّ : هي إلى وبمزلتها . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن وسعيد عن قتادة ، عن الحسن (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : إلى مستقيم . وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وفتادة فيما ذكر عنهم : (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) برفع عليٍّ ، على أنه نعت للمصراط ، بمعنى : رفيع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا جعفر البصري ، عن ابن سيرين أنه كان يقرأ (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) يعني : رفيع . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) أي رفيع مستقيم ، قال بشر ، قال يزيد ، قال سعيد : هكذا نقرأها نحن وفتادة . حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن هارون ، عن أبي العوام ، عن قتادة ، عن قيس ابن عباد (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) يقول : رفيع . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأ (هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ) على التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن البصري ، ومن وافقهما عليه ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وشذوذ ما خالفها . وقوله (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) يقول تعالى ذكره : إن عبادي ليس لك عليهم حجة ، إلا من اتبعك على مادعوته إليه من الضلالة ، ممن غوى وهلك . حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبيد الله بن موهب ، قال ثنا يزيد بن قسيط ، قال : كانت الأنبياء لهم مساجد خارجة من قراهم ، فإذا أراد النبي أن يستنبي ربه عن شيء ، خرج إلى مسجده ، فصلّى ما كتب الله له ، ثم سأل ما بدا له ، فبينما نبي في مسجده ، إذ جاء عدو الله ، حتى جلس بينه وبين القبلة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . فقال عدو الله أ رأيت الذي تعوّد منه فهو هو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فردّد ذلك ثلاث مرّات ، فقال عدو الله : أخبرني بأي شيء تنجو مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بئس أخيرني بأي شيء تغلب ابن آدم ، مرّتين ، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ يَقُولُ (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) قال عدو الله : قد سمعت هذا قبل أن تولد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويقول الله تَعَالَى ذِكْرُهُ : (وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ، وإني والله ما أحسست بك قط إلا استعدت بالله منك ، فقال عدو الله : صدقت ، بهذا تنجو مني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب ، وعند الهوى

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لإبليس : وإن جهنم لموعدهم من تبعك أجمعين (لها سبعة أبواب) يقول : لجهنم سبعة أطباق ، لكل طبق منهم : يعنى من أتباع إبليس جزء ، يعنى : قسما ونصيبا مقسوما .
وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا هارون الغنوي ، قال : سمعت حيطان ، قال : سمعت عليا وهو يخطب ، قال : إن أبواب جهنم هكذا ، ووضع شعبة إحدى يديه على الأخرى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسائية ، عن أبي هارون الغنوي ، عن حيطان بن عبد الله ، قال : قال علي : تدرون كيف أبواب النار ؟ قلنا : نعم كنعو هذه الأبواب ، فقال : لا ، ولكنها هكذا ، فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض ، وفعل ذلك أبو بشر .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي هارون الغنوي ، عن حيطان بن عبد الله عن علي ، قال : هل تدرون كيف أبواب النار ؟ قالوا : كنعو هذه الأبواب ، قال : لا ، ولكن هكذا ووصف ، بعضها فوق بعض .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن هبيرة ، عن علي ، قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلئ الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم تمتلئ كلها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن علي ، قال : أبواب جهنم سبعة ، بعضها فوق بعض ، وأشار بأصابعه على الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى تملأ كلها .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن هبيرة ابن مريم ، قال : سمعت عليا يقول : إن أبواب جهنم بعضها فوق بعض ، فتملأ الأول ثم الذي يليه ، إلى آخرها .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جهم بن جهم ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : لها سبعة أطباق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) قال : أولها جهنم ، ثم لظي ، ثم الخطمة ، ثم السعير ، ثم سمتر ، ثم الحجيم ، ثم الهاوية ، والحجيم فيها أبو جهل .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَمَّا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بِنَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) . وهي والله منازل بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) أَذْخَلُوها بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه ، فتجنبوا معاصيته في جنات وعيون ، يقال لهم : (ادْخَلُوها بِسَلَامٍ آمِنِينَ) من عقاب الله ، أو أن تُسَلِّبُوا أنعمة نعمها الله عليكم ، وكرامة أكرمكم بها . قوله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ) يقول : وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم ، من حقد وضيعنة ، بعضهم لبعض .

وختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم ، فقال بعضهم : ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن بشر البصرى ، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة ، قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، على ما في صدورهم في الدنيا من الشحشاء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا ، نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلٍّ ، ثم قرأ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن لقمان ، عن أبي أمامة ، قال : لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غلٍّ ، ثم ينزع منه السبع الضارى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل ، عن أبي موسى سمع الحسن البصرى يقول : قال عليّ : فينا والله أهل بدر نزلت الآية (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ) قال : من عداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جوير ، عن الضحالك (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل ، عن عليّ (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : جاء ابن جرير

قاتل الزبير يستأذن عليّ ، فحجبه طويلا ، ثم أذن له فقال له : أما أهل البلاء فتجنفوهم ، قال عليّ :
بفيك التراب ؛ إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ
إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جعفر ، عن عليّ نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبان بن عبد الله البجلي ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربيع بن
حيراش ، بنحوه . وزاد فيه : قال : فقام إلى عليّ رجل من همدان ، فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين .
قال : فصاح عليّ صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ، ثم قال : إذا لم تكن نحن ، فمن هم ؟

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، قال : ثنا أبو مالك الأشجعيّ ، عن أبي حبيبة
مولى لطلحة ، قال : دخل عمران بن طلحة على عليّ بعد ما فرغ من أصحاب الحمل ، فرحّب به وقال :
إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) ورجلان جالسان على
ناحية البساط ، فقالا : الله أعدل من ذلك ، تقتلهم بالأمس ، وتكونون إخوانا ؟ فقال عليّ : قوما أبعد
أرض وأحقّهما . فمن هم إذن إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنا
أبو حبيبة ، قال : قال عليّ لابن طلحة : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين نزع ما في صدورهم من
غيل ، ويجعلنا إخوانا على سرر متقابلين .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا حماد بن خالد الخياط ، عن أبي الجويرية ، قال : ثنا معاوية بن
إسحاق ، عن عمران بن طلحة ، قال : لما نظرني عليّ قال : مرحبا بابن أخي ، فذكر نحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال : استأذن الأشتر
على عليّ وعنده ابن لطلحة ، فحبسه ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : إني لأراك إنما حبستني لهذا ، قال :
أجبل ، قال : إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني ، قال : أجبل ، إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن
قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، قال : أخبرنا عوف ، عن ابن سيرين ، بنحوه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرميّ ، قال : ثنا السكن بن المغيرة ، قال : ثنا معاوية
ابن راشد ، قال : قال عليّ : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا ابن المتوكل الناجي : أن أباسعيد
الحدريّ حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحِبُّسُونَ
عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُفْتَضُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ،
حَتَّى إِذَا هَدَبُوا ، وَنُقِمُوا أُولَئِكَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَوَاللَّيْلِ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَمِينِهِ ،

لَا أَحَدَهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا . وقال بعضهم : ما يشبه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعهم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة في هذه الآية (وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) قال : ثنا قتادة . أن أبا المتوكل الناجي حدثهم ، أن أبا سعيد الخدري حدثهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، إلى قوله « وَأَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ » ثم جعل سائر الكلام عن قتادة ، قال : وقال قتادة : فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزله ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث بشر ، غير أن الكلام إلى آخره عن قتادة ، سوى أنه قال في حديثه : قال قتادة وقال بعضهم : ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من الجمعة .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا عمر بن زرعة ، عن محمد بن إسماعيل الزبيدي ، عن كثير النواء ، قال : سمعته يقول : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي ، فقلت : وليي وليكم ، وسليكم سليكم ، وعدوتي عدوتكم ، وحرابي حربكم ، إني أسألك بالله ، أتبرأ من أبي بكر وعمر ، فقال : قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، توأمتما يا كثير ، فما أدركك فهو في رقبتي ، ثم تلا هذه الآية (إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) يقول : إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض ، لا يستدبره فينظر في قفاه ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله (على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) قال : لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . والسرر : جمع سرير ، كما الجُدُد : جمع جديد . وجمع سررا ، وأظهر التضعيف فيها ، والراءان متحركتان لخفة الأسماء ، ولا تفعل ذلك في الأفعال لثقل الأفعال ، ولكنهم يُدْعَمُونَ في الفعل ، ليسكن أحد الحرفين فيخفف ، فإذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني ، أظهروا حينئذ التضعيف .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ، وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

(٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم في الجنات نصب ، يعني تعصب (وما هم منها بمخرجين) يقول : وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين ، بل ذلك دائم أبدا . وقوله (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

أخبر عبادي يا محمد ، أني أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا ، بترك فضيحتهم بها ، وعقوبتهم عليها ، الرحيم بهم ، أن أعدتهم بعد توبتهم منها عليها (وأنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) يقول : وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصرَّ على معاصي ، وأقام عليها ، ولم يتب منها ، هو العذاب الموحج ، الذي لا يشبهه عذاب ، هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه ، وأمر منه لهم بالإنيابة والتوبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَسِيَّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ، وأنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : لو يعلم العبد قدر عفو الله ، لما تورع من حرام ، ولو يعلم قدر عذابه لبحخع نفسه .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المكي ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا مصعب بن ثابت ، قال : ثنا عاصم بن عبد الله ، عن ابن أبي رباح ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ، فقال : ألا أراكم تضحكون ؟ ثم أدبر ، حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقهري ، فقال : إني لما خرجتُ جاء جبرئيلُ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد إن الله يقول : لم تقنطُ عبادي ؟ نسيَّ عبادي أتى أنا الغفور الرحيم ؛ وأنَّ عَدَايِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : سَلَامًا ، قَالَ : إِنَّا مِّنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا : لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأخبر عبادي يا محمد ، عن ضيف إبراهيم : يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن ، حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم . (فقالوا سلاما) : يقول : فقال الضيف لإبراهيم : سلاما (قال : إننا منكم وجيلون) : يقول : قال إبراهيم : إنا منكم خائفون . وقد بينا وجه النصب في قوله (سلاما) ، وسبب وجل إبراهيم من ضيفه ، واختلاف المختلفين ، ودلنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله (قالوا) ودلنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله (قالوا) ودلنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله (قالوا) ودلنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله (قالوا) ودلنا على الصحيح من القول فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ؟ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم (أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرَ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟) يقول : فبأى شيء تبشرون ؟

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا ورقاء وحدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرَ ؟ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ؟) قال : عجب من كبره ، وكبر امرأته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال (عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبِيرَ) ومعناه : لأن مسنى الكبر ، وبأن مسنى الكبر ، وهو نحو قوله (حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) بمعنى : بأن لا أقول ، ويمثله في الكلام : أتيتك أنك تعطي ، فلم أجدك تعطي .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ : وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : قال ضيف إبراهيم له : بشرناك بحق يقين ، وعلمنا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما ، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله ، فيياسون منه ، ولكن أبشر بما بشرناك به ، واقبل البشري . واختلفت القراء في قراءة قوله (مِنَ الْقَانِطِينَ) فقراءته عامة قراء الأمصار (مِنَ الْقَانِطِينَ) بالألف ، وذو كبر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك (الْقَنْطِينَ) . والصواب من القراءة في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة على ذلك ، وشذوذ ما خالفه . وقوله قال (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للضيف : ومن يياس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب ، وتركوا قصد السبيل ، في تركهم رجاء الله ، ولا يخيب من رجاءه ، فضلوا بذلك عن دين الله .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَمَنْ يَقْنَطُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَمَنْ يَقْنَطُ) بفتح النون إلا الأعمش والكسائي ، فإنهما كسرا النون من (يَقْنَطُ) . فأما الذين فتحوا النون منه ، ممن ذكرنا ، فإنهم قرءوا : (من بعد ما قنطوا) ، بفتح القاف والنون . وأما الأعمش فكان يقرأ ذلك : من بعد ما قنطوا ، بكسر النون . وكان الكسائي يقرؤه بفتح النون . وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا ، على النحو الذي ذكرنا من قراءة الكسائي .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه من بعد ما قنطوا ، بفتح النون (وَمَنْ يَقْنَطُ) بكسر النون ، لإجماع الحجة من القراء على فتحها في قوله (مِنَ بَعْدِ مَا قَنْطُوا) فكسرها في (وَمَنْ)

يَتَقَسِّطُ) أولى، إذ كان مجمعاً على فتحها في قَسَّطَ، لأن فَعَعَلَ إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة، ولم تكن من الحروف الستة، التي هي حروف الخلق، فإنها تكون في يَفْعِيلِ مكسورة أو مضمومة. فأما الفتح فلا يُعرف ذلك في كلام العرب.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟ (٥٧) قَالُوا: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ ثَجْرِيينَ (٥٨)

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا أَمْرًا تَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم؟ ما أمركم أيها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله، إلا آل لوط: يقول: إلا تباع لوط على ما هو عليه من الدين، فأنا لن نهلكهم، بل ننجيهم من العذاب، الذي أمرنا أن نعذب به قوم لوط، سوى امرأة لوط، قدّرنا إنها من الغابرين: يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين، ثم هي ههنا تسكة بعد. وقد بينا الغابر فيما مضى بشواهد.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ

بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسلُ الله آل لوط، أنكرهم لوط، فلم يعرفهم، وقال لهم: (إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ) أي نسكركم لانعرفكم، فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله، جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شيبان؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ) قال: أنكرهم لوط. وقوله (بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ) قال: بعذاب قوم لوط.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَاتَّبِعْ أَزْوَاجَهُمْ،

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : قالت الرسل لوط : وجئناك بالحق اليقين من عند الله ، وذلك الحق هو العذاب الذى عذب الله به قوم لوط . وقد ذكرت خبرهم وقصصهم فى سورة هود وغيرها ، حين بعث الله رسله ليعذبهم به . وقولهم : (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) يقولون : إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط ، من أن الله مهلك قومك . (فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) يقول تعالى ذكره . مخبرا عن رساله ، أنهم قالوا لوط ، فأسر بأهلك ببقية من الليل . واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسرى بهم ، كن من وراءهم ، وسر خلفهم ، وهم أمامك ، ولا يلتفت منكم وراءه أحد ، وامضوا حيث يأمركم الله .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ) : لا يلتفت وراءه أحد ، ولا يعرج .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ) : لا ينظر وراءه أحد .

حدثنى المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنى المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) قال : أمير أن يكون خلف أهله ، يتبع أدبارهم فى آخرهم إذا مشوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) قال : بعض الليل (وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) : أدبار أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ : أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ

يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر . وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين : يقول : إن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم . « وأن » من قوله (أَنْ دَابِرَ) فى موضع نصب ، ردأ على الأمر ، بوقوع القضاء عليها ، وقد يجوز أن تكون فى موضع نصب بفقد الخافض ، ويكون معناه : وقضينا إليه ذلك الأمر ، بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ، وعيسى بقوله (مُّصْبِحِينَ) : إذا أصبحوا . أو حين يصبحون .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (أَنْ دَابِرَ هَوَاءٍ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ) يعني : استئصال هلاكهم مصبحين .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ) قال : أوحينا إليه .

وقوله (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول : وجاء أهل مدينة سدوم ، وهم قوم لوط ، لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا ، مستبشرين بنزولهم مدينتهم ، طمعا منهم في ركوب الفاحشة .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) استبشروا بأضياف نبي الله صلى الله عليه وسلم لوط ، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ، ضيفي ، وحق على الرجل إكرام ضيفه ، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي ، وأكرموني في ترككم التعرض لهم بالمكروه . وقوله (وَأَتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله في وفي أنفسكم ، أن يحل بكم عقابه . (وَلَا تُخْزُونِ) يقول : ولا تدلثوني ، ولا تهينوني فيهم ، بالتعرض لهم بالمكروه . (قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) : يقول تعالى ذكره : قال للوط قومه : أ ولم نهك أن تضيف أحدا من العالمين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) قال : ألم نهك أن تضيف أحدا ؟

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)
فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه : تزوجوا النساء فأتوهن ، ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من إتيان الرجال ، إن كنتم فاعلين ما أمركم به ، ومنتهين إلى أمري .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قال هؤلاء بسناي إن كننتم فاعلين) : أمرهم نبي الله لوط أن يتزوجوا النساء ، وأراد أن يقبى أضيافه بناته .
وقوله (لعمرك) يقول تعالى لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش (لئيب سكرتهم يعمهون) يقول : لئى ضلالهم وجهلهم يردّ دون .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره (لعمرك إناهم لئيب سكرتهم يعمهون) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، قال : ثنا الحسن بن أبى جعفر ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، فى قول الله (لعمرك إناهم لئيب سكرتهم يعمهون) قال : ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك فى الدنيا : (إناهم لئيب سكرتهم يعمهون) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لعمرك إناهم لئيب سكرتهم يعمهون) . وهى كلمة من كلام العرب ؛ لئى سكرتهم : أى فى ضلالهم . يعمهون : أى يلعبون .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (لعمرك إناهم لئيب سكرتهم يعمهون) قال : لئى غفلتهم يردّ دون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فى سكرتهم) قال : فى ضلالهم يعمهون : قال : يلعبون .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد (يعمهون) قال : يردّ دون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس . قوله : (لعمرك) يقول : لعمرك (لئيب سكرتهم يعمهون) قال : يتأدون .
حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقول الرجل : لعمري ، يرونه كقوله : وحياتي .

وقوله (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب ، وهى الصيحة . مشرقين : يقول : إذ أشرقوا . ومعناه : إذ أشرق الشمس ، ونصب مشرقين ومصبحين على الحال ، بمعنى : إذ أصبحوا ، وإذ أشرقوا ، يقال منه : صبح بهم : إذا أهلكوا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) قال : حين أشرقت الشمس ، ذلك مشرقين .

القول في تأويل قوله تعالى

فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)

❦ يقول تعالى ذكره : فجعلنا على أرضهم سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل^١ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) : أي من طين .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) يقول : إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم ، وأحللنا بهم من العذاب ، لعلامات ودلالات للمتفرسين ، الاعتبار بعلمات الله وعبره ، على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به . وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول : فلقومك يا محمد في قوم لوط ، وما حل بهم من عذاب الله ، حين كذبوا رسولهم ، وتمادوا في غيهم ، وضلالهم ، معتسبين .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرسين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الملك ، وحدثنا الحسن الزعفراني ، قال : ثني محمد ابن عبيد ، قال : ثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال : للمتفرسين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) لعل الأصل (من سجيل) : أي من طين ، كما يظهر بتأمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المتوسمين : المتفرسين . قال : توسمت فيك الخير نافلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن قيس ، عن مجاهد (إن في ذلك آيات للمتوسمين) قال : المتفرسين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إن في ذلك آيات للمتوسمين) يقول : للناظرين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (للمتوسمين) قال للناظرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن في ذلك آيات للمتوسمين) : أى للمعتبرين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (للمتوسمين) قال : للمعتبرين .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنى حسن بن مالك ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِسُورِ اللَّهِ » ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن في ذلك آيات للمتوسمين) .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا محمد بن كثير ، مولى بنى هاشم ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثني أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا البقرات بن السائب ، قال : ثنا ميمون بن مهران ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِسُورِ اللَّهِ » .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى سعيد بن محمد البحرى ، قال : ثنا عبد الواحد بن واصل ، قال : ثنا أبو بشر المزلق ، عن ثابت البناتى ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عباداً يعترفون الناس بالتوسم » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إن في ذلك آيات للمتوسمين) قال : المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الأشياء ، ويتفكرون فيها ويعتبرون . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (للمتوسمين) يقول : للناظرين .

حدثني أبو شرحبيل الحمصى ، قال : ثنا سليمان بن سلمة ، قال : ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي ، قال : ثنا أبو المعاتى أسد بن وداعة الطائى ، قال : ثنا وهب بن منبه ، عن طاوس بن كيسان ،

عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احذروا في راسة المؤمنين، فإنه ينظر بينور الله، وينطق بتوفيق الله» .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِئَلَّا لَبِيسَ بِلِ مَقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة، مدينة سدوم، لطريق واضح مقيم، يراها المجتاز بها، لا ختماء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لب أمرها، وغب معصية الله، والكفر به. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، وحدثنا الحسن بن محمد، قال: ثنا شيبان، قال: ثنا ورقاء، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، وحدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، وحدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلِئَلَّا لَبِيسَ بِلِ مَقِيمٍ) قال: لطريق معلّم. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلِئَلَّا لَبِيسَ بِلِ مَقِيمٍ) يقول: بطريق واضح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَلِئَلَّا لَبِيسَ بِلِ مَقِيمٍ) قال: طريق، السبيل: الطريق. حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد. قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (لَبِيسَ بِلِ مَقِيمٍ) يقول: بطريق معلّم. وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: إن في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم، لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به، وإنقاذه من عذابه، إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم.

كما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن سعيد بن جبیر، في قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن سماك، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) قال: أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول: هاتوا خذى، هاتوا خذى، فإذا رأوه علموا أنه حق.

الفرل في تاويل قوله تعالى

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَأَتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَبِئْسَ لِمِثْلِهِ شَيْءٌ (٧٩)

يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين ، يقول : كانوا بالله كافرين ، والأيكه : الشجر الملتف المجتمع ، كما قال أمية :

كَبَيْكَا الْحَمَامِ عَلَى فُرُو عِ الْأَيْكِ فِي الْغُصْنِ الْجَوَانِحِ
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، قال ، قوله (أصحاب الأيكة) قال : الشجر ، وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة ، وفي الشتاء اليابسة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ غِيضَةٍ . وكان عامّة شجرهم هذا الدوم ، وكان رسولهم فيها بلغنا شعيب صلى الله عليه وسلم ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أرسل إلى أمّتين من الناس ، وعذبنا بعداين شتى ، أما أهل مدين ، فأخذتهم الصيحة ؛ وأما أصحاب الأيكة ، فكانوا أهل شجر متكاوس ؛ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، لَا يَظْلَهُمْ مِنْهُ ظِلٌّ ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَحَابَةً ، فَحَكَّتْهَا تَحْتَهَا يَلْتَمَسُونَ الرُّوحَ فِيهَا ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا ، بَعَثَ عَلَيْهِمْ نَارًا ، فَاضْطَرَمَّتْ عَلَيْهِمْ ، فَأَكَلْتَهُمْ ، فَذَلِكَ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأيكة : أصحاب غيضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ) قال : قوم شعيب . قال ابن عباس : الأيكة ذات آجام وشجر ، كانوا فيها . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (أصحاب الأيكة) قال : هم قوم شعيب ، والأيكة : الغيضة .

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي ، ولم أجده في ديوانه ، ووجدته في سيرة ابن هشام (٣ : ٣١ طبعة الحلبي) من قصيدة له يرثي بها قتلى بدر وأوطا :

أَلَا بَكَتِ عَلَى الْكِرَامِ بَنِي الْكِرَامِ أُولَى الْمَمَادِحِ

كبيكا الحمام . . . البيت . والأيك : الشجر الملتف ، واحده أيكه والجوانح : المواضع . يقول : جنح : إذا مال . وفي (اللسان أيك) : الأيكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ، وخص بعضهم به منبت الأكل ومجموعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عمرو بن عبد الله ، عن قتادة ، أنه قال : إن أصحاب الأيكة ، والأيكة : الشجر الملتف .
 وقوله (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) يقول تعالى ذكره : فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة . وقوله (وَإِنَّهُمَا لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) يقول : وإن مدينة أصحاب الأيكة ، ومدينة قوم لوط ، والهاء والميم في قوله (وَإِنَّهُمَا) من ذكر المدينتين (لبيل مام) يقول : لطريق يأتمون به في سفرهم ، ويهتدون به (مبين) يقول : يبين لمن اثم به استقامته ، وإنما جعل الطريق إماما ، لأنه يؤم ويستمع .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّهُمَا لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) يقول : على الطريق .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) يقول : طريق ظاهر .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شباية ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنَّهُمَا لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) قال : بطريق معلّم .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّهُمَا لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) قال : طريق واضح .
 حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد . قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَبِيبَا مِمْبِيْنِ) بطريق مستبين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره : ولقد كذب سكان الحجر . وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها ، أصحابها ، كما قال تعالى ذكره (وَتَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ : أَنْ قَدُّ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا) ، فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ، ومقامهم بها . والحجر : مدينة ثمود .
 وكان قتادة يقول في معنى الحجر ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : أصحاب الحجر : قال : أصحاب الوادي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، وهو يذكر الحجر

مساكن ثمود قال : قال سالم بن عبد الله : إن عبد الله بن عمر قال : « مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ النَّدِيِّنَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، حَذَرًا أَنْ يُصَيْبِكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » ، ثم زَجِرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلْفَهَا .
حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد المكي ، قال : ثنا داود بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن ابن سابط ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر : « هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَالِحٌ أَهْلَكَهُمْ اللهُ إِلَّا رَجُلًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ ، مَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ ، مِنْ عَذَابِ اللهِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُوَ ؟ قال : أَبُو رِغَالٍ .
وقوله (وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا ، فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) : يقول : وأريناهم أدلتنا وحججنا ، على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا ، فكانوا عن آياتنا التي آتيناها معا معرضين ، لا يعتبرون بها ولا يتعظون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٣)

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : وكان أصحاب الحجر : وهم ثمود قوم صالح ، (يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ) من عذاب الله ، وقيل : آمنين من الحرب : أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال . وقيل : آمنين من الموت . وقوله (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ) يقول : فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا ، من اليوم الرابع من اليوم الذي وعِدوا العذاب ، وقيل لهم . تمتعوا في داركم ثلاثة أيام . وقوله (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ، فَاصْفَحْ

الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وما خلقنا الخلاق كلها ، سماءها وأرضها ، ما فيها وما بينهما ، يعني بقوله (وَمَا بَيْنَهُمَا) : مما في أطباق ذلك . (إِلَّا بِالْحَقِّ) يقول : إلا بالعدل والإنصاف ، لا بالظلم والجور . وإنما يعني تعالى ذكره بذلك : أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتصت قصصها في هذه السورة ، وقصص إهلاكها ، بما فعل به من تعجيل النعمة له ، على كفره به ، فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق ، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور ، ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل . وقوله (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ)

فَصَفَّحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) يقول تعالى ذكره لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن الساعة ، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة ، لجسائية . فارض بها لمشركي قومك الذين كذبوك ، وردوا عليك ما جئتهم به من الحق . (فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) يقول : فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً ، واعف عنهم عفواً حسناً . وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو الذي خلقهم وخلق كل شيء ، وهو عالم بهم وبتدبيرهم ، وما يأتون من الأفعال . وكان جماعة من أهل التأويل تقول : هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) . ثم نسخ ذلك بعد ، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لا يقبل منهم غيره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك : في قوله (فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ، (فاصفح عنهم) ، وقيل سلام ، فسوف يعلمون - وأعرض عن المشركين) و (قتل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) وهذا النحو كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله . فقال (خذوهم وأحضرهم) ، واقعدوا لهم كل مرصد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد (فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) : قال : هذا قبل القتال .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن عيينة ، في قوله (فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) وقوله (وأعرض عن المشركين) قال : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد ، فلما أمر بالجهاد قاتلهم ، فقال : « أنا نبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، وبعثت بالحصاد ، ولم أبعث بالزراعة » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَلِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)

اختلف أهل التأويل في معنى السبع الذي آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثاني ، فقال بعضهم : عنى بالسبع : السبع السور من أول القرآن ، اللواتي يُعْرَفْنَ بالطول . وقائلو هذه المقالة مختلفون في المثاني ، فكان بعضهم يقول : المثاني : هذه السبع ، وإنما سمين بذلك لأنهن تُسَنَّى فيهن الأمثال والخبر والعبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن مسعود في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَلِي) قال : السبع : الطول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن سعيد الجريدي ، عن رجل ، عن ابن عمر ، قال : السبع : الطُّوَل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : السبع الطُّوَل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله . حدثني المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : هنّ السبع الطُّوَل . ولم يُعْطِهِنَّ أَحَدٌ إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْطَىٰ مُوسَىٰ مِثْنَيْنِ .

حدثنا ابن وكيع ، وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : أوتى النبي صلى الله عليه وسلم سبعة من المثاني الطُّوَل ، وأوتى موسى ستا ، فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان ، وبقيت أربع .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا علي بن عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . قال إسرائيل : وذكر السابعة ، فَنَسِيَهَا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشم ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : هي الطُّوَل : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر في هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، فهنّ الفرائض والحدود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر ، بنحوه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن خوات ، عن سعيد بن جبیر ، قال : السبع الطُّوَل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال أبو بشر : أخبرنا عن سعيد بن جبیر ، قال : هنّ السبع الطُّوَل قال : وقال مجاهد : هنّ السبع الطُّوَل . قال : ويقال : هنّ القرآن العظيم :

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا سعيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (سَبْعًا

من المثنائي (قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، تثنى فيها الأحكام والفرائض .

حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : هن السبع الطول .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سعيد بن منصور ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (سبعة من المثنائي) قال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف . ويونس ، قال : قلت : ما المثنائي ؟ قال : يثنى فيهن القضاء والقصاص .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير (ولقد آتيناك سبعة من المثنائي والقرآن العظيم) قال : البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : السبع الطول .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد القرشي ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا أبو خالد ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : هي السبع الطول . حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله ، قال : ثنا عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، في قوله (ولقد آتيناك سبعة من المثنائي) قال : هي السبع الطول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (ولقد آتيناك سبعة من المثنائي والقرآن العظيم) قال : من القرآن السبع الطول ، السبع الأول .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، قال : هن السبع الطول .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السبع الطول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن سفیان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : هي الأمثال والخبر والعبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل ، عن خوات ، عن سعيد بن جبیر ، قال : هي السبع الطووك ، أعطى موسى سنا ، وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم سبعا .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (سبعا من المثاني) ؟ يعني السبع الطووك .

وقال آخرون : عنى بذلك : سبع آيات وقالوا : هن آيات فاتحة الكتاب ، لأنهن سبع آيات ، وهم أيضا مختلفون في معنى المثاني ، فقال بعضهم : إنما سُميَ مثنائي ، لأنهن يُسْتُنِينَ في كل ركعة من الصلاة .
ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن عسّية ، عن سعيد الجري ، عن أبي نصر ، قال : قال رجل منا يقال له : جابر أو جوبير : طلبت إلى عمر حاجة في خلافته ، فقدِمَت المدينة ليلا ، فمَثَلْتُ بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد منزلا ، فأرقت نَشْوَا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يصلي ، يقرأ بأم الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جهَّـر ، فإذا هو عُمر ، فكانت في نفسي ، فغدوت عليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة ، قال : هات حاجتك ، قلت : إني قدِمَت ليلا ، فمَثَلْتُ بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد ، فاخترت المسجد . فأرقت نَشْوَا من آخر الليل ، فإذا إلى جنبي رجل يقرأ بأم الكتاب ، ثم يسبح قدر السورة ، ثم يركع ولا يقرأ ، فلم أعرفه حتى جهَّـر ، فإذا هو أنت ، وليس كذلك نفع قِبَلِنَا ، قال : وكيف تفعلون ؟ قال : يقرأ أحدنا أم الكتاب ، ثم يفتح السورة ، فيقرأها ، قال : ما لهم يعلمون ولا يعلمون ، ما لهم يعلمون ولا يعلمون ، ما لهم يعلمون ولا يعلمون ؟ وما تبغى عن السبع المثاني ، وعن التسبيح صلاة الخلق .

حدثني طَلَيْق بن محمد الواسطي ، قال : أخبرنا يزيد ، عن الجري ، عن أبي نصر ، عن جابر أو جوبير ، عن عُمر بنحوه ، إلا أنه قال : فقال يقرأ القرآن ما تيسر أحيانا ، ويسبح أحيانا . ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب ، وما يتبغى بعد المثاني ، وصلاة الخلق : التسبيح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفیان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، قال : السبع المثاني : فاتحة الكتاب .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحسن بن صالح ، وسفيان عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي : وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن سفیان ، عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي ، مثله .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال :
سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني ، قال : فاتحة الكتاب .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ
سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب ، قال : وقال ابن سيرين عن ابن مسعود : هي فاتحة الكتاب .
حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن
ابن مسعود (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .
حدثني سعيد بن يحيى الأُمَوِيُّ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبي ، عن سعيد
ابن جبير ، عن ابن عباس ، أنه قال في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : هي
فاتحة الكتاب ، فقرأها على ستا . ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة . قال سعيد : وقرأها ابن عباس
على كما قرأها عليك ، ثم قال الآية السابعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال ابن عباس : قد أخرجها الله لكم ،
وما أخرجها لأحد قبلكم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، أن أباه حدثه ، عن سعيد بن
جبير ، قال : قال لي ابن عباس : فاستفتح بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قال : تدرى
ما هذا (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) يقول : السبع : الحمد لله رب العالمين ، والقرآن العظيم .
ويقال : هن السبع الطول ، وهن الميثون .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس ، قال : فاتحة الكتاب .
حدثني عمران بن موسى القرزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن
يعمر ، وعن أبي فاختة في هذه الآية : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قالوا : هي
أم الكتاب .
حدثني المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي عن عليا يقول : الحمد
لله رب العالمين ، هي السبع المثاني .
حدثنا أبو المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء بن عبد الرحمن ،
يحدث عن أبيه ، عن أبي بن كعب ، أنه قال : السبع المثاني : الحمد لله رب العالمين .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قول
الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب سبع آيات ، قلت للربيع : إنهم
يقولون : السبع الطُول ، فقال : لقد أنزلت هذه ، وما أنزل من الطُول شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : فاتحة الكتاب . قال : وإنما سميت المثاني ، لأنه يثنى بها ، كلما قرأ القرآن قرأها ، فقبل لأبي العالية : إن الضحاك بن مزاحم يقول : هي السبع الطوول ، فقال : لقد نزلت هذه السورة سبعة من المثاني وما أنزل شيء من الطوول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي جميعاً ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : فاتحة الكتاب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعاً ، عن هارون بن أبي إبراهيم البربري ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : السبع من المثاني : فاتحة الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن أبي مليكة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب . قال : وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم ، لم تذكر لني قبله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب .

حدثني محمد بن أبي خداهش ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا هارون البربري ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي في قول الله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : هي الحمد لله رب العالمين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء . قال : سألت الحسن ، عن قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال : هي فاتحة الكتاب ، ثم سئل عنها وأنا أسمع ، فقرأها الحمد لله رب العالمين ، حتى أتى على آخرها ، فقال : تُثْنَى فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب . حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : فاتحة الكتاب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) ذكر لنا أنه فاتحة الكتاب ، وأنه يثنى في كل قراءة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب تُثْنَى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَتَطَوُّعٍ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد بن زيد وحجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبي

عن سعيد بن جبير ، أنه أخبره أنه سأل ابن عباس ، عن السبع المثاني ، فقال : أم القرآن ، قال سعيد : ثم قرأها ، وقرأ منها : (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبي : قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس ، وقرأ فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) . قال سعيد : قلت لابن عباس : فما المثاني ؟ قال : هي أم القرآن ، استثناها الله لحمد صلى الله عليه وسلم ، فرفعها في أم الكتاب ، فدخرها لهم ، حتى أخرجها لهم ، ولم يعطها لأحد قبله . قال : قلت : لأبي : أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له : بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن ؟ قال : نعم . قال ابن جريج : قال عطاء : فاتحة الكتاب ، وهي سبع بسم الله الرحمن الرحيم ، والمثاني : القرآن . حدثني المنفي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، أنه قال : السبع المثاني : أم القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله العتسكي ، عن خالد الحنفي قاضي مرو ، في قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : فاتحة الكتاب . وقال آخرون : عنى بالسبع المثاني : معاني القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن زياد بن أبي مریم ، في قوله (سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي) قال : أعطيتك سبعة أجزاء : مر ، وانه ، وبشسر ، وأنذر ، واضرب الأمثال ، واعدد النعم ، وآتيتك نبأ القرآن . وقال آخرون من الذين قالوا عني بالسبع المثاني : فاتحة الكتاب ؛ المثاني : هو القرآن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن كله مثاني . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن كله مثاني . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عميد أبو زيد ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال : القرآن مثاني ، وعدد البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، وبراءة . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : القرآن كله يسئتي .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المثاني : ما نسي من القرآن ، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَثَانِي) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول : المثاني : القرآن ، يذكر الله القصة الواحدة مرارا ، وهو قوله (نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَثَانِي) . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بالسبع المثاني : السبع اللواتي هن آيات

أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذي حدثني يزيد بن مخلد بن خيد آش الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أم القرآن السبع المثاني التي أعظمتها».

حدثني أحمد بن المقدم العجلي، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: «إني أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، قال: إني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمتها، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث؛ فلما دنوت قلت: يا رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: ما تقرأ في الصلاة؟ فقرأت عليه أم القرآن، فقال: والذبي نفسي بيده ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنا السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعظمتها».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حباب العكلى، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: أخبرني العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب: مولى لعروة، عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان، أو ابن فلان، عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إذا افتتحت الصلاة بهم تفتتح؟ قال: الحمد لله رب العالمين، حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعظمت».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان، مثلها؟ قلت: بلى، قال: إني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمتها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه، فجعل يحدثني ويده في يدي، فجعلت أتباطأ، كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها؛ فلما قرب من الباب قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتني؟ قال: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟ قال: فقرأ فاتحة الكتاب، قال: هي هي، وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت)».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن إبراهيم بن الفضل المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الركعتان اللتان لا يقرأ فيهما كالحمد آج لم يتمما، قال رجل: أرايت إن لم يكن معي إلا أم القرآن؟ قال: هي حسبك، هي أم القرآن، هي السبع المثاني».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن نمير، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرَّكْعَةُ النَّبِيَّ لَا يَقْرَأُ فِيهَا كَالْحَدَاجِ » . قلت لأبي هريرة : فإن لم يكن معي إلا أم القرآن ؟ قال : هي حسبك ، هي أم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَاللَّيْ نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ، يَعْنِي أُمَّ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا لَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، الَّتِي آتَانِي اللَّهُ تَعَالَى » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هِيَ أُمَّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن هارون وشبابة ، قالا : أخبرنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب قال : « هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : ثنا العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ : « أُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةَ لَمْ يَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَكَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ أُمَّ الْكِتَابِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاللَّيْ نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الزَّبُورِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا ، وَإِنَّمَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا سعيد بن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلى « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ وَهُوَ بِصُلَى ، فَصَلَّى ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي ؟ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي ، قَالَ : أَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قَالَ : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَكَأَنَّهُ بَيْنَهَا أَوْ نَسِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي قُلْتَ : قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ » .

فإذ كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا ، للذي به استشهدنا ، فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله ، فيكون معنى الكلام : ولقد آتيناك سبع آيات ، مما يشئني بعض آية بعضها . وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني : جمع منسأة ، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك ، لأن بعضها يشئني بعضها ، وبعضها يتلو بعضها ، بفصول تفصل بينها ، فيعرف انقضاء الآية ؛ وابتداء التي تليها ، كما وصفها به تعالى ذكره ، فقال (اللَّهُ أَنْزَلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مِثْلَانِي، تَقَشَّعِيرٌ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ.) وقد يجوز أن يكون معناها، كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك، أن القرآن إنما قيل له مِثْلَانِي، لأن القِصَصَ والأخبار كررت فيه مرة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصري أنها إنما سميت مِثْلَانِي، لأنها تُشْبِهُنِي في كلِّ قراءة. وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مِثْلَانِي، لأن الله تعالى ذكره استثناها محمد صلى الله عليه وسلم، دون سائر الأنبياء غيره، فادّخرها له.

وكان بعض أهل العربية، يزعم أنها سميت مِثْلَانِي، لأن فيها الرحمن الرحيم مرتين، وأنها تُشْبِهُنِي في كلِّ سورة، بمعنى: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأما القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، فهو أحد أقوال ابن عباس، وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك، وقد ذكرنا ذلك قبل.

وأما قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) فإن القرآن معطوف على السبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) قال: سائره: يعني سائر القرآن، مع السبع من المثاني.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) يعني: الكتاب كله.

القول في تأويل قوله تعالى

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَآخُفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك. الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من وراءهم عذابا غليظا. (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على ما متَّعُوا بِهِ، فَعَجَّلْ لَهُمْ، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلْنَا لَكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكِرَامَةِ، بِإِعْطَائِنَا السَّبْعَ الْمِثْلَانِي، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ. يقال منه: مَدَّ فُلَانٌ عَيْنَهُ إِلَىٰ مَالِ فُلَانٍ: إِذَا اشْتَهَاهُ وَتَمَنَاهُ وَأَرَادَهُ.

وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية: قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ كَلَّمَ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ »: أي من لم يستغن به، ويقول: « أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ »: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمِثْلَانِي، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ. لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) : فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال. قال: ومنه قول الآخر: من أَوْتِيَ الْقُرْآنَ، فَرَأَىٰ أَنْ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ، فَقَدْ عَظَّمْ صَغِيرًا، وَصَغَّرْ عَظِيمًا.

وينحو الذي قلنا في قوله (أزواجاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) قال : تُهَيِّئِ الرَّجُلُ أَنْ يَتَمَنَّى مَالِ صَاحِبِهِ . وقوله (وَآخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وَأَلَيْنَ لِمَنْ أَمِنَ بَكَ ، وَاتَّبَعَكَ وَاتَّبَعَ كَلَامَكَ ، وَقَرَّبَهُمْ مِنْكَ ، وَلَا تَجُفُّ بِهِمْ ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ : يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين . والجناحان من بني آدم : جنباه ، والجناحان : الناحيتان ، ومنه قول الله تعالى ذكره : (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) قيل : معناه : إلى ناحيتك وجنبك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

عِضِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للمشركين : إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب ، أن ينزل بكم من الله ، على تماديكم في غيكم ، كما أنزلنا على المقتسمين : يقول : مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب ، على الذين اقتسموا القرآن ، فجعلوه عِضِينَ . ثم اختلف أهل التأويل في الذين عَسُوا بقوله (الْمُقْتَسِمِينَ) ، فقال بعضهم : عَسَى به اليهود والنصارى ، وقال : كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعَصَوْهُ ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قول الله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم اليهود والنصارى ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب ، جزءوه ، فجعلوه أعضاء أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : الذين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : (الْمُقْتَسِمِينَ) أهل الكتاب (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال في قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير . عن ابن عباس ، في قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : هم أهل الكتاب جزءوه ، فجعلوه أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس . قال : جزءوه ، فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي . قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) قال : هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب ، قسموا الكتاب ، فجعلوه أعضاء ، يقول : أحزابا ، فأمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : المقتسمين آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، وفرقوا الكتاب .

وقال آخرون (الْمُقْتَسِمُونَ) : أهل الكتاب ، ولكنهم سمو المقتسمين ، لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن : هذه السورة لى ، وقال بعضهم : هذه لى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سالك ، عن عكرمة : أنه قال في هذه الآية (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : كانوا يستهزئون ، يقول هذا : لى سورة البقرة ، ويقول هذا : لى سورة آل عمران .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، ولكنهم قيل لهم : المقتسمون : لاقتسامهم كتبهم . وتفريقهم ذلك بإيمان بعضهم ببعضها ، وكفره ببعض ، وكفر آخريين بما آمن به غيرهم ، وإيمانهم بما كفر به الآخرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حنبل ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك : عن قيس ، عن مجاهد (كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عصيين) قال : هم اليهود والنصارى ، قسموا كتابهم ، ففروقه ، وجعلوه أعضاء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كما أنزلنا على المقتسمين) قال : أهل الكتاب ، فروقه وبدلوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (كما أنزلنا على المقتسمين) قال : أهل الكتاب .
وقال آخرون : عني بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عصيين) رهط خمسة من قريش ، عصموا كتاب الله .
وقال آخرون : عني بذلك رهط من قوم صالح ، الذين تقاسموا على تبئيت صالح وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كما أنزلنا على المقتسمين) قال : الذين تقاسموا بصالح ، وقرأ قول الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال : تقاسموا بالله حتى بلغ الآية .

وقال بعضهم : هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم . كان أهلها يعثوهم في عقابها ، وتقدموا إلى بعضهم ان يشيع في الناحية التي توجه إليها لمن سأله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم ، أن يقول : هو مجنون ، وإلى آخر : إنه شاعر ، وإلى بعضهم : إنه ساحر .

ويجوز والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عصوا القرآن ففروقه ، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته ، أن يحل بهم على كفرهم ربهم ، وتكذيبهم نبيهم ، ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم . وجائز أن يكون عني بالمقتسمين : أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، لأنهم اقتسموا كتاب الله ، فأقرت اليهود ببعض التوراة ، وكذبت بعضها ، وكذبت بالإنجيل والفرقان ، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان . وجائز أن يكون عني بذلك المشركون من قريش ، لأنهم اقتسموا القرآن ، فسماه بعضهم شعرا ، وبعض كنهانة ، وبعض أساطير الأولين . وجائز أن يكون عني به الفريقان ، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه ،

فإذ لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عني به أحد الفرق الثلاثة ، دون الآخرين ، ولا في خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا في فطرته عقل ، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت ، وجب أن يكون مقصيا بأن كل من اقتسم كتابا لله ، بتكذيب بعض ، وتصديق بعض ، واقتسم على معصية الله ، ممن حل به عاجل نعمة الله في الدار الدنيا ، قبل نزول هذه الآية ، فداخل في ذلك ، لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله ، كانوا عبدة ، وللمتعطين بهم منهم عظمة .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) فقال بعضهم : معناه : الذين جعلوا القرآن قيرقا مفترقا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : فرقا .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جزءوه ، فجعلوه أعضاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جزءوه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة ، عن عطاء (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : المشركون من قريش ، عَصَوْا الْقُرْآنَ ، فجعلوه أجزاء ، فقال بعضهم : ساحر ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم : مجنون ، فذلك العِضُونَ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور ، وذلك أنهم تقطعوه زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو قوله (فَسَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : عَصَبُوا كتاب الله : زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شِعْر ، وزعم بعضهم أنه كاهن . قال أبو جعفر : هكذا قال كاهن ، وإنما هو كهانة ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس الذي جعلوا القرآن عِضِينَ ، قال : آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : جعلوه أعضاء ، كما تُعَصَّى الشاة . قال بعضهم : كهانة . وقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : شِعْر . وقال بعضهم (أساطير الأولين اكتشبتبها) . الآية . جعلوه أعضاء كما تُعَصَّى الشاة

فوجه قائلو هذه المقالة قوله (عِضِينَ) إلى أن واحداها : عَضُو ، وأن عِضِينَ : جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم عَضَيْتُ الشئ تعضية : إذا فرقته ، كما قال رؤبة :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَى ١

يعنى بالمرقق ؛ وكما قال الآخر :

وعَضَى بِنِي عَوْفٍ ، فَأَمَّا عَدُوهُمْ فَأَرْضِي وَأَمَّا الْعِزَّ مِنْهُمْ فَعَسِيرًا ٢

يعنى بقوله : وعَضَى : سَبَّاهُمْ وَقَطَّعَاهُمْ ٣ بالسنتهما ٤ .

وقال آخرون : بل هي جمع عِضَّة ، جمعت عِضِينَ ، كما جمعت البُرَّة بُرِينَ ، والعِزَّة عِزِينَ ، فإذا وَجَّه ذلك إلى هذا التأويل ، كان أصل الكلام عِضَّة ، ذهب هاؤها الأصلية ، كما نقصوا الهاء من الشَّفَّة ، وأصلها شَفَّهَة ، ومن الشاة ، وأصلها شاهة ، يدل على أن ذلك الأصل تصغيرهم الشفة : شَفَّهَة ، والشاة : شَوَّهَة ، فيردون الهاء التي تسقط في غير حال التصغير ، إليها في حال التصغير ، يقال منه : عَضَّهْتُ الرجلَ أَعْضَّهْتُ عَضَّهًا : إذا بَهَّته ، وقذفته ببهتان ؛ وكان تأويل من تأول ذلك كذلك : الذين عَضَّهوا القرآن ، فقالوا : هو سَحْرٌ ، أو هو شعر ، نحو القول الذي ذكرناه عن قتادة .

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَتَى بالعضه في هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سَحْرٌ خاصة ، دون غيره من معاني الذم ، كما قال الشاعر :

للماءِ مِنْ عِضَاتِهِنَّ زَمَزَمَةٌ ٥

يعنى : من سَحْرهنَّ .

(١) البيت لرؤبة في ديوانه (طبع ليسج سنة ١٩٠٣ ص ٨١) من أرجوزة له ، يمدح بها تميمًا وسعدًا ونفسه ، مطلعها : «داينت أروى والديون تقضى» والبيت هوال ٥١ فيها . واستشهد به أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٥٥) عند قوله تعالى «الذين جعلوا القرآن عضين» ، أى عضوه أعضاء ، أى فرقوه فرقًا . قال رؤبة : وليس . . . الخ (في اللسان : عضا) : عضيت الشاة والجزور تعضية : إذا جعلتها أعضاء وقسمتها . وعضى الشئ : وزعه وفرقه ، قال : وليس . . . البيت . ثم قال : وفي التنزيل : «جعلوا القرآن عضين» : أى جزوه أجزاء ، آمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه ، وقال ابن الأعرابي : فرقوا فيه القول ، فقالوا : شعر ، وسحر ، وكهانة ، فقسوه هذه الأقسام ، وعضوه أعضاء .

(٢) البيت لم أقت على قائله . ولعله للمخيل السعدي وعضى بنى عوف ، أى سبهم وقسمهم ، فأرضى عدوهم بذلك ، ومن بنى عوف ، فغير حامل ، من السيادة إلى المذلة . ولعل رواية الشطر الثاني : «فأرضى ، وأما العز منهم فقبرا» ، ونحوه بالباء الموحدة ، كما في بيت المخيل السعدي ، الذي أنشده صاحب اللسان في غير ، وهو :

فَأَنْزَلَهُمْ دَارَ الضَّيَاعِ فَأَصْبَحُوا عَلَى مَقْعَدٍ مِنْ مَوْطِنِ الْعِزِّ أَغْسَبَرًا

يقال : عز أغبر : أى ذاهب دارس . يريد أنه سبى فريقًا من بنى عوف ، وأذل فريقًا منهم .

(٣) قوله : «سبهم وقطعاهم بالسنتهما» : كذا في الأصل المخطوط (الورقة ٦٥ و ، جزء ١٤) ، ولعله سهو من المؤلف ، لأن الفعل «عضى» إذا كان من التعضية ، فهو مستند إلى واحد ، ولا يظهر لى أى معنى يجعل المستند إليه مثنى في كلام المؤلف .

(٤) البيت من مشطور الرجز ، ولم أقت على قائله . استشهد به المؤلف على أن «عضين» في الآية جمع «عضة» ، ومعناها عند قوم من أهل التأويل : السحر . وقال الفراء (في معاني القرآن : ١٦٩) «الذين جعلوا القرآن عضين» : فرقوه ، إذ جعلوه سحرًا ، وكذبًا ، وأساطير الأولين . والعضون في كلام العرب : السحر بعينه . ويقال : عضوه : أى فرقوه ، كما تعضى الشاة والجزور . وواحد العضين عضه ، رفعها عضون ، ونصبها وخفضها عضين . وفي (اللسان : عضه) : وقال الفراء : العضون في كلام العرب : السحر ، وذلك أنه من العضه . a . والزممة : الكلام غير الين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عِضِينَ) قال : عَضُّهُ وَبَهْتُوهُ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان عكرمة يقول : العَضُّ : السحر ، بلسان قريش ، تقول للساحرة : إنها العاضة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال : سحرا ، أعضاء الكتب كلها ، وقريش فرقوا القرآن ، قالوا : هو سحر .

❦ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعَلِّمَ قوما عَضُّوا الْقُرْآنَ ، أنه لم نذير من عقوبة تنزل بهم ، بِعَضِّهِمْ إِيَّاهُ ، مثل ما أنزل بالمتكلمين ، وكان عَضُّهُمْ إِيَّاهُ : قذفهم بالباطل ، وقيلهم إنه شعر وسحر ، وما أشبه ذلك .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى التأويلات به ، لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله (إننا كَفَيْتَنَّاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) على صحة ما قلنا ، وإنه إنما عُنِيَ بقوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : مشركي قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ، ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) : قول الذين زعموا أنهم عَضُّواهُ ؛ فقال بعضهم : هو سحر . وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول ؛ أو عَضُّواهُ ، ففرقوه بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه ، احتمل قوله «عِضِينَ» ، أن يكون جمع : عِضَّةٌ ، واحتمل أن يكون جمع عَضُّوا ، لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضَّى الْجَزُورُ وَالشَّاةُ ، فتفرق أعضاء . والعَضُّ : التَّبَهُتُ ، ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان في المعنى :

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُمْ أَجْمِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَأُصْدَعُ بِمَا تَوَمَّرُوا وَعَازِرِيضُ

عَنِ الْمَشْرِكِينَ (٩٤)

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فو ربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن

في الدنيا عِصِينَ فِي الآخِرَةِ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ ، وَفِيمَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ ، مِنْ آيِ كِتَابِي الَّذِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْهِمْ ، وَفِيمَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ ، وَمِنْ تَوْحِيدِي وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ ؛ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ وَأَبُو السَّائِبِ ، قَالَا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن بشير ، عن أنس ، في قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : عن شهادة أن لا إله إلا الله ؛ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن بشير بن نهيك ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) قال : عن لا إله إلا الله . حَدَّثَنَا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن بشير ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حَدَّثَنَا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لا إله إلا الله . حَدَّثَنَا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد الله بن عكَّيم ، قال : قال عبد الله : « والذي لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ، ماذا عرَّكَ مني ؟ ابن آدم ، ماذا عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ، ماذا أجبت المرسلين ؟ » حَدَّثَنَا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : يُسْأَلُ الْعِبَادُ كُلَّهُمْ عَنْ خَلْقَتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَعَمَّا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحسين الجعفي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي عن ابن عمر (لَنَسْتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : عن لا إله إلا الله . حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، ثم قال (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ) قال : لا يسألهم : هل علمتم كذا وكذا ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لهم : لِمَ علمتم كذا وكذا ؟

حَدَّثَنَا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله تعالى ذكره (فاصدعْ بِمَا تُوْمَرُ) فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم ، بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه . ويعنى بقوله (فاصدعْ بِمَا تُوْمَرُ) : فأمض وافرق ، كما قال أبو ذؤيب :

وَكَأَنَّهِنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسْرُ يُفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

(١) البيت في شعر أبي ذؤيب من ديوان الهذليين ، القسم الأول (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥) . والربابة بكسر الراء :

يعنى بقوله : يَصْدَعُ : يُفَرِّقُ بالقَدَاحِ .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر منى قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فاصدعُ بما تؤمرُ) يقول : فأمضه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فاصدعُ بما تؤمرُ) يقول : افعل ما تؤمر .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : بالقرآن .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : هو القرآن .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : بالقرآن .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : الجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : بالقرآن فى الصلاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن

مجاهد (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : اجهر بالقرآن فى الصلاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله ابن عبيدة ، قال : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت (فاصدعُ بما تؤمرُ) وأعرضَ

عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ، فخرج هو وأصحابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاصدعُ بما تؤمرُ) قال : بالقرآن الذى يوحي إليه أن يبلغهم إياه ، وقال تعالى ذكره (فاصدعُ بما تؤمرُ) ولم يقل : بما

تؤمر به ، والأمر يقتضى الباء ، لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من الدين خلقى ، وأذننا لك فى إظهاره .

== خرقة تغطى بها القداح . ويقال الربابة هنا : هى القداح . واليسر : الذى يضرب بالقداح ، وهو المغيض ، ويصدع : يفرق ويصيح ، ويغيض على القداح : أى يدفعها ، ويضرب بها ، ونابت « عل » مناب « الباء » ، والضمير فى كأنهن راجع إلى الأذن المذكورة قبل البيت . وفى كأنه راجع إلى حمار الوحش ، الذى يطردھا ، ويسوقھا أمامه .

ومعنى « ما » التي في قوله (بِمَا تُؤْمَرُ) معنى المصدر ، كما قال تعالى ذكره (يَا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) معناه : افعل الأمر الذي تؤمر به . وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول في ذلك : حُدِّثَ الباء التي يوصل بها تؤمر : من قوله (فاصدعْ بِمَا تُؤْمَرُ) ، على لغة الذين يقولون : أمرتك أمرا . وكان يقول : للعرب في ذلك لغتان : إحداهما أمرتك أمرا ، والأخرى أمرتك بأمر ، فكان يقول : إدخال الباء في ذلك وإسقاطها سواء ، واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشي ، ليزيد بن المهلب :

أمرتك أمرا جازما فَعَصَيْتَنِي فَأَصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الإِمَارَةِ نادما

فقال : أمرتك أمرا ، ولم يقل : أمرتك بأمر ، وذلك كما قال تعالى ذكره (أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ، ولم يقل : بربههم ، وكما قالوا : مددت الزمام ، ومددت بالزمام ، وما أشبه ذلك من الكلام .

وأما قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : بلغ قومك ما أرسلت به ، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم ، وذلك قبل أن يُفَرِّضَ عليه جهادهم ، ثم نَسَخَ ذلك بقوله : (فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وهو من المنسوخ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ - وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) وهذا النحو كله في القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يكون ذلك منه ، ثم أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله ، فقال (خذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا كفيناك المستهزين يا محمد ، الذين يستهزون بك ، ويسخرون منك ، فاصدعْ بأمر الله ، ولا تخف شيئا سوى الله ، فإن الله كافيك من ناصبتك وأذاك ، كما كفناك المستهزين ، وكان رؤساء المستهزين قوما من قريش معروفين .

ذكر أسماهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد ، قال : كان عظماء المستهزين ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير : خمسة نغم من قومه ، وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم . من بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، قد دعا عليه ، لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهم أعم بصره ، وأثكله ولده . ومن بني زهرة : الأسود بن

(١) البيت : شاهد على أنه يقال : أمرتك أمرا ، وأمرتك بأمر ، فيجوز أن يتعدى الفعل بنفسه وبالباء .

عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . ومن بني مخزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .
ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن
سهم . ومن خزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملسكان ، فلما تهادوا في الشر ،
وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى ذكره : (فاصدع بما تؤمر ، وأعرض
عن المشركين ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) . . . إلى قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) : قال محمد بن
إسحاق ، فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء : أن جبرئيل أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود
ابن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعسمى . ومر به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ،
فاستسقى بطنه ، فمات منه حبنا . ومر به الوليد بن المغيرة ، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كان
أصابه قبل ذلك بسنتين ، وهو يجر سبيله ، يعني إزاره ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يرش نبلا له ،
فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتقص به ، فقتله ، ومر به العاص
ابن وائل السهمي ، فأشار إلى أخمص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فوقص على شبرقة ، فدخل
في أخمص رجله منها شوكة ، فقتلته .

قال أبو جعفر : الشبرقة : المعروف بالحسك . منه حبنا ١ ، والحبن : الماء الأصفر ؛ ومر به الحارث
ابن الطلائع ، فأشار إلى رأسه ، فامتخط قيحا فقتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد القرشي ، عن رجل ،
عن ابن عباس ، قال : كان رأسهم الوليد بن المغيرة ، وهو الذي جمعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا
كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كان المستهزين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة
والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة ، فأتاه جبرئيل ، فأوما بأصبعه إلى رأس الوليد ، فقال :
ما صنعت شيئا ، قال : كُفيت ؛ وأوما بيده إلى أخمص العاص ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صنعت شيئا ،
شيثا ، فقال : كُفيت ؛ وأوما بيده إلى عين أبي زمعة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صنعت شيئا ،
قال : كُفيت ؛ وأوما بأصبعه إلى رأس الأسود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دَعِ لِي خَالِي ، فقال :
كُفيت ؛ وأوما بإصبعه إلى بطن الحارث ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صنعت شيئا ، فقال كُفيت .
قال : قرأ الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه ، فتعلقت بثوبه برؤة أو شررة ٢ ، وبين يديه نساء ، فجعل
يستحي أن يظأ من ينزعها ، وجعلت تضرب ساقه فخدشته ، فلم يزل مريضا حتى مات ؛ وركب العاص بن
وائل بغلة له بيضاء ، إلى حاجة له بأسفل مكة ، فذهب ينزل ، فوضع أخمص قدمه على شبرقة ، فحكَّتْ رجله ،
فلم يزل يحكها حتى مات ؛ وعى أبو زمعة ؛ وأخذت الأكلبة في رأس الأسود ؛ وأخذ الحارث الماء في بطنه .

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب (الورقة ٦٩ و) ولعله قد سقط من العبارة بعضها . وأصلها :
الشبرقة : واحدة الشبرق ، المعروف بالحسك . ويقال : مات منه حبنا . والحبن ... الخ . وانظر خبر كفاية الله نبيه المستهزين في سيرة
ابن هشام (طبعة الخليلي ٢ : ٥٠ - ٥٢ من الطبعة الأولى) فقد نقله المؤلف هنا ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .
(٢) البروة : لغة في البرة ، وهي الحلقة من صفر ونحوه ، يريد بها ما يتطاير من الحديد عند الطرق بالمطارق . والشررة :
واحدة الشرر ، وفي الأصل : شررة ، ولا معنى له هنا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة رهط من قريش : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة والحارث بن عيطلة ، والأسود بن قيس .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم خمسة كلهم هلك قبل بدر : العاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، وأبو زمعة بن عبد الأسود ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة عن عمرو ، عن عكرمة (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : قلت : للزهري : إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزين ، فقال سعيد : هو الحارث بن عيطلة ، وقال عكرمة : هو الحارث بن قيس ، فقال : صدقا ، كانت أمه تسمى عيطلة ، وأبوه قيس .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن الشعبي ، قال : المستهزين سبعة ، وسمي منهم أربعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كانوا من قريش خمسة نفر : العاص بن وائل السهمي ، كُفِيَ بِصُدَاعٍ أَخَذَهُ فِي رَأْسِهِ ، فَسَالَ دِمَاغَهُ ، حَتَّى كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنْ أَنْفِهِ ؛ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِيُّ ، كُفِيَ بِرَجُلٍ مِنْ خِرَاعَةِ أَصْلَحَ سَهْمَا لَه ، فَفَدَّرَتْ مِنْهُ شَطَطِيَّةٌ ، فَوَطِئَ عَلَيْهَا فَمَاتَ ؛ وَهَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَبْدُ يَغُوثُ بْنُ وَهَبٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلَةَ .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : كلهم من قريش : العاص بن وائل ، فكُفِيَ بِأَنَّهُ أَصَابَهُ صُدَاعٌ فِي رَأْسِهِ ، فَسَالَ دِمَاغَهُ ، حَتَّى لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مِنْ تَحْتِ أَنْفِهِ ؛ وَالْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلَةَ بِصَفَرٍ فِي بَطْنِهِ ؛ وَابْنُ الْأَسْوَدِ فَكُفِيَ بِالْحُدْرَى ؛ وَالْوَلِيدُ بِأَنْ رَجُلًا ذَهَبَ لِيُصْلِحَ سَهْمَا لَه ، فَوَقَعَتْ شَطَطِيَّةٌ ، فَوَطِئَ عَلَيْهَا ؛ وَعَبْدُ يَغُوثُ فَكُفِيَ بِالْعَمَى ، ذَهَبَ بِبَصَرِهِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعن مِقْسَمٍ (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) قال : هم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدى بن قيس ، والأسود ابن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، مرُّوا رجلا رجلا على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل ، فإذا مرَّ به رجل منهم قال جبرئيل : كيف تجد هذا ؟ فيقول : بئس عدو الله ، فيقول جبرئيل : كفاكه ؛

فأما الوليد بن المغيرة ، فتردّى ، فتعلق سهم بردائه ، فذهب يجلس ، فقطع أكحله ، فمزف فمات ؛ وأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِيَ بغصن فيه شوك ، فضرب به وجهه ، فسالت حدقتاه على وجهه ، فكان يقول : دعوت على محمد دعوة ، ودعا على دعوة ، فاستجيب لي ، واستجيب له ؛ دعا على أن أعمى ، فعميت ؛ ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب ، فكان كذلك . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدى بن قيس ، فإن أحدهما قام من الليل وهو ظمآن ، فشرب ماء من جرة ، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات . وأما الآخر فلدغته حية فمات . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة وعثمان ، عن مِقْسَم مولى ابن عباس ، في قوله (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) هم رهط خمسة من قريش ، عَصَهُوا الْقُرْآنَ ، زعم بعضهم أنه سحر ، وزعم بعضهم أنه شعر ، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين : أما أحدهم فالأسود بن عبد يغوث ، أتى على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله على أنه خالي ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه عدى بن قيس أخو بني سهم ، فقال الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه الأسود بن المطلب ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفيناك ؛ ثم أتى عليه العاص بن وائل ، فقال له الملك : كيف تجد هذا ؟ قال : بيئس عبئد الله ، قال : كفيناك . فأما الأسود بن عبد يغوث ، فأُتِيَ بغصن من شوك ، فضرب به وجهه ، حتى سألت حدقتاه على وجهه ، فكان بعد ذلك يقول : دعا على محمد بدعوة ، ودعوت عليه بأخرى ، فاستجاب الله له في ، واستجاب الله لي فيه ، دعا على أن أتكفل وأن أعمى ، فكان كذلك ؛ ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا ، فطرده مع يهود يثرب وسراق الحجيج ، وكان كذلك . وأما الوليد بن المغيرة ، فذهب يرتدى ، فتعلق بردائه سهم غرّب ، فأصاب أكحله أو أبجله ، فأُتِيَ في كل ذلك ، فمات . وأما العاص بن وائل ، فوطئ على شوكة ، فأُتِيَ في ذلك ، جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا ، فمات وهو كذلك . وأما الأسود بن المطلب ، وعدى بن قيس ، فلا أدري ما أصابهما .

ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ، نَهَى أَصْحَابَهُ عَنِ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، وَقَالَ : خَذُوهُ أَخْذًا ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُ بَلَاءٌ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أبا الْبَخْتَرِيِّ ، إِنَّا قَدْ نَهَيْنَا عَنْ قَتْلِكَ ، فَهَلَمْ إِلَى الْأَمْنَةِ وَالْأَمَانِ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : وَابْنُ أَخِي مَعِيَ ، فَقَالُوا : لَمْ نَوْمِرْ إِلَّا بِكَ ، فَرَاوَدُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَأَبَى إِلَّا وَابْنُ أَخِيهِ مَعَهُ ، قَالَ : فَأَغْلَظَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَ قَاتِلُهُ وَكَأَنَّمَا عَلَى ظَهْرِهِ جَبَلٌ أَوْ ثِقْلٌ ، مَخَافَةَ أَنْ يَلُومَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ (١) سهم غرب ، بسكون الواو وفتحها ، لا يدرى من أين أتاه (اللسان) .

فلما أخبر بقوله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أْبَعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ . وهم المستهزئون الذين قال الله : (إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) . وهم الخمسة الذين قيل فيهم : (إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) : استهزءوا بكتاب الله ، ونبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا كَفَيْْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) : هم من قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وزعم ابن أبي بزة أنهم : العاص بن وائل السهمي ، والوليد بن المغيرة الوحيد ، والحارث بن عدي بن سهم بن العيطلة ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو أبو زمعة ، والأسود بن عبد يغوث ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، نحو حديث محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، غير أنه قال : كانوا ثمانية ، ثم عدّهم وقال : كلهم مات قبل بدر .

وقوله (الَّذِينَ يَجْمَعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) : وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمستهزئين ، الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم ، بقوله تعالى ذكره : إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك ، الجاعلين مع الله شريكا في عبادته ، فسوف يعلمون ما يلحقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة ، وما يُحِلُّ بهم من البلاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ، وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك ، من تكذيبهم إياك ، واستهزائهم بك ، وبما جفتم به ، وأن ذلك يُخْرِجُكَ . (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله ، والثناء عليه والصلاة ، يكفك الله من ذلك ما أمرك . وهذا نحو الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) .

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واعبد ربك حتى يأتيك الموت ، الذي هو موقن به .
وقيل : يقين ، وهو موقن به ، كما قيل : خمر عتيق ، وهي معتقة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنى طارق بن عبد الرحمن ، عن
سلم بن عبد الله (وأعبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا
عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني ابن كثير ، أنه سمع مجاهدا
يقول : (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ) قال : يعنى الموت .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)
قال : اليقين : الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن
الحسن ، في قوله (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن طارق ، عن سلم ، مثله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) قال : الموت ، إذا جاءه الموت ، جاءه تصديق ما قال الله له ، وحدثه من أمر الآخرة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب « أن
خارجة بن زيد بن ثابت أخبره ، عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة ، قالت : وطار لنا عثمان بن مظعون ، فأنزلناه في أبياتنا ، فوجيع وجعه
الذي مات فيه ؛ فلما تَوَوَّأَ وغُسِّلَ وكُفِّنَ في أثوابه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :
يا عثمان بن مظعون ، رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك ، لقد أكرمك الله . فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ ؟ » قالت : يا رسول الله فمن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أَمَا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد ، عن أمّ العلاء امرأة من نساءهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن محمد بن شهاب ، أن خارجة بن زيد ، حدثه عن أمّ العلاء امرأة منهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، إلا أنه قال في حديثه : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أُمَّأ هُوَ فَقَدَ عَايِنَ الْيَقِينِ » .

تفسير سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ، سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)

يقول تعالى ذكره : أتى أمر الله ، فقرب منكم أيها الناس ودنا ، فلا تستعجلوا وقوعه . ثم اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو ؟ وأتى شيء هو ؟ فقال بعضهم : هو فرائضه وأحكامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال : الأحكام والحدود والفرائض . وقال آخرون : بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به ، أخبرهم أن الساعة قد قربت ، وأن عذابهم قد حضر أجله ، فدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية ، يعني (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال : رجال من المنافقين بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن أمر الله أتى ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون ، حتى تنظروا ما هو كائن : فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا : ما نراه نزل شيء ، فنزلت : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) فقالوا : إن هذا يزعم مثلها أيضا : فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا : ما نراه نزل شيء ، فنزلت : (وَلَسْنَا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَجْبِسُهُ ، إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي بكر بن حفص ، قال : لما نزلت (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ) رفعا روعوسهم ، فنزلت (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر بن شعيب ، قال : سمعت أبا صادق يقرأ (يا عبادي ، أتي أمرُ الله فلا تستعجلوه) .

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله ، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك ، وذلك أنه عقب ذلك بقوله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) فدلّ بذلك على تقرّبه المشركين ، ووعيده لهم . وبعد ، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم ، فيقال لهم من أجل ذلك : قد جاءكم فرائض الله فلا تستعجلوها . وأما مستعجلو العذاب من المشركين ، فقد كانوا كثيرا .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله ، وعلوا له عن الشرك الذي كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه ، يتدين به .

واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) فقرأ ذلك أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين : (عَمَّا يُشْرِكُونَ) بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله ، وتوجيه للخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قرءوا الثانية بالياء . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقوله تعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) إلى المشركين . والقراءة بالتاء في الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين : أولى بالصواب ، لما بيّنت من التأويل ، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين ، ابتداء أول الآية بتهديدهم ، وختم آخرها بنكير فعلهم ، واستعظام كفرهم ، على وجه الخطاب لهم .

القول في تأويل قوله تعالى

يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)

اختلفت القراء في قراءة قوله (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالياء ، وتشديد الزاي ، ونصب الملائكة ، بمعنى : ينزل الله الملائكة بالروح . وقرأ ذلك بعض البصريين وبعض المكيين (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بالياء ، وتخفيف الزاي ، ونصب الملائكة . وحكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه (تَسَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) بالتاء ، وتشديد الزاي ، والملائكة بالرفع ، على اختلاف عنه في ذلك . وقد روى عنه موافقة سائر قراء بلده .

وأولى القراءات بالصواب في ذلك عندي : قراءة من قرأ (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) بمعنى : ينزل الله ملائكة . وإنما اخترت ذلك ، لأن الله هو المنزل ملائكته بوجهه إلى رسله ، بإضافة فعل ذلك إليه ، أولى وأحق . واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف ، لأنه تعالى ذكره كان ينزل من الوحي على من نزله ، شيئا بعد شيء ، والتشديد به ، إذ كان ذلك معناه ، أولى من التخفيف .

فتأويل الكلام: ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ، ويضمحل به الباطل . من أمره على من يشاء من عباده ، يعنى على من يشاء من رسله ، أن أنذروا ، فإن الأولى في موضع خفض ، رداً على الروح ، والثانية في موضع نصب بأنذروا . ومعنى الكلام : ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، بأن أنذروا عبادى سطوتى على كفرهم بى ، وإشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والأوثان ، فإنه لا إله إلا أنا ، يقول : لا تنبغى الألوهة إلا لى ، ولا يصلح أن يعبد شىء سواى ، فاتقون : يقول : فاحذرونى بأداء فرائضى ، وإفراد العبادة ، وإخلاص الربوبية لى ، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المنثى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (يُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ) يقول : بالوحى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله (يُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ينزل الملائكة
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثنى المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) إنه لا ينزل ملك إلا ومعه روح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ، قوله (يُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) قال : لا ينزل ملك إلا معه روح ، ينزل الملائكة بالروح من أمره (على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : بالنبوة ، قال ابن جريج : وسمعت أن الروح : خلق من الملائكة ، نزل به الروح (وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) .

حدثنى المنثى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبىه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله : (يُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ، عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) قال : كلُّ كَلِمَةٍ تكلم به ربنا فهو روح منه (وكذلك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا) . . . إلى قوله (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) يقول : ينزل بالرحمة والوحى من أمره (على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيصطفى منهم رسلاً . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُسَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : بالوحى والرحمة .

(١) أى بنحو ما قبله ، من حديث المنثى عن ابن عباس ، كما جرت به عادة المؤلف فى مواضع كثيرة .

وأما قوله (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) فقد بيّنا معناه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) إنما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده ، ويقطع أمره ، ويحجّب سخطه :

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره معرّفاً خلقه حجته عليهم فى توحيدِهِ ، وأنه لا تصلح الألوهة إلا له : خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل ، وهو الحق ، منفرداً بخلقها ، لم يشركه فى إنشائها وإحداثها شريك ، ولم يعنه عليه معين ، فأنى يكون له شريك (تعالى عما يشركون) . يقول جل ثناؤه : علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم إلهاً دونه ، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير ، لأنه لا يكون إلهاً إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والأرض ، ويبتدع الأجسام ، فيحدثها من غير شيء ، وليس ذلك فى قدرة أحد سوى الله الواحد القهار ، الذى لا تنبغى العبادة إلا له ، ولا تصلح الألوهة لشيء سواه .

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيضاً أيها الناس ، أنه خلق الإنسان من نطفة ، فأحدث من ماء مهين خلقاً عجيباً ، قلبه تارات خلتها بعد خلق ، فى طلمات ثلاث ، ثم أخرجها إلى ضياء الدنيا ، بعد ما تم خلقه ، ونفخ فيه الروح ، فغذاه ورزقه القوت ، ونماه ، حتى إذا استوى على سوقه ، كفر بنعمة ربه ، وجحد مدبره ، وعبد من لا يضر ولا ينفع ، وخاصم إلهه ، فقال : (من يحيى العظام وهى رميم) ؟ ونسى الذى خلقه ، فسواه خلقاً سويّاً من ماء مهين ، ويعنى بالمبين : أنه يبين عن خصومته بمنطقه ، ويجادل بلسانه ، فذلك إبانته ، وعنى بالإنسان : جميع الناس ، أخرج بلفظ الواحد ، وهو فى معنى الجميع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالآنَ نُمِتْكُمْ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفِعٌ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه عليكم أيضاً أيها الناس ، ما خلق لكم من الأنعام ، فسخرها لكم ، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ملابس تدفنون بها ، ومنافع من ألبانها ، وظهورها تركبونها (ومنها تأكلون) يقول : ومن الأنعام ما تأكلون لحمه ، كالإبل والبقرة والغنم ، وسائر ما يؤكل لحمه ، وحذفت « ما » من الكلام ، لدلالة من عليها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وعلي بن داود ، قال : المثنى أخبرنا ، وقال ابن داود : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) يقول : الثياب . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يعني بالدِفْءِ : الثياب ، والمنافع : ما ينتفعون به من الأطعمة والأشربة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى . قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) قال : لباس ينسج ، ومنها مَرَّ كَسْبٌ ولحم . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) لباس ينسج ، ومنافع : مَرَّ كَسْبٌ ولحم ولبن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قوله (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) قال : نَسْلٌ كل دابة . حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل بإسناده ، عن ابن عباس ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) يقول : لكم فيها لباس ومنفعة وبسطة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : قال ابن عباس (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) قال : هو منافع وما كل . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) قال : دِفْءٌ اللُّحْفُ التي جعلها الله منها . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ، فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) قال : نِتَاجُهَا ، وركوبها ، وألبانها ، ولحومها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم (جمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) : يعني

(١) اللحف : جمع لحاف ، وهو كل ما يلتحف به الإنسان للدِفْءِ ، من عباءة ، وكساء ، ونحوها .

تردّوها بالعشي من مسارحها إلى مسارحها ومنازلها التي تأوى إليها، ولذلك سمي المكان: المَسْرَاح ، لأنها تُسْرَاح إليه عشيا ، فتأوى إليه ، يقال منه : أراح فلان ماشيته ، فهو يريحها لإراحة . وقوله (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) يقول: وفي وقت إخراجكموها غُدْوَة من مسارحها إلى مسارحها ، يقال منه: سَرَحَ فلان ماشيته يُسَرِّحُها تسريحا ، إذا أخرجها للرعى غدوة ، وسَرَحَتِ الماشية: إذا خرجت للمرعى ، تسَرَحَ سَرَّاحًا وسَرُوحًا ، فالسرح بالغداة ، والإراحة بالعشي ، ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ بَقَايَا الْأُتُنِّ فَوْقَ مَسْتَوِيهِ مَدَبُّ الدَّبِّ فِي فَوْقِ النَّقَا وَهُوَ سَارِحٌ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَسْرَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاما ضروعها ، طوالا أسنمتها ، وحين تسرحون : إذا سرحت لرعيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَسْرَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) قال : إذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة ، وأحسن ما تكون ضروعا . وقوله (وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) يقول : وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر ، لم تكونوا بالغيه إلا بجهد من أنفسكم شديد ، ومشقة عظيمة .

كما حدثنا أحمد بن إسحاق قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن عكرمة ، و تحمّل أثقالكم إلى بلد لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : لو تكلفتموه لم تبلغوه إلا بجهد شديد . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : لو كلفتموه لم تبلغوه إلا بشقّ الأنفس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : البلد : مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن وزراء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) قال : مشقة عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) يقول : بجهد الأنفس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

(١) لعل الشاعر يصف حمارا وحشيا . يقول : إن الأذن قد عضفت ، فتركن فوق متوانه آثارا ، كانت كأنها طريق للذي ، وهو صغار الجراد ، فوق النقا ، وهو الكتيب الأبيض من الرمل . ولم أعر على البيت ولا قائله .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار بكسر الشين (إلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) سوى أبي جعفر القاري ، فإن المشي حدثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا أبو سعيد الرازي ، عن أبي جعفر قارئ المدينة ، أنه كان يقرأ (لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ) بفتح الشين ، وكان يقول : إنما الشق : شق النفس . وقال ابن أبي حماد : وكان معاذ الهراء يقول : هي لغة ، تقول العرب : بِشِقِّ وَبِشِقِّ ، وَبِشِقِّ وَبِشِقِّ .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قراء الأمصار ، وهي كسر الشين ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه ، وقد ينشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها ، وذلك قول الشاعر :

وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ مِّنْ شَقِّهَا وَدُءُوبِ

ومن شقها أيضا بالكسر والفتح ، وكذلك قول العجاج :

أَصْبَحَ مَسْحُورٌ يُوَازِي شَقًّا

وشقًا بالفتح والكسر ، ويعنى بقوله « يوازي شقًا » : يقاسى مشقة . وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى المصدر من شَقَّقْتُ عليه أَشَقُّ شَقًّا ، وبالكسر إلى الاسم . وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر ، أرادوا إلا بنقص من القوة ، وذهب شيء منها ، حتى لا يبلغه إلا بعد نقصها ، فيكون معناه عند ذلك : لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ قوَى أنفسكم ، وذهب شقها الآخر . ويحكى عن العرب : خذ هذا الشقِّ : لشققة الشاة بالكسر . فأما في شَقَّتْ عليك شَقًّا فلم يُحْكَمْ فيه إلا النصب .

وقوله (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربكم أئيبها الناس ذو رافة بكم ورحمة ، ومن رحمته بكم خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم . وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ، ومعرفة إلهكم ، لتشكروه على نعمه عليكم ، فيزيدكم من فضله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكُبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا ، لتركبوها وزينة : يقول ، وجعلها لكم زينة ، تزينون بها ، مع المنافع التي فيها لكم ، للركوب وغير ذلك ؛ ونصب الخيل والبغال ، عطفا على الهاء والألف في قوله (خَلَقَهَا) ، ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بيئت ، ولو لم يكن معها واو ، وكان الكلام لتركبوها زينة ، كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها ، الذي هي به متصلة ، ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل ، وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها .

(١) البيت للتبرين تولب العكل (اللسان : شقق) وقال أبو عبيدة في معاني القرآن (١ : ٣٥٦) « إلا بشق الأنفس » بكسر أوله ، ويفتح ، ومعناه : بمشقة الأنفس . وفي اللسان : الشق : المشقة . قال ابن بري : شاهد الكسر قول الفرير بن تولب : وذى إبل ... البيت .
(٢) البيت في ديوان العجاج (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٤٤٠) وهو شاهد على أن الشق بالكسر : بمعنى المشقة . ومسحور : يعنى بعيره ، ويوازي : يقاسى .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَسْتُمْ كَسْبُوهَا وَزِينَةً) قال : جعلها لتركبوها ، وجعلها زينة لكم . وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو ضمرة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَسْتُمْ كَسْبُوهَا) قال : هذه للركوب ، (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) قال : هذه للأكل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام الدستوائي ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن مولى نافع بن علقمة ، أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) ، فهذه للأكل ، (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَسْتُمْ كَسْبُوهَا) ، فهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن لحوم الخيل ، فكرهها ، وتلا هذه الآية (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَسْتُمْ كَسْبُوهَا) . . . الآية .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل ، فقال : اقرأ التي قبلها (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَسْتُمْ كَسْبُوهَا وَزِينَةٌ) فجعل هذه للأكل ، وهذه للركوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) فجعل منه الأكل ، ثم قرأ حتى بلغ (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَسْتُمْ كَسْبُوهَا) قال : لم يجعل لكم فيها أكلا ، قال : وكان الحكم يقول : والخيل والبغال والحمير : حرام في كتاب الله .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن أبي غنينة ، عن الحكم ، قال : لحوم الخيل حرام في كتاب الله ، ثم قرأ (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ) . . . إلى قوله (لَسْتُمْ كَسْبُوهَا) . وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شيء ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرّف عباده بهذه الآية ، وسائر ما في أوائل هذه السورة ، نعمته عليهم ، ونهيتهم به على حُججهم عليهم ، وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك .

ذكر بعض من كان لا يرى بأساً بأكل لحم الفرس

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، أنه أكل لحم الفرس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود بنحوه .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : نخر أصحابنا فرساً في النجج ، وأكلوا منه ، ولم يروا به بأساً .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما قاله أهل القول الثاني ، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره (لَيْسَ كِتَابُهَا) دلالة على أنها لا تصلح (إذ كانت للركوب) للأكل ، لكان في قوله (فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) دلالة على أنها لا تصلح (إذ كانت للأكل والدفء) للركوب ، وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) جائز حلال غير حرام ، إلا بما نُصِّ على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة : من كتاب ، أو وحي إلى رسوله صلى الله عليه وسلم . فأما بهذه الآية ، فلا يحرم أكل شيء . وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الأهلية ، بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا ، كتاب الأطعمة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ، ليدل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن جابر ، قال : كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فالبغال ؟ قال : أما البغال فلا .
وقوله (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ، ما لا تعلمون ، مما أُعِدَّ في الجنة لأهلها ، وفي النار لأهلها ، مما لم تره عين ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ ، وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره : وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهدىكم أجمعين . فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عنها . والسبيل : هي الطريق . والقصد من الطريق : المستقيم الذي لا اعوجاج فيه . كما قال الراجز :
فَقَصِدْ عَنْ تَهْجِ الطَّرِيقِ الْقَاصِدِ

(١) البيت شاهد على أن الطريق القاصد : معناه المستقيم . قال في اللسان : القصد : استقامة الطريق ، قصد يقصد قصداً ، فهو قاصد ، وقوله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » : أي على الله تبين الطريق المستقيم ، والدعاء بالحجج والبراهين الواضحة . « ومنها جائر » : أي ومنها طريق غير قاصد . وطريق قاصد : سهل مستقيم .

وقوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعنى تعالى ذكره : ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج ، فالقاصد من السبيل : الإسلام ، والجائر منها : اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من ملل الكفر ، كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها ، سوى الخنيفية المسلمة . وقيل : ومنها جائر ، لأن السبيل يؤنث ويذكر ، فأنثت في هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : وإنما قيل : ومنها ، لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد ، فمعناها الجمع . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : البيان .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) يقول : على الله البيان : أن بين الهدى والضلالة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : طريق الحق على الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) : يقول : على الله البيان ، بيان حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) : قال : السبيل : طريق الهدى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاک (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) قال : إنارتها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) : يقول : على الله البيان ، بين الهدى من الضلالة ، وبين السبيل التي تفرقت عن سبله ، ومنها جائر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهَا جَائِرٌ) : أى من السبيل ، سبيل الشيطان . وفي قراءة عبد الله بن مسعود (وَمِنْكُمْ جَائِرٌ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهَا جَائِرٌ) قال : في حرف ابن مسعود : (وَمِنْكُمْ جَائِرٌ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يعني : السبل المتفرقة .
 حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) يقول : الأهواء المختلفة .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) : يعني : السبل التي تفرقت عن سبيله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَمِنْهَا جَائِرٌ) السبل المتفرقة عن سبيله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهَا جَائِرٌ) قال : من السبل جائر عن الحق ، قال : قال الله (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) .
 وقوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : ولو شاء الله لطف بجميعكم أيها الناس ، بتوفيقه ، فكنتم تهتدون ، وتلزمون قصد السبيل ، ولا تجرون عنه ، فتتفرقون في سبل عن الحق جائرة .
 كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل ، الذي هو الحق ، وقرأ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا) ... الآية ، وقرأ (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) ... الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ، وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : والذي أنعم عليكم هذه النعم ، وخلق لكم الأنعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم ، هو الرب الذي أنزل من السماء ماء ، يعني : مطرا ، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ، ومنه شراب أشجاركم ، وحياة غروصكم ونباتها . (فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تُسِيمُونَ ، يعني تُرْعُونَ ، يقال منه : أسام فلان إبله يُسِيمها إسامة ، إذا أراعها ، وسومها أيضا يُسُومها ، وسامت هي : إذا رعت ، فهي تسوم ، وهي إبل سائمة . ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في القلاة وغيرها للرعى : سائمة . وقد وجه بعضهم معنى السوم في البيع ، إلى أنه من هذا ، وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين ، فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه ، كما تذهب سوائم المواشي ، حيث شاءت من مراعيها ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَشَى الْقَوْمُ بِالْعِمَادِ إِلَى الْمَرْءِ عَمَى وَأَعْيَا الْمُسِيمَ أَيْنَ الْمَسَاقِ

(١) البيت لأعشى بن ثعلبة: ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢١٣) من قصيدة له قالها بنجران، يتشوق إلى قومه مفتخرا بهم . والرواية فيه : « إلى الرزحى » بدل « إلى المرعى » : يقول : هزل الإبل الجوع ، فسقطت على الأرض =

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) ، قال : تُرْعُونَ .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قرّة بن عيسى ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، في قوله (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ترعون .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، مثله . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : شجر يُرْعُونَ فيه أنعامهم وشاءهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك : فيه تُرْعُونَ . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، في قوله (تُسِيمُونَ) يقول : تُرْعُونَ أنعامكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن أبي طلحة القنّاد ، قال : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى ، قال : فيه تُرْعُونَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) يقول : تُرْعُونَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تُرْعُونَ . حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعُونَ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) قال : تُرْعُونَ ؛ قال : الإسامة : الرعية ؛ وقال الشاعر :

= من الإعياء ، ومشي الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ، ليعينوها على الوقوف ، وأعياء الراعي أن يجد المراعى ، لاستحكام الجذب . والرزحى : الإبل تهزل ، فلا تستطيع المشي ، فتسقط ، وهي جمع رازح ، يضعون العماد تحت بطونها ، ثم يرفعونها . والميم : اسم فاعل من أسام المشاة : أرهاها في المرعى . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : ١ : ٣٥٧) يقال : أسامت إبل ، وأسامت هي : أي رعيتها .

مثل ابن بزعة أو كآخر مثله أولى لك ابن مسيمة الأجمال^١

قال : يا ابن راعية الأجمال .

القول في تأويل قوله تعالى

يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : يُنَبِّئُ لَكُمْ رَبِّكُمْ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ زُرْعَكُمْ وَزَيْتُونَكُمْ وَنَخِيلَكُمْ وَأَعْنَابَكُمْ ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ : يعنى من كل الفواكه غير ذلك ، أرزاقا لكم وأقواتا وإداما وفاكهة ، نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا ، وحجة على من كفر به منكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول جل ثناؤه : إن في إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ، ما وصف لكم ، لآية : يقول للدلالة واضحة ، وعلامة بيّنة (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) . يقول : لقوم يعتبرون مواظظ الله ، ويتفكرون في حججه ، فيتذكرون ويستنبون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وَمِنْ نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، مَعَ الَّتِي ذَكَرَهَا قَبْلَ : أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم ، هذا لتصرفكم في معاشكم ، وهذا لسكنكم فيه ، والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمتمكم وشهوركم وسنينكم ، وصلاح معاشكم (وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ) لَكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ ، تَجْرِي فِي فَلَكِهَا ، تَهْتَدُوا بِهَا فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) : يقول تعالى ذكره : إن في تسخير الله ذلك على ما سخره ، للدلالات واضحة ، لقوم يعقلون حجج الله ، ويفهمون عنه تنبيه إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَرُّونَ
مِنَ الدَّوَابِّ وَالتَّمَارِ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ) يقول : وما خلق لكم مختلفا ألوانه من الدواب والثمار ، ومن الشجر والثمار ، نعم من الله متظاهرة ، فاشكروها لله .

(١) البيت تقدم الاستشهاد به في الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٠٤) فارجع إلى شرحنا له في ذلك الموضع . وهو هنا شاهد على أن معنى « تسمون » : ترعون ، أى تخرجونها إلى المريع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : من الدواب والأشجار والثمار ، ونصب قوله مختلفا ، لأن قوله (وَمَا) في موضع نصب بالمعنى الذى وصفت . وإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون مختلفا ألوانه ، حالا من « ما » ، والخبر دونه تام ، ولو لم تكن « ما » في موضع نصب . وكان الكلام مبتدأ من قوله (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ) لم يكن في مختلف إلا الرفع ، لأنه كان يصير مرفع « ما » حينئذ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلُّوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : والذى فعل هذه الأفعال بكم ، وأنعم عليكم . أيها الناس هذه النعم : الذى سخّر لكم البحر ، وهو كل نهر ، ملحا كان ماؤه أو عذبا (لِنَا كُلُّوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك الذى يُصطاد منه ، (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) ، وهو اللؤلؤ والمرجان .

كما حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَا كُلُّوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) قال : منهما جميعا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، قال : هذا اللؤلؤ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِنَا كُلُّوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) يعنى : حيثان البحر .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الملك ، قال : جاء رجل إلى أبي جعفر ، فقال : هل في حياى النساء صدقة ؟ قال : لا ، هي كما قال الله تعالى (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ، وَتَرَى الْفُلْكَ) يعنى : السفن (مَوَاجِرَ فِيهِ) وهى جمع ماخرة . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (مَوَاجِرَ) فقال بعضهم : المواجر : المواقير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، في قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ) قال : المواقير .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثنا به عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن أبي بكر الأصم ، عن عكرمة ، في قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ) قال : ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء ، فهو المواجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكين ، عن عكرمة ، في قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ) قال : هي السفينة تقول بالماء هكذا ، يعنى : تشقه .

وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) قال : تجرى فيه متعرجة .

وقال آخرون فيه ، بما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) قال : تمخّر السفينة الرياح ، ولا تمخّر الرياح من السفن ، إلا الفلك العظام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه ، غير أن الحارث قال في حديثه : ولا تمخّر الرياح من السفن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَوَآخِرَ) قال : تمخّر الرياح . وقال آخرون فيه : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة (وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) تجرى بريح واحدة ، مقبلة ومندبرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تجرى مقبلة ومندبرة ، بريح واحدة .

حدثنا المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن إبراهيم ، قال : سمعت الحسن (وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَآخِرَ فِيهِ) قال : مقبلة ومندبرة بريح واحد . والمخّر في كلام العرب : صوت هبوب الرياح ، إذا اشتد هبوبها ، وهو في هذا الموضع : صوت جرّ السفينة بالرياح إذا عصفت ، وشقها الماء حينئذ بصدرها ، يقال : منه : تمخّرت السفينة تمخّرا ومخورا ، وهي ماخرة ، ويقال : امتخّرت الرياح وتمخّرت بها : إذا نظرت من أين هبوبها ، وتسمعت صوت هبوبها . ومنه قول واصل مولى ابن عيينة : كان يقال : إذا أراد أحدكم البول فليتمخّر الرياح ، يريد بذلك : لينظر من أين مجراها وهبوبها ، ليستدبرها ، فلا ترجع عليه البول ، وتردّه عليه .

وقوله (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره : ولتصرفوا في طلب معاشكم بالتجارة ، تمخّر لكم : كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) قال : تجارة البر والبحر .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك ، سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء ، التي عدّها في هذه الآيات .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ، وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ومن نِعِمَّه عليكم أيها الناس أيضا ، أن ألقى في الأرض رواسي ، وهي جمع راسية ، وهي الثوابت في الأرض من الجبال . وقوله (أن تَمِيدَ بِكُمْ) يعني : أن لا تميد بكم ، وذلك كقوله (يُبَسِّئُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا) ، والمعنى : أن لا تضلوا ، وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال ، لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها ، وقد كانت مائدة قبل أن تُرْسِيَ بها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمر ، قالت الملائكة : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحت صباحا وفيها رواسيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما خلق الله الأرض قَمَصَتْ ، وقالت : أى رب أتجعل على بني آدم ، يعملون على الخطايا ، ويعملون على الخبث ؟ قال : فأرسى الله عليها من الجبال ماترون ومالاترون ، فكان قرارها كاللحم يترجرج . والميد : هو الاضطراب والتكفر ، يقال : ما دأت السفينة تَمِيدُ مَيْدًا : إذا تكفّأت بأهلها ، ومالت ، ومنه المَيْد الذي يعترى راكب البحر : وهو الدُّور .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أن تَمِيدَ بِكُمْ) : أن تُكْفَأَ بكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (وألقى في الأرض رواسي أن تَمِيدَ بِكُمْ) قال : الجبال أن تميد بكم . قال قتادة : سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كادت تميد ، فقالوا : ما هذه بمقرّة على ظهرها أحدا ، فأصبحوا وقد خلقت الجبال ، فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال ؟

وقوله (وأنهاراً) يقول : وجعل فيها أنهارا ، فعطف بالأنهار على الرواسي ، وأعمل فيها ما أعمل في الرواسي ، إذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه ، وذلك نظير قول الراجز :

تَسْمَعُ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَوْرًا وَفِي الْيَدَيْنِ حَشَّةٌ وَبُورًا

(١) هذا من الرجز ، ولم أقف على قائله . والصور : الصوت (اللسان) ، أوله محرف عن الصور بالضاد ، والمراد به : الصوت يشبه الأنين في الجوف من شدة الجوع ، قال في اللسان : الصور : شدة الجوع . والتصور ، التلوي والصياح ، من وجع الضرب أو الجوع . وتصور الذئب والكلب والأسد والتعلب : صاح عند الجوع . والحشة ، بتشديد الشين : اليبس . يقال حشت اليد وأحشت وهي محش : يمت . وأكثر ذلك في الشلل . والبور بالفتح : مصدر بار ، بمعنى هلك وفسد . والبور أيضا : الهالك الفاسد ، ولعله يريد وصف ناقته بأنه أضر بها الجوع فصاحت ، وأن في يديها يبسا أي شللا وفسادا . وقد بين الإمام الطبري موضع الشاهد في التفسير .

وَالْحَشَّةُ: الْيُبْسُ، فَعَطَفَ بِالْحَشَّةِ عَلَى الصَّوْتِ، وَالْحَشَّةُ لَا تَسْمَعُ، إِذْ كَانَ مَفْهُومًا الْمُرَادَ مِنْهُ، وَأَنْ مَعْنَاهُ: وَتَرَى فِي الْيَدَيْنِ حَشَّةً.

وقوله (وَسُبُلًا) وهي جمع سبيل، كما الطرق: جمع طريق. ومعنى الكلام: وجعل لكم أيها الناس في الأرض سبلا وفجاءا تسلكونها، وتسيرون فيها في حوائجكم، وطلب معاشكم رحمة بكم، ونعمة منه بذلك عليكم، ولو عمّاها عليكم، هلكتم ضلالا وحيرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (سُبُلًا): أي طرقا: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (سُبُلًا) قال: طرقا. وقوله (لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ) يقول: لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الأرض، إلى الأماكن التي تقصدون، والمواضع التي تريدون، فلا تضلوا وتحيروا.

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)

❦ اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات، فقال بعضهم: عني بها معالم الطرق بالنهار.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَعَلَّمْتِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل. وقال آخرون: عني بها النجوم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم (وَعَلَّمْتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال: منها ما يكون علامات، ومنها ما يهتدون به. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (وَعَلَّمْتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدى به. حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله. حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا قبيصة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله. قال المثنى، قال: ثنا إسحاق: خالف قبيصة وكيعا في الإسناد. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَعَلَّمْتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) والعلامات: النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها

زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك ، فقد رآه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلفت ما لا علم له به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَعَلَامَاتٍ) قال النجوم وقال آخرون : 'عني بها الجبال :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي : وعلامات ، قال : الجبال .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه ، إنعامه عليهم ، بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم ، التي يسيرونها ، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض ، فكل علامة استدلت بها الناس على طرقهم ، وفجاج سبلهم ، فداخل في قوله (وَعَلَامَاتٍ) والطرق المسبولة : الموطوءة ، علامة للناحية المقصودة ، والجبال علامات يهتدى بهن إلى قصد السبيل ، وكذلك النجوم بالليل ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية : أن تكون العلامات من أدلة النهار إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله (وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) ؛ وإذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية ، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي روينا عن عطية عنه ، وهو أن العلامات معالم الطرق ، وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهاراً ، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الجَدْيُ والفَرَقْدَانُ ، لأن بها اهتداء السفر ، دون غيرها من النجوم .
 فتأويل الكلام إذن : وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم ، ونجوماً يهتدون بها ليلاً في سبلكم :

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنْ
 اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام : أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة ، التي عددناها عليكم ، وينعم عليكم هذه النعم العظيمة ، كمن لا يخلق شيئاً ، ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة : يقول : أتشركون هذا في عبادة هذا ؟ يعرفهم بذلك عظم جهلهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّها عليهم ، التي لا يحصيها أحد غيره ، قال لهم جل ثناؤه موبخهم . (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أيها الناس : يقول : أفلا تذكرون نعم الله عليكم ، وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء ، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها ، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعاً ، ولا تدفع عنها ضرراً ، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون ، من عبادة تكومها ، وإقراركم لها بالألوهة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ كُنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) والله هو الخالق الرازق ، وهذه الأوثان التي تُعْبَدُ من دون الله مُخْلَقٌ ، ولا تُخْلَقُ شيئاً ، ولا تملك لأهلها ضرراً ولا نفعاً ، قال الله : (أفلا تذكرون) . وقيل (كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) : هو الوثن والصنم ، و « مَنْ » : لذوي التمييز خاصة ، فجعل في هذا الموضع لغيرهم للتمييز ، إذ وقع تفصيلاً بين من يخلق ومن لا يخلق . وَتَحْكِي عن العرب : اشتبه على الراكب وجمله ، فما أدري من ذا ، ومن ذا ، حيث جمعا ، وأحدهما إنسان ، حسنت مَنْ فيهما جميعاً . ومنه قول الله عز وجل (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) . وقوله (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) لاتطبقوا أداء شكرها ، (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول جل ثناؤه : إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك ، إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته ، واتباع مَرْضَاتِهِ ، رحيم بكم أن يعذب بكم عليه ، بعد الإنابة إليه والتوبة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً، وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)

❦ يقول تعالى ذكره : والله الذي هو إلهكم أيها الناس ، يعلم ما تُسِرُّونَ في أنفسكم من ضمائركم ، فتخفونه عن غيركم ، فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم ، وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم ، وهو محص ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به يوم القيامة ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء منكم بإساءته ، ومُسَائِلِكُمْ عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم فيها ، التي أحصيت ، والتي لم تحصوا . وقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يقول تعالى ذكره : وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة ، لا تُخْلَقُ شيئاً وهي مُخْلَقٌ ، فكيف يكون إلهاماً كان مصنوعاً مُدَبَّرًا ، لاتملك لأنفسها نفعاً ولا ضرراً .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١)

❦ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : والذين تدعون من دون الله أيها الناس (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ) ؛ وجعلها جل ثناؤه أمواتاً غير أحياء ، إذ كانت لا أرواح فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) وهي هذه الأوثان التي تُعْبَدُ من دون الله أموات لا أرواح فيها ، ولا تملك

لأهلها ضرراً ولا نفعاً ، وفي رفع الأموات وجهان : أحدهما أن يكون خبراً للذين ، والآخر على الاستئناف وقوله (وَمَا يَشْعُرُونَ) يقول : وما تدرى أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث ؟ وقيل : إنما عني بذلك الكفار ، أنهم لا يدرون متى يبعثون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ، وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة ، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء : معبود واحد ، لأنه لا تصلح العبادة إلا له ، فأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة ، ولا يجعلوا معه شريكاً سواه (فالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ) يقول تعالى ذكره : فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ، ولا يُقرّون بالمعاد إليه بعد الممات ، قلوبهم منكراً ، يقول تعالى ذكره : مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته ، وجميل نعمه عليهم ، وأن العبادة لا تصلح إلا له ، والألوهة ليست لشيء غيره ؛ يقول : وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة ، والإقرار له بالوحدانية ، اتباعاً منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ) لهذا الحديث الذي مضى ، وهم مستكبرون عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

يعني تعالى ذكره بقوله : لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسرّ هؤلاء المشركون ، من إنكارهم ما ذكرنا من الأنبياء في هذه السورة ، واعتقادهم نكير قولنا لهم : إلهكم إله واحد ، واستكبارهم على الله ، وما يعلنون من كفرهم بالله وفيريتهم عليه (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) يقول : إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ، ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا مسعر ، عن رجل ، أن الحسن بن عليّ كان يجلس إلى المساكين ، ثم يقول (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل ل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين : ماذا أنزل ربكم ؟ أي شيء أنزل ربكم ؟ قالوا : الذي أنزل ما سطره الأولون من قبيلتنا من الأباطيل .

وكان ذلك كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) بقول : أحاديث الأولين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا مرّ بهم أحد من المؤمنين ، يريد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا لهم : أساطير الأولين ، يريد : أحاديث الأولين وباطلهم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أساطير الأولين) بقول : أحاديث الأولين .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا

سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون لمن سألمهم : ماذا أنزل ربكم : الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه : أساطير الأولين ، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون ، من تكذيبهم الله ، وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله ، يضلون : يفتنون منهم بغير علم . وقوله (ألا ساء ما يزرّون) بقول : ألا ساء الإثم الذي يأثمون ، والثقل الذي يتحملون .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم ، وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ومن أوزار الذين يضلونهم : حملهم ذنوب أنفسهم ، وسائر الحديث مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) قال : حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) : أي ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم ، (ألا ساء ما يزرّون) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : يحملون ذنوبهم ، وذلك مثل قوله (وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول : يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يُضِلُّونهم بغير علم .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ) . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَيْمًا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ؛ وَأَيْمًا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتَّبِعَ ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ » .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رجل ، قال : قال زيد بن أسلم : «لأنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجهها ، وأنتنه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفرعه شيء زاده فرعا ، وكلما تخوف شيئاً زاده خوفاً ، فيقول : بئس الصاحب أنت ، ومن أنت ؟ فيقول : وما تعرفني ؟ فيقول لا ، فيقول : أنا عمك كان قبيحا ، فلذلك تراني قبيحا ، وكان منتنا ، فلذلك تراني منتنا ، طأطي إلى أركبك ، فطالما ركبتني في الدنيا ، فيركبه ، وهو قوله (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَدَمَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَنَحَرَ عَلَيْهِمْ السَّقْفَ مِنْ فَوْقِهِمْ ،
وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦)

✽ يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين ، الذين يصدون عن سبيل الله ، من أراد اتباع دين الله ، فراموا مغالبة الله ببناء بنسوه ، يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها . وكان الذي رام ذلك فيما ذكر لنا جبارا من جبابرة النبط ، فقال بعضهم : هو نمرود بن كنعان . وقال بعضهم : هو بختنصر ، وقد ذكرت بعض أخبارهما في سورة إبراهيم . وقيل : إن الذي ذكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج ، يعني : من مدينته ، قال : فلقى لوطا على باب المدينة ، وهو ابن أخيه ، فدعاه ، فأمن به ، وقال : إني مهاجر إلى ربي ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفراخ من فِراخ

النسور ، فرباهن باللحم والخبز ، حتى كبرن وغلظن واستعجلن ، فربطهن في تابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، ثم رفع لمن رجلا من لحم ، فطرن . حتى إذا ذهبن في السماء ، أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفع لمن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر ، كأنها فلكة في ماء . ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة ، فلم ير ما فوقه وما تحته ، ففرع ، فألقى اللحم ، فاتبعته منقضات ، فلما نظرت الجبال إليهن ، وقد أقبلن منقضات ، وسمعت حفيفهن . فزعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قول الله تعالى (وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِيَسْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ، وهي في قراءة ابن مسعود (وَإِنْ كَادَ مَكَرُهُمْ) فكان طيئورين به من بيت المقدس ووقعهن به في جبل الدخان ؛ فلما رأى أنه لا يطبق شيئا ، أخذ في بنيان الصرح ، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر . يزعم إلى إله إبراهيم ، فأحدث ، ولم يكن يحدث ، وأخذ الله بُنْيَانَهُ مِنْ الْقَوَاعِدِ ، (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : من مأمهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقض بهم ، فسقط . فتبليت ألسن الناس يومئذ من الفرع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فلذلك سميت بابل . وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) قال : هو نمود حين بنى الصرح .

حدثني المثنى . قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق . عن معمر . عن زيد بن أسلم : إن أول جبار كان في الأرض نمود ، فبعث الله عليه بَعُوضَةً ، فدخلت في منخره ، فكث أربع مئة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، أرحم الناس به من جمع يديه . فضرب رأسه بهما ، وكان جبارا أربع مئة سنة ، فعذبه الله أربع مئة سنة كذلك ، ثم أماته الله ؛ وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء ، وهو الذي قال الله : (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) . وأما قوله (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) فإن معناه : هدم الله بنيانهم من أصله . والقواعد : جمع قاعدة ، وهي الأساس . وكان بعضهم يقول : هذا مثل للاستئصال ، وإنما معناه : أن الله استأصلهم . وقال : العرب تقول ذلك إذا استؤصل الشيء . وقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فخر عليهم السقف من فوقهم : أعالي بيوتهم من فوقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) : إى والله ، لأنها أمر الله من أصلها (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) (والسقف : أعالي البيوت ، فَأَتَتْكَ بِهِمْ بِيوتهم ، فأهلكهم الله ودمرهم .) (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) قال : أتى الله بنيانهم من أصوله ، فخر عليهم السقف .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) قال : مكر نمرود بن كنعان الذي حاج إبراهيم في ربه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وقال آخرون : عن بقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) : أن العذاب أتاهم من السماء .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) يقول : عذاب من السماء ، لما رأوه استسلموا وذلوا .
 * وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : معنى ذلك : تساقط عليهم سقوف بيوتهم ، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله . فأنفكت بهم منازلهم ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان ، وخر السقف ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعراف منها : أولى من توجيهها إلى غير ذلك ، ما وجد إليه سبيل (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) يقول تعالى ذكره : وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبيل مشركي قريش ، عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ، وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ : إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧)

* يقول تعالى ذكره : فعل الله بهؤلاء الذين مكروا ، الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ، ما فعل بهم في الدنيا ، من تعجيل العذاب لهم ، والانتقام بكفرهم ، وجحودهم وحدانيتهم ، ثم هو مع ذلك يوم القيامة يخزيهم ، فذلهم بعذاب أليم ، وقائل لهم عند ورودهم عليه (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ ؟) : أصله : من شاققت فلانا فهو يشاققني ، وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه ؛ يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريرا للمشركين بعبادتهم الأصنام : أين شركائى ؟ يقول : أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائى اليوم ، ما لهم لا يحضرونكم ، فيدفعوا عنكم ما أنا محلل بكم من العذاب ، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا ، وتتولونهم ، والولى ينصر وليه ، وكانت مشاققتهم الله في أولئهم : مخالفتهم إياه في عبادتهم .
 كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ ؟) يقول : تخالفوني .

وقوله (قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) يعني : الذلَّة والخوان والسوء ، يعني : عذاب الله على الكافرين .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، قَالُوا السَّلَامَ ، مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ، بَلَىٰ ،
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال الذين أوتوا العلم : إن الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله ، فجحد وحدانيته . (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : الذين تقبض أرواحهم الملائكة (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) يعني : وهم على كفرهم وشركهم بالله . وقيل : إنه عسى بذلك من قتل من قريش بدر ، وقد أخرج إليها كرها . حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : ثنى سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : كان ناس بمكة أقرؤوا بالإسلام ولم يهاجروا ، فأخرج بهم كرها إلى بدر ، فقتل بعضهم ، فأنزله الله فيهم (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) .

وقوله (قَالُوا السَّلَامَ) يقول : فاستسلموا لأمره ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ، (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) ، وفي الكلام مخدوف استغنى بفهم سامعيه ما دل عليه الكلام عن ذكره ، وهو : قالوا ما كنا نعمل من سوء ، يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا : ما كنا نعصي الله اعتصاما منهم بالباطل ، رجاء أن ينجوا بذلك ، فكذبهم الله ، فقال : بل كنتم تعملون السوء ، وتصدون عن سبيل الله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه ، وتأتون فيها ما يسخطه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم : ما كنا نعمل من سوء : ادخلوا أبواب جهنم ، يعني : طبقات جهنم (خَالِدِينَ فِيهَا) يعني : ما كثر فيها . (فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فلبئس منزل من تكبر على الله ، ولم يقر برؤيته ، ويصدق بوحدانيته ، جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا : خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ، وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : وقيل للفريق الآخر ، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله (ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيرا) يقول : قالوا : أنزل خيرا . وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول : إنما اختلف الإعراب في قوله (قالوا أساطير الأولين) ، وقوله (خيرا) ، والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة ، وهي قوله (ماذا أنزل ربكم ؟) : لأن الكفار جحدوا التنزيل ، فقالوا حين سمعوه : أساطير الأولين : أى هذا الذى جئت به أساطير الأولين : ولم ينزل الله منه شيئا . وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل ، فقالوا خيرا ، بمعنى أنه أنزل خيرا ، فانصب بوقوع الفعل من الله على الخير ، فلهذا افرقا ، ثم ابتدأ الخبر ، فقال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) . وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته . وقوله (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يقول تعالى ذكره : للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله ، وأطاعوه فيها ، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به ، حسنة ، يقول : كرامة من الله (ولدار الآخرة خيرا) يقول : ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ، وكرامة الله التى أعد لها لهم فيها أعظم من كرامته التى عجلها لهم في الدنيا (ولنعيم دار المتقين) يقول : ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه ، بأداء فرائضه ، وتجنب معاصيه دار الآخرة .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وقيل للذين اتقوا ما ذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) وهؤلاء مؤمنون ، فيقال لهم (ماذا أنزل ربكم ؟) فيقولون : خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة : أى آمنوا بالله ، وأمروا بطاعة الله ، وحشوا أهل طاعة الله على الخير ودعروهم إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ، كَذَلِكَ يُجْزَى

اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١)

يعنى تعالى ذكره بقوله (جنات عدن) بساكنة للمقام . وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته (يَدْخُلُونَهَا) يقول : يدخلون جنات عدن ، وفي رفع جنات : أوجه ثلاثة : أحدها : أن يكون مرفوعا على الابتداء ، والآخر : بالعائد من الذكر في قوله (يَدْخُلُونَهَا) . والثالث : على أن يكون خبر النعم ، فيكون المعنى : إذا جعلت خيرا لنعم : ولنعم دار المتقين (جنات عدن) ويكون (يَدْخُلُونَهَا) في موضع حال ، كما يقال : نعم الدار دار تسكنها أنت ، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل : يدخلونها ، من صلة جنات عدن . وقوله (تجرى من تحتها الأنهار)

يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . (كَلِمٌ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) يقول : للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاءون ، مما تشهون أنفسهم ، وتلد أعينهم (كذلك يجزي الله المتقين) يقول : كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا ، بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة ، كذلك يجزي الذين اتقوه ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : كذلك يجزي الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله ، وهم طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان ، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المنثي ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) قال : أحياء وأمواتا ، قدر الله ذلك لهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين ، وهي تقول لهم : سلام عليكم ، صيروا إلى الجنة ، بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة .

كما حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن ، جاءه ملك فقال : السلام عليك ولي الله ، الله يقرأ عليك السلام ، ثم نزع بهذه الآية (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) قال : الملائكة يأتونه بالسلام من قبيل الله ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الأشيب أبو علي ، عن أبي رجاء ، عن محمد بن مالك ، عن البراء ، قال : قوله (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) قال : يسلم عليه عند الموت .

وقوله (يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : بما كنتم تصيدون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله ، وطلب مرضاته .

القول في تأويل قوله تعالى

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ؟ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم . أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة (كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول جل ثناؤه : كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم . أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله . لأن ذلك في كل مشرك بالله (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطِهِ بِهِمْ (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بمعصيتهم ربهم . وكفرهم به . حتى استحقوا عقابه . فمعجل لهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) قال : بالموت . وقال في آية أخرى (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ) وهو ملك الموت . وله رسل . قال الله تعالى (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ) ذاك يوم القيامة . حدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : عند الموت حين تتوفاهم . (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ) : ذلك يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش . سيئات ما عملوا ، يعني : عقوبات ذنوبهم ، ونقم معاصيه التي اكتسبوها . (وَحَاقَ بِهِمْ) ما كانوا به يستهزئون) يقول : وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه ، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسل الله . ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين أشركوا بالله ، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله : ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب ، إلا أن الله شاء منا ومن آباؤنا تحريمناها ، ورضيه لولا ذلك ، لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال ، يقول تعالى ذكره : كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استنّ هؤلاء سنتهم ، فقالوا مثل قولهم ، وسلخوا سبيلهم في تكذيب رسل الله ، واتباع أفعال آباؤهم الضلال . وقوله (فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) ؟ يقول جل ثناؤه : فهل أيها القائلون : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، على رسلنا الذين نرسلهم بإنذاركم عقوبتنا على كفركم ، إلا البلاغ المبين : يقول : إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة . ويعنى بقوله (الْمُبِينُ) : الذي يبين عن معناه لمن أبلغه ، ويفهمه من أرسل إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا ، كما بعثنا فيكم ، بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يقول : وابتعدوا من الشيطان ، واحذروا أن يُغويكم ، ويصدكم عن سبيل الله ، فتضلوا ، (فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ) يقول : فمن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله ، فوفقه لتصديق رسله ، والقبول منها ، والإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، ففاز وأفلح ، ونجا من عذاب الله (وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) يقول : ومن بعثنا رسلنا إليه من الأمم ، آخرون حققت عليهم الضلالة ، فجاروا عن قصد السبيل ، فكفروا بالله ، وكذبوا رسله ، واتبعوا الطاغوت ، فأهلكهم الله بعقابه ، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يردّ عن القوم الخرمين ، (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش : إن كنتم أيها الناس غير مصدق رسلنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم ، الذين حلّ بهم ما حلّ من بأسنا ، بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ، فسيروا في الأرض التي كانوا يسكنونها ، والبلاد التي كانوا يعمرونها ، فانظروا إلى آثار الله فيهم ، وآثار سخطه النازل بهم ، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم ، فإنكم ترون حقيقة ذلك ، وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحق (فإن الله لا يهدي من يضل) .

واختلفت القرء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرء الكوفيين (فإن الله لا يهدي من يضل) بفتح الياء من يهدي ، وضمها من يضل . وقد اختلف في معنى ذلك قارئوه كذلك ، فكان بعض نحوى الكوفة يزعم أن معناه : فإن الله من أضله لا يهتدى . وقال : العرب تقول : قد هدى الرجل : يريدون قد اهتدى ، وهدى واهتدى بمعنى واحد . وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه : فإن الله لا يهدي من أضله ، بمعنى : أن من أضله الله ، فإن الله لا يهديه . وقرأ ذلك عامة قرء المدينة والشام والبصرة (فإن الله لا يهدي من يضل) بضم الياء من يهدي ومن يضل ، وفتح الدال من يهدي بمعنى : من أضله الله فلا هادى له .

وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب . لأن يهدى : بمعنى يهتدى قليل في كلام العرب غير مستفيض ، وأنه لافائدة في قول قائل : من أضله الله فلا يهديه ، لأن ذلك مما لا يجمله أحد . وإذا كان ذلك كذلك ، فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى .

فتأويل الكلام : لو كان الأمر على ما وصفنا : إن تحرص يا محمد على هدايتهم ، فإن من أضله الله فلا هادى له ، فلا تجهد نفسك في أمره ، وبلغه ما أرسلت به لتم عليه الحججة (وما لهم من ناصرين) يقول : وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد عقوبتهم ، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم . وفي قوله (إن تحرص) لغتان : فن العرب من يقول : حرص يحرص بفتح الراء في فعل وكسرها في يفعل . وحرص يحرص بكسر الراء في فعل ، وفتحها في يفعل ، والقراءة على الفتح في الماضي ، والكسر في المستقبل ، وهى لغة أهل الحجاز .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المشركون من قريش (بالله جهد أيمانهم) حلفهم ، (لا يبعث الله من يموت) بعد مماته ، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك ، بل سيعتبه الله بعد مماته : (وعددا عليه) أن يبعثهم وعد عباده ، والله لا يخلف الميعاد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول : ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده ، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) .

أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) تكذيباً بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين : مكذب ومصدق . ذُكر لنا أن رجلاً قال لابن عباس : إن ناساً بهذا العراق يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأولون هذه الآية ، فقال ابن عباس : كذب أولئك ، إنما هذه الآية للناس عامة ، ولعمري لو كان عليٌّ مبعوثاً قبل يوم القيامة ، ما أنكحنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : إن رجلاً يقولون : إن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأولون (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قال : لو كنا نعلم أن علياً مبعوث ، ما تزوجنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ، ولكن هذه للناس عامة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) قال : حلف رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين ، فقال : والذي يرسل الروح من بعد الموت ، فقال : وإنك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت ، وأقسم بالله جهد يمينه : لا يبعث الله من يموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين ، فأتاه يتقاضاه ، فكان فيما تكلم به : والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا ، فقال المشرك : إنك تزعم أنك تبعث بعد الموت ، فأقسم بالله جهد يمينه : لا يبعث الله من يموت ، فأنزل الله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى ، وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن عطاء بن أبي رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : « قال الله : سبني ابن آدم . ولم يكن ينبغي له أن يسبني ، وكذبني ولم يكن ينبغي له أن يكذبني ؛ فأما تكذبي إياي ، فقال (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) قال : قلت (بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا) . وأما سبني إياي ، فقال : (إِنَّ اللَّهَ تَالِثٌ ثَلَاثَةً) ، وقلت : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَكَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . »

القول في تأويل قوله تعالى

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : بل ليبيِّن الله من يموت ، وعدا عليه حقاً ، ليبيِّن هؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت ، ولغيرهم الذي يختلِفون فيه ، من إحياء الله خلقه بعد فناءهم ، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك ، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قبيلهم : لا يبعث الله من يموت .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) قال : للناس عامة .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : إنا إذا أردنا أن نبعث من يموت ، فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائناهم ، ولا في
غير ذلك مما نخلق ونكوّن ونحدث ، لأننا إذا أردنا خلقه وإنشاءه ، فإنما نقول له : كن فيكون ، لامعانة
فيه ، ولا كلفة علينا .

واختلفت القراء في قراءة قوله : يكون ، فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء ، وعلى أن قوله
(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ) كلام تام مكثف بنفسه عما بعده ، ثم يبدأ
فيقال فيكون كما قال الشاعر :

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ^١

وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام ، وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين (فَيَكُونُ) نصبا ، عطفا على قوله
(أَنْ نَقُولَ لَهُ) . وكان معنى الكلام على مذهبهم : ما قولنا لشيء إذا أردناه إلا أن نقول له : كن ،
فيكون . وقد حكي عن العرب سمعا : أريد أن آتيتك فيمنعتي المطر ، عطفا بيمينعتي على آتيتك .

وقوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول
تعالى ذكره : والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم ، عداوة لهم في الله على كفرهم ، إلى آخرين غيرهم (مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) يقول : من بعد ما نبيل منهم في أنفسهم بالمكارة في ذات الله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً) يقول : لنسكنهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، من شواهد القراء في معاني القرآن (ص ١٦١) والشاهد في البيت : أن قوله فيعجمه بالرفع ، ليس معطوفا على
أن يعربه ، وإنما هو كلام مستأنف ، أي فهو يعجمه ولا يعربه . ومثله قوله تعالى « أن نقول له كن » فيكون بالرفع ، وليس معطوفا على
« أن نقول » . ومثله أيضا قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » ، فيضل بالرفع ، وليس بالنصب على الجواب للنبي .
ومثله قوله تعالى « لنبين لكم » ونقر في الأرحام « برقع نقر على الاستئناف ، وقوله تعالى في براءة « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » ، ثم قال
« ويتوب الله على من يشاء » . قال القراء : فإذا رأيت الفعل منصوبا ، وبعده فعل قد نسق عليه بواو أو فاء أو ثم ، فإن كان يشاكل
معنى الفعل الذي قبله ، نسقته عليه ، وإن رأيت غير مشاكل لعناه ، استأنفته فرعه . ومثله قوله :

وَالشَّعْرُ لَا يَسْتَطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ^٢ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ^٣

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبِّؤَنَّهُمْ) قال : هؤلاء أصحاب محمد ، ظلمهم أهل مكة ، فأخرجوهم من ديارهم ، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك ، فجعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين .

حدثت عن القاسم بن سلام ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي (لَنَبِّؤَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : المدينة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبِّؤَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ، بعد ظلمهم ، وظلمهم المشركون . وقال آخرون : عن بقوله (لَنَبِّؤَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) ليرزقهم في الدنيا رزقا حسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَنَبِّؤَنَّهُمْ) ليرزقهم في الدنيا رزقا حسنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن العوام ، عن حدثه أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ذخره لك في الآخرة أفضل ، ثم تلا هذه الآية (لَنَبِّؤَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى (لَنَبِّؤَنَّهُمْ) : لَنُحِلِّمَهُمْ وَلِنُدْخِلَنَّهُمْ ، لأن التبوؤ في كلام العرب : الحلول بالمكان والزول به . ومنه قول الله تعالى (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ) وقيل : إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن داود بن أبي هند ، قال : نزلت (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) . . . إلى قوله (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) في أبي جندل بن سهيل . . .

وقوله (وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه . في الآخرة أكبر . لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة ، التي يدوم نعيمها ولا يبديد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله (وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ) أى والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، وآتيناهم الثواب الذى ذكرناه ، الذين صبروا فى الله على ما ناهىهم فى الدنيا (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وبالله يثقون فى أمورهم ، وإليه يستندون فى نوائب الأمور التى تنوبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ؛ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم ، للدعاء إلى توحيدنا ، والانتهاى إلى أمرنا ونهيها ، إلا رجالا من بنى آدم ، نوحى إليهم وحينئذ ، لأملائكة . يقول : فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذى كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم ، وعلى منهاجهم (فاستلوا أهل الذِّكْرِ) يقول لمشركى قريش : وإن كنتم لاتعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بنى آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقتلتم : هم ملائكة ، أى ظننتم أن الله كلمهم قبلا ، فاستلوا أهل الذِّكْرِ ، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كتب الله التى أنزلها على عباده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد (فاستلوا أهل الذِّكْرِ) قال : أهل التوراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش ، عن قوله (فاستلوا أهل الذِّكْرِ) قال : سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ، فَاسْتَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)
قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
(فَاسْتَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : قال لمشركي قريش : إن محمداً في التوراة
والإنجيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك
عن ابن عباس ، قال : لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، وقالوا :
الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ، قال : فأنزل الله (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى
رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟) وقال : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ، فَاسْتَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ، بالبينات والزبر) فاستلوا أهل الذكر : يعني أهل الكتب الماضية ، أبشراً كانت الرسل التي
أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد رسولاً ، قال :
ثم قال : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى : أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم .
وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن
أبي جعفر (فَاسْتَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : نحن أهل الذكر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) قال : الذكر : القرآن . وقرأ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .
وقرأ (إِنَّ الذِّينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أرسلنا بالبينات والزُّبُرِ رجالاً نوحي إليهم .

فإن قال قائل : وكيف قيل بالبينات والزُّبُرِ ، وما الخالب لهذه الباء في قوله (بِالْبَيِّنَاتِ) ؟ فإن قلت :
جالها قوله (أَرْسَلْنَا) وهي من صلته ، فهل يجوز أن تكون صلة « ما » قبل « إلا » بعدها ، وإن قلت :
جالها غير ذلك ، فما هو ، وأين الفعل الذي جالها ؟ قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعضهم :
الباء التي في قوله (بِالْبَيِّنَاتِ) من صلة أرسلنا ، وقال : إلا في هذا الموضع ، ومع الجحد والاستفهام
في كل موضع بمعنى « غير » ، وقال : معنى الكلام : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزُّبُرِ غير رجال نوحي
إليهم ، ويقول على ذلك : ما ضرب إلا أخوك زيدا ، وهل كلم إلا أخوك عمراً ، بمعنى : ما ضرب زيدا غير
أخيك ، وهل كلم عمراً إلا أخوك ؟ ويحتاج في ذلك بقول آؤس بن حجر :

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدٍ إِلَّا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ^١

ويقول : لو كانت « إلا » بغير معنى ، لفسد الكلام ، لأن الذي خفض الباء قبل « إلا » لا يقدر على إعادته بعد « إلا » ، لخفض اليد الثانية ، ولكن معنى « إلا » بمعنى غير ، ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) ويقول : « إلا » بمعنى « غير » في هذا الموضع . وكان غيره يقول : إنما هذا على كلامين : يريد : وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا ، أرسلنا بالبينات والزبير . قال : وكذلك قول القائل : ماضرب إلا أخوك زيدا ، معناه : ماضرب إلا أخوك ، ثم يبتدىء : ضرب زيدا ، وكذلك مامرر إلا أخوك يزيد ، مامرر إلا أخوك ، ثم يقول : مر يزيد ، ويستشهد على ذلك بيت الأعشى :

وَلَيْسَ مُجِيرًا إِنْ أَى الْحَى خَائِفٌ وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ الْمُتَعَيَّبَا^٢

ويقول : لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ ، لأن المتعيبين من صلة القائل ، ولكن جاز ذلك على كلامين . وكذلك قول الآخر :

نُبِّلْتُهُمْ عَدَبُوا بِالنَّارِ جَارَهُمْ وَهَلْ يُعَدَّبُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّارِ^٣

(١) رواية هذا البيت في الكتاب لسبيويه (١ : ٣٦٢) :

يَا بَنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدٍ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ

ينصب يد التي بعد « إلا » على محل بيد التي قبلها . قال الشنمري في الكلام على الشاهد : الشاهد فيه نصب ما بعد « إلا » على البديل من موضع الباء وما عملت فيه . والتقدير : لستما يدا إلا يدا لا عضد لها . ولا يجوز الجر على البديل من المجرور ، لأن ما بعد « إلا » مجرور ، والباء مؤكدة للثنى . ويرى : مخبولة العضد . والخليل : الفساد ، أى أنها في الضعف وقلة النفع ، كيد يطل عضدها . اه . وقال الفراء في معاني القرآن (١ : ١٧٢) : ورأيت الكسائي يجعل لإمع الجحد والاستفهام بمزلة غير . . . وقال في قوله تعالى : « لو كان فيما آلهة إلا الله لفسدتا » لا أجد المعنى إلا : لو كان فيما آلهة غير الله لفسدتا . واحتج بقول الشاعر :

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدٍ إِلَّا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ

فقال : لو كان المعنى إلا لكان الكلام فاسدا في هذا ؛ لأن لا أقدر في هذا البيت على إعادة خافض بضمير ، وقد ذهب ههنا مذهبا . قلت وقد جوز الشيخ خاله في يد التي بعد « إلا » النصب على الاستثناء ، وعلى البديلية ، كما مر في كلام الأعمى الشنمري . وجوز وجهها ثالثا تبعا للكسائي وأشد بيته الشاهد ، وهذا الوجه : هو جره ، على الصفة ليد الأولى التصريح بمضمون التوضيح (١ : ٤٢٤) (طبعة الأميرية ، باب الاستثناء) .

وقال الشيخ يس العليمي الحمصي في حاشيته على التصريح في هذا الموضع : « ابنى لبني : بصيغة المثني ، بدليل قوله « لستما » أى في رواية صاحب التصريح . وهو منادى حذف منه حرف النداء ، وليس في قوله : « إلا يد » وصف الشيء بنفسه ، لأن المعتمد بالصفة ليد الأولى : صفة يد الثانية ، و« يد » الثانية صفة موطئة .

(٢) البيت لأعشى بنى ثعلبة ميمون بن قيس (ديوانه طبعة القاهرة ص ١١٣) يقول : إنه لا يملك أن يؤمن رجلا ، فيجعله في جواره ، لأن الناس لا يحترمون هذا الحوار ، وإنما يحترمون جوار الأقوياء ، فلا يحرمون أن ينالوا جارهم بأذى ، والمتعيب : اسم مفعول من تعيبه إذا تسبه إلى العيب . أى ولا قائل القول المعبى إلا هو . وقد بين المؤلف وجه استنباط بعض النحويين (وهو الكسائي) بالبيت . وأن المتعيبا منصوب بقائلا المحذوف . والتقدير : ولا قائل إلا هو « قائل » المتعيبا . وهو معنى قوله ، ولكن جاز ذلك على كلامين . اه .

(٣) هذا البيت كسابقه : شاهد على أن قوله « بالنار » من صلة الفعل « يعذب » وما قبل « إلا » لا يعمل فيما بعدها ، فأخره ، ونوى كلامين فيكون « بالنار » من صلة « يعذب » المحذوف . والتقدير : وهل يعذب إلا الله ، يعذب بالنار . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (١ : ١٧٢) .

فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم ، أرسلناهم بالبينات والذبر ، وأنزلنا إليك الذكر . والبينات : هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسله ، أدلة على نبوتهم ، شهادة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله . والذبر : هي الكتب ، وهي جمع زَبُور ، من زَبَرَتِ الكتاب وذَبَرَتِه : إذا كتبه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (بالبينات والذبر) قال : الزبر : الكتب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بالبينات والذبر) قال : الآيات ، والذبر : الكتب . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الزبر : الكتب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وبالذبر) يعني : بالكتب .

وقوله (وأنزلنا إليك الذكر) يقول : وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن ، تذكيرا للناس ، وعظة لهم ، (ليتبين للناس) يقول : لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك (ولعلهم يتفكرون) يقول : وليتذكروا فيه ، ويعتبروا به : أي بما أنزلنا إليك ؛ وقد حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثوري ، قال : قال مجاهد (ولعلهم يتفكرون) قال : يطيعون .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ؟ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراموا أن يفتنوهم عن دينهم ، من مشركي قريش الذين قالوا ، إذ قيل لهم : ما ذا أنزل ربكم : أساطير الأولين ، صدأ منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل ، أن يخسف الله بهم الأرض ، على كفرهم وشركهم ، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعرون به ، ولا يدري من أين يأتيه ؟ وكان مجاهد يقول : أعنى بذلك نمرود ابن كنعان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ،

عن مجاهد (أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) ... إلى قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) قال : هو نمروذ بن كنعان وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
 وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ تَهْدِيدٌ مِنَ اللَّهِ أَهْلَ الشَّرْكِ بِهِ ، وَهُوَ عَقِيبُ قَوْلِهِ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ) ، فَاسْتَلْزَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فكان تهديد من لم يقرَّ بحجة الله ، الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك ، أخرى من الخبر عن انقطع ذكره عنه .

وكان قتادة يقول في معنى السيئات في هذا الموضع ، ما حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) : أى الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) أو يهلكهم في تصرفهم في البلاد ، وترددهم في أسفارهم ، فهاهم بمعجزين : يقول جل ثناؤه : فإنهم لا يعجزون الله من ذلك ، إن أراد أخذهم كذلك . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثى وعلى بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) يقول : في اختلافهم .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) قال : إن شئت أخذته في سفر .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) في أسفارهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) قال : التقلب : أن يأخذهم بالليل والنهار .
 وأما قوله (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) فإنه يعنى : أو يهلكهم بتخوف ، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم ، الشيء بعد الشيء ، حتى يهلك جميعهم ، يقال منه : تخوف فلان الإنفاق : إذا انتقصه ، ونحو تخوفه من التخوف : بمعنى التنقص ، قول الشاعر :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَدْرًا كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبِيعَةِ السَّفِينِ^١
يعنى بقوله : تخوف السير : تنقَّص سنامها . وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدى أنه كان يقول : هى لغة لأزد
شئوة ، معروفة لهم ؛ ومنه قول الآخر :

تَخَوَّفَ عَدُوَّهُمْ مَالِي وَأَهْلِي سَلْسِلَ فِي الْحُلُوقِ لَهَا صَلِيلِ^٢
وكان الفراء يقول : العرب تقول : تخوفته : أى تنقصته ، تخوفاً : أى أخذته من حافاته وأطرافه ، قال :
فهذا الذى سمعته ، وقد أتى التفسير بالخاء ، وهما بمعنى . قال : ومثله ما قرئ بوجهين قوله : إن لك فى النهار
سبباً وسبباً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن إبراهيم بن عامر بن مسعود ، عن رجل ، عن
عمر : أنه سألم عن هذه الآية (أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْسَاتِهِمْ مِمَّا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ، أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ) فقالوا : ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردده من الآيات . فقال عمر : ما أرى إلا أنه على
ما تنتقصون من معاصى الله ، قال : فخرج رجل ممن كان عند عمر ، فلقى أعرابياً ، فقال : يا فلان ما فعل
ربك ؟ قال : قد تخيفته ، يعنى تنقصته ، قال : فرجع إلى عمر فأخبره ، فقال : قدّر الله ذلك .
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) يقول : إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه ، وتخوف بذلك .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن
ابن عباس (على تخوف) قال : التنقص والتفريع .

(١) البيت لابن مقبل (لسان العرب : خوف) قال : التخوف : التنقص . وفى التنزيل : «أويأخذهم على تخوف» . قال الفراء
فى التفسير بأنه التنقص ، قال : والعرب تقول : تخوفته أى تنقصته من حافاته . قال : فهذا الذى سمعته . قال : وقد أتى التفسير بالخاء .
قال الزجاج : ويجوز أن يكون معناه : أو يأخذهم بعد أن يخيفهم ، بأن يهلك قرية ، فتخاف التى تليها . وقال ابن مقبل : تخوف ... الخ .
والسفن : الحديد التى تبرد بها القسي ، أى تنقص كما تأكل هذه الحديد خشب القسي . وكذلك التخويف ، يقال : خوفه وخوف
منه . قال ابن السكيت : يقال : هو يتخوف المال (بالمهمل) ويتخوفه ، أى يتنقصه ، ويأخذ من أطرافه . وقال ابن الأعرابى : تخوفته
وتخيفته ، وتخوفته وتخيفته : إذا تنقصته . والتامك : السنام ، أو السنام المرتفع . والقرد : الذى تجمع شعره ، أو الذى تراكم لحمه من السن .
وفى «فتح القدير» للشوكافى : التخوف بالفاء : التنقص : لغة لأزد شئوة ، والنبع : من شجر الجبال ، تتخذ منه القسي ، الواحدة نبع .
(٢) البيت من شوهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٠) قال : «عل تخوف» مجازة : عل التنقص ، وأنشد بيتين ثانيهما
بيت الشاهد ، وأولها :

أَلَامٌ عَلَى الْمِجَاءِ وَكُلُّ يَوْمٍ يُبْلَقِيْنِي مِنَ الْجَسِيرَانِ غُولٌ

أى تنقص غدوم مالى . سلاسل : يريد القوافى تشد ، فهو صليلها . وهو قلائد فى أعناقهم . وفى رواية أبى عبيدة والقرطبي : غدوم ،
فى مكان غدوم . أى اعتداؤهم . قلت . وفى اللسان أيضا (خون) تخونه ، وخونه ، وخون منه : نقصه . يقال : تخوننى فلان حق :
إذا تنقصك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو)
يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ (على تنقص .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال :
ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (على تَخَوُّفٍ) قال : تنقَّص .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو) يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) ، فيعاقب
أو يتجاوز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أو) يَأْخُذَهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ (قال : كان يقال : التَخَوُّفُ : التَنَقُّصُ ، ينتقصهم من البلدان من الأطراف .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول
في قوله (أو) يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ (يعني : يأخذ العذاب طائفة ، ويترك أخرى ، ويعذب القرية
ويهلكها ، ويترك أخرى إلى جنبها .

وقوله (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول : فإن ربكم إن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات
بعذاب معجل لهم ، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض ، لرءوف بخلقهم ، رحيم بهم ، ومن رأفته
ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض ، ولم يعجل لهم العذاب ، ولكن يخوفهم وينقصهم بموت .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ

وَهُمْ دَخِرُونَ (٤٨)

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والمدينة والبصرة (أو لم يروا) بالياء على
الخبر عن الذين مكروا السيئات . وقرأ ذلك بعض قرآء الكوفيين (أو لم تروا) بالتاء على الخطاب .

وأولى القراءتين عندى بالصواب : قراءة من قرأ بالياء ، على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات ، لأن ذلك
في سياق قصصهم ، والخبر عنهم ، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم ، وتركهم النظر
في أدلته ، والاعتبار بها . فتأويل الكلام إذن : أو لم يره هؤلاء الذين مكروا السيئات ، إلى ما خلق الله من جسم
قائم ، شجر أو جبل أو غير ذلك ، يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال ، يقول : يرجع من موضع إلى موضع ،
فهو في أول النهار على حال ، ثم يتقلص ، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار .

وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمال ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد

عن قتادة ، قوله (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ) أما اليمين : فأول النهار ؛ وأما الشمال : فأخر النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) قال : الغدو والآصال ، إذا فاءت الظلال ، ظلال كل شيء بالغدو ، سجدت لله ، وإذا فاءت بالعشى سجدت لله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) يعني : بالغدو والآصال ، تسجد الظلال لله غدوة ، إلى أن يبيء الظل ، ثم تسجد لله إلى الليل ، يعني : ظل كل شيء .

وكان ابن عباس يقول في قوله (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) ما حدثنا المثني ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) يقول : تتميل . واختلف في معنى قوله (سُجَّدًا لِلَّهِ) فقال بعضهم : ظل كل شيء سجدده .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) قال : ظل كل شيء : سجدده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي سنان ، عن ثابت عن الضحاك (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) قال : سجد ظل المؤمن طوعا ، وظل الكافر كرها .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) كلا عن اليمين والشمال في حال سجودها ، قالوا : وسجود الأشياء غير ظلالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قالوا : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، عن ثابت عن الضحاك ، في قول الله (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) قال : إذا فاء الشيء توجه كل شيء ساجدا قبيل القبلة ، من نبت أو شجر ، قال : فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا الحماني ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قول الله (يَتَفَيَّسًا ظِلَالُهُ) قال : إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل .

وقال آخرون : بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الأشياء ، فإنما يسجد ظلالها دون التي لها الظلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ لَمْ

يَرَوْنَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالَهُ) قال : هو سجود الظلال ، ظللال كل شيء ، ما في السموات وما في الأرض من دابة ، قال : سجود ظللال الدواب ، وظلال كل شيء .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالَهُ) ما خلق من كل شيء ، عن يمينه وشماله ، فلفظ « ما » : لفظ عن اليمين والشمال ، قال : ألم تر أنك إذا صليت الفجر ، كان ما بين مطلع الشمس إلى مغربها ظلا ، ثم بعث الله عليه الشمس دليلا ، وقبض الله الظل .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر في هذه الآية أن ظللال الأشياء هي التي تسجد ، وسجودها : ميلائها ودورانها من جانب إلى جانب ، وناحية إلى ناحية ، كما قال ابن عباس : يقال من ذلك : سجدت النخلة إذا مالت ، وسجد البعير ، وأُسيجد : إذا أميل للركوب . وقد بيننا معنى السجود في غير هذا الموضع : بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وَهَمُّ دَاخِرُونَ) يعني : وهم صاغرون ، يقال منه : دَخِرَ فلان لله يدُخِرَ دَخْرًا ودخورا : إذا ذلَّ له وخضع ؛ ومنه قول ذي الرمة :

فَلَسَمُ يَبْتَقِي إِلَّا دَاخِرًا فِي مُحْيِسٍ
 وَمُسْجَحِرًا فِي غَيْرِ أَرْضِكَ فِي جَحْرًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهَمُّ دَاخِرُونَ) : صاغرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَمُّ دَاخِرُونَ) : أي صاغرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وأما توحيد اليمين في قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ) فجمعها ، فإن ذلك إنما جاء كذلك ، لأن معنى الكلام : أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفأ ظللال ما خلق من شيء عن يمينه : أي ما خلق ، وشماله ، فلفظ « ما » لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فقال : عن اليمين بمعنى : عن يمين ما خلق ، ثم رجع إلى معناه في الشمال . وكان بعض أهل العربية يقول : إنما تفعل العرب ذلك ، لأن أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد ، فيقال للرجل : خذ عن يمينك ، قال : فكأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم ، وإذا جمع

(١) البيت شاهد على أن معنى الداخر : الصاغر . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن : وهم داخرون : أي صاغرون . يقال : فلان دخر لله : أي ذل وخضع . و (في اللسان : دخر) : دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا ، فهو داخر ، ودخر دخرا (كفرح) : ذل وصغر يصغر صغارا ، وهو الذي يفعل ما يقوم به ، شاء أو أبي ، صاغرا قميئا . و (في اللسان : خيس) : وكل سجن : مخيس ومخيس (بتشديد الياء مفتوحة ومكسورة) . وأنشد البيت ، ونسب إلى الفرزدق . والمنحجر : الداخل في الجحر ، يقال : أبحره فانحجر : أدخله الجحر ، فدخله . والجحر : كل شيء تحفره الهوام والسباع لأنفسها . والجمع : أبحار و جحرة .

فهو الذي لامسالة فيه ، واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر :

بِئْسَ الشَّامَتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كَانَ هَدَىٰ فِي رَزِيَّةٍ شَيْبَلِيٍّ مُخْسِدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ ١

فقال : بئس الشامتين ، ولم يقل : بأفواه ؛ وقول الآخر :

الْوَارِدُونَ وَتَسِيمٌ فِي ذَرَا سَبَاءٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ ٢

ولم يقل : جلود .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : والله يخضع ويستسلم لأمره ، ما في السموات وما في الأرض من دابة يدب عليها ، والملائكة التي في السموات ، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة ، والذين لا يؤمنون بالآخرة ، قلوبهم منكورة وهم مستكبرون ، وظلالهم تنفياً عن اليمين والشمال سجداً لله وهم داخرون .

وكان بعض نحوئي البصرة يقول : اجتزى بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع . وإنما معنى الكلام : والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من الدواب والملائكة ، كما يقال : ما أثنى من رجل ، بمعنى : ما أثنى من الرجال .

وكان بعض نحوئي الكوفة يقول : إنما قيل : من دابة ، لأن « ما » وإن كانت قد تكون على مذهب الذي ، فإنها غير مؤقتة ، فإذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء ، والجزاء يدخل « مين » فيما جاء من اسم بعده من النكرة ، فيقال : من ضربه مين رجل فاضربوه ، ولا تسقط « مين » من هذا الموضع ، كراهية أن تشبه أن تكون حالاً لمن وما ، فجعلوه بمن ، ليدل على أنه تفسير لما ومن ، لأنهما غير مؤقتتين ، فكان دخول من فيما بعدهما تفسيراً لمعناهما ، وكان دخول « مين » أدل على ما لم يوقت من من وما ، فلذلك لم تلغيا .

القول في تأويل قوله تعالى

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات ، وما في الأرض من دابة ، ربهم من

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ١ : ١٧٢) استشهد به عند قوله تعالى : (يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال) قال : الظل يرجع على كل شيء من جوانبه ، فذلك تفيتوه ، ثم فسر فقال : عن اليمين والشمال ، وكل ذلك جائز في العربية ، قال الشاعر : « بئس الشامتين . . . الخ البيت . قال ولم يقل : بأفواه الشامتين . قلت : يريد : أن جمع الشمال وإفراد اليمين ، جائز في العربية ، واستشهد عليه بالبيت . وقد وجه المؤلف في التفسير توجيهها حسناً .

(٢) وهذا البيت أيضاً كالشاهد قبله من شواهد الفراء ، في (معاني القرآن ، بعد سابقه ١ : ١٧٢) على أن الشاعر قال : بئس الجواميس بالإفراد ، ولم يقل : جلود الجواميس ، في مقابلة أعناقهم . ولم نقف على البيت في المراجع ، ولا على قائله .

فوقهم ، أن يعذبهم إن عصوا أمره ، ويفعلون ما يؤمرون . يقول : يفعلون ما أمرهم الله به . فيؤدون حقوقه ، ويحتسبون سُخْطَه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وقال الله لعباده : لا تتخذوا لى شريكا لى شريكا أيها الناس ، ولا تعبدوا معبودين ، فإنكم إذا عبدتم معى غيرى ، جعلتم لى شريكا ، ولا شريك لى ، إنما هو إله واحد ، ومعبود واحد ، وأنا ذلك ، فأبى فارهبون : يقول : فأبى فاتقوا ، وخافوا عقابى بمعصيتكم إباى إن عصيتمونى ، وعبدتم غيرى ، أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ، أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ولله ملك ما فى السموات والأرض من شىء ، لا شريك له فى شىء من ذلك ، هو الذى خلقهم ، وهو الذى يرزقهم ، ويبدى حياتهم وموتهم . وقوله (ولله الدين واسبيا) : يقول جل ثناؤه : وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا ، يقال منه : وصب الدين يصب وصبيا ؛ كما قال الديلى :

لا أبتغى الحمد القليل بقاءه يوماً بدم الدهر أجمع واسبيا

ومنه قول الله (ولهم عذاب واسبيا) : وقول حسان :

غسرتة الريح تسفى به وهزيم رعه واسبيا

فأما من الألم ، فإنما يقال : وصب الرجل يوصب وصبيا ، وذلك إذا أعيأ ومل ؛ ومنه قول الشاعر :

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى ، ويقال فيه الدليل أيضا ، استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٦١) على أن معنى « واسبيا » : دائما . وروايته فيه كرواية المؤلف (الطبرى) . واستشهد به كذلك القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن (١٠ : ١١٤) ورواه بروايتين : الأولى كرواية المؤلف ، وقال قبلها : أنشد الغزنوى والثعلبى وغيرهما . . . البيت . والأخرى باختلاف فى الشطر الثانى ، وهو : « بدم يكون الدهر أجمع واسبيا » وظهر أن هذه الرواية بحرفة عن الأولى . وقال صاحب لسان العرب فى « وصب » : « وق التزويل العزيز : « وله الدين واسبيا » قال أبو إسحاق : قيل فى معناه : دائما . أى طاعته دائمة واجبة أبدا . قال : ويجوز ، والله أعلم ، أن يكون « وله الدين واسبيا » : أى له الدين والطاعة ، ضى العبد بما يؤمر به ، أو لم يرض به ، سهل عليه ، أو لم يسهل ، فله الدين وإن كان فيه الوصب ، والوصب : شدة التعب . وفيه : « بعذاب واسبيا » أى دائم ثابت . وقيل : موجه .

(٢) البيت لحسان بن ثابت (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٦١ وقبله بيت وهو المطلع :

قد تعفى بعهدنا عاذب ما به باد ولا قارب

وتسفى به : تحمل إليه التراب . والهزيم : السحاب المتشقق بالمطر . يقول : غير هذا المكان ما تسفيه الريح عليه من التراب ، وما يأتى به السحاب من مطر رعه دائم .

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِمنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الواصب ، فقال بعضهم : معناه : ما قلنا .
ذكر من قال ذلك

- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين
عن أبي نصر ، عن ابن عباس (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : دائما .
حدثني إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبي حصين ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَهُ
الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : دائما .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، قال دائما .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ؛ وحدثني المثني ،
قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جمعيا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا)
قال : دائما .
حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ
وَأَصِيبًا) قال : دائما .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا)
قال : دائما .
حدثني المثني ، قال : أخبرنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) : أي دائما ، فإن الله
تبارك وتعالى لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده ، طائعا أو كارهيا .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَصِيبًا) قال : دائما ،
ألا ترى أنه يقول (عَدَّ أَبٌ وَأَصِيبٌ) : أي دائم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال :
دائما ، والواصب : الدائم .

(١) هذا البيت لأعشى بأهله ، واسمه عامر بن الحارث (جهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب القرشي (١٣٥ - ١٣٧) من
قصيدة يقولها في أخ له اسمه المنتشر ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وقطعوه إربا إربا (غصوا عضوا) . رجل منهم كان فعل معه مثل
ذلك . ورواية البيت فيه وفي اللسان : (صفر) :

لَا يَتَأَسَّى لِمَا فِي الْقَيْدِ بِرَقْبَتِهِ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ

قال : والصفر دويبة تكون في البطن ، تدعى الأعراب ، ويكون منها الجوع . وخطأ رواية البيت الصاغاني ، وأورده كرواية المؤلف .
(انظر هامش اللسان : أرى) . والغمز : العصر باليد . والشرسوف : جمع شرا سيف ، وهي أطراف أضلاع الصدر ، التي تشرف على
البطن .

وقال آخرون : الواصب في هذا الموضع : الواجب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يعلی بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : واجبا .

وكان مجاهد يقول : معنى الدين في هذا الموضع : الإخلاص . وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) قال : الإخلاص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الدين : الإخلاص .

وقوله (أَفَغَسَّيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) يقول تعالى ذكره : أفغير الله أيها الناس تتقون : أي ترهبون وتحدرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم ، بإخلاصكم العبادة لربكم ، وإفرادكم الطاعة له ، وما لكم نافع سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ (٥٣)

اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله (فَمِنَ اللَّهِ) فقال بعض البصريين : دخلت الفاء ، لأن « ما » بمنزلة « من » فجعل الخبر بالفاء . وقال بعض الكوفيين : « ما » في معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ، لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مُضْمَرٌ ؛ كما قال الشاعر :

إِنِ الْعَقْلُ فِي أُمُورِنَا لَا تَصِيقُ بِهِ ذِرَاعَا وَإِنْ صَبْرًا فَتَعْرِفُ لِلصَّبْرِ

وقال : أراد : إن يكن العقل فأضمره ، قال : وإن جعلت ما بكم في معنى الذي : جاز ، وجعلت صلته بكم

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (١ : ١٧٣) عند قوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » قال : ما : في معنى جزاء ، ولها فعل مضمر ، كأنك قلت : ما يكن بكم من نعمة فمن الله ؛ لأن الجزاء لا بد له من فعل مجزوم ، إن ظهر فهو جزم ، وإن لم يظهر فهو مضمر ، كما قال الشاعر : « إن العقل . . . » البيت . أراد : إن يكن ، فأضمرها . ونو جعلت « ما بكم » في معنى « الذي » : جاز ، وجعلت صلته بكم ، والذي حيثئذ : في موضع رفع ، بقوله « فمن الله » . وأدخل الفاء ، كما قال تعالى : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم » . وكل اسم وصل ، مثل من وما والذي ، فقد يجوز دخول الفاء في خبره ؛ لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز : أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول .
والعقل في البيت معناه : الدية .

و « ما » في موضع رفع بقوله (فَمِنْ اللَّهِ) وأدخل الفاء ، كما قال (إِنَّ الْمَوْتِ الَّذِي تَعْبُرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) وكل اسم وُصِلَ بِمِثْلِ مَنْ وَمَا وَالَّذِي ، فقد يجوز دخول الفاء في خبره ، لأنه مضارع للجزاء ، والجزاء قد يجاب بالفاء ، ولا يجوز أخوك فهو قائم ، لأنه اسم غير موصول ، وكذلك تقول : مالك لي ، فإن قلت : مالك ، جاز أن تقول : مالك فهو لي ، وإن أقيمت الفاء فصواب .

وتأويل الكلام : ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة ، وفي أموالكم من نماء ، فالله المنعم عليكم بذلك لاغيره ، لأن ذلك إليه ويده (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ) يقول : إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض ، وعلّة عارضة ، وشدة من عيش (فإليّ تجأرون) يقول : فإلى الله تصرخون بالدعاء ، وتستغيثون به ، ليكشف ذلك عنكم . وأصله : من جؤأر الثور ، يقال منه : جأر الثور بجأر جؤأرا ، وذلك إذا رفع صوتا شديدا . من جوع أو غيره ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمَا أَيْبُسِي عَلَى هَيْكَلِ بَنَاهُ وَصَلَبَ فِيهِ وَصَارَا
يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارًا

يعني بالجؤار : الصياح : إما بالدعاء ، وإما بالقراءة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فإليّ تجأرون) قال : تَصْرَعُونَ دُعَاءً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : الضَّرُّ : السَّقَمُ .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا
آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

(١) البيتان من شعر الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص ٥٣) من قصيدة له سبعون بيتا ، يمدح بها قيس بن معد يكرب . والأبيل : الراهب صاحب الأبيل ، وهي العصا التي يندق بها الناقوس . والهيكل : موضع في صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان . صلب : صور فيه الصليب . وفي اللسان صار : صور عن أبي علي الفارسي . ويلوح لي أن المراد بصور في البيت : هو ماقاله الأعشى في بيت آخر وهو (قوله في وصف الحمير : « وصل على دنها وارتم » . ومعنى ارتسم : أشار بيده على جبهته وقلبه وصدره ، يمينه ويسرة ، كما يفعل =

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم إذا وهب لكم ربكم العافية ، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم ، ومن الشدة في معاشكم ، وفرج البلاء عنكم (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) يقول : إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم ، فيعبدون الأوثان ، ويدبحون لها الذبائح ، شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر (ليكفروا بما آتيناهم) يقول : ليجحدوا الله نعمته ، فيما آتاهم من كشف الضر عنهم (فتمتعوا فسوف تعلمون) ، وهذا من الله وعيد هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، وتهديد لهم ، يقول لهم جل ثناؤه : تمتعوا في هذه الحياة الدنيا ، إلى أن توافيكم آجالكم ، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم ، وتمتعكم فيها ، فإنكم من ذلك ستصبرون إلى ربكم ، فتعلمون ببقائه وبال ما كسبت أيديكم ، وتعرفون سوء مغيبة أمركم ، وتندمون حين لا ينفعكم الندم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَجْمَعُونَ لِمَا لَا يَأْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)

﴿ يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون من عبادة الأوثان ، لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا ، نصيبا . يقول : حظا وجزاء مما رزقناهم من الأموال ، إشركا منهم له بالذي يعلمون أنه خلقهم ، وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره :

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَيَجْمَعُونَ لِمَا لَا يَأْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : يعلمون أن الله خلقهم ، ويضرهم وينفعهم ، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم ، نصيبا مما رزقناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْمَعُونَ لِمَا لَا يَأْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) وهم مشركو العرب ، جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم ، وجزءا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَجْمَعُونَ لِمَا لَا يَأْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) قال : جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء ، جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام ، يسمون عليها أسماءها ، ويدبحون لها .

وقوله (تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) يقول تعالى ذكره : والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم ، شركا بالله وكفرا ، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون ، يعني : تختلقون من الباطل والإفك على الله ، بدعواكم له شريكا ، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ، ثم لتيعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمته ، وافترائكم عليه .

= المسيحيون . وراوح بين المملين : تداول غذا مرة ، وهذا مرة . وجأر إلى الله جوارا : تضرع إليه بالدعاء والاستغاثة . يقول : ليس الراهب المعتكف في هيكله أمام صليبه ، دائبا على صلواته : سجودا وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى في الحساب . (خبر ما في البيت الذي بعد البيتين) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ

مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم ، وقبح فريتهم على ربهم ، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم ، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر ، واستحق عليهم الحمد : البنات . ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى . سبحانه ، نزهة جل جلاله بذلك نفسه ، عما أضافوا إليه ونسبوه . من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه . ولا ينبغي أن يكون له من الولد ، أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ، ويحبونه لها ، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ، ولا يرضونه لها من البنات ، ما يقتلونها إذا كانت لهم . وفي « ما » التي في قوله (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) وجهان من العربية : النصب عطفًا لها على البنات ، فيكون معنى الكلام ، إذا أريد ذلك : ويجعلون لله البنات ، ولهم البنين الذين يشتهون ، فتكون « ما » للبنين . والرفع ، على أن الكلام مبتدأ من قوله (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) ، فيكون معنى الكلام : ويجعلون لله البنات ، ولهم البنون :

وقوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) يقول : وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات ، بولادة ما يضيفه إليه من ذلك له ، ظل وجهه مسودًا ، من كراهته له (وَهُوَ كَظِيمٌ) يقول قد كظم الحزن ، وامتلاً عما بولادته له ، فهو لا يظهر ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) ، ثم قال (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ... إلى آخر الآية ، يقول : يجعلون لله البنات ، ترضونهن لى ، ولا ترضونهن لأنفسكم ، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا وُلد للرجل منهم جارية ، أمسكها على هون ، أو دسها في التراب وهي حية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) وهذا صنيع مشركى العرب ، أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم ، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدرى أنه خير ، لرُبَّ جارية خير لأهلها من غلام . وإنما أخبركم الله بصنيعهم ، لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم يغذو كلبه ، ويثد ابنته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَهَوُ كَطِيمٌ) قال : حزين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَهَوُ كَطِيمٌ) قال : الكظيم : الكميد . وقد بيننا ذلك بشواهد ، في غير هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : يتوارى هذا المبشر بولادة الأثني من الولد له ، من القوم ، فيغيب عن أبصارهم . (مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) يعنى : من مساءته إياه ، مميلًا بين أن يمسكه على هُونٍ : أى على هوان ، وكذلك ذلك في لغة قريش ، فيما ذُكِرَ لى ، يقولون للهوان : الهُونُ ؛ ومنه قول الحطيئة :

فَلَمَّا حَشَيْتُ الْهُونَ وَالْعَيْبِ مُمْسِكِ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَثْبَتَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ

وبعض بنى تميم جعل الهُون مصدرًا للشىء الهين ، ذكر الكسائى أنه سمعهم يقولون : إن كنت لقليل هُون المؤنة منذ اليوم ؛ قال : وسمعت : الهَوَانُ فى مثل هذا المعنى ، سمعت منهم قائلًا يقول لبعير له : ما به بأس غير هَوَانَه ، يعنى خفيف الثمن . فإذا قالوا : هو يمشى على هَوَانِه ، لم يقولوه إلا بفتح الهاء ، كما قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) . (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) يقول : يدفنه حيا فى التراب ، فيثده .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أَيْمُسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) : يثد ابنته .

وقوله (أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول : ألساء الحكم الذى يحكم هؤلاء المشركون ، وذلك أَن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم ، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شِرًّا كما فيما رزقهم الله ، وعبدوا غير من خلقهم ، وأنعم عليهم .

(١) البيت فى ديوان الحطيئة طبع التقدم بالقاهرة ص ١٠ قال شارحه : يقول : مادام الحمار مقيدا فهو ذليل ، معترف بالهوان . وهذا مقلوب ، أراد : ما أثبت الحبل حافره (الحبل فاعل أثبت ، والحافر مفعوله) فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا ، والمفعول فاعلا ، ومثله : أسلموها فى دمشق كما أسلمت وحشية وعقا
أراد : كما أسلم وحشية ودحق (والوحق : الحبل المغار فيه أنشوطه ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان ، جمه أوهاق ..) : وقال عروة ابن الورد :

فلو أنى شهدت أبا سعاد غداة غدا بمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلوه إلا ما أطيق

أى لا أترك جهدا ، أراد : فديت نفسه بنفسى ، فقلب .

القول في تأويل قوله تعالى

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ، وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)

و هذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ، والآية التي بعدها: مثل ضرب به الله هؤلاء المشركين ، الذين جعلوا لله البنات ، فبين بقوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ) أنه مثل ، وعنى بقوله جل ثناؤه (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) : للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين (مَثَلُ السَّوِّءِ) وهو القبيح من المثل ، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل . (وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) يقول : والله المثل الأعلى ، وهو الأفضل والأطيب ، والأحسن ، والأجل ، وذلك التوحيد والإذعان له ، بأنه لا إله غيره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ ، وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) الإخلاص والتوحيد .
وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول تعالى ذكره : والله ذو العزة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين ، الذين وصف وصفهم في هذه الآيات ، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه ، ولا يتعدر عليه شيء أرادته وشاءه ، لأن الخالق خلقه ، والأمر أمره ، الحكيم في تدبيره ، فلا يدخل تدبيره خلل ، ولا خطأ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ

مُؤَمَّيٍّ ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ) عصاة بني آدم بمعاصيهم (مَا تَرَكَ عَلَيْهَا) يعني : على الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) تدب عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ) يقول : ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة ، فلا يعاجلهم بالعقوبة (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : إلى وقتهم الذي وقَّت لهم ، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ) يقول : فإذا جاء الوقت الذي وقَّت لحلاكهم (لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عن الهلاك ساعة فيمهلون ، (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) له حتى يستوفوا آجالهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : كاد الجععل أن يعذب بذنب بني آدم ، وقرأ (لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي ، قال : ثنا محمد بن جابر الجعفي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، قال : سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، قال : فالتفت إليه فقال : بلى ، والله إن الجباري ليموت في وكرها هزلا بظلم الظالم .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا أبو عبيدة الحداد ، قال : ثنا قبرة بن خالد السدوسي ، عن الزبير بن عدي ، قال : قال ابن مسعود : خطبته ابن آدم قتلت الجععل .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، قال : قال عبد الله : كاد الجععل أن يهلك في جحره بخطيئة ابن آدم .
حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال الله : (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ، ولا يقدم ، ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ، ويقدم ما شاء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَجْعَلُونَ لِمَا يُكْرَهُونَ ، وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ، لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) يقول : وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه ، أن لهم الحسنى ، فأن في موضع نصب ، لأنها ترجمة عن الكذب . وتأويل الكلام : ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم ، ويزعمون أن لهم الحسنى ، الذي يكرهونه لأنفسهم البنات يجعلون لله تعالى ، وزعموا أن الملائكة بنات الله . وأما الحسنى التي جعلوها لأنفسهم : فالذكور من الأولاد ، وذلك أنهم كانوا يثدنون الإناث من أولادهم ، ويستبقون الذكور منهم ، ويقولون : لنا الذكور والله البنات ، وهو نحو قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : أخبرنا

إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، حميما ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَصِفُ أُلْسِنَتَهُمْ
الْكُذِبَ أَنْ لَمْ تُحْسِنِي) قال : قول قريش : لنا البنون ، والله البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه
قال : قول كفار قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أُلْسِنَتَهُمُ الْكُذِبَ) : أى يتكلمون بأن لم الحسنى : أى الغلمان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ لَمْ تُحْسِنِي)
قال : الغلمان .

وقوله (لاجِرَمَ أَنْ لَمْ تُنَّارَ ، وَأَتَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : حقا واجبا أن لهؤلاء
القائلين لله البنات ، الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم ، ولأنفسهم الحسنى ، عند الله يوم القيامة النار .
وقد بينا تأويل قول الله (لاجِرَمَ) في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد ، بما أغنى عن إعادته
في هذا الموضع .

وروى عن ابن عباس في ذلك : ما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ،
عن ابن عباس ، قوله (لاجِرَمَ) يقول : بلى .

وقوله (لاجِرَمَ) كان بعض أهل العربية يقول : لم تُنَّصَبَ جرم بلا . كما نصبت الميم من قول : لا غلام
لك ؛ قال : ولكنها نُصِبَتْ لأنها فعل ماض ، مثل قول القائل : قَعَدَ فلان وجلس ، والكلام : لا ، رد
لكلامهم ، أى ليس الأمر هكذا ، جِرَمَ : كَسَبَ ، مثل قوله : لا أقسم ، ونحو ذلك . وكان بعضهم يقول :
نصب جِرَمَ بلا ، وإنما هو بمعنى : لا بد ، ولا محالة ؛ ولكنها كَثُرَتْ في الكلام ، حتى صارت بمنزلة حقا .
وقوله (وَأَتَّهُمْ مُفْرَطُونَ) يقول تعالى ذكره : وأنهم مُخَلَّفُونَ مَرُوكُونَ في النار ، منسيون فيها .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن
سعيد بن جبیر في هذه الآية (لاجِرَمَ أَنْ لَمْ تُنَّارَ ، وَأَتَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون مُضَيَّعُونَ .
حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : أخبرنا سعيد ، عن أبي بشر ،
عن سعيد بن جبیر ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، عن شعبة ، قال : أخبرني أبو بشر ، عن سعيد بن جبیر ، مثله .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (لاجِرَمَ
أَنْ لَمْ تُنَّارَ ، وَأَتَّهُمْ مُفْرَطُونَ) قال : مَرُوكُونَ في النار ، منسيون فيها .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : حصين ، أخبرنا ، عن سعيد بن جبیر ، بمثله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير بمثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَتَّهَمُ
مُفْرَطُونَ) قال : منسيون .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا أبو حذيفة ، قال :
ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ،
عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك (وَأَتَّهَمُ مُفْرَطُونَ)
قال : متروكون في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم ، عن مجاهد :
(مُفْرَطُونَ) قال : منسيون .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن الحسين ، عن قتادة (وَأَتَّهَمُ مُفْرَطُونَ)
يقول : مُضَاعُونَ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، في قول
الله (وَأَتَّهَمُ مُفْرَطُونَ) قال : منسيون في النار .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم مُعْجَلُونَ إلى النار ، مقدّمون إليها ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب :
أفرطنا فلانا في طلب الماء : إذا قدّموه لإصلاح الدلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه ،
فهو مُفْرَطٌ . فأما المتقدم نفسه فهو فارط ، يقال : قد فرط فلان أصحابه يتفرطهم فرطاً وفرطاً : إذا
تقدمهم . وجمع فارط ، فرطاً ، ومنه قول القطامي :

واستعجّلونا وكانوا من أصحابنا كما تعجّل فرطاً ليوراداً

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الخوض » : أي متقدمكم إليه وسابقكم « حتى
تردوه » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَّهَمُ مُفْرَطُونَ) يقول : مُعْجَلُونَ
إلى النار .

(١) البيت في ديوان القطامي طبعه ليدن سنة ١٩٠٢ وفيه « فاستعجلونا » بالفاء . يقول : استعجلونا : أي أعجلونا ، يريد
تقدمونا ، والفرط : الذين يتقدمون الراردة ، فيصلحون الأرشية ، حتى يأتي القوم بعدهم . وفي (اللسان : فرط) : وفرط القوم
يفرطهم فرطاً (من باب قتل) وفرطة : تقدمهم إلى الورد ، لإصلاح الأرشية والدلاء ، ومدد الحياض ، والسق فيها ، فأذا فرط ،
وهم الفرط : قال القطامي : فاستعجلونا . . . الخ البيت . وفي الصحاح : كما تعجل في موضع : كما تقدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ)
قال : قد أفرطوا في النار : أي مُعْجَلُونَ .
وقال آخرون : معني ذلك : مُبْعَدُونَ في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السَّيَّان ، عن الربيع ، عن أبي بشر ، عن سعيد (وَأَنَّهُمْ
مُفْرَطُونَ) قال : مُحْسِنُونَ مُبْعَدُونَ .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي اخترناه ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم ،
إنما يقال فيمن قدم مقدما لإصلاح ما يقدم إليه ، إلى وقت ورود من قدّمه عليه ، وليس بمقدم من قدم
إلى النار من أهلها ، لإصلاح شيء فيها ، لوارد يرد عليها فيها ، فيوافقه مصلحا ، وإنما تقدم من قدم إليها
لعذاب يُعْجَلُ له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ، ففسد أن يكون له وجه في الصحة ،
صح المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك . وذلك أنه يُحْكَمُ عن العرب : ما أفرطت
ورأى أحداً : أي ما خلفته ، وما فرطته : أي لم أخلفه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المصريين الكوفة والبصرة (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ)
بتخفيف الراء وفتحها ، على معنى ما لم يُسَمَّ فاعله ، من أفرط فهو مُفْرَطٌ . وقد بينت اختلاف قراءة ذلك
كذلك في التأويل . وقرأه أبو جعفر القاري (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) بكسر الراء وتشديد ها ، بتأويل : أنهم مفراطون
في أداء الواجب كان الله عليهم في الدنيا ، من طاعته وحقوقه ، مضيعو ذلك ، من قول الله تعالى (يَا حَسْرَتَا
على ما فرطت في جنب الله) . وقرأ نافع بن أبي نعيم (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) بكسر الراء وتخفيفها .

حدثني بذلك يونس ، عن ورش ، عنه ، بتأويل : أنهم مُفْرَطُونَ في الذنوب والمعاصي ، مُسْرِفُونَ
على أنفسهم ، مكثرون منها ، من قولهم : أفرط فلان في القول : إذا تجاوز حدّه ، وأسرف فيه .

والذي هو أولى القراءات في ذلك بالصواب : قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق ، لموافقها
تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل ، وخروج القراءات الأخرى عن تأويلهم .

القول في تأويل قول تعالى

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ، فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره . مقسماً بنفسه عز وجل ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا
من قبلك إلى أممها ، بمثل ما أرسلناك إلى أممتك ، من الدعاء إلى التوحيد لله ، وإخلاص العبادة له ، والإذعان له
بالطاعة ، وخلع الأنداد والآلهة (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) يقول : فحسّن لهم الشيطان ما كانوا

عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان ، مقيمين ، حتى كذبوا رسلهم ، وردوا عليهم ماجاءوهم به من عند ربهم (فَهَوَّوْا وَلِيَّيْهِمْ الْيَوْمَ) يقول : فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا ، وبئس الناصر (وَكَلَّمْنَا عَدَّابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة عند ورودهم على ربهم ، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ، ولا هي نفعهم في الدنيا ، بل ضررتهم فيها ، وهي لهم في الآخرة أضر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ (٦٤)

✽ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا ، وبعثناك رسولا إلى خلقنا ، إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله ، فتعرفهم الصواب منه ، والحق من الباطل ، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله ، الذي بعثك بها .

وقوله (وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : وهدى بيانا من الضلالة ، يعنى بذلك الكتاب ، ورحمة لقوم يؤمنون به ، فيصدقون بما فيه ، ويقرؤون بما تضمن من أمر الله ونهيه ، ويعملون به ، وعطف بالهدى على موضع لبيّن ، لأن موضعها نصب . وإنما معنى الكلام : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه ، هدى ورحمة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ (٦٥)

✽ يقول تعالى ذكره ، منبه خلقه على حججه عليهم في توحيدهِ ، وأنه لا تنبغي الألوهة إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء سواه : أيها الناس ، معبودكم الذي له العبادة دون كل شيء (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعنى : مطرا ، يقول : فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء ، الأرض الميتة التي لا زرع بها ولا عشب ولا نبت : (بَعْدَ مَوْتِهَا) بعد ما هي ميتة ، لا شيء فيها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) يقول تعالى ذكره : إن في إحيائها الأرض بعد موتها ، بما أنزلنا من السماء من ماء ، للدليلا واضحا ، وحجة قاطعة عنده من فكر فيه (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول : لقوم يسمعون هذا القول ، فيتدبرونه ويعقلونه ، ويطيعون الله بما دلهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ، نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، لَبَنًا

خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِّيبِينَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره : وإن لكم أيها الناس لعظة في الأنعام التي نُسقيكم مما في بطونه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نُسقيكم) ، فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة ، سوى عاصم : ومن أهل المدينة أبو جعفر : (نُسقيكم) بضم النون ، بمعنى : أنه أسقاهم شربا دائما . وكان الكسائي يقول : العرب تقول : أسقيناهم نهرا ، وأسقيناهم لبنا : إذا جعلته شربا دائما ، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا : سقيناهم ، فنحن نُسقيهم ، بغير ألف . وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ، سوى أبي جعفر : ومن أهل العراق عاصم (نُسقيكم) بفتح النون ، من سقاه الله ، فهو يسقيه . والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقي غير دائم ، وتنزعهما فيما كان دائما ، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي ، يدل على ما قلنا من ذلك ، قول لبيد في صفة صحاب :

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ

فجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأية القراءتين قرأ القارئ فصيح ، غير أن أعجب القراءتين إلى ، قراءة ضم النون ، لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقي : أسقى بالألف ، فهو يسقي ، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام ، فدائم لهم غير منقطع عنهم . وأما قوله (مما في بطونه) وقد ذكر الأنعام قبل ذلك ، وهي جمع ، والهاء في البطون موحدة ، فإن لأهل العربية في ذلك أقوالا . فكان بعض نحويي الكوفة يقول : النعم والأنعام شيء واحد ، لأنهما جميعا جمعان ، فرد الكلام في قوله (مما في بطونه) إلى التذكير ، مرادا به معنى النعم ، إذ كان يؤدي عن الأنعام ، ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الأعراب :

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنَ الْأَسَدِ جِبْهَتِهِ أَوْ الْحَرَاقِ وَالكَتَدِ

بِالْهَيْلِ فِي الْفَضِيحِ فَتَسَدِ وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّفَاحِ قَبْرَدٌ

ويقول : رجع بقوله : « فبرد » إلى معنى اللبن ، لأن اللبن والألبان تكون في معنى واحد ، وفي تذكير النعم قول الآخر :

(١) البيت لليد (لسان العرب : سق) قال : السق : معروف ، والاسم : السقيا بالضم . وسقاه الله الغيث وأسقاه ، وقد جمعهما لبيد في قوله : « سق قومي » . وقال الفراء في معاني القرآن : (١٧٤) العرب تقول : لكل ما كان من بطون الأنعام ، ومن السماء أو نهر يجري لقوم : أسقيت . فإذا سقاه الرجل ماء لشفئك ، قالوا : سقاه ، ولم يقولوا : أسقاه ، كما قال الله عز وجل : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » . وقال : « الذي يطعمني ويسقين » . وربما قالوا لما في بطون الأنعام ولما السماء : سق وأسق ، كما قال لبيد : « سق قومي » . وقد اختلف القراء ، وقرأ بعضهم : نسقيكم ، وبعضهم : يسقيكم .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في (اللسان : جبه) قال : الأزهرى : الجبهة النجم الذي يقال له : جبهة الأسد ، وهي أربعة أنجم يترها القمر ، قال الشاعر : « إذا رأيت . . . وفي (اللسان : خرت) : والخراتان : نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان ، بينهما قدر سوط ، وهما كنف الأسد ، وأحدتهما خراة ، وأنشد الأبيات الأربعة . وفي (اللسان : كتد) : والكتد : نجم ، أنشد ثعلب : « إذا رأيت . . . الخ الأبيات . وفي (اللسان : سهل) الأزهرى : سهيل كوكب لا يرى بخراسان ، ويرى بالعراق ، وقال ابن كنانة ، سهيل يرى بالحجاز ، وفي جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرض إرمينية . وقال الأزهرى : سهيل كوكب يمان . وفي (اللسان : فضخ) الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفصوخ وحده ، من غير أن تمسه النار ، وهو المشدوخ . =

أَكْلٌ عَامٍ نَعَمٌ يَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَسْتَجُونَهُ^١

فذكر النعم ؛ وكان غيره منهم يقول : إنما قال (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) لأنه أراد : مما في بطون ما ذكرنا ؛ وينشد في ذلك رَجْزاً لبعضهم :

مِثْلُ الْفِرَاحِ نَتِفَتْ حَوَاصِلُهُ^٢

وقول الأسود بن يعْفُر :

إِنَّ الْمَنِيَةَ وَالْحَتُوفَ كِلَاهِمَا يُؤْنِي الْمَخَارِمَ بِرَقَبَانِ سَوَادِي^٣

فقال : كلاهما ، ولم يقل : كلتاها ؛ وقول الصَّلْتَانِ الْعَبْدِي :

إِنَّ السَّاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمْنَا قَسْبَرًا بِمَرَّوٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^٤

وقول الآخر :

= وفضخت البسر وافتضخته ، قال الراجز : « بال سهيل في الفضيخ ففسد » يقول : لما طلع سهيل . ذهب زمن البسر وأرطب ، فكانه بال فيه . وأصل هذه الشواهد من شواهد الفراء في معاني القرآن ، قال : (ص ١٧٤) : وأما قوله « مما في بطونه » ، ولم يقل « بطونها » فإنه قيل - والله أعلم - إن النعم والأنعام شيء واحد ، وهما جمان ، فرجع التذكير إلى معنى « النعم » ، إذ كان يؤدي عن الأنعام . أنشدني بعضهم : إذا رأيت أنجما . . الخ الأبيات الأربعة ، وهي من مشطور الرجز . فرجع (ضمير قوله فبرد) إلى اللبن ، والألبان يكون في معنى واحد . قال : وقال الكسائي « نسقيكم مما في بطونه » : بطون ما ذكرنا . وهو صواب . أنشدني بعضهم : « مثل الفراح نتفت حواصله »

(١) هذا الرجز لفيس بن الحصين بن يزيد الحارثي ، أنشده أبو عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٦٢) وأنشد بعد بيتي الشاهد ، بيتا ثالثا وهو : « أربابه نوكني ولا يحمونه » . والشاهد فيه أن الأنعام يذكر ويؤنث . قال : وقال آخرون : المعنى على النعم ، لأن النعم ، يذكر ويؤنث . وأنشده في اللسان (نعم) قال : وقال آخر في تذكير النعم :

فِي كَلِّ عَامٍ نَعَمٌ يَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَسْتَجُونَهُ

وذكر الرجز البغدادي في الخزانة (١ : ١٩٦ - ١٩٧) وزاد فيه أبياتا ، قال : وتنتجونه بتاء الخطاب : يقال نتج الناقة أهلها إذا استولدوها . وأنتجت الفرس بالهمزة : حان نتاجها . والنتاج بالكسر : اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولي الإنسان ناقة أو شاة ما خضا حتى تضع ، قيل نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالتقابلة ، لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد : نتيجة .

يقول : يحملون الفحولة على النوق ، فإذا حملت أغرمت أتم عليها . ورواية البيت في الخزانة كرواية المؤلف . والأبيات قيلت في يوم الكلاب الثاني ، وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة .

(٢) هو مثل الشاهد السابق على سابقه . أنشده الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٤) شاهدا ، على أن قوله نتفت حواصله ، أي حواصل ما ذكرنا ، كما فسره الكسائي . ونقله صاحب اللسان في (نعم) مع أشباهه .

(٣) البيت للأوس بن يعفر البهلي التيمي (المفضليات : ١٠١) والمنية : الموت . والحتوف : جمع حتف يريد أنواع الأخطار التي تؤدي إلى الموت . والمخارم : جمع مخرم : الطريق في الغلظ ، عن السكري ، وقيل : الطرق في الجبال ، وأفواه الفجاج . وسواد الإنسان : شخصه . والشاهد في البيت قوله « كلاهما » بالتذكير ، مع أن المنية والحتوف مؤنثان . وكان حقه أن يقول : كلتاها ، لأن الشاعر لم يجعل بهذا التأنيث ، واعتبر المذكور أولا مذكرا ، بمعنى الشيتين .

(٤) الشاهد في البيت أن السباحة والمروءة لفظتان مؤنثتان ولم يؤنث الفعل المتحمل ضميرها ، فقال الشاعر : ضمنا ، ولم يقل ضمنا ، لأنه اعتبر ما رجع إليه الضمير قبل الفعل شيتين مذكرين ، أو خلقين ، فلذلك لم يؤنث الفعل المستند إلى ضميرهما .

وَعَفْرَاءُ أَدَّتِي النَّاسَ مِثْنِي مَوَدَّةً وَعَفْرَاءُ عَسَى الْمُعْرِضُ الْمُشَوَّافِي^١

ولم يقل : المعرضة المتوانية ؛ وقول الآخر :

إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بَغِيظَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ^٢

ويقول : كل ذلك على معنى هذا الشيء ، وهذا الشخص ، والسواد ، وما أشبه ذلك ، ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَتْ هَذَا رَدِّي) بمعنى : هذا الشيء الطالع . وقوله (إِنَّ هَذِهِ تَدْكِرُهُ) ، فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) ولم يقل ذكرها ، لأن معناه : فمن شاء ذكر هذا الشيء . وقوله (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ) ، ولم يقل : جاءت .

وكان بعض البصريين يقول : قيل (مِمَّا فِي بَطُونِهِ) ، لأن المعنى : نسقيكم من أى الأنعام كان في بطونه ، ويقول : فيه اللبن مضممر ، يعنى : أنه يسقى من أيها كان ذا لبن ، وذلك أنه ليس لكلها لبن ، وإنما يسقى من ذوات اللبن . والقولان الأولان أصح مخرجا على كلام العرب ، من هذا القول الثالث . وقوله (مِثْنِي بَيْنَ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبِئْسَ خَالِصًا) يقول : نسقيكم لبنا ، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا : يقول : خلص من مخالطة الدم والفرث ، فلم يختلطا به ، (سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) يقول : يسوغ لمن شربه ، فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الأطعمة . وقيل : إنه لم يغص أحد باللبن قط .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : ولكم أيضا أيها الناس عبرة^٣ فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ، ما تتخذون منه سكرًا وريزقا حسنا ، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام ، من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . وحذف من قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ) الاسم ، والمعنى ما وصفت ، وهو : ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه ، للدلالة « مِثْنِي » عليه ، لأن « مِثْنِي » تدخل في الكلام مبغضة ، فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين ، بما يقتضى من ذكر الاسم معها . وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام : ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكرًا ، ويقول : إنما ذكرت الماء في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) لأنه أريد بها الشيء ، وهو عندنا عائد على المتروك ، وهو « ما » . وقوله (تَتَّخِذُونَ) : من صفة « ما » المتروكة .

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن المعرّض وهو خبر لعفراء ، لم يطابق المبتدأ في التأنيث ، وهو عفراء ، لأن الشاعر ذهب إلى معنى الحبيب أو الشخص ، مما هو مذكور في المعنى .
(٢) وهذا الشاهد كسابقه ، لأن الشاعر ذهب إلى أن أم عمار شخص . فلذلك قال صديق على التأويل ، ولم يقل صديقة على المطابقة . والصديق المساعف : أى المواسل ، الذى يذنو من صديقه ، ويسعفه بحاجته .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) فقال بعضهم : عنى بالسُّكَّرِ : الخمر ، وبالرزق الحسن : التمر والزبيب ، وقال : إنما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، ثم حرمت بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو بوب بن جابر السُّحَيْمِيُّ ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، قوله (تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السُّكَّرُ : ما حرّم من شرابه ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرته .

حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازي ، قالا : ثنا ابن عيينة ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس (تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : الرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتها ، والسُّكَّرُ : ما حرّم من ثمرتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت رجلاً يحدث عن ابن عباس في هذه الآية (تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : ما حرّم من ثمرتها ، والرزق الحسن : ما أحلّ من ثمرتها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا الأسود بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن سفيان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : وذكرت عنده هذه الآية (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : ما حرّم منهما ، والرزق الحسن : ما أحلّ منهما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان البصري ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : فأما الرزق الحسن : فما أحلّ من ثمرتها ، وأما السكر : فما حرّم من ثمرتها .

حدثني المثني ، قال : أخبرنا الحمّاني ، قال : ثنا شريك ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان البصري ، عن ابن عباس (تَسْخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السكر : حرّاه ، والرزق الحسن : حلاله .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود ، عن عمرو بن سفيان ، عن ابن عباس قال : السَّكَّرُ : ما حرَّم من ثمرتهما ، والرزق الحسن : ما حلَّ من ثمرتهما .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الرزق الحسن : الحلال : والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ما حرَّم من ثمرتهما ، وما أحلَّ من ثمرتهما .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : السكر خمير والرزق الحسن الحلال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر وسفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، في هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : السَّكَّرُ : الحرام ، والرزق الحسن : الحلال .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي رزين (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : نزل هذا وهم يشربون الخمر ، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم .
والشعبي وأبي رزين ، قالوا : هي منسوخة في هذه الآية (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا أبو قطن ، عن سعيد ، عن المغيرة ، عن إبراهيم والشعبي وأبي رزين .
بمثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : هي منسوخة ، نسخها تحريم الخمر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هُوْدَةَ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : ذكر الله نعمته في السَّكَّرِ قبل تحريم الخمر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور وعوف ، عن الحسن ، قال السكر : ما حرَّم الله منه ، والرزق : ما أحلَّ الله منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : الرزق الحسن : الحلال ، والسَّكَّرُ : الحرام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : السكر : الخمر ، والرزق الحسن : الرطب والأعناب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا) قال : هي الخمر قبل أن تحرم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا) قال : الخمر قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) قال : طعاما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) أما السُّكْرُ : فخمور هذه الأعاجم ، وأما الرزق الحسن : فما تتبذون ، وما تَحْلَلُونَ ، وما تَأْكُلُونَ ، ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ ، وإنما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبي عُدْرَةَ ، قال : هكذا سمعت قتادة (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) ثم ذكر نحو حديث بشر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سُكْرًا) قال هي : خمور الأعاجم ، ونُسخت في سورة المائدة ، والرزق الحسن : ما تتبذون وتَحْلَلُونَ وتأكلون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) وذلك أن الناس كانوا يسمون الخمر سُكْرًا ، وكانوا يشربونها ، قال ابن عباس : مرّ رجال بوادى السكران الذي كانت قريش تجتمع فيه ، إذا تَلَقَّوْا مسافرينهم ، إذا جاءوا من الشام ، وانطلقوا معهم يشيعونهم ، حتى يبلغوا وادى السكران ، ثم يرجعوا منه ، ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت ، وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر ، وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخمر السُّكْرَ ، قوله (وَرِزْقًا حَسَنًا) يعني بذلك : الحلال التمر والزبيب ، وما كان حلالا لا يسكر .

وقال آخرون : السُّكْرُ بمنزلة الخمر في التحريم ، وليس بخمر ، وقالوا : هو نقيع التمر والزبيب : إذا اشتدّ وصار يسكر شاربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، في قوله (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ

(١) قوله : قال ابن عباس إلى يرجعوا منه . كذا في النسخ . وهو كالمقحم وسط الكلام ، وقد أسقطه السيوطي من الدر المنثور حين روى هذا الحديث .

والأعشاب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال ابن عباس: كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر، والسكر حرام مثل الخمر: وأما الحلال منه، فالزبيب والتمر والخل ونحوه.

حدثني المثني، وعلى بن داود، قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا) فحرم الله بعد ذلك، يعني بعد ما أنزل في سورة البقرة من ذكر الخمر، والميسر والأنصاب والأزلام، السكر مع تحريم الخمر، لأنه منه، قال (وَرِزْقًا حَسَنًا) فهو الحلال من الخل والنبيذ، وأشبه ذلك، فأقره الله، وجعله حلالا للمسلمين.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن موسى، قال: سألت مرة عن السكر فقال: قال عبد الله: هو خمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي فروة، عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: السكر: خمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي الهيثم، عن إبراهيم، قال: السكر: خمر. حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا حسن بن صالح، عن مغيرة، عن إبراهيم وأبي رزين، قالا: السكر: خمر.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا) يعني: ما أسكر من العنب والتمر (وَرِزْقًا حَسَنًا) يعني: ثمرتها. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال: الحلال ما كان على وجه الحلال، حتى غيرها، فجعلوا منها سكرًا. وقال آخرون: السكر: السكر، ما كان حلالا شربه، كالنبيذ الحلال، والخل، والرطب، والرزق الحسن: التمر والزبيب.

ذكر من قال ذلك

حدثني داود الواسطي، قال: ثنا أبو أسامة، قال أبو روق: ثنى قال: قلت للشعبي: رأيت قوله تعالى (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا) أهو هذا السكر الذي تصنعه النبيذ؟ قال: لا، هذا خمر، إنما السكر الذي قال الله تعالى ذكره: النبيذ، والخل، والرزق الحسن: التمر والزبيب.

حدثني يحيى بن داود، قال: ثنا أبو أسامة، قال: وذكر مجالد، عن عامر، نحوه.

حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا مندل، عن ليث، عن مجاهد (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سُكَّرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) قال: ما كانوا يتخذون من النخل: النبيذ، والرزق الحسن: ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا مندل، عن أبي روق، عن الشعبي، قال: قلت له:

ما تتخذون منه سكرًا ، قال : كانوا يصنعون من النبيذ والخل ؛ قلت : والرزق الحسن ، قال : كانوا يصنعون من التمر والزبيب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : السُّكَّرُ : النبيذ والرزق الحسن : التمر الذي كان يؤكل . وعلى هذا التأويل ، الآية غير منسوخة ، بل حكمها ثابت .
وهذا التأويل عندي : هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة : أحدها : ما أسكر من الشراب . والثاني : ما طعم من الطعام ، كما قال الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا ١

أى طعاما . والثالث : السُّكُونُ من قول الشاعر :

جَعَلْتُ عَيْنَ الْحَرُورِ تَسْكُرُ ٢

وقد بينا ذلك فيما مضى . والرابع : المصدر من قولهم : سكر فلان يسكر سُكْرًا وسُكْرًا وسُكْرًا ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما يُسْكَرُ من الشراب حراما ، بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى : « لطيف القول في أحكام شرايع الإسلام » ، وكان غير جائز لنا أن نقول : هو منسوخ ، إذ كان المنسوخ : هو ما نفي حكمه الناسخ ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر ، دليل على أن السُّكْرَ الذي هو غير الخمر ، وغير ما يسكر من الشراب ، حرام ، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ، ومن نزل بلسانه القرآن : هو كل ما طعم ، ولم يكن مع ذلك ، إذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ ، أوورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ، ولا أجمعت عليه الأمة ، فوجب القول بما قلنا ، من أن معنى السُّكْرَ في هذا الموضع : هو كل ما حلَّ شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم ، وفسد أن يكون معناه الخمر ، أو ما يسكر من الشراب ، وخرج من أن يكون معناه السُّكْرَ نفسه ، إذ كان السُّكْرَ ليس مما يتخذ من النَّخْلِ وَالكَرْمِ ، ومن أن يكون بمعنى السُّكُونِ .

وقوله (إن في ذلك لآية لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يقول : فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد في صفحة ١٣ من هذا الجزء ، وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) عند قوله تعالى « تتخذون منه سكرًا » : أى طعاما ، وهذا له سكر : أى طعم . وقال جنيد « جعلت عيب الأكرمين سكرًا » . قال : وله موضع آخر ، مجازة سكرنا . ورواية البيت في اللسان :

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الْكِرَامِ سَكْرًا

أى جعلت ذمهم طعاما لك .

(٢) تقدم الكلام على هذا الشاهد في صفحة من هذا الجزء . واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٣) بعد الشاهد السابق ، وعطفه عليه بقوله : وقال :

جاء الشتاء واجتال القنبر وجعلت عين الحرور تسكر

أى يسكن حرها ويخبو . ويقال : ليلة ساكرة : أى ساكنة . وقال :

تريد الليالي في طولها وليست بطلق ولا ساكرة

وبروى : تزيد ليالي في طولها . اهـ . وفي (اللسان : سكر) : تزداد .

الناس من الأنعام والنخل والكرم ، لدلالة واضحة وآية بيّنة لقوم يعقلون عن الله حججه ، ويفهمون عنه مواعظه ، فيتعظون بها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ: أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ، وَمِنَ الشَّجَرِ ، وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : وأوحى ربك يا محمد النحل إيجاء إليها (أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) يعني : مما يبنون من السقوف ، فرفعوها بالبناء .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسحاق التيمي ، وهو ابن أبي الصباح ، عن رجل ، عن مجاهد (وأوحى ربك إلى النحل) قال : ألهمها إلهاماً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغني ، في قوله (وأوحى ربك إلى النحل) قال : قذف في أنفسها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفیان ، عن معمر ، عن أصحابه ، قوله (وأوحى ربك إلى النحل) قال : قذف في أنفسها : أن اتخذى من الجبال بيوتاً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وأوحى ربك إلى النحل) . . . الآية ، قال : أمرها أن تأكل من الثمرات ، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللاً .

وقد بيننا معنى الإيجاء ، واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع ، وكذلك معنى قوله (يعرشون) .

وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يعرشون) قال الكرم :

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ كَلِمَةٍ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ ، فَاَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : ثم كل أيتها النحل من الثمرات (فاسلكي سبل ربك) يقول : فاسلكي طرق ربك (ذللاً) يقول : مُدَّةً لك ، والذلل : جمع ذلول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (فاسئلكم سبيل ربك ذللاً) قال : لا يتوعر عليها مكان سلكته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فاسئلكم سبيل ربك ذللاً) قال : طرُقاً ذللاً ، قال : لا يتوعر عليها مكان سلكته . وعلى هذا التأويل الذى تأوله مجاهد ، الدليل : من نعت السبل .

والتأويل على قوله (فاسئلكم سبيل ربك ذللاً) الدليل لك : لا يتوعر عليك سبيل سلكتيه ، ثم أسقطت الألف واللام ، فنصب على الحال .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاسئلكم سبيل ربك ذللاً) : أى مطيعة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذللاً) قال : مطيعة . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاسئلكم سبيل ربك ذللاً) قال : الذلول : الذى يُقَاد وَيُذْهَبُ بِهِ حَيْثُ أَرَادَ صَاحِبُهُ ، قَالَ : فَهَمْ يَخْرُجُونَ بِالنَّحْلِ يَنْتَجِعُونَ بِهَا وَيَذْهَبُونَ ، وَهِيَ تَتَّبِعُهُمْ . وَقَرَأَ (أَوْ لَمْ يَسْرُوا) أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمَّاتُ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ، فَهَهُمْ كَهَنًا مَالِكُونَ ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) ... الآية ، فعلى هذا القول ، الدليل : من نعت النحل ، وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة ، وجهان مخترجان ، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لأنها إليها أقرب .

وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) يقول تعالى ذكره : يخرج من بطون النحل شراب ، وهو العسل ، مختلف ألوانه ، لأن فيه أبيض وأحمر وأخضر ، وغير ذلك من الألوان . قال أبو جعفر : أحر : ألوان مختلفة ، مثل أبيض يضرب إلى الحمرة .

وقوله (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله (فيه) ، فقال بعضهم : عادت على القرآن ، وهو المراد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد (فيه شفاء للناس) قال : فى القرآن شفاء .

وقال آخرون : بل أريد بها العسل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ)

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ (فيه شفاء للناس) كما قال الله تعالى ، من الأدوية ، وقد كان ينهى عن تفريق النحل ، وعن قتلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَاسْتَقِ أَخَاكَ عَسَلًا ، ثم جاءه فقال : ما زاده إلا شدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذْهَبْ فَاسْتَقِ أَخَاكَ عَسَلًا ، فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ ، فسقاه ، فكأنا نَشِيطٌ مِنْ عَيْقَالٍ . »

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : « شفاءان : العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور . »

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) : العسل .

وهذا القول ، أعنى قول قتادة : أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (فِيهِ) في سياق الخبر عن العسل ، فإن تكون الماء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه : أولى من غيره .

وقوله (إن في ذلك لآية لِمَنْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في إخراج الله من بطون هذه النحل : الشراب المختلف ، الذي هو شفاء للناس ، للدلالة وحجة واضحة على من سخّر النحل ، وهداها لأكل الثمرات التي تأكل ، واتخاذها البيوت التي تُنْشِئُهَا من الجبال والشجر والعروش ، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس : أنه الواحد الذي ليس كمثل شيء ، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ، ولا تصح الألوهة إلا له .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ، ولم تكونوا شيئاً ، لا الآلهة التي تعبدون من دونه ، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره . (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) يقول : ثم يقبضكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ) يقول : ومنكم من يهرم ، فيصير إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ، وهو أَرْدُوهُ ، يقال منه : رَدُّهُ الرَّجُلُ وَفَسَّلُ ، يرُدُّ رَدًّا أَوْ رَدًّا ، وَرَدُّهُ أَوْ رَدُّهُ ، وَرَدُّهُ أَنَا . وقيل : إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة .

حدثني محمد بن إسحاق الفزاري ، قال : أخبرنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أسد بن عمران ، عن سعد بن

طريف ، عن الأصبع بن ثباتة ، عن عليّ ، في قوله (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) قال : خمس^١ وسبعون سنة .

وقوله (لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) يقول : إنما نرده إلى أَرذَلِ العُمر ، ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه . (بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) يقول : لئلا يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه ، فذهب ذلك بالكبر ونسي ، فلا يعلم منه شيئاً ، وانسلخ من عقله ، فصار من بعد عقل كان له ، لا يعقل شيئاً (إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْكَ قَدِيرٌ) يقول : إن الله لا ينسى ، ولا يتغير علمه ، عليم بكل ما كان ويكون ، قدير على ما شاء ، لا يجهل شيئاً ، ولا يعجزه شيء أرادته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ؟ (٧١)

يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا ، فما الذين فضّلهم الله على غيرهم بما رزقهم (بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ) على ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يقول : بمشركي ممالئكم فيما رزقهم من الأموال والأزواج (فِيهِ سَوَاءٌ) يقول : حتى يستووا هم في ذلك وعبيدكم ، يقول تعالى ذكره : فهم لا يرضون بأن يكونوا هم وممالئكم فيما رزقهم سواء ، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني . وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله . وقيل : إنما عني بذلك ، الذين قالوا : إن المسيح ابن الله من النصارى . وقوله (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) : يقول تعالى ذكره : أفبنيمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين ، من الرزق الذي رزقهم في الدنيا ، يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه ، في سلطانه ومملكته ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يقول : لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني ، فذلك قوله (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) ؟

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : هذه الآية في شأن عيسى بن مريم ، يعني بذلك نفسه ، إنما عيسى عبد ، فيقول الله : والله ماتشركون عبيدكم في الذي لكم ، فتكونوا أنتم وهم سواء ، فكيف ترضون لي بما لا ترضون لأنفسكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، في قوله (بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) قال : مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ، فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ؟) وهذا مثل ضربه الله ، فهلى منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه ، فتعدلون بالله خلقه وعباده ، فإن لم ترض لنفسك هذا ، فالله أحق أن ينزهه منه من نفسك ، ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) قال : هذا الذي فضل في المال والولد ، لا يشرك عبده في ماله وزوجته ، يقول : قدر ضيت بذلك لله ، ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : (وَاللَّهُ) الذي (جَعَلَ لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) : أي والله خلق آدم ، ثم خلق زوجته منه (ثُمَّ جَعَلَ لَكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) .

واختلف أهل التأويل في المعنيين بالتحفدة ، فقال بعضهم : هم الأختان ، أختان الرجل على بناته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، عن المنهال بن عمرو ، عن ابن حبيش ، عن عبد الله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الأختان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن ورقاء سألت عبد الله : ماتقول في الحفدة ؟ هم حشمة الرجل يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : لا ، ولكنهم الأختان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قالا جميعا :

ثنا سفيان ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زير بن حبيش ، عن عبد الله ، قال : الحفدة : الأختان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان بإسناده عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع ، وسوار بن عبد الله العنبري ، ومحمد بن خلف

ابن خيرايش والحسن بن خلف الواسطي، قالوا: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم، عن المعيرة، عن إبراهيم، قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة (بنيين وحفدة) قال: الحفدة: الأختان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: الحفدة: الحسنيين.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عاصم، عن زير، عن عبد الله، قال: الأختان.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الأختان.

وحدثني المثني، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن ابن عباس، قوله (وحفدة) قال: الأصهار.

حدثني المثني، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن عاصم، عن زير، عن ابن مسعود، قال:

الحفدة: الأختان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عاصم بن أبي النجود،

عن زير بن حبيش، قال: قال لي عبد الله بن مسعود: ما الحفدة يا زير؟ قال: قلت: هم أحفاد الرجل،

من ولده وولد ولده، قال: لا، هم الأصهار.

وقال آخرون: هم أعوان الرجل وخدمه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خالد بن حيداش، قال: ثني سأم بن قتيبة، عن وهب بن حبيب الأسدي، عن

أبي حمزة، عن ابن عباس، سئل عن قوله (بنيين وحفدة) قال: من أعانك فقد حفدك، أما سمعت

قول الشاعر:

حَفَدَ الْوَالِدُ حَوْلَهُنَّ وَأُسْلِمَتُ بِأَكْفُهُنَّ أَرْمَةً الْأَجْمَالِ

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سيالك، عن عكرمة، في قوله (بنيين وحفدة) قال:

الحفدة: الخدّام.

(١) استشهد بالبيت أبو عيينة في مجاز القرآن: (١: ٣٦٤) ونسبه بلميل بن عبد الله بن معمر العذري. قال عند قوله تعالى

« بنيين وحفدة »: أعوانا وخداما، قال جميل: « حفد الولائد... الخ. واحدهم حافد، خرج مخرج كامل. والجمع: كلمة:

وقال في (اللسان: حفد) يحفد بالكسر حفدا، وحفدانا، واحتفد: خف في العمل وأسرع، وحفد يحفد حفدا: خدم. الأزهرى:

الحفد في الخدمة والعمل: الحفة، وأنشد (حفد الولائد... البيت).

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال : ثنى سَلَمُ بن قُتَيْبَةَ ، عن حازم بن إبراهيم البَجَلِيّ ، عن سِماك ، عن عكرمة ، قال : قال : الحَفْدَةُ : الخُدّام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : هم الذين يُعِينُونَ الرجل ، من ولده وخدمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : (وَحَفْدَةٌ) قال : الحَفْدَةُ : من خدمك مِن ولدك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سلام بن سليم ، وقيس عن سِماك . عن عكرمة ، قال : هم الخدم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلام أبو الأحوص ، عن سِماك ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني محمد بن خالد ، قال : ثنى سَلَمَةُ ، عن أبي هلال ، عن الحسن ، في قوله (بَنِينَ وَحَفْدَةٌ) قال : البنين وبنو البنين ، مَنْ أَعَانَكَ مِنْ أَهْلِ وَخَادِمِ فَقَدْ حَفْدَكَ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : هم الخُدّام .

حدثني محمد بن خالد وابن وكيع ، ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحَفْدَةُ : الخُدّام .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، جميعاً عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَنِينَ وَحَفْدَةٌ) قال : ابنه وخدامه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (بَنِينَ وَحَفْدَةٌ) قال : أنصارا وأعوانا وخدماء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زمعة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : الحَفْدَةُ : الخدم . حدثنا ابن بشار مرة أخرى ، قال : ابنه وخدامه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفْدَةً) مَهْنَةٌ يَمْتَهِنُونَكَ وَيُخْدَمُونَكَ مِنْ وَلَدِكَ ، كرامة أكرمكم الله بها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السُّدِّيّ ، عن أبي مالك : الحَفْدَةُ ، قال : الأعوان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : الذين يعينونه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك .
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن الحسن ، قال : الحفدة : الخدم .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : ولده الذين يعينونه .
 وقال آخرون : هم ولد الرجل وولد ولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَحَفَدَةً) قال : هم الولد وولد الولد .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : البنون .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بنوك حين يخفدونك ويرفدونك ويعينونك ، ويخدمونك ، قال حميد :
 حَفَدَ الْوَالِدُ حَوْكُنًا وَأُسْلِمَتَ بِيَاكُفُهُنَّ أَرِمَةً الْأَجْمَالِ
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) قال : الحفدة : الخدم من ولد الرجل : هم ولده ، وهم يخدمونه ، قال : وليس تكرون العبيد من الأزواج ، كيف يكرون من زوجي عبد؟ إنما الحفدة : ولد الرجل وخدمه .
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (بَنِينَ وَحَفَدَةً) يعني : ولد الرجل يخفدونه ويخدمونه ، وكانت العرب إنما تخدمهم أولادهم الذكور .
 وقال آخرون : هم بنو امرأة الرجل من غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه ، ويقال : الحفدة : الرجل يعمل بين يدي الرجل ، يقول : فلان يخفد لنا ، ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل . والصواب من القول في ذلك عندي : أن يقال : إن الله تعالى أخبر عباده معرفتهم نعمه عليهم ، فيما جعل

(١) سبق الاستشهاد بالبيت قريبا في صفحة ١٤٤ فراجعه ثمة .

(٢) الأختان : جمع ختن ، بسكون التاء ، وهو زوج بنت الرجل .

لهم من الأزواج والبنين ، فقال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ، والحفدة في كلام العرب : جمع حافد ، كما الكذبة : جمع كاذب ، والفسقة : جمع فاسق . والحافد في كلامهم : هو المتخفف في الخدمة والعمل . والحفد : خفة العمل . يقال : مرّ البعير يحفد حفدًا أنا : إذا مرّ يسرع في سيره . ومنه قولهم : إليك نسعى ونحفد : أي نسرع إلى العمل بطاعتك . يقال منه : حفد له يحفد حفدًا وحفودًا وحفدانا ، ومنه قول الراعي :

كَلَّفْتُ مَجْهُوْلَهَا نَوْقًا بِيْمَانِيَّةً إِذَا الْحُدَاةُ عَلَى أَكْسَابِهَا حَفَدُوا ۱

وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا ، من أنهم المسرعون في خدمة الرجل ، المتخففون فيها ، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا ، أن جعل لنا حفدة تحفد لنا ، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا ، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا ، وخدمنا من ممالكنا ، إذا كانوا يحفدوننا ، فيستحقون اسم حفدة ، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيهه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا بحجة عقل ، على أنه غنى بذلك نوعًا من الحفدة ، دون نوع منهم ، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا ، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام ، إلا ما اجتمعت الأمة عليه ، أنه غير داخل فيهم ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلكل الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا وجه في الصحة ، وتخرج في التأويل . وإن كان أولى بالصواب من القول : ما اخترنا ، لما بيننا من الدليل .

وقوله (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات . (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : يحرم عليهم أولياء الشيطان ، من البحائر والسوائب والوصائل ، فيصدق هؤلاء المشركون بالله . (وَيَنْعِمَهُ اللَّهُ) وهم يكفرون) يقول : وبما أحل الله لهم من ذلك ، وأنعم عليهم بإحلاله . يكفرون . يقول : ينكرون تحليله . ويحجدون أن يكون الله أحله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

(٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانًا ، لا تملك لهم رزقا من السموات ، لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين . والأرض : يقول : ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض

(١) الأكساء : واحد كسى ، يوزن قفل ، وهو مؤخر العجز ، أو مؤخر كل شيء ، والجمع أكساء (اللسان : كسا) وقال في (كسا) : كس كل شيء وكسوه : مؤخره . وكس الشهر وكسوه : آخره ، قدر عشر يقين منه ... وأنشد أبو عبيدة :

كلفت مجهولها ... إذا الحداد ... حفدوا

ولعل « الحداد » في رواية الأزهرى : محرقة عن الحداء .

لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم ، ولا شيئاً مما عدد تعالى في هذه الآية ، أنه أنعم بها عليهم .
(وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : ولا تملك أوثانهم شيئاً من السموات والأرض ، بل هي وجميع ما في السموات والأرض لله ملك . ولا يستطيعون : يقول : ولا تقدر على شيء .

وقوله (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه ، فإنه لا مثل له ، ولا شبهة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الأمثال الأشباه .
وحدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) يعني اتخذهم الأصنام ، يقول : لاتجعلوا معي إلهاً غيري ، فإنه لا إله غيري .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) قال : هذه الأوثان التي تعبد من دون الله ، لا تملك لمن يعدها رزقاً ، ولا ضراً ولا نفعاً ، ولا حياة ولا نشوراً . وقوله (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) فإنه أحد صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) يقول : والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال ، وصوابه ، وغير ذلك من سائر الأشياء ، وأنتم لاتعلمون صواب ذلك من خطئه .

واختلف أهل العربية في الناصب قوله (شَيْئًا) فقال بعض البصريين : هو منصوب على البدل من الرزق ، وهو في معنى : لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً . وقال بعض الكوفيين : نصب شيئاً بوقوع الرزق عليه ، كما قال تعالى ذكره (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) : أي تكفيت الأحياء والأموات ، ومثله قوله تعالى ذكره (أَوْ لَطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتَّبِعُهَا مَتَرَاتٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) . قال : ولو كان الرزق مع الشيء بلجاز خفضه ، لا يملك لكم رزق شيء من السموات ، ومثله (فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلْتُم مِّنَ النَّعَمِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ، فَهُوَ يُنْفِقُ

مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، هَلْ يَسْتَوُونَ ؟ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره : وشبهه لكم شهباً أيها الناس ، للكافر من عبده ، والمؤمن به منهم . فأما مثل الكافر :

فإنه لا يعمل بطاعة الله ، ولا يأتي خيرا ، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله ، لعلبة خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك ، الذي لا يقدر على شيء فينفقه . وأما المؤمن بالله ، فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق في سبيله ماله ، كالحرّ الذي آتاه الله مالا ، (فهو ينفق منه سرا وجهرا) ، يقول : بعلم من الناس وغير علم . (هل يستويون؟) : يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه ، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقا حسنا ، فهو ينفق كما وصف ؟ فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله ، المخالف أمره ، والمؤمن العامل بطاعته .
وبنحو ما قلنا في ذلك كان بعض أهل العلم يقول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) هذا مثل ضربه الله للكافر ، رزقه مالا ، فلم يقدم فيه خيرا ، ولم يعمل فيه بطاعة الله ، قال الله تعالى ذكره (ومن رزقناه مينا رزقا حسنا) ، فهذا المؤمن أعطاه الله مالا ، فعمل فيه بطاعة الله ، وأخذ بالشكر ، ومعرفة حق الله ، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله في الجنة ، قال الله تعالى ذكره (هل يستويان مثلا) ؟ والله ما يستويان . (الحمد لله ، بئلا أكثرهم لا يعلمون) .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) قال : هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ، ولا ينفق خيرا (ومن رزقناه مينا رزقا حسنا) قال : المؤمن يطيع الله في نفسه وماله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) يعني : الكافر ، أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة في سبيل الله . (ومن رزقناه مينا رزقا حسنا ، فهو ينفق منه سرا وجهرا) يعني المؤمن ، وهذا المثل في النفقة .

وقوله (الحمد لله) يقول : الحمد الكامل لله خالصا ، دون ماتدعون أيها القوم من دونه من الأوثان ، فإياه فاحمدوا دونهما . وقوله (بئلا أكثرهم لا يعلمون) يقول : ما الأمر كما تفعلون ، ولا القول كما تقولون ، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف ، فتحمد عليه ، إنما الحمد لله ، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها ، لا يعلمون أن ذلك كذلك ، فهم بجهلهم بما يأتون ويذرون ، يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد .

وكان مجاهد يقول : ضرب الله هذا المثل ، والمثل الآخر بعده لنفسه ، والآلهة التي تعبد من دونه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ، وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)

وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ ، وَالْآلِهَةُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) يَعْنِي بِذَلِكَ الصَّنَمَ ، أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا ، وَلَا يَنْطِقُ ، لِأَنَّهُ إِمَّا خَشَبٌ مَنْحُوتٌ ، وَإِمَّا نَحَاسٌ مَصْنُوعٌ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعٍ لِمَنْ خَدَمَهُ ، وَلَا دَفْعٍ ضَرَّ عَنْهُ ، وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ : يَقُولُ : وَهُوَ عِيَالٌ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ وَحُلَفَائِهِ وَأَهْلِ وَلايَتِهِ ، فَكَذَلِكَ الصَّنَمُ كَلٌّ عَلَى مَنْ يَعْبُدُهُ ، يَحْتَاجُ أَنْ يَحْمِلَهُ ، وَيَضَعَهُ ، وَيَخْدُمَهُ ، كَالْأَبْكَمِ مِنَ النَّاسِ ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، فَهُوَ كَلٌّ عَلَى أَوْلِيَائِهِ مِنْ بَنِي أَعْمَامِهِ وَغَيْرِهِمْ (أَيْسَمَا يُوجِبُهُنَّ لآيَاتٍ بَخْسِيرٍ) يَقُولُ : حَيْثُمَا يُوجِبُهُ لآيَاتٍ بَخِيرٍ ، لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْبرَ عَنْ نَفْسِهِ مَا يَرِيدُ ، فَهُوَ لَا يَفْهَمُ ، وَلَا يُفْهَمُ عَنْهُ ، فَكَذَلِكَ الصَّنَمُ ، لَا يَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ ، فَيَأْتِمُرُ لِأَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا يَنْطِقُ فَيَأْمُرُ وَيَنْهَى . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) يَعْنِي : هَلْ يَسْتَوِي هَذَا الْأَبْكَمُ الْكَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ، الَّذِي لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ حَيْثُ تَوَجَّهَ ، وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ مُتَكَلِّمٌ ، يَأْمُرُ بِالْحَقِّ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، وَهُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، الَّذِي يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ ؛ يَقُولُ : لَا يَسْتَوِي هُوَ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَالصَّنَمُ الَّذِي صَفْتُهُ مَا وَصَفَ . وَقَوْلُهُ (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يَقُولُ : وَهُوَ مَعَ أَمْرِهِ بِالْعَدْلِ ، عَلَى طَرِيقٍ مِنَ الْحَقِّ فِي دَعَائِهِ إِلَى الْعَدْلِ ، وَأَمْرِهِ بِهِ مُسْتَقِيمٌ ، لَا يَبْغُوجُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يَزُولُ عَنْهُ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَضْرُوبِ لَهُ هَذَا الْمَثَلُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ بِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) قَالَ : هُوَ الْوَثْنُ (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) قَالَ : اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وَكَذَلِكَ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ : إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الْمَثَلُ الْأَوَّلُ أَيْضًا ضَرْبُهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِلْوَثْنِ . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثنا وَرْقَاءُ ؛ وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَانُ ، جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ (عَبَسَدَآ مِمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْآرْزَاقًا حَسَنًا - وَرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ - وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) قَالَ : كُلُّ هَذَا مِثْلُ إِلَهٍ الْحَقِّ ، وَمَا يُدْعَى مِنْ دُونِهِ مِنَ الْبَاطِلِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ . حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو مَعَاوِيَةَ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّمْحَاكِ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ) قَالَ : إِنَّمَا هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَلَّا الْمَثَلَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، وَذَلِكَ قَوْلُ يَرْوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ عَنْهُ فِي الْمَثَلِ الْأَوَّلِ فِي مَوْضِعِهِ .

وَأَمَّا فِي الْمَثَلِ الْآخَرَ ، فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ

أبيه ، عن ابن عباس (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ) . . . إلى آخر الآية ، يعنى بالأبكم : الذى هو كَلٌّ على مولاه : الكافر ، وبقوله (وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ) المؤمن . وهذا المثل فى الأعمال .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني ، قال : ثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يعلى بن أمية ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا) قال : نزلت فى رجل من قريش وعبدته . وفى قوله (مَثَلًا رَجُلَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) . . . إلى قوله (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : هو عثمان بن عفان . قال : والأبكم الذى أينا يُوَجَّهُ لآيات بخير ، ذاك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ، ويكفيه المثونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه ، وبنهاه عن الصدقة والمعروف . فنزلت فيهما . وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى المثل الأول ، لأنه تعالى ذكره ، مثل مثل الكافر بالعبد الذى وصف صفته ، وممثل مثل المؤمن بالذى رزقه رزقا حسنا ، فهو ينفق بما رزقه سرا وجهرا ، فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا ، إذ كان الله إنما مثل الكافر الذى لا يقدر على شىء ، بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرا : ومثل المؤمن الذى وفقه الله لطاعته فهده لرشده ، فهو يعمل بما يرضاه الله ، كالحرف الذى بسط له فى الرزق ، فهو ينفق منه سرا وجهرا ، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق ، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده ، بإنفاق المرزوق الرزق الحسن . وأما المثل الثانى ، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الأبكم الذى لا يقدر على شىء . والكفار لاشك أن منهم من له الأموال الكثيرة ، ومن يضر أحيانا الضر العظيم بفساده ، فغير كائن ما لا يقدر على شىء ، كما قال تعالى ذكره ، مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة . فإذا كان ذلك كذلك ، كان أولى المعانى به ، تمثيل ما لا يقدر على شىء ، كما قال تعالى ذكره ، بمثله ما لا يقدر على شىء ، وذلك الوثن الذى لا يقدر على شىء ، بالأبكم الكَلٌّ على مولاه ، الذى لا يقدر على شىء كما قال ووصف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : والله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والأرض ، دون آهنتكم التى تدعون من دونه ، ودون كل ما سواه ، لا يملك ذلك أحد سواه (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ) : يقول : وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق ، للوقوف فى موقف القيامة ، إلا كمنظرة من البصر ، لأن ذلك إنما هو أن يقال له : كن ، فيكون .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) والساعة : كلمح البصر ، أو أقرب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) قال : هو أن يقول : كن ، فهو كلمح البصر ، فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب ، يعنى يقول : أو هو أقرب من لمح البصر .

وقوله (إن الله على كل شيء قدير) يقول : إن الله على إقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر ، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها ، لا يمتنع عليه شيء أراده .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره: والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم ، من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ولا تعلمون ، فرزقكم عقولا تفقهون بها ، وتميزون بها الخير من الشر ، وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون ، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات ، فيفقه بعضكم عن بعض ماتتجاوزون به بينكم ، والأبصار التى تبصرون بها الأشخاص ، فتعارفون بها ، وتميزون بها بعضا من بعض . والأفئدة : يقول : والقلوب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها ، وتفكرون فتفقهون بها . (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : فعلنا ذلك بكم ، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك ، دون الآلهة والأنداد ، فجعلتم له شركاء فى الشكر ، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمة ، شريك .

وقوله (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) : كلام متناه ، ثم ابتدئ الخبر ، فقيل : وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة . وإنما قلنا ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره جعل العبادة والسمع والأبصار والأفئدة ، قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم ، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركين : ألم تروا آياتها المشركون بالله ، إلى الطير مسخرات فى جوى السماء ، يعنى : فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض ، كما قال إبراهيم بن عمران الأنصارى :
وَيَلُّ أُمَّهَاتِهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبًا

(١) البيت نسبة المؤلف إلى إبراهيم بن عمران الأنصارى . ونسبه البغدادى فى الحزانة (٢: ١١٢) لأمير القيس بن حجر الكندى =

يعنى : فى هواء السماء (ما يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ) يقول : ما طيراتها فى الجوِّ إلا بالله ، وبسخره إياها بذلك ، ولو سلها ما أعطاها من الطيران ، لم تقدر على النهوض ارتفاعا . وقوله (إنَّ فى ذلكَ آياتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : إن فى تسخير الله الطير ، وتمكينه لها الطيران فى جوِّ السماء ، لعلامات ودلالات ، على أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان فى الألوهة . (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يعنى : لقوم يقرّون بوجود ما تعينه أبصارهم ، وتحسه حواسهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُسَخَّرَاتٍ فى جِوِّ السَّمَاءِ) : أى فى كبد السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ مَسْكَناً، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ، وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ . (٨٠)

يقول تعالى ذكره (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ) أيها الناس (مِنْ بُيُوتِكُمْ) التى هى من الحجر والمدار . (مَسْكَناً) تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم . (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) وهى البيوت من الأنطاع ، والفساطيط من الشعر والصوف والوبر (تَسْتَخِفُّونَهَا) يقول : تستخفون حملها ونقلها (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) فى بلادكم وأمصاركم . (وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا) .
وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

وعزى فى الكتاب لسبويه مرة إلى امرئ القيس (٣٥٣ : ١) ومرة (٢٧٢ : ٢) إلى النعمان بن بشير الأنصارى . وذكر البغدادى المقتوعة التى منها البيت ، وهى عشرة أبيات ، ونسبها لامرئ القيس ، ومطلعها :

الخبر ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواحي الخليل معصوب

وبيت الشاهد هو الثامن فى المقتوعة ، وأوله : « لا كالتى فى هواء » . الخ . وقال ابن رشيقي فى العمدة : هذا البيت عند دعبل ، أشعر بيت قالته العرب ، وبه قدمه على الشعراء . وقوله : ويلها : هذا فى صورة الدعاء على الشيء ، والمراد به التعجب . والضمير المؤنث يراد به العقاب . والجو : ما بين السماء والأرض ، وأراد بالمطلوب الذئب ، لأنه وصف عقابا تبعت ذئبا لتصيده ، فتعجب منها فى شدة طلبها ، وتعجب من الذئب أيضا فى سرعته ، وشدة هربه منها .

واستشهد المؤلف بالبيت عند تفسير قوله تعالى « ألم يروا إلى الطير مسخرات فى آجواء السماء » : أى فى هواء السماء ، بينها وبين الأرض ، كما استشهد أبو عبيدة من قبله فى مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) على أن جو السماء : أى الهواء .

قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (مِمَّنْ بِيُوتِكُمْ سَكَنًا) قال : تسكنون فيه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وأما الأشعار فجمع شعراً ، ثقل عينه وتخفف ، وواحد الشعْر شعيرة . وأما الأثاث فإنه متاع البيت ، لم يسمع له بواحد ، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع . وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول : واحد الأثاث : أثاثه ، ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ، ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع ، قول الشاعر :
أهاجتسك الظعائن يوم بانوا بذي الرئي الجميل من الأثاث^١
ويروى : بذي الزى ، وأنا أرى أصل الأثاث : اجتماع بعض المتاع إلى بعض ، حتى يكثر ، كالشعر الأنيث ، وهو الكثير الملتف ، يقال منه ، أث شعر فلان يثث أثنا : إذا كثر والتف واجتمع .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أثاثا) يعني بالأثاث : المال .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (أثاثا) قال : متاعا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أثاثا) قال : هو المال .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن حرب الرازي ، قال : أخبرنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حميد بن عبد الرحمن ، في قوله (أثاثا) قال : الثياب ،
وقوله (ومتاعا إلى حين) فإنه يعني : أنه جعل ذلك لهم بلاغا ، يبتاعون ويكتفون به إلى حين آجالهم للموت .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (ومتاعا إلى حين) فإنه يعني : زينة : يقول : ينتفعون به إلى حين .

(١) البيت لمحمد بن نعيم الثقفى ، وكان يشبب بزيتب أخت الحجاج بن يوسف الثقفى ، فتوعدده ، فهرب منه (خبره في الكامل للمبرد ٢٨٩) والبيت من كلمة له (الكامل ٣٧٦) ، وفي (اللسان : رأى) قال : قال الفراء الرئي : المنظر وأهل المدينة يقرءون الآية (وزيا) بنير همز . قال : وهو وجه جيد من رأيت ، لأنه من آيات لسن مهموزات الأواخر . وقال الجوهري : من همزه جعله من المنظر من رأيت ، وهو : ما رأته العين من حال حسنة ، وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيد لمحمد بن نعيم الثقفى :
أشافتك الظعائن يوم بانوا بنى الرئي الجميل من الأثاث
ومن لم همزه : إما أن يكون على تخفيف الهمزة ، أو يكون من « رويت ألوانهم وجلودهم » : أى امتلأت وحسنت . وأثاثا : أى متاعا . قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٥) .

حدثني المنفى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) قال : إلى الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) إلى أجل ويُلَغَّاة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ (٨١)

* يقول تعالى ذكره : ومن نعمة الله عليكم أيها الناس : أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالًا ، تستظلون بها من شدة الحرّ وهى جمع ظلّ .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، فى قوله (مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) قال : الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) أى والله ، من الشجر ومن غيرها .

وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول : وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها ، وهى جمع كنّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول : غير أننا من الجبال يُسْكَنُ فيها (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) يعنى ثياب القطن والكتان والصوف وقمصانها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) من القطن والكتان والصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) قال : القطن والكتان .

وقوله (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ) يقول : ودروعا تقيكم بأسكم ، والبأس : هو الحرب ، والمعنى : تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصل إليكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ) من هذا الحديد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَسَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ بِأَسْكُمْ) قال : هي سراويل من حديد .

وقوله (كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره : كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات ، نعمة منه بذلك عليكم ، فكذا يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . يقول : لتخضعوا لله بالطاعة ، وتذل منكم بترحيده النفوس ، وتخلصوا له العبادة . وقد روى عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) بفتح التاء .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، قال : كان ابن عباس يقول (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) قال : يعني من الجراح . حدثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ) من الجراحات . قال أحمد بن يوسف : قال أبو عبيد : يعني بفتح التاء واللام .

فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه : كذلك يتم نعمته عليكم ، بما جعل لكم من السراويل التي تقيكم بأسكم ، لتسلموا من السلاح ، في حروبكم . والقراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها : بضم التاء من قوله : (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) وكسر اللام من أسلمت تسليماً يا هذا ، لإجماع الحجة من قرأ الأمصار عليها . فإن قال لنا قائل : وكيف قيل جعل لكم سراويل تقيكم الحر ، فخصص بالذكر الحر دون البرد ، وهي تقي الحر والبرد ، أم كيف قيل (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) ، وترك ذكر ما جعل لهم من السهل ؟ قيل له : قد اختلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك ، وسنذكر ما قيل في ذلك ، ثم ندل على أولى الأقوال في ذلك بالصواب .

فروى عن عطاء الخراساني في ذلك ، ما حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، قال : إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقَ ظِلَالًا ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ، ألا ترى إلى قوله (وَمِنْ أَصْدَاقِهَا أَرْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب بئر وشعر ، ألا ترى إلى قوله (وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) ! يعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفون به ، ألا ترى إلى قوله (وَسَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ) وما تقي من البرد أكثر وأعظم ، ولكنهم كانوا أصحاب حر ، فالسبب الذي من أجله خص الله تعالى ذكره السراويل بأنها تقي الحر دون البرد ، على هذا القول : هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر ، فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم ، بما يقيهم مكرهه ما به عرفوا مكرهه ، دون ما لم يعرفوا مبلغ مكرهه ، وكذلك ذلك في سائر الأحرف الأخر . وقال آخرون : ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر ، إذ كان معلوماً عند المخاطبين

به معناه : وأن السراييل التي تقي الحرّ تقي أيضا البرد . وقالوا : ذلك موجود في كلام العرب مستعمل ، واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

فقال : أيهما يليني : يريد الخير أو الشرّ ، وإنما ذكر الخير ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشرّ .
 وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم ، وإن كان في ذكر بعض ذلك ، دلالة على ما ترك ذكره ، لمن عرف المذكور والمتروك ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، إنما عدّد نعمه التي أنعمها على الذين قُصِدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم ، فذكر أبا دية عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ، وَأَكْثَرُهُمُ الْكٰفِرُونَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به إليهم من الحقّ ، فلم يستجيبوا لك ، وأعرضوا عنه ، فما عليك من لوم ولا عندل ، لأنك قد أدت ما عليك في ذلك : إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أرسلت به . ويعنى بقوله (المبيّن) الذي يبيّن لمن سمعه حتى يفهمه .
 وأما قوله (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة ، التي أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها ، مع معرفتهم بها ، فقال بعضهم : هو النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عرفوا نبوته ، ثم جحدوها وكذبوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السديّ ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يعرفون أن ما عدّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله ، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ، ولكنهم ينكرون ذلك ، فيزعمون أنهم ورثوه عن آباؤهم .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٦) قال: وقوله «سراييل تقي الحر» ، ولم يقل (والبرد) ، فترك ، لأن معناه معلوم ، والله أعلم ، كقول الشاعر : «وما أدري . . . الخ البيت . يريد أن الخير والشر يليني ، لأنه إذا أراد الخير ، فهو يتقى الشر . اه . وقد أفصح الشاعر في البيت الذي بعده عن مراده ، وهو موافق لما قالوا :

أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِيَنِي ؟

والبيتان : لسحيم بن وثيل الرياحي ، من قصيدة مطلعها :

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْتِنِكَ مَتَّعِيَنِي وَمَشْعُوكِ مَا سَأَلْتِ كَأَن تَبِيَنِي

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا المثني ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : هي المساكن والأنعام ، وما يُرزقون منها ، والسرابيل من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره ، بأن تقول : هذا كان لآبائنا ، فروحونا إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : فررتونا إياها ، وزاد في الحديث عن ابن جريج ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : يعلمون أن الله خلقهم ، وأعطاهم ما أعطاهم ، فهو معرفتهم نعمته ، ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن ليث ، عن عون بن عبد الله بن عتبة (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) قال : إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ما كان كذا وكذا ، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا .

وقال آخرون : معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم : مَنْ رَزَقَكُمْ ؟ أقرؤا بأن الله هو الذي رزقهم ، ثم ينكرون ذلك بقولهم : رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عُبِيَ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ) النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، دَاعِيًا إِلَى مَابِعْثُهُ بِدَعَائِهِمْ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بَيْنَ آيَتَيْنِ ، كِلْتَاهُمَا خَيْرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَمَّا بُعِثَ بِهِ ، فَأَوْلَى مَا بَيْنَهُمَا أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَى يَدُلُّ عَلَى انْتِصَافِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَعَمَّا بَعْدَهُ ، فَالَّذِي قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَنَمَّا عَلَيْنَاكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) وَمَا بَعْدَهُ (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وَهُوَ رَسُولُهَا . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَعِنَى الْآيَةَ : يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ يَنْكِرُونَكَ ، وَيُحَدِّثُونَ نَبُوَّتَكَ . (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) يَقُولُ : وَأَكْثَرُ قَوْمِكَ الْجَاهِلُونَ نَبُوَّتَكَ ، لَا الْمَقْرُونَ بِهَا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ، ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ، ويستنكرون (يوم نبعث من كل أمة شهيداً) وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله ، وهو رسولهم الذي أرسل إليهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يقول : ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار ، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون (ولا هم يستعتبون) فيتركوا الرجوع إلى الدنيا ، فينبوا ويتوبوا ، وذلك كما قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ .

(١) قال في اللسان : في حديث أم زرع : وأراح على نعمتها : أي أعطاني . قال : والترويح : كالإراحة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشاهدها نبيها ، على أنه قد بلغ رسالات ربه ، قال الله تعالى (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْمَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ ، وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا عاين الذين كذبوا بك يا محمد ، وجحدوا نُبوتك ، والأمم الذين كانوا على مناج مشركي قومك ، عذاب الله ، فلا ينجمهم من عذاب الله شيء ، لأنهم لا يؤذون لهم ، فيعتدرون ، فيخفف عنهم العذاب ، بالعذر الذي يدعون به (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يقول : ولا يرجئون للعقاب ، لأن وقت التوبة والإجابة قد فات ، فليس ذلك وقتا لهما ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال ، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ، فَالُوا : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ، فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله ، من الآلهة والأوثان وغير ذلك ، قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك ، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك ، قال الله تعالى ذكره (فَأَلْقُوا) يعني : شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله . القول : يقول : قالوا لهم : إنكم لكاذبون أيها المشركون ، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) قال : حدثهم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره : وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم : يقول : استسلموا يومئذ ، وذلتوا لحكمه فيهم ، ولم تغن عنهم آلهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله ، وتبرأت منهم ، ولا قومهم ، ولا عشائرهم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم ، والعرب تقول : ألقىت إليه كذا ، تعنى بذلك : قلت له . وقوله (وَضَلَّ عَنْهُمْ) ما كانوا يفتسرون) يقول : وأخطأهم من آلهم ما كانوا يأتون من الشفاعة عند الله ، بالنجاة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ) ، يقول : ذلوا واستسلموا يومئذ : (وَضَلَّ عَنْهُمْ) ما كانوا يفتسرون) .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا يا محمد نبوتك ، وكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك ، وصدوا عن الإيمان بالله وبرسوله ، ومن أراد ، زدناهم عذابا يوم القيامة في جهنم ، فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزدوه . وقيل : تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهمها : عقارب وحيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) قال : عقارب لها أنياب كالنخل . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية وابن عيينة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) قال : زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال . حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن عبد الله ابن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله قال (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) قال : أفاعي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال : أفاعي في النار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنس ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله :
حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن
مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البُخْتِ ، وعقارب أمثال البغال الدهم ،
يستغيث أهل النار إلى تلك الجباب أو الساحل ، فتشب إليهم ، فتأخذ بشيفاهم وشيفارهم إلى أقدامهم .
فيستغيثون منها إلى النار ، فيقولون : النار النار ، فتنبههم حتى تجد حرها فترجع ، قال : وهي في أسراب .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي
عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب ، أعناقها كأعناق البُخْتِ .
وقوله (يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ) يقول : زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب ، بما كانوا
يفسدون ، بما كانوا في الدنيا يعصون الله ، ويأمرون عباده بمعصيته ، فذلك كان إفسادهم ، اللهم إنا
نسألك العافية ، يا مالك الدنيا والآخرة الباقية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ، وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ) يقول : نسأل
نبيهم الذي بعثناه إليهم ، للدعاء إلى طاعتنا ، وقال (مِّنْ أَنفُسِهِمْ) لأنه تعالى ذكره ، كان يبعث إلى أمم
أنبياءها منها ، ماذا أجابوكم ، وما ردوا عليكم ؟ (وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ) يقول لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم : وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم ، بم أجابوك ؟ وماذا عملوا
فيما أرسلتك به إليهم ؟ وقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) يقول : نزل عليك يا محمد
هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة ، من معرفة الحلال والحرام ، والثواب والعقاب (وَهُدًى) من
الضلالة (وَرَحْمَةً) لمن صدق به ، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه ، فأحل حلاله ، وحرّم
حرامه . (وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) يقول : وبشارة لمن أطاع الله ، وخضع له بالتوحيد ، وأذعن له بالطاعة ،
يدشره بجزيل ثوابه في الآخرة ، وعظيم كرامته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا أبان بن
تغلب ، عن الحكم ، عن مجاهد (تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) قال : مما أحل وحرّم .

(١) البخت : هي الإبل الخراسانية ، وهي جمال طول الأعناق . الواحد : بختي . (اللسان) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، في قوله (تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) مما أحل لهم وحرّم عليهم .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قوله (تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أمر به ، وما نهى عنه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أمروا به ، ونهوا عنه .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أشعث ، عن رجل ، قال : قال ابن مسعود : أنزل في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء قد بين لنا في القرآن ، ثم تلا هذه الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل ، وهو الإنصاف ، ومن الإنصاف : الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته ، والشكر له على أفضاله ، وتولى الحمد أهله . وإذا كان ذلك هو العدل ، ولم يكن لأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها ، كان جهلا بنا حمدها وعبادتها ، وهي لا تنعم فتشكر ، ولا تنفع فتعبد ، فلزنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولذلك قال من قال : العدل في هذا الموضع : شهادة أن لا إله إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله . وقوله والإحسان ، فإن الإحسان الذي أمر به تعالى ذكره ، مع العدل الذي وصفنا صفته : الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى ، في الشدة والرخاء ، والمكثرة والمنشط ، وذلك هو أداء فرائضه .

كما حدثني المثني ، وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : والإحسان : يقول : أداء الفرائض .

وقوله (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ) يقول : وإعطاء ذى القربى الحق الذى أوجه الله عليك ، بسبب القرابة والرحم . كما حدثني المثني وعلي ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ) يقول : الأرحام .

وقوله (وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ) قال : الفحشاء في هذا الموضع : الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس (وَيَسْتَهَيِّ
عَنِ الْفَحْشَاءِ) يَقُولُ : الزنا . وقد بيّنا معنى الفحشاء بشواهد فيما مضى قبل .
وقوله (وَالْبَغْيِ) قيل : عُبِّي بِالْبَغْيِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : الْكِبَرُ وَالظُّلْمُ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن
ابن عباس (وَالْبَغْيِ) يَقُولُ : الْكِبَرُ وَالظُّلْمُ . وَأَصْلُ الْبَغْيِ : التَّعَدَّى ، وَمَجَاوِزَةُ الْقَدْرِ وَالْحَدِّ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ . وقد بيّنا ذلك فيما مضى قبل .
وقوله (يَعْظُمُكُمْ لَعَنَاتِكُمْ * تَدَكَّرُونَ) يَقُولُ : يَذَكِّرُكُمْ بِهَا النَّاسُ رَبِّكُمْ ، لِتَذَكَّرُوا فَتُنْبِئُوا إِلَى
أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ .

كما حدثني المثني ، وعلى بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس
(يَعْظُمُكُمْ) يَقُولُ : يَرْصِيكُمْ (لَعَنَاتِكُمْ * تَدَكَّرُونَ) . وقد ذُكِرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ : إِنْ مَعْنَى الْعَدْلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : اسْتِوَاءُ السَّرِيرَةِ وَالْعِلَانِيَةِ ، مِنْ كُلِّ عَامِلٍ لِلَّهِ عَمَلًا . وَإِنْ مَعْنَى
الْإِحْسَانِ : أَنَّهُ تَكُونُ سَرِيرَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ عِلَانِيَتِهِ . وَإِنْ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ : أَنْ تَكُونَ عِلَانِيَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ سَرِيرَتِهِ .
وَذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ . مَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا الْحِجَّاجُ ، قَالَ :
ثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنَ النُّعْمَانَ ، عَنْ عَامِرٍ ، عَنْ شُتَيْبِ بْنِ شَكَّالٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ
عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ : إِنْ أَجْمَعَ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَى) . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي ، عن شُتَيْبِ بْنِ شَكَّالٍ ، قَالَ :
سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ : إِنْ أَجْمَعَ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ لِحَيْرٍ أَوْ لَشَرٍّ ، آيَةٌ فِي سُورَةِ النَّحْلِ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ) . . . الْآيَةِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) . . . الْآيَةِ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ خَلْقِ حَسَنٍ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ وَيَسْتَحْسِنُونَهُ ، إِلَّا
أَمْرًا لِلَّهِ بِهِ ، وَلَيْسَ مِنْ خَلْقِ سَيِّئٍ كَانُوا يَتَعَابَرُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَهْيَ اللَّهِ عَنْهُ ، وَقَدَّمَ فِيهِ . وَإِنَّمَا نَهَى عَنْ سَفَاسَفِ
الْأَخْلَاقِ وَمَسْأَمِهَا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَمَلْتُمْ اللَّهَ
عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ (٩١)

* يقول تعالى ذكره : وأوفوا بيمينكم إذا واثقتموه ، وعقده إذا عاقدتموه ، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به ، وواثقتموه عليه (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) يقول : ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان ، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم ، فتحسبوا في أيمانكم ، وتكذبوا فيها ، وتنقضوها بعد إبرامها ، يقال منه : وكف فلان يمينه يؤكدها توكيدا : إذا شددها ، وهي لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد ، فإنهم يقولون : أكدتها أوكدتها تأكيدا . وقوله (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) يقول : وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا ، يرعى الموؤفة منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم فيمن عني بهذه الآية ، وفيما أنزلت ، فقال بعضهم : عني بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وفيهم أنزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن حمارة الأسدي ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريرة ، قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) قال : أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان من أسلم بايع على الإسلام ، فقالوا (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام . (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) : البيعة ، فلا يمانكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكثرة المشركين ، أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام وإن كان فيهم قلة ، والمشركين فيهم كثرة . وقال آخرون : نزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تخالفوا في الجاهلية ، فأمرهم الله عز وجل في الإسلام أن يوفوا به ، ولا ينقضوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال : تغليظها في الحلف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) يقول : بعد تشديدها وتغليظها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تخالفوا ، وأعطى بعضهم العهد ، فجاءهم قوم ، فقالوا : نحن أكثر وأعز وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، فذلك قول الله تعالى (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ

كَقَيْلًا) أن تكون أمة هي أربي من أمة، هي أربي: أكثر، من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء، فكان هذا في هذا.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: سألت يحيى بن سعيد، عن قول الله (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) قال: العهود.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده، التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين، بعقود تكون بينهم بحق، مما لا يكرهه الله. وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبيهم عن نقض بيعتهم، حذرا من قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم، لقلة عددهم، في آخرين لكثرة عددهم. وجائز أن تكون في غير ذلك، ولا خبر تشبث به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عني بها، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا، لدلالة ظاهره عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عاما في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَقَيْلًا) قال: وكيفا.

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها، والأحلاف والأيمان التي تؤكدها على أنفسكم، أتبرون فيها أم تنقضونها، وغير ذلك من أفعالكم، محص ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها، وعماعلمت فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه، وقد خالفت فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبيل لكم به من ألم عقابه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنْ يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره: نهاها عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وأمرها بوفاء العهود، ومثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه، وناكته من بعد إحكامه، ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها، وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق (كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة) يعني: من بعد إبرام. وكان بعض أهل العربية يقول: القوّة: ما غزّل على طاقة واحدة ولم يثن. وقيل: إن التي كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن كثير (كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : خرقاء كانت بمكة ، تنقضه بعد ما تُسبرمه .
حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة ، عن السدي (وَلَا تَكُونُوا كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) قال : هي خرقاء ، بمكة كانت إذا أبرمت غزلها نقضته .
وقال آخرون : إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد ، فشهبه بامرأة تفعل هذا الفعل ، وقالوا :
في معنى نقضت غزلها من بعد قُوَّةٍ ، نحو مما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم : ما أحق هذه ! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا تَكُونُوا كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : غزلها : حبلها تنقضه ، بعد إبرامها إياه ، ولا تنتفع به بعد .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) قال : نقضت حبلها من بعد إبرام قُوَّةٍ .
حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) قال : هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه ، ضرب الله هذا له مثلا بمثل التي غزلت ثم نقضت غزلها ، فقد أعطاهم ثم رجع ، فنكث العهد الذي أعطاهم . وقوله (أَنْكَاثًا) يعني : أنقاضا ، وكل شيء نُقِضَ بعد القتل فهو أنكاث ، واحداها نِكْثٌ ، حبالا كان ذلك أو غزلا ، يقال منه : نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا ، والحبل متكث : إذا انتقضت قُوَّاه . وإنما عني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد . وقوله (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونُوا كَالسِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) يقول تعالى ذكره : تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم مؤفون بالعهد لمن عاهدتموه (دَخَلًا بَيْنَكُمْ) يقول : خديعة وغرورا ، ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر . وترك الوفاء بالعهد . والنقطة عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم . والدخَلُ في كلام العرب : كل أمر لم يكن صحيحا ، يقال منه : أنا أعلم دخَل فلان ودُخِلَ له ودُخِلَ له ، وداخله أمره ودخلته ودخياته .

وأما قوله (أن تكون أمة هي أرتي من أمة) فإن قوله أرتي : أفعل ، من الربا ، يقال : هذا أرتي من هذا ، وأربأ منه ، إذا كان أكثر منه ؛ ومنه قول الشاعر :

وأسمرَ خطي كأن كعبرته نرَى القسب قد أرتي ذراعا على العشر^١

وإنما يقال : أرتي فلان من هذا وذلك ، للزيادة التي يزيد بها على غيره ، على رأس ماله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وعلي بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أن تكون أمة هي أرتي من أمة) يقول : أكثر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أن تكون أمة هي أرتي من أمة) يقول : ناس أكثر من ناس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أن تكون أمة هي أرتي من أمة) قال : كانوا يخالفون الخلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويخالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم ، فهتوا عن ذلك .

حدثنا ابن المثنى . قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .
وحدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يقول : خيانة وغدرا بينكم (أن تكون أمة هي أرتي من أمة) أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دخلا بينكم) خيانة بينكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعز بها ، يعطيه العهد يؤمنه ، وينزله من مأمنه ، فنزل قدمه ، وهو في مأمن . ثم يعود يريد الغدر قال : فأرل بدو هذا قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا ، وأعطى بعضهم بعضا العهد ، فجاءهم قوم قالوا : نحن أكثر وأعز وأمنع ، فانقضوا عهد هؤلاء ، وارجعوا إلينا ، ففعلوا ، وذلك قول

(١) (البيت في اللسان : قسب) قال : القسب : البئر اليابس ينفتق في الفم ، صلب النواة . قال الشاعر . يصف رجلا : « وأسمر خطيا . . . إلى آخر البيت . قال ابن بري : هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي . ولم أجده في شعره . وأرتي وأرسي : لغتان . ونوى القسب أصلب النوى . والخطى نسبة إلى الخط : بلد عند البحرين ، مشهور بصنع الرماح . واستشهد المؤلف هنا بالبيت على أن معنى أرتي : أكثر . وكذلك قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٢٦٧) .

(٢) أي مثله ، وكثيرا ما يأتي بالسند ويترك المتن إذا تقدم ، ولا يأتي بلفظ نحوه أو مثله . وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك في واصله .

(٣) في الأصل : هو ، ولعله تحريف من الناسخ .

الله تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، أَنْ تَكُونُوا أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) هي أربى : أكثر . من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء ، فكان هذا في هذا ، وكان الأمر الآخر في الذي يعاهده ، فينزله من حصنه ، ثم ينكت عليه . الآية الأولى في هؤلاء القوم ، وهي مبلوّه ، والأخرى في هذا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (أَنْ تَكُونُوا أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) يقول : أكثر ، يقول : فعليكم بوفاء العهد .

وقوله (إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ) يقول تعالى ذكره : إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم ، لئيبين المطيع منكم المنتهى إلى أمره ونهيه ، من العاصي المخالف أمره ونهيه (وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : وليبين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه ، بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، ما كنتم فيه تختلفون . والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا : أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحداية الله ونبوة نبيه . ويصدق بما ابتعث به أنبياءه ، وكان يكذب بذلك كله الكافر ، فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه ، بما وصفنا من البيان .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ،
وَلَتَسْتَلْتُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفيق من عنده ، فصرتم جميعا جماعة واحدة ، وأهل ملة واحدة ، لا تختلفون ولا تفرقون ، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم ، فجعلكم أهل ملل شتى ، بأن وفق هؤلاء للإيمان به ، والعمل بطاعته ، فكانوا مؤمنين ، وخذل هؤلاء ، فحدرتهم نفاقهم ، فكانوا كافرين ، وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا ، فيما أمركم ونهاكم ، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته ، والعاصي له بمعصيته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، فَزِيلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ، وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا
صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم ، تغفرون بها الناس (فَتَزِيلَ قَدَمٌ

بَعْدَ ثَبُوتِهَا) يقول : فتهلكوا بعد أن كنتم من المهلك آمنين . وإنما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط في ورطة بعد سلامة ، وما أشبه ذلك : « زَلَّتْ قَدَمُهُ » ، كما قال الشاعر :

سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتَلْطَعُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلَانِ ١

وقوله (وَتَدُوقُوا السُّوءَ) يقول : وتذوقوا أنتم السوء : وذلك السوء هو عذاب الله الذي يعذب به أهل معاصيه في الدنيا ، وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) في الآخرة ، وذلك نار جهنم ، وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة الذي ذكرنا عنه ، في قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذْ أَخَذْتُمْ) والآيات التي بعدها ، أنه عني بذلك : الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، عن ٢ مفارقة الإسلام لقلّة أهله ، وكثرة أهل الشرك ، هو الصواب ، دون الذي قال مجاهد : أنهم عسّوا به ، لأنه ليس في انتقال قوم تخالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم . صدّ عن سبيل الله ، ولا ضلال عن الهدى ، وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعلى ذلك ، أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم . ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله ، لاصفة أهل النقمة بالحلف عن قوم إلى قوم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ مِمَّا قَلِيلًا ، إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥)
مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ، وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)

يقول تعالى ذكره : ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس ، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم ، ومؤكديها بأيمانكم ، تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ، ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به ، يثبكم الله على الوفاء به ، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك ، هو خير لكم إن كنتم تعلمون ، فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل ، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا ؛ والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به . ثم بين تعالى ذكره ، فترق ما بين العوضين ، وفضل ما بين الثوابين . فقال : ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا ، وإن كسرت فنافد فان ، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات ، باق غير فان ، فلما عنده فاعملوا ، وعلى الباقي الذي لا يفتى فاحرصوا . وقوله (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : وليثيبن الله الذين صبروا على

(١) في (اللسان : لطم) : اللطم أن تضرب مؤخر الإنسان برجلك . تقول : لطمته (بالكسر) أطمته لطمًا . وقوله تعالى : « فَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثَبُوتِهَا » قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٦٧) : مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية ، أو ساقط في ورطة بعد سلامة ، ونحو ذلك : زلت قدمه .

(٢) « عن » هنا : لتعليل ، أي بسبب مفارقة الإسلام ، مثلها في قوله تعالى (وما نحن بتاركي آهتنا عن قولك) : أي لأجله .

طاعتهم إياه في السرّاء والضراء . ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ، ومساومتهم في رضاه . بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسرئها ، وليغفون الله لهم سيئها بفضله .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)

يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله ، وأوفى بعهود الله إذا عاهد ، من ذكر أو أنثى من بنى آدم ، وهو مؤمن . يقول : وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة ، وبوعيد أهل معصيته على المعصية (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) .

واختلف أهل التأويل في الذي عسى الله بالحياة الطيبة ، التي وعد هؤلاء القوم أن يحييهموها ، فقال بعضهم : عني أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال . ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة : الرزق الحلال في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، في قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الحسن في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) قال : الرزق الطيب في الدنيا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) يعني في الدنيا . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً) . قال : الرزق الطيب الحلال .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام القرشي ، قال : أخبرنا بشر بن عمار ، عن (١) إسماعيل بن سميع ، بالعين مفتوحة ، الحنف ، أبو محمد ، وثقه جماعة . وكان خارجياً .

أبي رَوْقٍ ، عن الضحاك ، في قوله (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : يأكل حلالا ، ويلبس حلالا .
وقال آخرون (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) بأن نرزقه القناعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المهال بن خليفة ، عن أبي خزيمة سليمان التمار ، عن
ذكره ، عن عليّ (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : القنوع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عصام ، عن أبي سعيد ، عن الحسن البصري ، قال :
الحياة الطيبة : القناعة .

وقال آخرون : بل يعنى بالحياة الطيبة : الحياة مؤمنا بالله ، عاملا بطاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول
في قوله (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) يقول : من عمل عملا صالحا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة ، فحياته
طيبة . ومن أعرض عن ذكر الله ، فلم يؤمن ولم يعمل صالحا ، عيشته ضنكة لاخير فيها .
وقال آخرون : الحياة الطيبة : السعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعليّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ،
قوله (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : السعادة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحياة في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هروذة ، عن عوف ، عن الحسن (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :
لانتطب لأحد حياة دون الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :
مانتطب الحياة لأحد إلا في الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) فإن الله لا يشاء عملا إلا في إخلاص ، ويوجب من
عمل ذلك في إيمان . قال الله تعالى (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) ، وهي الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ
حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الآخرة . يحييهم حياة طيبة في الآخرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَسْخِيبَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال : الحياة الطيبة في الآخرة : هي الجنة .

تلك الحياة الطيبة ، قال (وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال : ألا تراه يقول : (يَا لَيْسَتِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي) قال : هذه آخرته . وقرأ أيضا (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) قال : الآخرة دار حياة لأهل النار وأهل الجنة . ليس فيها موت لأحد من الفريقين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنسِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال : الإيمان : الإخلاص لله وحده ، فبين أنه لا يقبل عملا إلا بالإخلاص له .

وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق ، لم يكثر للدنيا تعب ، ولم يعظم فيها نصيبه ، ولم يتكدر فيها عيشه ، باتباعه بغية ما فاته منها ، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية ، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فقال تعالى (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ، فَتَرْزُلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ، وَتَوَدُّوا السُّوءَ بِمَا صَدَدَتْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) فهذا لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، فهذا لهم في الآخرة . ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه ، فقال تعالى : ما عندكم في الدنيا ينفد ، وما عند الله باق ، فالذي هذه السيئة بحكمته ، أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا ، والغفران في الآخرة ، وكذلك فعّل تعالى ذكره .

وأما القول الذي روي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال ، فهو محتتمل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك ، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال ، وإن قل ، فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله ، لأنه يرزقه الكثير من الحلال ، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال ، لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا ، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة .
وقوله (وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فذلك لاشك أنه في الآخرة ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : (وَلَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي مالك ، وأبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

(١-١) هذه العبارة قد سقطت منها كلمات . ولعل الأصل : فالذي أوعد أهل المعاصي بإذاقهم هذه السيئة بحكمته ، أراد أن يعقب الخ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس (وَاسْتَجْرِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : في الآخرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي الربيع ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَاسْتَجْرِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : يجزيهم أجرهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون

وقيل : إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ميلل شتى تفاخروا ، فقال أهل كل ملة منها : نحن أفضل ، فبين الله لهم أفضل أهل الملل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل ، فقال هؤلاء ، نحن أفضل ، وقال هؤلاء : نحن أفضل ، فأنزل الله تعالى (مَن سَمِعَ صَاحِبًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْهُ وَالَّذِينَ هُم بِهٖ مُّشْرِكُونَ (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم . فاقراً القرآن ، ولا وجه لما قال من ذلك ، لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيد من الشيطان الرجيم ، لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه ، وليس قوله (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) بالأمر اللازم . وإنما هو إعلام ونذب . وذلك أنه لا خلاف بين الجميع ، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، قبل قراءته أو بعدها ، أنه لم يضيع فرضاً واجباً . وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) قال : فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه .

وأما قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فإنه يعنى بذلك : إن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله . وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : وعلى ربهم يتوكلون ، فيما نابهم من مهمات أمورهم . وإنما سلطانه على الذين يتولونه ، يقول : إنما حجته على الذين يعبدونه (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقول : والذين هم بالله مشركون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء . وحدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ) قال : حجته .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) قال : بطيعونه .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن .

فقال بعضهم بما حدثت عن واقد بن سليمان . عن سفيان ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال : ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر . وقال آخرون : هو الاستعاذة . فإنه إذا استعاذ بالله منع منه ، ولم يسلط عليه . واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فاستعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة الحجر .

وقال آخرون فى ذلك . بما حدثني به المثنى . قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر . عن أبيه . عن الربيع ، فى قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) إلى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) يقال : إن عدو الله إبليس قال (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل . وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليا . وأشركوه فى أعمالهم .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثنا أبي . قال : ثنا عمي . قال : ثنا أبي . عن ابن عباس . قوله (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يقول : السلطان على من تولى الشيطان وعمل بعصية الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يقول : الذين بطيعونه ويعبدونه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا .

فاستعاذوا بالله منه ، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة ، وعلى ربهم يتوكلون على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات بالآية . لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وقال في موضع آخر : (وإمّا يسئرنَّغْنَك مِن الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فكان بيننا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه في هذه الأحوال ، ليُعِيدَهُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ .

وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم فيه بما قلنا : إن معناه : والذين هم بالله مشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون برب العالمين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) قال : يعدلون بالله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) عدلوا إبليس بربهم ، فإنهم بالله مشركون . وقال آخرون : معنى ذلك : والذين هم به مشركون ، أشركوا الشيطان في أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) أشركوه في أعمالهم .

بَيِّنَةٌ والقول الأول ، أعنى قول مجاهد : أولى القولين في ذلك بالصواب ، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذباتهم ومطاعمهم ومشاربهم ، لأنهم يشركون بالشيطان . ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع ، لكان التنزيل : الذين هم مشركوه ، ولم يكن في الكلام به . فكان يكون لو كان التنزيل كذلك ، والذين هم مشركوه في أعمالهم ، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام . إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان ، ويشركون الله به في عبادتهم إياه ، فيصيح حينئذ معنى الكلام ، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن ، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ، ما لم ينزل به عليهم سلطانا ، وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك ، لا تشركوا بالله شيئا ، ولم نجد في شيء من التنزيل : لا تشركوا الله بشيء ، ولا في شيء من القرآن ، خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء ،

فيجوز لنا توجيهه معنى قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله، فبين إذن إذ كان ذلك كذلك، أن الهاء في قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) عائدة على الرب في قوله (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ، قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

يقول تعالى ذكره : وإذا نسخنا حكم آية ، فأبدلنا مكانه حكم أخرى ، والله أعلم بما ينزل : يقول : قال الله أعلم بالذي هو أصح لخلقه ، فيما يبدل ويغير من أحكامه ، قالوا : إنما أنت مفتر . قال المشركون بالله ، المكذوب رسوله لرسوله : إنما أنت يا محمد مفتر : أي مكذب ، تحرّص بتقول الباطل على الله . يقول الله تعالى : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد : إنما أنت مفتر جهال ، بأن الذي أتتهم به من عند الله ناسخه و منسوخه ، لا يعلمون حقيقة صحته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) ، قال اهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) رفعناها فأنزلنا غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قال : نسخناها ، بدلناها ، رفعناها ، وأثبتنا غيرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) هو كقوله (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) قالوا : إنما أنت مفتر ، تأتي بشيء وتنقضه ، فتأتي بغيره . قال : وهذا التبديل ناسخ ، ولا تبدل آية مكان آية إلا بنسخ .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا ، أنزله روح القدس : يقول : قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق . وقد بينت في غير هذا الموضع معنى : روح القدس ، بما أغنى عن إعادته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا جعفر بن عون العمري ، عن موسى بن عبيدة الربدي ، عن محمد بن كعب ، قال : روح القدس : جبرئيل .

وقوله (لِيُشَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول تعالى ذكره : قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربي ، تثبिता للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم ، وهدى لهم من الضلالة ، ويُبشِّرُ للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونهيه ، وما أنزله في آي كتابه ، فأقروا بكل ذلك ، وصدقوا به قولاً وعملاً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم : إنما يعلم محمدًا هذا الذي يتلوه بشر ، من بني آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قلوبهم ، وذلك ألا تعلمون كذب ما تقولون ، إن لسان الذي تلحدون إليه : يقول : تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا ، أعجميٌّ ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمدًا هذا القرآن عبد روميٌّ ، فلذلك ، قال تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) يقول : وهذا القرآن لسان عربي مبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمدًا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر ، فقال بعضهم : كان اسمه بلعام ، وكان قينا بمكة نصرانياً .
ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن مسلم بن عبد الله الملائني ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة ، وكان أعجمي اللسان ، وكان اسمه بلعام ، فكان المشركون يروون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ، وحين يخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

وقال آخرون : اسمه يعيش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة أعجميا ، قال سفيان : أراه يقال له : يعيش ، قال : فذلك قوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَثْمَهُمْ بِقَوْلِهِمْ لِيَأْتِنَا يُعَلِّمُهُ بَشَرًا) وقد قالت قريش : إنما يعلمه بشر ، عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش ، قال الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وكان يعيش يقرأ الكتب .
وقال آخرون : بل كان اسمه جبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبني بياضة الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في قولهم (وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَثْمَهُمْ بِقَوْلِهِمْ لِيَأْتِنَا يُعَلِّمُهُ بَشَرًا ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : كانوا يقولون : إنما يعلمه نصراني على المروة ، ويعلم محمدا رومي يقولون اسمه جبر ، وكان صاحب كتب ، عبد لابن الحضرمي ، قال الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) قال : وهذا قول قريش : إنما يعلمه بشر ، قال الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)
وقال آخرون : بل كانا غلامين : اسم أحدهما يسار ، والآخر جبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي : أنه كان لهم عبدان من أهل غير اليمن ، وكانا طفلين ، وكان يقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، فكانا يقرأان التوراة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا معن بن أسد ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عبد الله بن مسلم ، قال : كان لنا غلامان

فكانا يقرآن كتابا لهما بلسانهما ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ، فيقوم يستمع منهما ، فقال المشركون : يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى ما كذبهم به ، فقال (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) .

وقال آخرون : بل كان ذلك سَلْمَانَ الفارسيّ .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ) كانوا يقولون : إنما يعلمه سلمان الفارسيّ . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ؛ وحدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَكَانَ يُعَلِّمُهُمُ) وهو يقولون (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُمُ بَشَرٌ) قال : قول كفار قريش : إنما يعلم محمد ابن الحضرميّ ، وهو صاحب كتاب ، يقول الله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) . وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عن الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر ، إنما افتتن ، إنه كان يكتب الوحي ، فكان يملئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميع عليم ، أو عزيز حكيم ، وغير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أعزير حكيم ، أو سميع عليم ، أو عزيز عليم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي ذلك كتبت فهو كذلك ، ففتنه ذلك ، فقال : إن محمدا يكل ذلك إلىّ ، فأكتب ما شئت ، وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة .

واختلف القراء في قراءة قوله (يُلْحِدُونَ) ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) بضم الياء ، من ألحد يلحد إلحادا ، بمعنى يعترضون ، ويعدلون إليه ، ويعترضون إليه من قول الشاعر :
قَدَدْتِي مِّنْ نَّصْرِ الْخُبَيْبِيِّينَ قَدِيدِي لَيْسَ أَمِيرِي بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ

(١) قلبي : اسم فعل بمعنى كفى . والخبيبين : مثنى مصغر . وهما عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب ، أو هما خبيب بن عبد الله بن الزبير وأحد إخوته من بني عبد الله بن الزبير ، وهم حمزة وثابت وعباد وقيس وعامر وموسى . وقيل إن لفظ الخبيبين جمع خبيب ، يريد خبيبا من معه . أو يريد أنصار عبد الله بن الزبير ، وكان يلقب أبا خبيب . والملحد : قال صاحب المصباح : من ألحد في الحرم بالألف : إذا استحل حرمة وانتهكها . وألحد إلحادا : جادل ومارى . ولحد (بلا ألف) بمعنى : جار ونظم . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٣٦٨ : ١) « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » أي يعدلون إليه . ويقال : ألحد فلان : أي جار . وأعجمي : أصيف إلى أعجم اللسان . والبيتان من مشطور الرجز ، وهما حميد الأرقط (انظر خزنة البغدادى ٢ : ٤٥٣) .

وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة (لسانُ الَّذِي يَلْسُجِدُ وَنَ لآئِيهِ) بفتح الياء، يعنى: يميلون إليه من لحد فلان إلى هذا الأمر، يَلْسُجِدُ لحدًا ولحدودًا. وهما عندى لغتان بمعنى واحد، فبأيهما قرأ القارئ فحسب فيهما الصواب. وقيل (وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُسَيَّبٍ) يعنى: القرآن كما تقول العرب لقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر: هذا لسان فلان: تريد قصيدته؛ كما قال الشاعر:

لِسَانُ السُّوءِ يُهْدِيهَا إِلَيْنَا وَحِينَتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَنَا

يعنى باللسان: القصيدة والكلمة.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِنَايَةِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِنَايَةِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)

يقول تعالى: إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته، فيصدقون بما دللت عليه (لا يهديهم الله) يقول: لا يوفقهم الله لإصابة الحق، ولا يهديهم لسبيل الرشد فى الدنيا (وَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ) وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجه. ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مفتر، أنهم هم أهل الفرية والكذب، لأنبي الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون به، وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: إنما يتخرص الكذب، ويتقول الباطل، الذين لا يصدقون بحجج الله وإعلامه، لأنهم لا يرجون على الصدق ثوابا، ولا يخافون على الكذب عقابا، فهم أهل الإفك وافتراء الكذب، لامن كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفا على الكذب العقاب الأليم. وقوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) يقول: والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب، لا المؤمنون.

القول فى تأويل قوله تعالى

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ مَنْ
شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)

يختلف أهل العربية فى العامل فى «مَنْ» من قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ) ، ومن قوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا) فقال بعض نحوى البصرة: صار قوله (فَعَلَيْهِمْ) خبرا لقوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا) ، وقوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) فأخبر لم يخبر واحد، وكان ذلك

(١) فى (اللسان: لسن): اللسان: جراحة الكلام، وقد يكتفى بها عن الكلمة، فيؤنث حينئذ، قال أعشى باهلة: إني ألتنى لسان لا أسر بها. قال ابن برى: اللسان هنا: الرسالة والمقالة، وقد يذكر، على معنى الكلام، قال الخطيب: «تعدت على لسان فات منى». وحان يمين حينئذ: هلك. وشاهد المؤلف فى البيت: أن اللسان قد يحسب مؤنثا، بمعنى الكلمة والقصيدة.

يدل على المعنى . وقال بعض نحوِّي الكوفة : إنما هذان جزاءان اجتماعا ، أحدهما منعقد بالآخر ، فجوابهما واحد ، كقول القائل : من يأتنا ، فمن يحسن نكرمه ، بمعنى : من يحسن ممن يأتنا نكرمه . قال : وكذلك كل جزاءين اجتماعا الثاني منعقد بالأول ، فالجواب لهما واحد . وقال آخر من أهل البصرة : بل قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ) مرفوع بالرد على الذين في قوله (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ؛ ومعنى الكلام عنده : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره من هؤلاء ، وقلبه مطمئن بالإيمان . وهذا قول لا وجه له ؛ وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان الله تعالى ذكره قد أخرج من افتري الكذب في هذه الآية ، الذين ولدوا على الكفر ، وأقاموا عليه ، ولم يؤمنوا قط ، وخص به الذين قد كانوا آمنوا في حال ، ثم راجعوا الكفر بعد الإيمان ، والتنزيل يدل على أنه لم يخص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين ، الذين كانوا على الشرك مقيمين ، وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب ، فقال (وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ ، قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وكذب جميع المشركين بافتراءهم على الله ، وأخبر أنهم أحق بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) . ولو كان الذين عسوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد إيمانهم ، وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت مفتر حين يدل الله آية مكان آية ، كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الإيمان خاصة ، دون غيرهم من سائر المشركين ، لأن هذه في سياق الخبر عنهم ، وذلك قول إن قاله قائل ، فبين فساده ، مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل . والصواب من القول في ذلك عندي : أن الرفع لمن الأولى والثانية ، قوله (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ) والعرب تفعل ذلك في حروف الجزاء ، إذا استأنفت أحدهما على الآخر .

وذكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، وقوم كانوا أسلموا ، ففتنهم المشركون عن دينهم ، فثبت على الإسلام بعضهم ، وافتن بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) . . . إلى آخر الآية ، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ، ثم تركوه ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه بالذي لسي من قريش ، والذي قال : فأنزل الله تعالى ذكره عنده : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ) . . . إلى قوله (وَوَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) قال : ذكر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر ، أخذه بنو المغيرة ، فغصطوه في بئر ميمون ، وقالوا : اكفر بمحمد ، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره ، فأنزل الله تعالى ذكره

(إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) : أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : «أخذ المشركون عمار بن ياسر ، فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قال : مطمئنا بالإيمان . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فَإِنْ عَادُوا فَعُدُّ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) قال : نزلت في عمار بن ياسر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : لما عذب الأعداء أعطوهم ما سألوا إلا خبباً بن لأرت ، كانوا يرضعونه على الرضف ، فلم يستقلوا منه شيئاً .

فتأويل الكلام إذن : من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا ، فاختره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر ، عن ابن عباس .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه ، فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم ، فأما من أكره ، فتكلم به لسانه ، وخالفه قلبه بالإيمان ، لينجو بذلك من عدوه ، فلا حرج عليه ، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقبت عليه قلوبهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : حل بهؤلاء المشركين غضب الله ، ووجب لهم العذاب العظيم ، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يحدون آياته مع إصرارهم على جحودها .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨)

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس ، هم القوم

الذين طبع الله على قلوبهم ، فحتم عليها بطابعه ، فلا يؤمنون ، ولا يهتدون ، وأصمّ أسمعهم ، فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى ، وأعمى أبصارهم ، فلا يبصرون بها حجج الله إبصار معتبر ومتعظ (وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) يقول : وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون ، عما أعدّ الله لأمتانهم من أهل الكفر ، وعما يراد بهم .

وقوله (لاجِرَمَ أَتَمُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) الهالكون ، الذين غيّبوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)

يقول تعالى ذكره : ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم ، وأهل ولايتهم ، من بعد ما فتنتهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم ، قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف ، وبألسنتهم بالبراءة منهم ، ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور ، يقول : لئلا يستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم ، من كلمة الكفر بألسنتهم ، وهم لغيرها مضمرون ، وللإيمان معتقدون ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم .

وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ المشركون عليهم ، حتى فتنواهم عن دينهم ، فأيسوا من التوبة ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَالَ لَهُ مُطْمَئِنُّ بِالْإِيمَانِ) قال : ناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة : أن هاجروا ، فإننا لانراكم منا ، حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم قريش بالطريق ، ففتنواهم ، وكفروا مكريهين ، ففهم نزلت هذه الآية .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال ابن جريج : قال الله تعالى ذكره (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ) ثم نسخ واستثنى ، فقال

(«ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ») :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله («ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ») : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ أَهْلَ مَكَّةَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِسْلَامَ حَتَّى يَهَاجِرُوا ، كَتَبَ بِهَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَصْحَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ذَلِكَ تَبَاعَعُوا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِنْ لَحِقَ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، قَاتَلُوهُمْ حَتَّى يَنْجُوا أَوْ يَلْحَقُوا بِاللَّهِ ، فَخَرَجُوا فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَجَاءَهُمْ مِنْ قَتْلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَجَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى («ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا») . . . الآية .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، وقتل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين ، وأكروها فاستغفروا لهم ، فنزلت («إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ») . . . إلى آخر الآية ؛ قال : وكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين هذه الآية لاعتذر لهم ، قال : فخرجوا فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت هذه الآية («وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ») . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم («ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ») فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون فقاتلوهم ، ثم نجا من نجا ، وقتل من قتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد («ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا») .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالوا في سورة النحل («مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ») ثم نسخ واستثنى من ذلك ، فقال («ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ») وهو عبد الله بن أبي سرح ، الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأزله الشيطان ، فلهق بالكفار ، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو عمرو ، فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِيلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ) تخاصم عن نفسها ، وتحتج عنها ، بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر ، أو إيمان أو كفر ، (وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة ومعصية ، (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) : يقول : وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر ، فلا يجزي المحسن إلا بالإحسان ، ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة ، لا يعاقب محسن ، ولا يبخس جزاء إحسانه ، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله .

واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل تجادل ، فأنت الكل ، فقال بعض نحوِّي البصرة : قيل ذلك لأن معنى كل نفس : كل إنسان ، وأنت لأن النفس تذكر وتؤنث ، يقال : ما جاءني نفس واحد وواحدة . وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ، ويقول : كل إذا أضيفت إلى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة : كل امرأة قائمة ، وكل رجل قائم ، وكل امرأتين قائمتان ، وكل رجلين قائمتان ، وكل نساء قائمات ، وكل رجال قائمون ، فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ، ولا حاجة به إلى تأنيث النفس وتذكيرها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

بِأَنعَمِ اللَّهِ ، فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)

يقول الله تعالى ذكره : ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله ، هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادي ، ويقتل بعضها بعضا ، ويسبي بعضها بعضا ، وأهل مكة لا يغار عليهم ، ولا يحاربون في بلدهم ، فذلك كان أمنها . وقوله (مُطْمَئِنَّةً) يعني : قارة بأهلها ، لا يحتاج أهلها إلى النجوع ، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) يقول : يأتي أهلها معاشهم واسعة كثيرة . وقوله (مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ) يعني : من كل فج من فجج هذه القرية ، ومن كل ناحية فيها . وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذُكرت في هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ،

(١) أبو عمرو : يريد عثمان بن عفان رحمه الله ، وكان أخا عبد الله بن سعد من الرضاة . قاله ابن إسحاق في السيرة .

قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)
يعنى : مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : مكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ
آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال : ذكر لنا أنها مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً) قال :
هى مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه مكة .

وقال آخرون : بل القرية التى ذكر الله فى هذا الموضع : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : ثنى
عبد الرحمن بن شريح ، أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي ، حدث أنه سمع مِشْرَحَ بن عاهان ، يقول :
سمعت سليم بن نمير يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعثمان محصور
بالمدينة ، فكانت تسأل عنه ما فعل ، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما ، فقلا : قتل ، فقالت
حفصة : والذى نفسى بيده إنها القرية ، تعنى المدينة ، التى قال الله تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ
آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ) قرأها ، قال أبو شريح
وأخبرني عبد الله بن المغيرة عن حدثه ، أنه كان يقول : إنها المدينة ، وقوله : (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ)
يقول : فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التى أنعم عليها .

واختلف أهل العربية فى واحد الأنعم ، فقال بعض نحوى البصرة : جمع النعمة على أنعم ، كما قال الله
(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) فزعم أنه جمع الشدة . وقال آخر منهم : الواحد نُعْمٌ ، وقال : يقال : أيام طُعْمٍ
ونُعْمٍ : أى نعيم ، قال : فيجوز أن يكون معناها : فكفرت بنعيم الله لها . واستشهد على ذلك بقول الشاعر :
وعندى قُرُوضُ الخَيْرِ والشَّرِّ كُلَّهُ فَبُؤْسٌ لَدَى بُؤْسٍ وَنُعْمٌ بِأَنْعُمٍ ١

(١) فى مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٦٩) عند الآية : واحدها « نعم » يضم النون وسكون العين ، ومعناه : نعمة ، وهما
واحد . قالوا : نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم بمنى « إنها أيام طعم ونعم ، فلا تصوموا » . وفى (اللسان : نعم) : وجمع
النعمة : نعم ، وأنعم . كشدة وأشد ، حكاه سيبويه . وقال النابغة :

فَلَنْ أَذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنْ لَهْ عَيْدِي بُدِيًّا وَأَنْعُمًا

والنعم : خلاف البؤس ، ويقال : يوم نعم ، ويوم بؤس . والجمع : أنعم ، وأبؤس .

وكان بعض أهل الكوفة يقول : أنعم : جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، وضرأ وأضر ، فأما الأشد فإنه زعم أنه جمع شد .

وقوله (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ) يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع ، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم ، بمنزلة اللباس لها ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العياضير والجحيف . قال أبو جعفر : والعلهز : الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه ؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم . وقوله (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) : يقول : بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله ، ويحسدون آياته ، ويكذبون رسوله ، وقال : بما كانوا يصنعون ، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية ، لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية ، استغناء بذكرها عن ذكر أهلها ، لمعرفة السامعين بالمراد منها ، فإن المراد أهلها ، فلذلك قيل (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فرد الخبر إلى أهل القرية ، وذلك نظير قوله (فَجَاءَهَا بِأَسْنَانِ بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) ولم يقل قائلة . وقد قال قبله (فَجَاءَهَا بِأَسْنَانِ) ، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية ؛ ونظائر ذلك في القرآن كثيرة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية (رَسُولٌ مِنْهُمْ) يقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم . يقول : من أنفسهم يعرفونه . ويعرفون نسبه وصدق طبعته ، يدعوهم إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم (فَكَذَّبُوهُ) ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) وذلك لباس الجوع والخوف ، مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه ، وقتل بالسيف (وَهُمْ ظَالِمُونَ) يقول : وهم مشركون ، وذلك أنه قُتِلَ عظماءهم يوم بدر بالسيف على الشرك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ) إلى الله ، يعرفون نسبه وأمره ، (فَكَذَّبُوهُ) ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ، فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا ، وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَآئِهِ تَعْبُدُونَ (١١٤)

يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم حلالا طيبا منذ كانت غير محرمة عليكم (وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليته ما أحل لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) يقول: إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عني بقوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) طعاما كان بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من قومه في سبني الجذب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشركين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به إليكم حلالا طيبا، وذلك تأويل بعيد، مما يدل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) . . . الآية والتي بعدها، فبين بذلك أن قوله (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا) لإعلام من الله عباده، أن ما كان المشركون يجرّمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك، مما قد بينا قبل فيما مضى، لا معنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كل ذلك حلال، لم يجرّم الله منه شيئا.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أِهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)

يقول تعالى ذكره مكرهًا مكرهًا بالمشركين الذين كانوا يجرّمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك ما حرّم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذبح للأنصاب، فسُمّي عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لا يحلّ أكل ذبيحته، فن اضطرّ إلى ذلك، أو إلى شيء منه، لحاجة حلت، فأكله (غير باغٍ ولا عاد، فإن الله غفورٌ رحيمٌ) يقول: ذو ستر عليه أن يؤاخذ به بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه.

وقد بينّا اختلاف المختلفين في قوله (غير باغٍ ولا عادٍ)، والصواب عندنا من القول في ذلك، بشواهد فيما مضى، بما أغنى عن إعادته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ) . . . الآية؛ قال: وإن الإسلام دين مطهره الله من كل سوء، وجعل لك فيه يا بن آدم سعة إذا اضطرت إلى شيء من ذلك. قوله (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) غير باغٍ في أكله ولا عاد أن يتعدّى حلالا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ، لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَّعٌ قَلِيلٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ) فتكون تصف الكذب ، بمعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب ، فتكون « ما » بمعنى المصدر . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ) بخفض الكذب ، بمعنى : ولا تقولوا للكذب الذي تصفه ألسنتكم (هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) فيجعل الكذب ترجمة عن « ما » التي في لما ، فتخفضه بما تخفض به « ما » . وقد حكى عن بعضهم (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبُ) برفع الكذب ، فيجعل الكذب من صفة الألسنة ، ويخرج على فِعْلٍ ، على أنه جمع كذُوب وكذب ، مثل شكُور وشُكْر .

والصواب عندي من القراءة في ذلك : نصب الكذب ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم : هذا حلال ، وهذا حرام ، كى تفتروا على الله بقلبيكم ذلك الكذب ، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون ، ولا أحل كثيرا مما تحيلون ، ثم تقدم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه ، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) يقول : إن الذين يتخرصون على الله الكذب ويختلفونه ، لا يخلدوا في الدنيا ، ولا يبقون فيها ، إنما يتمتعون فيها قليلا . وقال (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) فرفع ، لأن المعنى الذي هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل ، أو لهم متاع قليل في الدنيا . وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ثم إلينا مرجعهم ومعادهم ، ولهم على كذبهم وافتراءهم على الله بما كانوا يفترون ، عذاب عند مصيرهم إليه أليم .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) في البحيرة والسائبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : البحائر والسوائب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَآلَسَيْنَا كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)

يقول تعالى ذكره : وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام ، وذلك كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم ، حرّمنا علىهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا ، أو ما اختلط

بعظم (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بتحريمنا ذلك عليهم (وَلَكِنَّ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فجزيناهم ذلك بغيرهم على ربهم ، وظلمهم أنفسهم بمعصية الله ، فأورثهم ذلك عقوبة الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : في سورة الأنعام .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن أيوب ، عن عكرمة ، في قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : في سورة الأنعام .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) قال : ما قص الله تعالى في سورة الأنعام حيث يقول : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَجْهَلُونَ ، ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا أَمْقُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)

يقول تعالى ذكره : إن ربك للذين عصوا الله ، فجهلوا بركوبهم ماركبوا من معصية الله ، وسقطوا بذلك ، ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها ، والاستغفار والتوبة منها ، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية ، وأصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) يقول : إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له (لَعَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ، وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِنِعْمِهِ ، اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)

يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم خليل الله كان معلماً حَسْبِ ، يَأْتَمُّ بِهِ أَهْلُ الْهُدَى قَانِتًا ، يقول : مطيعاً لله حنيفاً : يقول : مستقيماً على دين الإسلام (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولم يك يشرك بالله شيئاً ، فيكون من أولياء أهل الشرك به ، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش ، أن إبراهيم منهم برىء ، وأنهم منه برءاء (شَاكِرًا لِنِعْمِهِ) يقول : كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه ، شريكاً من الآلهة والأنداد وغير ذلك ، كما يفعل مشركو قريش . (اجْتَبَاهُ) يقول : اصطفاه

واختاره لخلته، وهداه (إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام، لا اليهودية ولا النصرانية.

وبنحو الذي قلنا في معنى (أُمَّةً قَانِتًا) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيد بن، أنه جاء إلى عبد الله، فقال: من نسأل إذا لم نسألك؟ فكان ابن مسعود رقى له، فقال: أخبرني عن الأُمَّة، قال: الذي يعلم الناس الخير.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيد بن أنه سأل عبد الله بن مسعود، عن الأُمَّة القانت: قال: الأُمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، عن منصور، يعني ابن عبد الرحمن، عن الشعبي، قال: ثنى فروة بن نوفل الأشجعي، قال: قال ابن مسعود: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفًا، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن، إنما قال الله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) فقال: تدرى ما الأُمَّة، وما القانت؟ قلت: الله أعلم. قال: الأُمَّة: الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير، وكان مطيعًا لله ورسوله.

حدثنا محمد بن المثني، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت فراسًا يحدث، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله، قال: فقال رجل من أشجع يقال له فَرَوَةُ بن نوفل: نسي إنما ذلك إبراهيم، قال: فقال عبد الله: من نسي؟ إنما كنا نشبهه إبراهيم، قال: وسئل عبد الله عن الأُمَّة، فقال: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قرأت عند عبد الله هذه الآية (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ) فقال: كان معاذ أُمَّةً قانتًا، قال: هل تدرى ما الأُمَّة؟ الأُمَّة الذي يعلم الناس الخير، والقانت: الذي يطيع الله ورسوله.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا بيان بن بشر البجلي، عن الشعبي، قال: قال عبد الله: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين، فقال له رجل: نسيت، قال: لا ولكنه شبيه إبراهيم، والأُمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع.

حدثني علي بن سعيد الكندي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن عون، عن الشعبي، في قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) قال: مطيعًا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، قال: قال عبد الله: إن معاذًا كان أُمَّةً قانتًا معلم الخير.

وذكر في الأُمَّة أشياء مختلف فيها، قال (وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) يعني: بعد حين (وَأُمَّةً وَسَطًا)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن ليث ، عن شمر بن حوشب ، قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، وتخرج بركتها ، إلا زمن إبراهيم ، فإنه كان وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبي . قال : وأخبرنا زكريا ومجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، نحو حديث يعقوب ، عن ابن علقمة وزاد فيه : الأئمة : الذي يعلم الخير ، ويؤتم به ، ويقتدى به ؛ والقانت : المطيع لله وللرسول ، قال له أبو قرة الكندي : إنك وهمت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إن إبراهيم كان أمة) على حدة (قانتا لله) قال : مطيعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : مطيعا لله في الدنيا .

قال ابن جريج : وأخبرني عويمر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : قانتا : مطيعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) قال : كان إمام هدى مطيعا ، تلتبع سنته وميلته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن ابن مسعود قال : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا ، قال غير قتادة : قال ابن مسعود : هل تدرون ما الأئمة : الذي يعلم الخير . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : قرأت عند عبد الله بن مسعود (إن إبراهيم كان أمة قانتا) فقال : إن معاذ كان أمة قانتا ، قال : فأعادوا ، فأعاد عليهم ، ثم قال : أتدرون ما الأئمة ؟ الذي يعلم الناس الخير ، والقانت الذي يطيع الله .

وقد بينا معنى الأمة ووجوهها ، ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه ، في غير هذا الموضع من كتابنا بشواهد ، فأغنى بذلك عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : وآتيناه إبراهيم على قنوته لله ، وشكره له على نعمه ، وإخلاصه العبادة ، له في هذه الدنيا ذكرا حسنا ، وثناء جميلا باقيا على الأيام (وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صالح أمره وشأنه عند الله ، وحسنت فيها منزلته وكرامته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : لسان صدق . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) . فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ
السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم أوحينا إليك يا محمد ، وقلنا لك : اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة . حنيفا : يقول : مسلما على الدين الذي كان عليه إبراهيم ، بريئا من الأوثان والأنداد التي بعدها قومك ، كما كان إبراهيم تبرا منها .

وقوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ) يقول تعالى ذكره : ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو أعظم الأيام ، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة ، ثم سببت يوم السبت .

وقال آخرون : بل أعظم الأيام يوم الأحد . لأنه اليوم الذي ابتداء فيه خلق الأشياء ، فاختروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة ، الذي فرض الله عليهم تعظيمه ، واستحلوه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ) : اتبعوه وتركوا الجمعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) قال : أرادوا الجمعة فأخطئوا ، فأخذوا السبت مكانه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) استحلّه بعضهم ، وحرّمه بعضهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : باستحلالهم يوم السبت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) قال : كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطئوه ، وأخذوا يوم السبت ، فجعله عليهم . وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه . عند مصيرهم إليه يوم القيامة ، فيقضى بينهم في ذلك وفي غيره ، مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق ، ويفصل بالعدل ، بمجازاة المصيب فيه جزاءه ، والمخطئ فيه منهم ما هو أهله .

القول في تأويل قوله تعالى

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (ادْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) يقول : إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقك ، وهو الإسلام . (بِالْحُكْمَةِ) يقول بوحى الله الذي يوحى إليك ، وكتابه الذي ينزل عليك (وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ) يقول : وبالعبارة الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه ، وذكرهم بها في تنزيله ، كالتى عدد عليهم في هذه السورة من حججه ، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آياته (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول : وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها ، أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أعرض عن أذاهم إليك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم : إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل ، من المختلفين في السبب وغيره من خلقه ، وحاد الله . وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ، ومحجة الحق ، وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبَّيْتُمْ فَمَا قَبَّيْتُمْ بِهٖ ، وَإِنَّ صَبْرَتُمْ لَهٗوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم ، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظلمكم من العقوبة ، ولئن صبرتم عن عقوبته ، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ، ووكلفتم أمره إليه ، حتى يكون هو المتولى عقوبته (هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) يقول : للصبر عن عقوبته بذلك ، خير لأهل الصبر احتسابا ، وابتغاء ثواب الله ، لأن الله يعوضه من الذي أراد أن يناله ، بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه ، من لذة الانتصار ، وهو من قوله (هُوَ) كناية عن الصبر ، وحسن ذلك ، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر ، لدلالة قوله (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عليه .

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية . وقيل : هي منسوخة أو محكمة ، فقال بعضهم : نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين ، من التمثيل بهم ، أن يجاوزوا فعلهم في المثلة بهم ، إن رزقوا الظفر عليهم يوما ، فهاهم الله عن ذلك بهذه الآية ، وأمرهم أن يقتصروا في التمثيل بهم ، إن هم ظفروا على مثل الذي كان منهم ، ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل ، وإيثار الصبر عنه بقوله (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) ففسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر : أن المسلمين قالوا : لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد : لئن ظهروا عليهم لنفعلن ولنفعلن ، فأنزل الله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبَّيْتُمْ فَمَا قَبَّيْتُمْ بِهٖ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهٗوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) قالوا : بل نصبر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد ، من تبقير البطون ، وقطع المذاكير ، والمثلة السيئة ، قالوا : لئن أظفروا الله بهم ، لنفعلن ولنفعلن ، فأنزل الله فيهم (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهٗوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهي مكية ، إلا ثلاث آيات في آخرها ، نزلت في المدينة بعد أحد ، حيث

قُتِلَ حَمْزَةٌ وَمِثْلٌ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ ظَهْرُنَا عَلَيْهِمْ ، لَنْ نَمُتَّ لَنْ بَشَلَيْنِ رَجُلًا مِنْهُمْ » . فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَنْ نَمُتَّ لَنْ ظَهْرُنَا عَلَيْهِمْ لَنْ نَمُتَّ لَنْ بِمِثْلِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ صَبْرٌ تَمَّ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) . . . إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) قال المسلمون يوم أحد فقال (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما أصيب في أهل أحد المثل ، فقال المسلمون : لَنْ أَصْبِنَاهُمْ لَنْ نَمُتَّ لَنْ بِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ صَبْرٌ تَمَّ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ثُمَّ عَزَمَ وَأَخْبَرَ فَلَا يَمُتُّ ، فَهَبَى عَنِ الْمَثَلِ ، قَالَ مِثْلُ الْكُفَّارِ بِقَتْلِ أَحَدٍ ، إِلَّا حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّاهِبِ ، كَانَ الرَّاهِبُ أَبُو عَامِرٍ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ ، فَتَرَكُوا حَنْظَلَةَ لِذَلِكَ وَقَالَ آخَرُونَ : نَسَخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ فِي بَرَاءَةِ (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) قَالُوا : وَإِنَّمَا قَالَ (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) خَيْرًا مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا يَدْعُوهُمْ بِقِتَالِ حَتَّى يَدْعُوهُمْ بِهِ ، فَقَالَ (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) قال : هذا خبر من الله نبيه ، أَنْ يُقَاتَلَ مِنْ قَاتِلِهِ . قال : ثُمَّ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ ، وَانْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ ، قَالَ : فَهَذَا مِنَ الْمَنْسُوحِ . وقال آخرون : بَلَّ عَنِّي اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) نَبِيَّ اللَّهِ خَاصَّةً ، دُونَ سَائِرِ أَصْحَابِهِ ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ لَهُ عَزِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ دُونِهِمْ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ) قال : أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين ، فأسلم رجال لهم منعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فنزل القرآن (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ صَبْرٌ تَمَّ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) واصبر أنت يا محمد ، ولا تكن في ضيق ممن ينتصر ، وما صبرك إلا بالله ، ثم نسخ هذا ، وأمره بجهادهم ، فهذا كله منسوخ .

وقال آخرون: لم يُعَنَّ بهاتين الآيتين شيء مما ذكره هؤلاء، وإنما عُيِّنِي بهما: أن من ظلمَ بظُلامة، فلا يخل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه، وقالوا: الآية محكمة غير منسوخة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن خالد، عن ابن سيرين (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) يقول: إن أخذ منك رجل شيئا، فخذ منه مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، قال: إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله؛ قال الحسن: قال عبد الرزاق: قال سفيان: ويقولون: إن أخذ منك دينارا، فلا تأخذ منه إلا دينارا، وإن أخذ منك شيئا، فلا تأخذ منه إلا مثل ذلك الشيء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) لا تعتدوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره، أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة، أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به، إن اختار عقوبته، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته، على ما كان منه إليه خيرا، وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل، والتأويلات التي ذكرناها عن ذكرها عن ذكرها عنه، محتملها الآية كلها. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عُيِّنِي بها من خبر ولا عقل، كان الواجب علينا الحكم بها إلى ناطق لادلالة عليه؛ وأن يقال: هي آية محكمة، أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيها وجب لهم قبل غيرهم من حق، من مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لادلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة، وجها صحيحا مفهوما.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله، (وما صبرك إلا بالله) يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك (ولا تحزن عليهم) يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك، وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك، وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (ولا تك في ضيق مما يَمْكُرُونَ) يقول: ولا يضق صدرك

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها، لتأويلها إلى خاص لادلالة عليه... الخ.

بما يقولون من الجهل ، ونسبهم ما جثهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة . مما يمحرون : مما يحتالون بالخدع في الصدا عن سبيل الله ، من أراد الإيمان بك ، والتصديق بما أنزل الله إليك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء العراق (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ) بفتح الضاد في الضيق ، على المعنى الذي وصفت من تأويله . وقرأه بعض قراء أهل المدينة (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ) بكسر الضاد .

﴿ وَأُولَى الْقَرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا : قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَهُ فِي ضَيْقٍ ، بِفَتْحِ الضَّادِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا نَهَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَضِيقَ صَدْرَهُ مِمَّا يَلْقَى مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ ، عَلَى تَبْلِيغِهِ إِيَّاهُمْ وَحَى اللَّهُ وَتَنْزِيلِهِ ، فَقَالَ لَهُ (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لُتُنْذِرَ بِهِ) وَقَالَ (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ، أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكَ) لِئِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) ، وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي نَهَى تَعَالَى ذَكَرَهُ ، فَفَتْحَ الضَّادِ هُوَ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى . تَقُولُ الْعَرَبُ : فِي صَدْرِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ضَيْقٌ ، وَإِنَّمَا تَكْسَرُ الضَّادَ فِي الشَّيْءِ الْمَعْلُومِ ، وَضَيْقُ الْمَسْكَنِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ : فَإِنْ وَقَعَ الضَّيْقُ بِفَتْحِ الضَّادِ فِي مَوْضِعِ الضَّيْقِ بِالْكَسْرِ ، كَانَ عَلَى الَّذِي يَتَسَعُ أَحْيَانًا ، وَيَضِيقُ مِنْ قَلَّةِ أَحَدٍ وَجْهَيْنِ ، إِمَّا عَلَى جَمْعِ الضَّيْقَةِ ، كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ بَنِي ثَعْلَبَةَ :

فَلَيْتَ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحَ

وَالْآخِرَ عَلَى تَخْفِيفِ الشَّيْءِ الضَّيْقِ ، كَمَا يَخْفَفُ الْهَيْنَ اللَّيْنُ . فَيُقَالُ : هُوَ هَيْئِنَ لَيْتِنَ .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ (إِنَّ اللَّهَ) بِأَحْمَدِ (مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) اللَّهُ فِي مَحَارِمِهِ فَاجْتَنَبُوهَا ، وَخَافُوا عِقَابَهُ عَلَيْهَا ، فَأَحْجَمُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهَا (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) يَقُولُ : وَهُوَ مَعَ الَّذِينَ يَحْسِنُونَ رِعَايَةَ فَرَائِضِهِ ، وَالْقِيَامَ بِحَقُوقِهِ ، وَلِزُومِ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَنَهَاهُمْ عَنْهُ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) قال : اتَّقَوْا اللَّهَ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْسِنُوا فِيمَا أَفْرَضَ عَلَيْهِمْ . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن الحسن ، مثله .

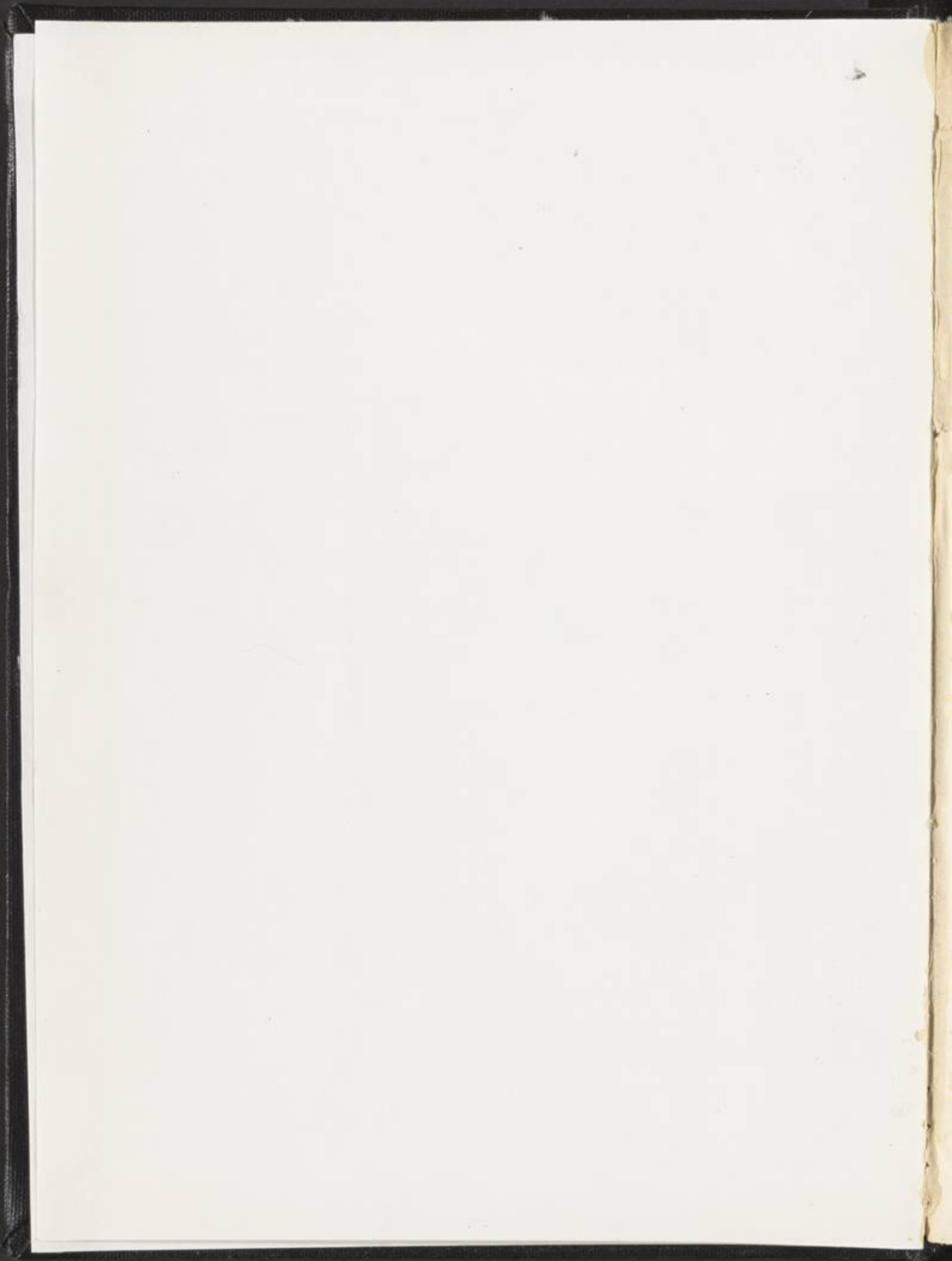
(١) البيت في ديوان الأعشى بن ثعلبة ميمون بن قيس (طبع القاهرة ص ٢٣٧) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي ، وهو الرضيع في القبيصة . وفي (اللسان : ضيق) : الضيق : الشك يكون في القلب من قوله تعالى : « وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » . وقال الفراء : الضيق ما ضاق عنه صدرك . والضيق (بالكسر) ما يكون في الشيء يتسع ويضيق ، مثل الدار والثوب . وإذا رأيت الضيق (بالفتح) قد وقع في موضع الضيق (بالكسر) كان على أحد أمرين : أحدهما أن يكون جمعا للضيقة كما قال الأعشى . فلئن ربك . . الخ البيت . والوجه الآخر : أن يراد به شيء ضيق ، فيكون ضيق مخففا ، وأصله التشديد ، ومثله : هين ولين .

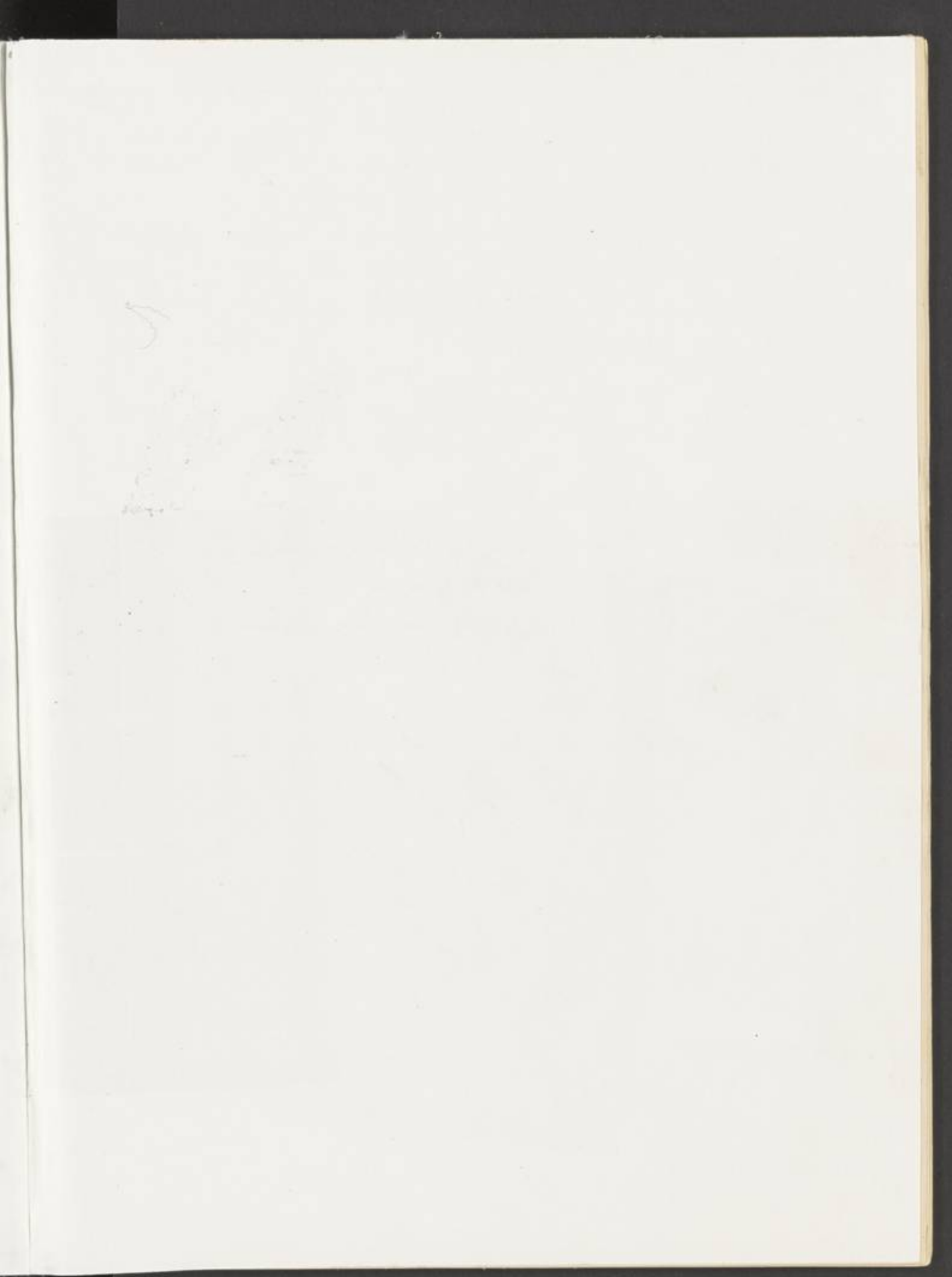
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن هَرَمَ بن حَيَّانَ العَبْدِيُّ لما حضره الموت ، قيل له : أوص ، قال : ما أدري ما أوصي ، ولكن بيعوا درعي ، فاقضوا غني ديني ، فإن لم تف ، فبيعوا فرسي ، فإن لم يف فبيعوا غلامي ، وأوصيكم بخواتم سورة النحل : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ صَبْرٌ تَمَّ هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بَلِّغْ نَصِيرًا .

آخر تفسير سورة النحل

١٢

تم الجزء الرابع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري
ويليه الجزء الخامس عشر
وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)







Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

